تفسير الحداد

كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل

لأبي بكر الحداد اليمني

تحقيق
الدكتور محمد إبراهيم يحيى
أستاذ مساعد تفسير القرآن وعلومه
بالجامعة الأسمرية - زليتن - ليبيا

المجلد الأول

دار المدار الإسلامي

تفسير الحداد

تفسير الحداد

كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل

لأبي بكر الحداد اليمني

تحقيق

الدكتور محمد إبراهيم يحيى

أستاذ تفسير القرآن وعلومه
بالجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية
زليتن - ليبيا

الجزء الأول

دار المدار الإسلامي

الطبعة الأولى

كانون الثاني/يناير/اي النار 2003 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 4165/ 2001

ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-062-X

دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،

خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb

بيروت ـ لبنان

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498، هاتف: 4448750 ـ 4449903 ـ 3338571. 21 . 00218 ـ فاكس: 4442758 . 21 . 00218، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ما اهتم المسلمون على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم بكتاب قدر اهتمامهم بالقرآن الكريم. فتعاهدوه دراسة وتلاوة وتفسيراً. كلٌّ يقتبس من نوره حسب قدرته، ويتشرف بإسهامه مهما كان يسيرا في خدمة كتاب الله تعالى. لذلك كثرت تفاسير القرآن وتعدَّدت اتجاهات المفسرين، فمن مهتم بالجانب اللغوي فيه، ومن منكب على الناحية العقائدية . وآخر متجه صوب تفسيره بما ورد من الأثر، ورابع مستأنس باستخراج درره العرفانية ولئن كان نصيب بعض التفاسير وافراً من الذيوع، فتعدَّد ناسخوه سابقاً وناشروه لاحقاً، كتفسير ابن كثير وتفسير الطبري ومفاتيح الرازي وكشاف الزمخشري، فلقد ضرب خمول الذكر على تفاسير أخرى بأطنابه، فحصرت الاستفادة منها في قليل من الباحثين. وتفسير الحداد الذي نتشرف بتقديمه لأول مرّة للقارىء العربي من هذه الكنوز المخفية التي أخذت منا الكثير من الجهد لنفض غبار الإهمال عنها. فهو تفسير مختصر بالنسبة الى غيره من المطولات إلا أن اختصاره غير مخل، فهو اختصار عالم مدقق فقيه فاحص محقق، إذ يشتمل على أمور هامة في التفسير، ويمثل منهجاً علمياً دقيقاً يجمع بين الرواية والدراية، أو بين الاتجاهين: الأثر والرأي في التفسير. ولقد تناولنا منهج الحداد بدراسة مطولة تعد مدخلاً لمعرفة المفسر وخصائص تفسيره(*) لذلك نذكر فقط في هذا التقديم النسخ المخطوطة المعتمدة

(*) صدرت بعنوان «المدخل إلى تفسير القرآن الكريم ـ الحدّاد نموذجاً» في 500 صفحة عن دار المدار الإسلامي ببيروت، سنة 2002ف.

في التحقيق وهي كالتالي :

أولاً: نسخة دار الكتب الوطنية بتونس ذات الرقم: 6577، وهي نسخة جيدة الخط قليلة الأخطاء في مجلد ضخم خطها شامي جميل، لون مدادها أسود، وبعض العبارات فيها كتبت باللون الأحمر، تتألف من ثلاث ورقات وستمائة ورقة = 603 ورقة، ومقياسها = 28×20، وعدد الأسطر فيها = 33 سطراً = ثلاثة وثلاثون سطراً تقريباً في الصفحة الواحدة.

وكانت هذه النسخة من مقتنيات «الخزانة العبدلية» ثم ضمت كالصادقية وغيرها إلى دار الكتب الوطنية تونس، جاء في برنامج العبدلية للمخطوطات التونسية عند كلامه على تفسير الحداد: الصفحة الأولى منه ساقطة، ومبدأ الثانية الصاد من صادق «وفي الصفحات الأخيرة من هذه النسخة، وبعد انتهاء التفسير ثلاث صفحات في الأولى منها شكل مستطيل مموه بماء الذهب، ومكتوب وسطه: الحمد الله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد .

وفي الصفحتين المواليتين جدولة بماء الذهب فيها مستطيلات مكتوب فيها:

قيد الفراغ: أما بعد فكان الفراغ من تبييض هذا التفسير نهار الخميس المبارك غرة ربيع الأول من سنة احدى وعشرين وألف من الهجرة النبوية = 1021 هـ وعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وذلك برسم سيدنا ومولانا الأمير أمير اللواء الشريف السلطاني والسنجور الكريم العثماني حاوي متفرقات الشيم، وجامع فنون الجود والكرم الآخذ من الفضائل بالحظ الأتم الناطق بالثناء عليه لسان السيف والقلم مولانا الأمير «عبد الله بك» كتخد الحضرة الشريفة الوزيرية العادلة الغراء لازالت سعوده طالعة في سماء السعادة متوالية.

آمين آمين لا أرضى بواحدة ∴ حتى أضيف إليها ألف أمين

المقابلة: أما المربعات الأربعة المستطيلة بأعلى وأسفل الصفحتين، فيقرأ فيها ما يأتي:

بلغ مقابلته على حسب الطاقة والاجتهاد ضبطاً على الأم المنسوخ منها والحمد الله أولاً وآخراً كما يحب ربنا الكريم ويرضى .

الحبسية: من أحباس «علي باي» على مدرسته الغربية قرب مدرسة والده الكائنة داخل باب الجزيرة ورمزت إليها في تحقيقي بالحرف : س

ثانياً: نسخة مكتبة كوريلي إستانبول تركيا ذات الرقم: 89 وهي تتكون من أربع عشرة ورقة وخمسمائة ورقة = 514 ورقة بخط نسخ جميل، ومقياس =22× 32، وعدد أسطرها = أربعة وثلاثون أو خمسة وثلاثون سطراً = 34 أو 35 سطراً في الصفحة الواحدة، في إطار مموه بماء الذهب وأوائل الأقوال بالحبر الأحمر والنصوص القرآنية المفسرة بخط متميز عن بقية النص.

قيد الفراغ: وكان الفراغ من تحصيل هذا الكتاب التاسع من شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة ست بعد الألف من الهجرة النبوية = 1006 هـ .

ورمزت إليها في تحقيقي بالحرف = ك

ثالثاً: نسخة من مكتبة ستراسبورغ الوطنية الجامعية في فرنسا والتي تحمل رقم: 4174 خطها جميل، وعدد أوراقها = اثنان وثلاثون وخمسمائة ورقة = 532 ورقة، ومقياسها = 31×21 . تاريخ نسخها = غرة شهر رجب الفرد من سنة أربع وستين وتسعماية من الهجرة = 964 هـ . فيها هوامش جانبية تدل على مقابلتها، والقراءة فيها كما أن من هذه الهوامش ما يمثل عناوين جانبية رمزت إليها في تحقيقي بالحرف = ف .

وختاماً آمل أن أكون قد أسهمت في إخراج هذا الأثر الجليل إلى عالم المطبوعات حتى يأخذ مكانه في أدراج مكتباتنا الإسلامية وتتسع أوجه الاستفادة منه إلى جانب غيره من مصادر التفسير ومراجعه شاكرا لدار المدار الإسلامي اهتمامها بطبع هذا الكتاب في أبهى حلّة وأحسن إخراج . راجياً أن يوفقني الله سبحانه وتعالى ويجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ويحقق لي به السعادتين إنه سميع مجيب.

المحقق

قال النبي صلى الله عليه وسلم لما قال غفرانك ربنا واليك المصير قال قد غفرت لكم فلما قال ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا قال لا اواخذكم فلما قال ربنا ولا تحمل علينا اصرا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم فلما
قال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت
لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ بن جبل اذا ختم هذه السورة قال امين وعن
الحسن والضحاك ومجاهد وجماعة من المفسرين ان قوله تعالى امن الرسول الى اخر السورة كان في قصة
المعراج وذلك لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى قال له جبريل اني لم اجاوز هذا المكان ولم يؤمر
بالمجاوزة احد غيرك فامض انت قال النبي صلى الله عليه وسلم فمضيت حتى انتهيت الى ما اراد الله تعالى
فاشار جبريل عليه السلام ان سلم على ربك فقلت التحيات لله والصلوات والطيبات فقال الله
عز وجل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال النبي صلى الله عليه وسلم فاحببت ان يكون لامتي
حظ في السلام فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل واهل السموات كلهم اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فقال الله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يشرك امته في الكرامة والفضيلة فقال صلى الله عليه
وسلم والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله الاية قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
الاية فقال جبريل عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعط فقال صلى الله عليه وسلم
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا الى اخر السورة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله
اليه هذه الايات ليعلم امته بذلك او يعلمهم كيف يدعون الله تعالى وقد تقدم فضل السورة والله
الموفق ه سورة ال عمران اثنا عشر الف حرف وخمسمائة وعشرون حرفا وثلاثة
الاف كلمة واربعمائة وثمانون كلمة ومائتا اية ه قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران
يوم الجمعة صلى الله وملائكته عليه حتى تغيب الشمس وقال صلى الله عليه وسلم من قرا ال عمران اعطي
كل اية منها امانا على جسر جهنم وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وال عمران فانهما الزهراوان
وانهما ياتيان يوم القيمة في صورة ملكين يشفعان لصاحبهما حتى يدخلاه الجنة وفضائلها كثيرات
تمضي ه بسم الله الرحمن الرحيم ه قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو
الحي القيوم قال ابن عباس معناه انا الله اعلم ومعناه هو قسم اقسم الله بانه واحد لا شريك له فلا معبود
للخلق سواه وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة في اول سورة البقرة قال انس رضي الله عنه نزلت هذه
الاية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا
من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي
لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة
امامهم وصاحب مدارسهم وكان قد درس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فدخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجده وقت صلاة العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وارديه فقاموا فصلوا
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا الى ناحية المشرق فقال صلى الله عليه وسلم لهما اسلما فقالا
قد اسلمنا قبلك فقال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما
الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى عليه السلام فقال
صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا

النسخة س رقم 6577 (دار الكتب الوطنية ـ تونس)

حنيف بنا أهل الأديان إذا فعل كل دين بدين انهم يدعون دين ابراهيم عليه السلام وقوله تعالى
قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين اي قل لهم يا محمد ان صلاتي يعني الصلوات الخمس
المفروضة ونسكي [illegible] واصل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى ومنه قولهم للعابد ناسك وقال
ابن عيينة نسكي ذبحي [illegible] والنسك الاضحية قوله
ومحياي ومماتي اي [illegible] لله ذلك
ما تقرب به اليه لا لعرض بالاية التبري الى الله من كل حول وقوة والاقرار له بالعبودية وقيل
المراد بذلك ان الله تعالى هو المختص بان يحييه ويميته لا شريك له في ذلك قوله تعالى وبذلك امرت
اي امرني ربي بذلك وانا اول المسلمين اي اول من استقام على الايمان من اهل هذا الزمان واهل المدينة
ومحياي بتسكين اليا وقرا الباقون بفتحها لئلا يجتمع ساكنان وقرا السلمي ونسكي باسكان السين
وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرب كبشا املح اقرن فقال لا اله الا الله
والله اكبر ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له الاية ثم ذبح فقال شعره وصوفه
فدا لشعري من النار وجلده فدا لجلدي من النار ودمه فدا لدمي من النار ولحمه فدا للحمي من النار وعظمه
فدا لعظمي من النار وعروقه فدا لعروقي من النار فقالوا يا رسول الله هذا لك خاصة
قال لا بل لامتي عامة الى ان تقوم الساعة اخبرني بذلك جبريل عليه السلام عن ربي عز وجل قوله
تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء اي قل يا محمد اغير الله اطلب الها اي [illegible] وهو رب كل شي هو
مالكه ومالككم ومالك كل شي فكيف اطلب النفع من مربوب مثلي ومثلكم فهل يكون هذا وهل يحسن هذا
لا بد من ان يكون هو ابدا له قوله عز وجل ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تعمل كل نفس طاعة ولا
معصية الا عليها فالاصل الاساءة ولا تكسب كل نفس من خير او شر الا عليها اما الشر فهو ماخوذ
به واما الخير فمطلوب منه صحة قصده وخلوه من الرياء والعجب والافتخار به قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى والمعنى لا تحمل احد ذنب غيره بل كل نفس ماخوذة بجرمها
وعقوبة اثمها والوزر في اللغة هو الثقل قوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم اي مصيركم
ومنقلبكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون في دار الدنيا قوله عز وجل وهو الذي جعلكم خلائف الارض
اي جعلكم يا امة محمد خلفاء في الارض والخلائف جمع الخليفة وكل قرن خلفوا للقرن الذين كانوا
قبلهم في الارض قوله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات اي فضل بعضكم في المال
والمعاش والجاه تقديره الى درجات ثم حذف الى وانتصب درجات كما قال كسوت فلانا ثوبا قوله
تعالى ليبلوكم فيما اتاكم اي ليختبركم فيما اعطاكم يختبر الغني بالفقير والفقير بالغني فيظهر للناس
شكر الشاكرين وصبر الصابرين قوله ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم اي ذا عاقب
فانه سريع وانما قال سريع العقاب مع انه موصوف بالحلم لان الافعال لان كل ما هو ات قريب وقيل
اراد بقوله سريع العقاب سريع الحساب وقوله تعالى وانه لغفور رحيم اي لغفور لمن تاب من الذنوب
رحيم لمن مات على التوبة وقال عطا سريع العقاب لاعدائه غفور رحيم لاوليائه

سورة الاعراف اربعة عشر الف حرف وثلثماية حرف وعشرة احرف

وثلثة الاف كلمة وثلثماية وخمس وعشرون كلمة وهي مائتان وست ايات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك

بسم الله الرحمن الرحيم

النسخة ك رقم 89 (مكتبة كوبريلي استانبول ـ تركيا)

الظهور والبرهان هو النبي صلى الله عليه وسلم سماه برهانا لظهور معجزاته والنور المبين القرآن سماه نورا لبيانا
لأن النور هو الذي يبين الأشياء حتى ترى والقرآن يبين الأشياء كلها ... تعالى فأما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل أي أما الذين صدقوا بوحدانية الله وتمسكوا
بدينه وكتابه وسألوا العصمة من معاصيه فسيدخلهم في الآخرة في جنته وكراماته التي أعدها لهم ويهديهم إليه
صراطا مستقيما أي ويثبتهم في الدنيا على السبيل الهدى وهو الإسلام ويثبتهم عليه ...

[illegible]

النسخة ك قم 89 (مكتبة كوبريلي استانبول - تركيا)

قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء

ولا تكسب كل نفس إلا عليها

ولا تزر وازرة وزر أخرى

ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون

هو الذي جعلكم خلائف الأرض

ورفع بعضكم فوق بعض درجات

فيما آتاكم

إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين

اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء

قليلا ما تذكرون

وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون

النسخة ك رقم 89 (مكتبة كوبريلي استانبول - تركيا)

فيها علم كل شيء قال رب الله هذه الآية أي لو كان البحر مدادا العلم ربي وحكمه فكتب من البحر كما تكتب من المداد
لنفد البحر وتكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا مثل البحر مددا المداد
البحر ونفاد [illegible] كلمات ربي معاني القرآن والأحكام المستنبطة منه [illegible] فهو للجاري [illegible] شيء
ذكر تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم أي قل يا محمد إنما أنا آدمي مثلكم قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع
لئلا يزهو على خلقه فأمره الله أن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي وهو قوله تعالى
يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخشى لقاء ربه
ويقال من كان يؤمل لقاء ربه ويخاف البعث والمصير إليه فليعمل عملا صالحا أي خالصا لا يرائي
في عبادة الله أحدا ولا يشرك مع الله غيره في العبادة. وقال سعيد بن جبير معناه لا يرائي. وقال ابن عباس
في قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ولم ينه عن الشرك وإنما أراد العمل الذي يعمله [illegible] يحب أن
يحمد عليه. وقال [illegible] هذا فيمن أشرك بعمله يريد الله به والناس. وعن شداد بن أوس قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوما يرائي فيه فقد أشرك. ثم تلا هذه
الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا. وعن أبي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فيها ومن قرأ
الآية التي في آخرها حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ. وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات
من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره. وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة
فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه.

وبالله التوفيق آخر الجزء الأول من
تفسير القرآن العظيم للإمام
الحداد رحمه الله تعالى
ونفعنا به وبعلومه
والحمد لله رب
العالمين
[illegible]
[illegible]

النسخة ك رقم 89 (مكتبة كوبريلي استانبول ـ تركيا)

تنوينها ورفعا لمنزلتها وقيل اراد بقوله في هذه الدنيا سوف للتنبيه للزجر عنه وبتعريض التوبيخ للوعيد في
هي الدار به قوله تعالى [illegible] اي اثبتوا على ما انتم عليه لتنبات لعجل امكانه
وهذا على وجه التهديد ما يعدكم الشيطان ما وعد الله بنا ونزول ما وعد الله بكم قوله تعالى
اي له ما غاب عن العباد في السموات والارض امر العباد فاطعه وفوض امرك اليه
اي يجزي المحسن باحسانه والمسي باساته وقرا يعملون بالياء على معنى قل لهم ذكر عن رسول الله صلعم
قال من قرا سورة هود اعطي من الاجر بعدد من صدق نوحا وهودا وشعيبا ولوطا وصالحا وابراهيم وموسى ومن
كذبهم عشر حسنات وكان عند الله يوم القيمة من السعدا سورة يوسف عليه السلام مائة واحد عشرة ايات والف وتسعمائة
ستة وسبعون كلمة وسبعة الاف وسبعمائة وست وسبعون حرفا وعن ابي بن كعب رضه عن رسول الله صلعم انه قال علموا ارقاكم
سورة يوسف فانها ايما مسلم قراها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه من القوة
ما لا يحسد احدا وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم تفسيره
قوله قيل معناه هذه الايات الكتاب المبين وقيل معناه سورة يوسف ايات الكتاب
على القول الذي يقول ان الراسم سورة وقوله تعالى المبين لانه يبين الهدى والرشد وقيل التبيين حلاله وحرامه
وحدوده واحكامه قوله تعالى اي انزلنا القران على مجاري كلام العرب في مخاطباتهم
لكي يدركوا معناه ويفهموا ما فيه ولو نزل بغير لغة العرب لم يعلموه قوله تعالى
اي نحن نبين لك احسن البيانات والقاص هو الذي ياتي بالقصة على حقيقتها واختلف العلما
لما سميت باحسن القصص من بين الانبيا فقيل سماها احسن القصص لانه ليس قصة في القران تتضمن من العبرة
والحكم والنكت ما يتضمن هذه القصة وقيل سماها احسن القصص لامتداد الاوقات فيما بين مبتداها الى منتهاها قال
ابن عباس كان بين رويا يوسف ومسير ابيه واخوته اليه اربعون سنة وقيل سماها احسن القصص لان فيها ذكر الانبيا
والملائكة والصالحين والانس والجن والانعام والطير والملوك والممالك والبحار والعلما والجهال والرجال والنسا
وحيلهن ومكرهن وفيها ايضا ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرويا والسياسة والمعاشرة والتدبير والمعاش
فصارت احسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوايد الجليلة التي تصلح للدنيا وقيل احسن القصص بمعنى العجيبة كذا في تفسير
الثعلبي وقيل اراد باحسن القصص جميع القصص التي في القران فان الله تعالى ذكر في القران اخبار الامم الماضية وقال رسله
عليهم الصلوة والسلام وذكر فيه ما يحتاج العباد اليه الى يوم القيمة باعذب لفظ في احسن نظم وترتيب قوله تعالى
بما اوحينا اليك هذا القران اي اوحينا اليك هذا القران قوله تعالى اي وقد كنت
من قبل نزول جبريل عليك بالقران غافلا عن قصة يوسف وعن الحكمة فيها قوله تعالى
الاية متصل بما قبله فان معناه نحن نقص عليك احسن القصص اذ قال يوسف لابيه قرا طلحة
بن مصرف يوسف بكسر السين ثم قرا ابن عباس يا ابت بفتح التا في جميع القران واصله على هذا يا ابتاه ثم حذف الالف
وابقى فتحة دالة عليها [illegible] وقرا الباقون يا ابت بالكسر على الاضافة [illegible]
وقيل الكسر لانها اجرت مجرى تا التانيث قوله تعالى اني رايت احد عشر كوكبا قال المفسرون راى يوسف عم هذه الرويا
وهو ابن اثنتي عشرة سنة قال ابن عباس [illegible] انه قال لابيه يا ابت اني رايت في المنام احد عشر كوكبا نزلت من السماء
تسجد لي ورايت [illegible] نزلا من اماكنهما فسجدا لي واراد بذكر السجود التحية والعبادة لله عز وجل كما سجد
الملائكة السجود لادم عم قال وكانت الرويا ليلة القدر ليلة الجمعة وكان تاويلها ما راه عند يعقوب الشمس والقمر
خالته وان ام يوسف وهي راحيل كانت قد ماتت وان الاحد عشر كوكبا اخوة يوسف وكانوا احد عشر [illegible] واسماهم
[illegible] يوسف [illegible] يعقوب [illegible] الشمس والقمر [illegible]
[illegible] الذين يخصون [illegible] الذي يهتدي الناس بهم قوله تعالى

النسخة ف رقم 4174 (مكتبة ستراسبورغ الوطنية الجامعية ـ فرنسا)

المفسرين تبديل السموات انفطارها وانتثار كواكبها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وذهب بعضهم الى ان
الاية على ظاهرها وان هذه الارض تبدل يومئذ بارض اخرى كما روي عن عائشة انها قالت يا النبي صلى الله عليه وسلم قرا عليه
هذه الاية فقلت يا رسول الله فاين تكون الناس قال على جسر جهنم يعني الصراط واما السموات على هذا القول
فانها تبدل ايضا سماء اخرى كما قال انها تبدل يوم القيامة قوله تع اي وبرزوا
من قبورهم للمحاسبة قوله تع اي وترى يا محمد المذنبين
الكفار يوم القيمة مقرنين اي مجموعين مع الشياطين في الاصفاد اي في الاغلال والسلاسل كما روي
في الخبر انه يقرن كل كافر مع شيطانه في غل من حديد وقيد من حديد والاصفاد الاغلال واحدها صفد
وصفاد وقيل الاصفاد الاغلال والقيود قوله تع اي قمصهم من نار وكان كالقطران
وهو هنا به الابل ومن قرا من قطر والمعنى من نحاس مذاب قد بلغ النهاية في الحرارة وتحمل نحو
سرابيلون سرابيل احدها من القطر والاخر من القطران قوله تع اي يعلو اه
وجوههم النار وذلك ان بين الكافر وشيطانه حجر من الكبريت يشتعل في وجهه ليجزي الله كل نفس
ما كسبت ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى اذا حاسب
لحسابه سريع لانه لا يحاسب بعقد واشارة ولا يتكلم بلسان ولذلك الجميع في وقت واحد قوله تع
اي هذا القران ذكر بالغ وموعظة كافية للناس ولتخوفوا بذكر العقاب
اي ليتعظ ذوا العقول من الناس فيوصلهم ذلك الى الجنة وتخلصهم من النار عن ابي ابن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد ما عبد الاصنام وبعدد من لم
يعبدها سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية بالاختلاف والفان وسبعماية وستون حرفا وستماية
واربع وخمسون كلمة بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم
تفسير الر ومعنى تلك ايات الكتاب اي هذه ايات الكتاب الذي وعدت انزاله عليك قوله تع وقران
مبين اي مبين للحلال والحرام مميز بين الحق والباطل قوله تع
ربما يتمنى الكفار يوم يتمنون ان لو كانوا مسلمين وذلك في الاخرة اذا صار المسلمون الى الجنة والكفار
الى النار قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى اذا ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار احتبس قوم من المسلمين
ومن المنافقين على الصراط فيقول المنافقون لهم نحن حبسنا بكفرنا ونفاقنا فما نفعكم ايمانكم بمحمد فعند
ذلك يصيحون صيحة لما عيرهم المنافقون فيسمعها اهل الجنة فيقومون الى ادم ثم الى ابراهيم ثم الى موسى
الى عيسى يطلبون الشفاعة لهم فيحيلونهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم وذلك هو مقام المحمود
فيدخلهم الله الجنة فاذا نظر المنافقون اليهم تمنوا ان لو كانوا مسلمين قوله تع
اي اتركهم يا محمد يأكلوا في الدنيا كالانعام ويتلذذوا قليلا ويشغلهم الامل الطويل من طاعة
الله فسيعلمون ما ينزل بهم من العذاب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اخوف ما اخاف على امتي
شيئان طول الامل واتباع الهوى فاما طول الامل فينسي الاخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق قوله
تع اي اجل ينتهون اليه لا يهلكهم الله حتى ينتهون اليه
اي ما يتقدم من قبل اجلها الذي كتب لها ولا تؤخر عن اجلها طرفة عين ولا تقدم هولاء الكفار فاخبر وقت
هلاكهم فانه اذا جاء الوقت الذي كتب الله هلاكهم فيه لم يؤخروا عنه كما لا يتقدمون عليه وفي هذا
دليل انه لا يموت احد ولا يقتل الا باجله الذي جعله الله له ولا يعترض على هذا بقول من قال لو لا
ان قاتله قتله لما مات لانه لو لم يقتله كان يموت في ذلك الوقت فلما كان يموت من غير القتل
... ذكر الا ان الله ... قوله تع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة المحقق فخر الدين أبو بكر بن علي الحداد العبادي الزبيدي الحنفي، المتوفى سنة: ثمانمائة من الهجرة رحمه اللَّه: الحمد للَّه الذي أكرمنا بالنور المبين، وهدانا للحق اليقين، كتاب اللَّه العزيز الـــذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]. والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وإمام الحكمة، المنتخب من طينة الكرم وسلالة المجد الأقدم، سيد المرسلين، وخاتم النبيئين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تعليم منه سبحانه ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها تبركاً به، ومعناه: أبدأ باسم اللَّه. لأن حرف الباء مع سائر حروف الجر لا تستغني عن فعل مضمر أو مظهر، فكان تضمين الباء في كل البسملة.

واختلف الناس في اشتقاق الاسم: فأكثر أهل اللغة على أنه مشتق من السمو وهو الرفعة، ويعني الاسم: التنبيه على المسمى والدلالة عليه. وقال بعضهم: مشتق من السمة وهي العلامة. فكأن الاسم علامة للمسمى. وأما «اللَّه» فقال بعضهم: هذا الاسم لا اشتقاق له، مثل قولك: فرس، ورجل، وجبل. ومعناه عند أهل اللسان: المستحق للعبادة. ولذلك سمت العرب أصنامهم: آلهة، لاعتقادهم استحقاقها للعبادة. وقال بعضهم هو من قولهم: أله الرجل إلى فلان يأله إلهاً: إذا فزع إليه من أمر نزل به فألهه، أي: أجاره وأمنه. ويقال للمألوه

---

(1) سورة فصلت (41)، الآية: 42.

إليه: إلٰهاً، كما قالوا للمؤتم به: إماماً، ومعناه: أن الخلائق يألهون ويتضرعون إليه من الحوائج والشدائد. واختلفوا في: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» هل هي آية من الفاتحة؟ فقال قراء الكوفة: هي آية منها، وأبى ذلك أهل المدينة وأهل البصرة[1].

وأما «الرحمن الرحيم» فهما: اسمان مأخوذان من الرحمة، وزنتهما من الفعل نديم وندمان من الندامة، وفعلان أبلغ من فعيل، وهو من أبنية المبالغة ولا يكون إلا في الصفات كقولك: شبعان وغضبان. ولهذا كان اسم «الرحمن» مختصاً باللَّه لا يوصف به غيره. وأما اسم «الرحيم» فمشترك. وقال عثمان [بن زفر][2]: «الرحمن»: العاطف على جميع خلقه بإدرار الرزق عليهم[3]. والرحمة من اللَّه هي: الإنعام على المحتاج، ومن الآدميين: رقة القلب. وإنما جمع بين الرحمن والرحيم: للنهاية في الرحمة والإحسان بعد الإحسان. وعن ابن عباس[4] رضي اللَّه عنهما أنه قال: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. ولو قال: لطيفان لكان أحسن[5]. وكان النبي صلى اللَّه عليه وسلم يكتب في

---

(1) يراجع القرطبي في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن: 1/ 94.
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط 3، 1967م.

(2) عثمان بن زفر بن الهذيل، يروي عن العرزمي. توفي رحمه اللَّه بالكوفة سنة ثماني عشرة ومائتين هجرية.
ابن سعد، الطبقات الكبرى: 6/ 114، دار صادر، بيروت، 1957م.
في النسخة (ف): عثمان رضي اللَّه عنه.

(3) بلفظه عند أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان، مخطوط الورقة: 14 ـ وبمعناه عند ابن عطية في تفسيره: المحرر الوجيز: 1/ 58، المجلس العلمي بفاس 1975م.

(4) أبو العباس عبد اللَّه بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي الصحابي الجليل، حبر الأمة وترجمان القرآن. ولد في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبي صلى اللَّه عليه وسلم فسمع منه وروى عن جماعة من الصحابة، وروى عنه: سعيد بن جبير، وابن المسيب وغيرهما. توفي رحمه اللَّه سنة ثمان وستين هجرية.
ابن عبد البر، الاستيعاب: 3/ 933، تح. البجاوي، مكتبة نهضة مصر.

(5) لعل اعتراض الحداد على ابن عباس سببه: أن الرقة ليست من صفات اللَّه تعالى، وما اعترض به وقع فيه، حيث يقول فيما يأتي قريباً: «الرحمن مدح والرحيم أرق». ووقع هذا في قول ابن عباس نتيجة تصرف من ناسخ أو وهم من راو. وإنما مراده واللَّه أعلم: هما =

أوائل الكتب في أول الاسلام: «باسمك اللّهم» حتى نزل: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾[1] فكتب «بسم اللّه»، فلما نزلت: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[2] فكتب «بسم اللّه الرحمن»، فلما نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[3] كتبها.

وأما «اللّه» فهو اسم لا ينبغي إلا للّه عز وجل، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[4]، أي هل تعرف في السهل والجبل، والبر والبحر، والمشرق والمغرب أحداً اسمه «اللّه» غير اللّه عز وجل؟ وقيل: هو اسم اللّه الأعظم. وقدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن اسم خاص باللّه تعالى، والرحيم مشترك. يقال: رجل رحيم، ولا يقال: رجل رحمن. وقيل: الرحمن أمدح والرحيم أرق[5]. وإنما أسقطت الألف من «بسم اللّه» لأنها كثرت على ألسنة العرب عند الأكل والشرب، والقيام والقعود، فحذفت اختصاراً من الخط، فإن ذكرت اسماً غيره من أسماء اللّه تعالى لم تحذف الألف لقلة الاستعمال، فهي تجيء في قولك: باسم الرب، وباسم العزيز، وإن أتيت بحرف سوى الباء لم تحذف الألف أيضاً نحو قولك: لاسم اللّه حلاوة في القلوب، وليس اسم كاسم اللّه، وكذلك باسم الرحمن، وباسم الجليل، وفي قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[6].

= اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر. فالرفق من صفات اللّه عز وجل، يدل على ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه، قال صلى اللّه عليه وسلم: «إن اللّه رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف». (أبو الطيب محمد أبادي، عون المعبود بشرح سنن أبي داود: 13/ 163 رقم: 4786).

(1) سورة هود (11)، الآية: 41.

(2) سورة الإسراء (17)، الآية: 110.

(3) سورة النمل (27)، الآية: 30.

(4) سورة مريم (19)، الآية: 65.

(5) في النسخة (ف): أرأف.

(6) سورة العلق (96)، الآية الأولى.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. «آمين»

سورة الفاتحة سبع آيات، وخمس وعشرون كلمة، ومائة وثلاثة وعشرون حرفاً[1]. وهي مكية عند ابن عباس، ومدنية عند مجاهد[2] والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾. الحمد والشكر نظيران إلا أن الحمد أعم من حيث إن فيه معنى المدح من المنعم عليه وغير المنعم عليه. ولا يكون الشكر إلا من المنعم عليه. والشكر أعم من الحمد من حيث إنه يكون باللسان والقلب والجوارح، والحمد لا يكون إلا باللسان. وتدبير الفرق بينهما يكون بنقيضهما؛ فنقيض الحمد الذم، ونقيض الشكر الكفران.

قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، الرب في اللغة: اسم لمن يربي الشيء ويصلحه. يقال لسيد العبد رب، ولزوج المرأة رب. ولا يقال الرب معرفاً بالألف واللام

---

(1) يظهر من حصر الحداد لكلمات الفاتحة وحروفها في العدد المذكور اعتباره البسملة ليست آية منها، وإلا لقال وهي: تسع وعشرون كلمة، ومائة واثنان وأربعون حرفاً.

(2) أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي: تابعي مفسر. أخذ التفسير عن ابن عباس، وتنقل في البلاد الإسلامية واستقر في الكوفة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. وقال الداودي: روى عنه تفسيره شبل بن عباد المكي. توفي رحمه الله سنة أربع ومائة هـ.
الطبقات الكبرى: 5/ 466 ـ الذهبي، تذكرة الحفاظ: 1/ 92، الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 305، تح. علي محمد عمر. ط 1، مكتبة وهبة، مصر، 1972م.

إلا لله عز وجل. واللَّه تعالى هو المربي والمحول من حال إلى حال، من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى غير ذلك إلى أجل مسمى.

قوله: ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ العالم اسم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر[1] والرهط، وهو اسم لمن يعقل من الأنس والجن والملائكة، لأنك لا تقول: رأيت عالماً من الإبل والبقر والغنم إلا تبعاً لاسم العالم في هذه الصورة على كل ذي روح دب ودرج لتغليب العقلاء على غيرهم عند الاجتماع وربما قيل للسموات وما دونها مما أحاطت به عالم. روي أن لله ثمانية عشر ألف عالم، وأن الدنيا عالم منها[2].

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قد تقدم تفسيره.

قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿4﴾﴾ أي يوم الحساب. فإن قيل: لم خص يوم الدين وهو مالك الدنيا والآخرة؟ قيل: لأن اللَّه تعالى لا ينازعه أحد في ملك ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[3]. قرأ عاصم[4] والكسائي[5]: مالك يوم الدين بالألف والباقون بغير

---

(1) النفر: اسم جمع لا واحد له من لفظه يقع على جماعة من الرجال دون العشرة. (القاموس المحيط. فصل النون، باب الراء).
الرهط: رهط الرجل عشيرته وأهله، يطلق على ما دون العشرة من الرجال، وقيل يصل إلى الأربعين. (القاموس: فصل الراء، باب الطاء).

(2) يراجع تفسير الطبري: 1/ 146، تح. شاكر، ط 2، دار المعارف بمصر.

(3) سورة غافر (40)، الآية: 16.

(4) أبو بكر عاصم بن أبي النجود الكوفي: تابعي ثقة، أحد القراء المشهورين من أهل الكوفة. انتهت إليه رياسة القراء بها بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جلس مكانه ورحل إليه الناس للقراءة. توفي رحمه اللَّه سنة سبع وعشرين ومائة هجرية.
ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء: 1/ 346 ـ الذهبي، معرفة القراء: 1/ 73، تح، محمد سيد، ط 1، دار الكتب الحديثة، مصر ـ الذهبي، ميزان الاعتدال: 2/ 356، تح. علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1963م.

(5) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي: كان إماماً في اللغة والنحو والقراءات. ولد في إحدى قرى الكوفة وتعلم بها وتنقل في البادية، وسكن بغداد. من مؤلفاته: «معاني القرآن» و«مختصر في النحو» و«المتشابه في القرآن». توفي رحمه اللَّه بالري سنة تسع وثمانين ومائة هجرية.

ألف[1]. قال أهل اللغة: «ملك» أمدح من «مالك»، لأن المالك قد يكون غير ملك، ولا يكون الملك إلا حاكماً.

روي أن أبا هريرة[2] كان يقرأ «مَلِكَ يوم الدين» على نداء المضاف، أي يا مالك يوم الدين. وقرأ أنس بن مالك:[3] «ملك يوم الدين»، أي: جعله فعلاً ماضياً.

قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ لا يحسن إدخال «إيا» في غير المضمرات. وحكي عن الخليل[4]: «إذا بلغ الرجل الستين فإياه، وإيا الشواب»[5]، فأضافه إلى ظاهر، وهو قبيح مع جوازه، ولا يجوز إلا إذا تقدم، فإن تأخر قلت: نعبدك. ولا يجوز: نعبد إياك. فإن قيل: لم تقدم إياك على

= الذهبي، معرفة القراء: 1/ 100 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 399 ـ السيوطي، بغية الوعاة: 2/ 162، عيسى الحلبي، ط1، 1964م.

(1) ينظر: مكي القيسي؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 25، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1891م.

(2) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي: صحابي جليل، كان راوياً للحديث حافظاً له. قدم المدينة والرسول صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسلم سنة سبع، ولازم الرسول فروى عنه أحاديث كثيرة. ولي إمرة المدينة مدة، وولاه عمر على البحرين. توفي رحمه الله سنة تسع وخمسين هجرية.
ينظر: الاستيعاب: 4/ 1768، الطبقات الكبرى: 4/ 325.

(3) أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري. صحب النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه وروى عنه الكثير، وعنه روى جماعة من الصحابة والتابعين. وأخيراً أقام في البصرة فتوفي رحمه الله فيها سنة ثلاث وتسعين، وهو آخر من مات بها من الصحابة.
ينظر: الاستيعاب: 1/ 109، الطبقات الكبرى: 7/ 17، ابن حجر، الاصابة: 1/ 71، دار صادر، بيروت.

(4) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: من أئمة اللغة والأدب، واضع علم العروض. ولد في البصرة، وعاش فقيراً صابراً مغموراً بين الناس. من مؤلفاته: «كتاب العين في اللغة» و«معاني الحروف». توفي رحمه الله في البصرة سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة.
ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 43، مكتبة الخانجي بمصر 1954م ـ السيوطي، بغية الوعاة: 1/ 557 ـ ابن خلكان، وفيات الأعيان: 2/ 244،تح. إحسان عباس. دار صادر، بيروت.

(5) مثل عربي ينسب لعمر بن الخطاب، وهو يذكر في كتب النحو مثالاً للتحذير الشاذ. «إياه وإيا الشواب» منصوبات على التحذير شذوذاً، وشذوذه جاء من جهة وقوع «إياه» محذراً،

نعبد، وهلا قال نعبدك؟ قيل إن العرب إذا ذكرت شيئين قدمت الأهم فالأهم. وذكر المعبود في هذه الآية أهم من ذكر العبادة فقدمه عليها. والكاف من «إياك» في موضع خفض بمنزلة عصاك. وأجاز الفراء[1]: أن يكون في موضع نصب. كما أنه جعل «إياك» بكماله ضمير المنصوب.

فإن قيل: لم عدل عن الغيبة إلى المخاطبة[2]؟ قلنا مثله كثير في القرآن؛ قال اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[3].

قوله عز وجل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ أي أرشدنا إلى الطريق القائم الذي ترضاه وهو الإسلام. وهذا دعاء، ومثاله بلفظ الأمر لأن الأمر لمن دونك، والمسألة لمن فوقك.

= وليس بمعطوف، ومن جهة إضافة «إيا» إلى المظهر. والمثل يعني: ابتعاده عن النساء جميعاً في هذه السن.
(ينظر: شرح الرضى على الكافية: 1/ 481، تح. يوسف حسن عمر. منشورات جامعة بنغازي 1973).

(1) أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة بعد الكسائي، وأخذ عنه وعليه اعتمد، وكان مع ذلك فقيهاً متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها. من مؤلفاته: «معاني القرآن» و«غريب الحديث» و«المقصور والممدود» توفي رحمه اللّه في طريق مكة سنة تسع ومائتين هجرية.
ينظر: الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 366 ـ السيوطي، بغية الوعاة: 2/ 33 ـ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 131.

(2) أي الانتقال من أسلوب الحديث بطريق الغائب المبتدأ من قوله: «الحمد لله» إلى قوله: «ملك يوم الدين» إلى أسلوب طريق الخطاب ابتداء من قوله: «إياك نعبد» فن بديع من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب العربي والبلاغة: «التفاتاً»، وضابطه أن المتكلم بعد أن يعبر بأحد طرق ثلاثة من تكلم أو خطاب أو غيبة، ينتقل في كلامه ذلك فيعبر بطريق آخر من تلك الثلاثة. وما هنا التفات بديع: فإن الحامد لما حمد اللّه تعالى، ووصفه بعظيم الصفات، بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية، فخاطب ربه بالإقبال عليه.
ومما يزيد الالتفات وقعاً في الآية: أنه تخلص من الثناء إلى الدعاء. ولا شك أن الدعاء يقتضي الخطاب، فكان قوله: «إياك نعبد» تخلصاً يجيء بعده: «اهدنا الصراط المستقيم» وهكذا.

(3) سورة يونس (10)، الآية: 22.
فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، فلم يقل: «وجرين بكم».

فإن قيل: ما معنى قولكم: «اهدنا» وأنتم مهتدون؟ قيل: هذا السؤال في مستقبل الزمان عند دعوة الشيطان. وقيل معناه: ثبتنا على الصراط المستقيم، لا تقلب قلوبنا بمعصيتك. ونظيره في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] أي أثبت على الإسلام[2].

وفي الصراط أربع لغات: صراط بالصاد، وسراط بالسين وبالزاي أي الخالصة، وإشمام الصاد الزاي، وكل ذلك قد قرىء به؛ فبالسين قراءة[3] قنبل[4]، وبالإشمام زايا قراءة[5] خلف[6]، وقراءة الباقين بالصاد الصافية.

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 131.

(2) وفي قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم). رد على المعتزلة الذين يعتقدون أن إرادة الانسان كافية في صدور أفعاله منه طاعة كانت أو معصية، لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله الاختيارية فهو غير محتاج في صدورها منه إلى ربه، وقد أكذبهم اللّه تعالى في هذه الآية حيث يطلبون منه الهداية، ويسألونه أن يوفقهم إلى الهداية إلى الصراط المستقيم.
فلو كان الأمر إليهم والاختيار بأيديهم دون ربهم لما سألوه الهداية ولا كرروا الطلب في كل صلاة، وكذلك تضرعهم إليه في كل حين لرفع المكروه يناقض هذا المعتقد ويبطله.
(القرطبي في تفسيره: 1/ 149).

(3) قراءة ابن كثير في رواية قنبل جاء به على أصل الكلمة.
ينظر: محمد محيسن، «المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر»: 1/ 45، دار الأنوار، مصر، ط 2، 1978 ـ وابن خالويه، «الحجة في القراءات السبع»: 62، مؤسسة الرسالة، ط 5، 1990م.

(4) أبو عمر محمد بن عبد الرحمن قنبل: راوي ابن كثير، كان إماماً في القراءة متقناً لها، ثقة فيها، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، ورحل إليه الناس من الأقطار. توفي رحمه اللّه سنة إحدى وتسعين ومائتين هجرية.
ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 1/ 121، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ابن الجزري، غاية النهاية: 2/ 165 ـ الذهبي، معرفة القراء الكبار: 1/ 186.

(5) قراءة حمزة في رواية خلف عنه، لأنها تؤاخي السين في الصفير والطاء في الجهر.
(ينظر: المهذب في القراءات العشر: 1/ 45 ـ الحجة في القراءات السبع: 62).

(6) أبو محمد خلف بن هشام الأسدي البغدادي: أحد القراء المشهورين في بغداد. كان عالماً عابداً ثقة زاهداً. سمع مالك بن أنس وغيره، وروى عنه جماعة منهم عباس الدوري. توفي رحمه اللّه سنة تسع وعشرين ومائتين هجرية. ينظر: غاية النهاية: 1/ 272.

قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ هم الأنبياء وأهل طاعة اللَّه تعالى. واختلاف القراء في «صراط» كاختلافهم في «الصراط».

قوله عز وجل ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: هم النصارى.

وأما «آمين» فإنه ليس من السورة، ولكن روي عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنه كان يقوله ويأمر به، وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «**لقنني جبريل عليه السلام بعد فراغي من قراءة فاتحة الكتاب: آمين، وقال: إنه كالختم على الكتاب**»[1].

وقيل معنى آمين: استجب. وقيل معنى آمين أي يا اللَّه. فآمين اسم من أسماء اللَّه تعالى: وقيل معناه: اللَّهم اغفر لي[2].

وفي «آمين» لغتان: المد والقصر: قال الشاعر[3] في القصر:

تباعد مني فطحل[4] إذ سألته[5] ∴ أمين فزاد اللَّه ما بيننا بعدا[6]

وقال آخر[7] في المد:

---

(1) رواه الثعلبي بسنده في تفسيره. (الكشف والبيان عن تفسير القرآن، مخطوط، الورقة: 24).
(2) ذكر أبو بكر بن العربي في: أحكام القرآن: 1/ 6، تح. علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1988م، هذه الأقوال، وقال عن القول بأنه اسم من أسماء اللَّه تعالى: لا يصح نقله، ولا يثبت قوله.
(3) هو جبير بن الأضبط.
(4) فطحل ـ بضم الفاء والحاء ـ : اسم رجل هو: فطحل الأسدي.
(5) في النسخة (ف): إذ دعوته.
(6) سأل الشاعر فطحلا الأسدي فأعرض عنه فدعا عليه، فقال لما وقع نظري عليه تباعد عني

صلى الإله على لوط وشيعته ∴ أبا عبيدة[1] قل بالله آمينا[2]

وقال آخر أيضاً[3] في المد:

يا رب لا تسلبنّي حبها أبدا ∴ ويرحم الله عبداً قال آمينا[4]

قال صلى الله عليه وسلم: «**فاتحة الكتاب رقية لكل شيء إلا السأم**»[5] وهو الموت. روي أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: كنت أخشى العذاب على أمتك، فلما نزلت فاتحة الكتاب أمنت، لأنها سبع آيات وجهنم لها سبعة أبواب، فمن قرأها صارت كل آية منها طبقاً على باب.

---

(1) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري: من أئمة اللغة والأدب، كان حافظاً للحديث. أخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم والمازني وغيرهم. من مؤلفاته: «مجاز القرآن» و«الأمثال في غريب الحديث». توفي سنة تسع ومائتين هجرية.
ينظر: الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 326 ـ معجم الأدباء: 7/ 164 ـ طبقات الزبيدي: 175.

(2) ذكر ابن خلكان في: وفيات الأعيان: 2/ 110 ما يفيد نسبته لأبي نواس.

(3) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي: شاعر مجيد من طبقة جرير والفرزدق: له ديوان شعر مطبوع. توفي سنة ثلاث وتسعين هجرية.
ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب: 1/ 292 ـ بروكلمان: 1/ 189.

(4) نسب ابن منظور في: اللسان: (أمن) هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة، وأيضاً ابن يعيش في: شرح المفصل: 4/ 34.

(5) رواه الدارمي في سننه: 2/ 445، باب في فضل فاتحة الكتاب.

سُورَةُ البَقَرَةِ

قال أبو بكر الحداد رحمه اللَّه:

سورة البقرة مدنية، وهي خمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف، وستة آلاف كلمة ومائة وإحدى وعشرون كلمة، ومائتان وست وثمانون آية[1]. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**لكل شيء سنام، وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته نهاراً لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أيام، ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال**»[2]. وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «**تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما يجيئان يوم القيامة كالغمامتين أو كفرقتين من طير صواف تحاجان عن صاحبهما**»[3]. وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «**تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**»[4].

---

(1) عند أهل العدد بالكوفة. أما عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام فهي: مائتان وخمس وثمانون آية، وعند أهل العدد بالبصرة فهي: مائتان وسبع وثمانون آية. يراجع ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 1/ 202.

(2) أخرجه الترمذي في سننه. (أبو العلي محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: 8/ 180، دار الفكر، ط 3، 1979م).
وأخرجه الدارمي في سننه (أبو محمد عبد اللَّه بن عبد الرحمن، السنن: 2/ 447، طبعة دار الفكر، القاهرة، 1978م).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 6/ 90، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، المطبعة المصرية بالقاهرة، وأخرجه الترمذي في سننه (تحفة الأحوذي: 8/ 191، رقم: 3045).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 6/ 90، وأخرجه الدارمي في سننه: 2/ 446.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝1 ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝2 ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝3 وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝4 أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝5﴾.

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝1﴾. اختلفوا في تفسير «ألم» وسائر حروف التهجي، فروي عن عمر[1] وعثمان[2] وابن مسعود:[3] أن الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر، ووافقهم في ذلك الشعبي[4]، وقال :إن لله تعالى سراً في كتبه، وإن سره في القرآن الحروف المقطعة. وقال بعضهم: إنها من المتشابهات التي استأثر اللَّه بعلمها، فنحن نؤمن بتنزيلها، ونكل إلى اللَّه

---

(1) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي: الصحابي الجليل، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، وفي خلافته فتح الشام ومصر والعراق، وضرب بعدله المثل. قتله أبو لؤلؤة المجوسي غيلة سنة ثلاث وعشرين هجرية.
ابن عبد البر، الاستيعاب: 3/ 1144، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3/ 265، ابن الجوزي، صفة الصفوة: 1/ 28، ط 1، 1973م.

(2) أبو عمرو ذو النورين عثمان بن عفان الصحابي الجليل: أحد الذين اعتز بهم المسلمون، وانتشر بهم الإسلام. ثالث الخلفاء الراشدين، في خلافته فتحت أرمينية وخراسان وأفريقية.. توفي رضي اللَّه عنه سنة خمس وثلاثين هجرية.
ينظر: الاستيعاب: 3/ 1037، الطبقات الكبرى: 3/ 53، صفة الصفوة: 1/ 294.

(3) أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن مسعود الهذلي: من أكابر الصحابة فضلاً وعلماً، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. ولي بعد وفاة النبي صلى اللَّه عليه وسلم بيت مال الكوفة. توفي رحمه اللَّه سنة اثنتين وثلاثين هجرية.
ينظر: الاستيعاب: 3/ 987 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 150 ـ الأصفهاني، حلية الأولياء: 1/ 124، ط 2، 1967م.

(4) أبو عمر عامر بن عبد اللَّه الشعبي: كان فقيهاً شاعراً راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. استقضاه عمر بن عبد العزيز. ولد ونشأ وتوفي رحمه اللَّه بالكوفة سنة ثلاث ومائة هجرية.
الأعلام: 3/ 251 ـ الذهبي، تذكرة الحفاظ: 1/ 79، دار إحياء التراث، بيروت 1374هـ ـ حلية الأولياء: 4/ 310.

تأويلها. وقال علي[1] رضي اللَّه عنه: لكل شيء صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي. وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن معناه: أنا اللَّه أعلم، إن كل حرف قائم مقام الكلمة.

وكذلك ﴿الٓرۚ﴾: أنا اللَّه أرى، و﴿الٓمٓرۚ﴾: أنا اللَّه أعلم وأرى، ﴿الٓمٓصٓ ①﴾: أنا اللَّه أعلم وأفصل، و﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾: الكاف من كافي، والهاء من هادي، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد[2] من صادق. ويقال: الألف مفتاح اسمه «اللَّه» واللام لطيف، والميم مجيد. ومعناه: أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن. وقيل: هذا قسم أقسم اللَّه به: إن هذا الكتاب الذي أنزل على محمد هو الكتاب الذي عند اللَّه. وجوابه: لا ريب فيه. وقال محمد بن كعب[3]: الألف «اللَّه»، واللام لطفه، والميم ملكه. وقال أهل الإشارة: الألف أنا، واللام لي، والميم مني. وهذه الحروف موقوفة لأنها هجاء، وحروف الهجاء لا تعرب كالعدد في قولهم: واحد، اثنان، وإذا أدخلوا الواو حركوها لأنها صارت في حد الأسماء فيقال: ألف ولام كالعدد، وكذلك قال الأخفش[4]: هي

---

(1) أبو الحسن علي بن أبي طالب. ولد في مكة، وتربى في حجر النبي صلى اللَّه عليه وسلم فكان أسبق الناس إسلاماً، وكان اللواء في يده في أكثر المشاهد، وأحد رواة السنة، وعد من أكابر العلماء وفصحاء الخطباء، جمعت خطبه وأقواله ورسائله في كتاب «نهج البلاغة»، ومن الباحثين من يشك في نسبته كله إليه. قتل رحمه اللَّه غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي بالكوفة سنة أربعين هجرية.
ينظر: الاستيعاب: 3/ 1089 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 19 ـ صفة الصفوة: 1/ 308.

(2) بداية النسخة: س.

(3) أبو حمزة محمد بن كعب القرظي الكوفي المولد والمنشأ ثم المدني، روى عن كبار الصحابة، وبعضهم يقول: ولد في حياة النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وكان كبير القدر ثقة موصوفاً بالعلم والصلاح والورع. توفي سنة ثمان ومائة هجرية.
ينظر: الاستيعاب: 3/ 1376 ـ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: 1/ 136، المكتب التجاري للنشر، بيروت.

(4) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش البصري: نحوي عالم باللغة والأدب، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. من مؤلفاته: «تفسير معاني القرآن» و«الاشتقاق» و«القوافي». وزاد في العروض بحر «الخبب». توفي رحمه اللَّه سنة خمس عشرة ومائتين هـ. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 74 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 185.

ساكنة لا تعرب[1]. قوله: ﴿أَلَمٓ﴾ رفع على الابتداء، و«ذلك» خبره، و«الكتاب» صلة لذلك. ويحتمل أن يكون «ألم» خبراً متقدماً تقديره: ذلك الكتاب الذي وعدت أن أوحيه إليك ألم. ومن أبطل محل الحروف جعل «ذلك» ابتداء، و«الكتاب» خبره، و«ألم» صلة فيكون لذلك معنيان أحدهما: أن ذلك بمعنى: هذا، وقد تستعمل ذلك بمعنى هذا. قال خفاف [بن ندبة][2]:

أقول له والرمح يأطر متنه ∴ تأمل خفافاً إنني أنا ذلك[3]

أي إنني أنا هذا، وأطر العود عطفه. والثاني: كأنه قال: هذا القرآن، ذلك الكتاب الذي وعدت في التوراة والإنجيل أن أوحيه إليك.

وقيل: «ألم» ابتداء، و«ذلك» ابتداء آخر، و«الكتاب» خبره والجملة خبر

---

(1) ينظر: الأخفش، معاني القرآن: 1/ 167. تح. عبد الأمير محمد أمين الورد. عالم الكتب للطباعة والنشر: ط 1، 1985م.

(2) أبو خراشة خفاف بن عمير بن الحارث السلمي: أحد فرسان قيس وشعرائها، مخضرم نشأ في الجاهلية والإسلام، شهد فتح مكة، وكان معه لواء بني سليم، وشهد حنيناً والطائف. أكثر شعره مناقضات له مع العباس بن مرداس. وللدكتور نوري حمودي القيسي «شعر خفاف بن ندبة». توفي رحمه الله نحو عشرين هجرية.
ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: 1/ 452، مطبعة السعادة بمصر، ط 1، 1328هـ ـ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 258، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م ـ البغدادي، خزانة الأدب: 5/ 438، تح. عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة.

(3) هذا الشعر يخاطب به خفاف مالكاً بن حماد سيد بني فزارة، وقد قتله خفاف ثأراً لابن عمه معاوية بن عمرو أخي الخنساء في خبر طويل مذكور في الأغاني.
ويأطر متنه: يلوي بدنه حتى يتلاقى طرفاه كالحبل. فأطر الشيء: هو أن تقبض على أحد طرفيه ثم تعرضه وتعطفه وتثنيه. أراد الشاعر أن حر الطعنة جعله ينثني من ألمها، ثم ينحني ليهوي صريعاً إذ أصابه الرمح فقتل. وقبله:
فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ∴ فعمداً على عين تيممت مالكا
وقفت له علوي وقد خام صحبتي ∴ لأبني مجداً أو لأثأر هالكا
أقول له...
يراجع: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: 13/ 137، تح. عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، 1959 ـ البغدادي، خزانة الأدب: 5/ 438 (الشاهد الحادي عشر بعد الأربعمائة) ـ المبرد، الكامل: 4/ 57 مكتبة النهضة، مصر، 1956م.

الأول. وقال بعض المفسرين: اختلف في هذا «الكتاب» فقال ابن عباس والحسن[1] وقتادة[2] ومجاهد: هو القرآن. فعلى هذا يكون ذلك بمعنى هذا[3]، كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾[4]، أي هذه حجتنا، وقيل معناه: ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه، ونصب «ريب» لتعميم النفي. ألا ترى أنك تقول: لا رجلَ في الدار، بالنصب، فيكون نفياً عاماً؟ وإذا قلت: لا رجل في الدار بالرفع جاز أن يكون في الدار رجلاً أو ثلاثة.

قوله عز وجل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ نصب على الحال إما «من ذلك الكتاب»، كأنه قال: ذلك الكتاب هادياً، وإما من «لا ريب»، كأنه قال: لاريب فيه في حال هدايته. ويجوز أن يكون موضعه رفعاً على إضمار هو أو فيه، فإن قيل: لم خص المتقين وهو هدى لهم ولغيرهم؟ قيل: تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه. وفائدة التخصيص تشريف المتقين، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾[5] و﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿45﴾﴾[6].

---

(1) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري: تابعي. كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه. روى عن ابن عباس وأبي موسى وعمران بن حصين وغيرهم، وروى عنه خلق كثير. توفي رحمه اللّه في رجب سنة عشر ومائة للهجرة.
ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ: 1/ 71 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 147 ـ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: 1/ 136.

(2) أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري: أحد علماء التابعين والأئمة العاملين. روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين، وروى عنه شعبة وغيره. توفي رحمه اللّه بواسط سنة سبع عشرة ومائة للهجرة.
ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ: 1/ 122 ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى: 7/ 229 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 43.

(3) يراجع: الطبري في تفسيره: 1/ 225، تح. شاكر، دار المعارف، مصر، ط 2، الثعلبي، الكشف والبيان، مخطوط، الورقة: 30.

(4) سورة الأنعام (6)، الآية: 83.

(5) سورة يس (36)، الآية: 11.

(6) سورة النازعات (79)، الآية: 45.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي بالبعث والحساب والجنة والنار. وقيل: الغيب هو الله.

قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي الصلوات الخمس بشرائطها ومواقيتها.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يعني الزكاة وهو الأظهر، لأن الله تعالى قرن بين الصلاة والزكاة في مواضع كثيرة. وإقامة الصلاة طهارة الأبدان، وإعطاء الزكاة طهارة الأموال، وبالأموال قوام الأبدان، وقيل: هو نفقة الرجل على أهله. قيل: لما أنزل الله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، قال اليهود: نحن نؤمن بالغيب، ونقيم الصلاة، وننفق مما رزقنا[1] الله، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، فالذي أنزل إليك: الفرقان، والذي أنزل من قبلك: التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة، فنفروا من ذلك. فإن قيل: لم قال: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ولم يقل «يؤمنون»؟ قيل: لأن الإيقان تأكيد الإيمان، واليقين بالآخرة يقين خبر ودلالة. ومعنى الآية: وبالدار الآخرة هم يعلمون ويستيقنون أنها كائنة.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ أي أهل هذه الصفة على رشد وثبات وصواب من ربهم. والمفلحون: الناجحون الفائزون بالجنة، ونجوا من النار، وقيل هم الباقون في الثواب والنعيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾.

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الرزق: هو ما يناله الإنسان من موجودات هذا العالم التي يسد بها ضروراته وحاجاته وينال بها مصالحه، فيطلق على كل ما يحصل به سد الحاجة في الحياة من الأطعمة والأنعام والحيوان، والشجر والثمر، والثياب وما يقتنى من النقدين. وأما إطلاقه على ما يتناوله الحيوان من المرعى والماء فهو على المجاز. والرزق في الشرع عند أهل السنة: هو ما صح الانتفاع به حلالاً كان أو حراماً، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إن الحرام ليس برزق، لأنه لا يصح تملكه، وإن الله لا يرزق الحرام، وإنما يرزق الحلال، والرزق لا يكون إلا بمعنى الملك.

قال أبو بكر الحداد رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ يعني مشركي العرب. وقال الضحاك[1]: نزلت في أبي جهل[2] وخمسة من أهل بيته[3]. وقال الكلبي[4]: يعني اليهود[5]. وقيل: المنافقين[6]. والكفر: هو الجحود والإنكار.

وقوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الإنذار: التحذير والتخويف.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الآية خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب والشقاوة في سابق علم الله.

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ أي طبع الله على قلوبهم. والختم والطبع بمعنى واحد وهو التغطية للشيء. والمعنى: طبع الله على

---

(1) أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي: تابعي جليل القدر غزير العلم، روى عن أنس بن مالك وأبي هريرة، ولقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير، ونزل خراسان فأقام بها. وسمع منه خلق كثير. توفي سنة خمس ومائة هجرية.
ينظر: الطبقات الكبرى: 6/ 300 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 216 ـ الحنبلي، شذرات الذهب: 1/ 124.

(2) أبو جهل، عمرو بن هشام المخزومي: أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية. قتل كافراً في غزوة بدر سنة اثنتين من الهجرة.
يراجع: الزركلي، الأعلام: 5/ 87، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1980 ـ دائرة المعارف الإسلامية: 1/ 322، نقلها إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، ط مصر 1957م.

(3) الواحدي، أسباب النزول: 31، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3.

(4) أبو النضر محمد بن السائب الكلبي: نسابة راوية عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. روى عن الشعبي وجماعة، وروى عنه ابنه وآخرون. من مؤلفاته: «ناسخ القرآن ومنسوخه». توفي سنة ست وأربعين ومائة للهجرة.
يراجع الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 144 ـ الحنبلي، شذرات الذهب: 1/ 217 ـ الأعلام: 6/ 133.

(5) يراجع: الواحدي، أسباب النزول: 31 ـ الثعلبي، الكشف والبيان مخطوط، الورقة: 34.

(6) الثعلبي في المصدر نفسه.

قلوبهم، أي أغلقها وأقفلها فليست تعي خيراً ولا تفهمه. ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به. وإنما وحَّده وقد تخلل بين جمعين لأنه مصدر، والمصادر لا تثنى ولا تجمع وقيل: أراد سمع كل واحد منهم كما يقال: أتاني برأس كبشين، أراد: برأس كل واحد منهما. وقال سيبويه[1]: توحيد السمع يدل على الجمع لأنه توسط جمعين كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾[3] يعني الأنوار والإيمان. وقرأ ابن أبي عبلة[4]: وعلى أسماعهم[5]، وتم الكلام عند قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾.

ثم قال: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ أي غطاء وحجاب فلا يرون الحق. وقرأ المفضل بن محمد[6]: غشاوة بالنصب كأنه أضمر فعلاً أو حمله على الختم[7]، أي ختم على أبصارهم غشاوة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾[8]. وقرأ الحسن غشاوة بضم الغين[9]. وقرأ

---

(1) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب بسيبويه: إمام النحاة. أخذ عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر وغيرهم. وكتابه في النحو لم يسبقه كتاب مثله. توفي سنة ثمانين ومائة هجرية.
ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 66 ـ البغدادي، تاريخ بغداد: 12/ 195، مطبعة السعادة، ط 1، 1931م،

(2) سورة البقرة (2)، الآية: 257.

(3) سورة النحل (16)، الآية: 48.

(4) أبو إسماعيل إبراهيم بن أبي عبلة الشامي: تابعي ثقة، له حروف في القراءات، واختيار خالف فيه العامة. أخذ القراءة عن أم الدرداء والزهري وأبي أمامة البرجلي. وأخذ عنه خلق كثير منهم الإمام مالك بن أنس. وسمع من ابن عمر وغيره، وسمع منه ابن المبارك. توفي سنة اثنتين وخمسين ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 19 ـ البخاري، التاريخ الكبير: 1: 310.

(5) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان: مخطوط، الورقة: 34.

(6) أبو محمد المفضل بن محمد الكوفي المقرىء من أفضل أصحاب عاصم بن بهدلة. قرأ عليه وتصدر للإقراء، وكان علامة إخبارياً موثقاً. توفي سنة ثمان وستين ومائة.
الذهبي، معرفة القراء: 1/ 108 ـ ابن الجزري، غاية النهاية: 2/ 7.

(7) الثعلبي في المصدر السابق.

(8) سورة الجاثية (45)، الآية: 23.

(9) الثعلبي في المصدر السابق.

غشوة

الجحدري[1]: غشاوة بفتح الغين. وقرأ أصحاب عبد اللَّه: غشاوة بفتح الغين من غير ألف[2]، ومن رفع غشاوة فعلى الابتداء.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني القتل والأسر. وقال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان من مراده. وقيل: هو إيصال الألم إلى الحي مع الهوان به، ولهذا لا يُسمَّى ما يفعله اللَّه بالبهائم والأطفال عذاباً، لأنه ليس على سبيل الهوان.

قال اللَّه تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

قال أبو بكر:

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾. نزلت[3] هذه الآية في المنافقين: عبد اللَّه بن أبي ابن سلول[4]، ومعتب بن قشير، وجد بن قيس ومن تابعهم، كانوا يقولون للصحابة: آمنا بالذي آمنتم به، ونشهد أن صاحبكم صادق. وليس هم كذلك في الباطن إذا خلوا، وكانوا يقولون فيما بينهم: هذه خلة نسلم بها على محمد وأصحابه ونكون مع ذلك متمسكين به بيننا. فقال اللَّه عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، وإنما وحد في أول الآية وجمع الضمير في آخرها لأن لفظ «من» للوحدان

---

(1) أبو المبشر عاصم بن أبي الصباح الجحدري البصري. أخذ القراءة على يحيى بن يعمر وغيره. روى عنه أحمد بن موسى اللؤلؤي. توفي سنة ثمان وعشرين ومائة هجرية.
ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية: 1/ 329 ـ الذهبي، ميزان الاعتدال: 2/ 354.

(2) يراجع: الثعلبي في المصدر السابق.

(3) يراجع: الثعلبي، الكشف البيان، مخطوط، الورقة: 34.

(4) أبو الحباب، عبد اللَّه بن أبي بن مالك الخزرجي المشهور بابن سلول: رأس المنافقين من أهل المدينة، وكان سيد الخزرج. أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية. توفي سنة تسع هجرية.
ينظر: سيرة ابن هشام: 2/ 484 ـ الأعلام: 4/ 65.

ومعناه يصلح للمذكر والمؤنث والاثنين والجماعة فعدل تارة إلى اللفظ، وتارة إلى المعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾[1] الآية، ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[2] الآية.

قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يخالفون اللَّه ويكذبونه ويكذبون المؤمنين ويخالفونهم في ضمائرهم وهم المنافقون وأصل الخداع في اللغة: الاختفاء، ومنه قيل للبيت الذي يخبأ فيه المتاع مخدع. فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر. وقال بعضهم: أصل الخداع في اللغة الفساد. قال الشاعر[3]:

أبيض اللون لذيذاً طعمه ∴ طيب الريح إذا الريق خدع[4]

أي فسد. فيكون المعنى يفسدون ما أظهروا بألسنتهم بما أضمروا في قلوبهم. وقيل معناه: يخادعون رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[5] أي آسفوا نبينا وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[6] أي أولياء اللَّه، لأن اللَّه تعالى لا يؤذى ولا يخادع. وقد تكون المفاعلة من واحد كالمسافرة، فإن قيل: ما وجه مخادعتهم اللَّه وهو لا يخفى عليه شيء؟ وما وجه مخادعة المؤمنين ومخادعة أنفسهم؟ قيل: المخادعة

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 112.

(2) سورة الأحزاب (33)، الآية: 31.

(3) أبو سعد سويد بن أبي كاهل اليشكري: شاعر مخضرم معدود من طبقة عنترة، كان يسكن بادية العراق. أشهر شعره عينية كانت تسمى في الجاهلية «اليتيمة». توفي رحمه اللَّه سنة ستين هجرية.
ينظر: الأصفهاني، الأغاني: 13/ 114 ـ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 334 ـ الزركلي ـ الأعلام: 3/ 146.

(4) قال سويد هذا الشعر يصف فيه ثغر امرأة في قصيدة طويلة تبلغ مائة وثمانية أبيات من بحر الرمل، اشتملت على الغزل، والفخر والوصف وهي من عيون الشعر العربي. (ينظر: البغدادي، خزانة الأدب: 6/ 125 ـ المفضليات: 40، تح. شاكر وهارون. ط 3. دار المعارف، مصر 1964م.

(5) سورة الزخرف (43)، الآية: 55.

(6) سورة الأحزاب (33)، الآية: 57.

الإخفاء. يقال: انخدعت الظبية في جحرها. واللَّه لا يخادع في الحقيقة، ولكن أطلق عليه اسم المخادعة لما فعلوا فعل المخادعين، ولو كان يصح لهم خداعه لقال: يخادعون اللَّه. وقيل معناه: يخادعون رسول اللَّه، وأما مخادعة المؤمنين فإظهارهم لهم الإسلام تقية. وقيل: إظهار الإسلام لهم ليكرموهم ويبجلوهم. وقيل: أظهروا لهم ذلك ليفشوا إليهم سرهم فينقلوه إلى أعدائهم. وأما مخادعة أنفسهم فضرر ذلك عليهم. قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾، لأن وبال الخداع عائد عليهم، فكأنهم في الحقيقة إنما يخدعون أنفسهم، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي وما يعلمون أنه كذلك والشعور: هم العلم الدقيق الذي يكون حادثاً من الفطنة، وهو من شعار القلب، ومنه سمي الشاعر شاعراً لفطنته بما يرق من المعنى والوزن، ومنه الشعر لرقته. ويقال: ما شعرت به، أي ما علمت به، وليت شعري ما صنع فلان، أي ليت علمي. واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ فقرأ نافع[1] وابن كثير[2] وأبو عمرو[3]: يخادعون بالألف. وقرأ الباقون: يخدعون بغير ألف على أشهر اللغتين وأفصحهما[4].

---

(1) أبو رويم نافع بن عبد الرحمن الليثي: كان إمام الناس في القراءة بالمدينة المنورة. انتهت إليه رياسة القراءة بها. قرأ عليه خلق كثير منهم: مالك بن أنس. توفي رحمه اللَّه سنة تسع وستين ومائة هجرية.
ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية: 2/ 330 ـ الذهبي، معرفة القراء؛ 1/ 89 ـ ابن الجزري، النشر: 1/ 112.

(2) أبو معبد عبد اللَّه بن كثير الدارمي المكي: أحد القراء السبعة أخذ عن أنس بن مالك وعبد اللَّه ابن الزبير ومجاهد وغيرهم، فكان قاضي الجماعة بمكة وإمام الناس في القراءة بها. توفي رحمه اللَّه سنة عشرين ومائة هجرية.
ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 1/ 20 ـ الذهبي، معرفة القراء: 1/ 71 ـ ابن الجزري، غاية النهاية: 1/ 443.

(3) أبو عمرو زبان بن عمار التميمي المازني البصري: أحد القراء السبعة ومن أئمة اللغة والأدب. توفي رحمه اللَّه سنة أربع وخمسين ومائة هجرية.
السيوطي، بغية الوعاة: 2/ 231 ـ ابن الجزري، غاية النهاية: 1/ 288 ـ الذهبي، معرفة القراء: 1/ 83.

(4) يراجع: أبو جعفر أحمد الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع: 2/ 597، دار الفكر، دمشق، ط 3. 1403هـ ـ ومحمد محيسن، المهذب في القراءات العشر: 1/ 47 ـ 48.

واختاره أبو عبيد[1]. ولا خلاف في الأول أنه بالألف.

قوله عز وجل: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك ونفاق. وسمي النفاق مرضاً لأنه يهلك صاحبه ولأنه يضطرب في الدين، أي المؤمنين بالقول والكفار بالقلب، فحالهم كحال المريض الذي هو مضطرب بين الحياة والموت. وقيل إن الشك ألم القلب، والألم مرض البدن، فسمي الشك مرضاً لما فيه من الهم والحزن. والفاء في «فزادهم اللّه» بمعنى المجازاة، وقيل على وجه الدعاء، وقيل سمي النفاق مرضاً لأنه يضعف الدين واليقين كالمرض الذي يضعف البدن وينقص قواه، ولأنه يؤدي إلى الهلاك بالموت.

قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أي شكاً ونفاقاً وعذاباً وهلاكاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي وجيع مخلص وجعه إلى قلوبهم وهو بمعنى مؤلم.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾. قال بعضهم: الباء في «بما» صلة أي لهم عذاب أليم بكذبهم وتكذيبهم اللّه ورسوله في السر، فيكون الباء مصدرية والأولى إعمال الحروف وما وجد لها مساغ أي بالشيء الذي يكذبون به. وفي قوله: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ خلاف بين القراء، فقرأ أهل الكوفة بفتح الياء وتخفيف الذال[2]. أي يكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

قال اللّه تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿11﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ
ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿12﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. تتلمذ على الأصمعي والكسائي وغيرهما، وفقه على مذهب الشافعي. اشتغل بالتدريس وتولى قضاء طرسوس. من مؤلفاته: «كتاب فضائل القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» و«غريب الحديث» وغيرها. توفي رحمه اللّه سنة أربع وعشرين ومائتين هـ.
ينظر: الذهبي، تذكرة الحافظ: 2/ 417، الشيرازي، طبقات الفقهاء: 92 تح. إحسان عباس. دار الرائد العربي، بيروت ـ السيوطي، بغية الوعاة: 2/ 253 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 32.

(2) يراجع: ابن الجزري، النشر: 2/ 702 ـ الأنصاري، الاقناع: 2/ 397.

ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

قال أبو بكر:

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. قرأ الكسائي ويعقوب[1] وهشام[2] قيل وحيل وسيق وجيء وسيء وسئت بإشمام الضمة[3]. ومعنى الآية: وإذا قيل للمنافقين وقيل لليهود، أي قال لهم المؤمنون لا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعصية والمداهنة وتعوقوا الناس عن الإيمان بمحمد صلى اللّه عليه وسلم والقرآن ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي عاملون بالطاعة ومصلحون بالمداهنة لأنهم كانوا يقولون لا نعادي المؤمنين ولا الكفار، نداري هؤلاء وهؤلاء حتى إذا غلب أحد الفريقين لا يأتينا من دائرتهم شيء. يقول اللّه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾. ألا: كلمة تنبيه. والمعنى: ألا إنهم هم المفسدون بالمداهنة والعاملون بالمعصية. وقوله تعالى: ﴿هُمُ﴾ عماد وتأكيد. وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يعلمون ما أعد اللّه لهم من العذاب، وقيل لا يعلمون أنهم كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أي إذا قيل للمنافقين صدِّقوا كما صدق أصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم قالوا: نصدق كما صدَّق الجهال.

يقول اللّه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ بتركهم التصديق في السر ﴿وَلَٰكِن لَّا

---

(1) أبو محمد يعقوب بن إسحاق البصري: أحد القراء العشرة. أعلم الناس في زمانه بالقراءات والعربية. له قراءة مشهورة. من مؤلفاته: «الجامع في القراءات». توفي رحمه اللّه بالبصرة سنة خمس ومائتين هجرية.
ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية: 2/ 386 ـ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 51.

(2) أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي راوي ابن عامر: قاض، من القراء المشهورين. كان عالم أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، له كتاب «فضائل القرآن». توفي رحمه اللّه سنة خمس وأربعين ومائتين.
ينظر: غاية النهاية: 2/ 354 ـ ميزان الاعتدال: 3/ 255.

(3) يراجع: الأنصاري، الإقناع: 2/ 597.

﴿يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم جهال، وقيل معناه: آمنوا كما آمن عبد الله بن سلام[1] وغيره من مؤمني أهل الكتاب، والسفهاء جمع سفيه وهو اللهاث الكذاب المتعمد بخلاف ما يعلم. وقال قطرب[2]: السفيه: العجول الظلوم القائل خلاف الحق.

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿14﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿15﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾. قال جويبر[3] عن الضحاك عن ابن عباس: كان عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي رأس المنافقين من رهط سعد بن عبادة[4]، وكان إذا لقي سعداً قال: نعم الدين دين محمد، وكان إذا رجع إلى رؤساء قومه من أهل الكفر قال: شدوا أيديكم بدين آبائكم. فأنزل الله هذه الآية[5]. وقال الكلبي: عن أبي صالح[6] عن ابن عباس

---

(1) أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: صحابي جليل أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. توفي رحمه الله سنة ثلاث وأربعين هجرية.
ينظر: الاستيعاب: 3/ 921 ـ الاعلام: 4/ 90 ـ تذكر الحفاظ: 1/ 26.

(2) أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقطرب: نحوي عالم بالأدب واللغة من أهل البصرة. أخذ عن سيبويه. من مؤلفاته: «معاني القرآن» و«الأزمنة» و«الأضداد». توفي سنة ست ومائتين هـ. ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين: 106 ـ السيوطي، بغية الوعاة: 104 ـ الحنبلي، شذرات الذهب: 2/ 15.

(3) أبو القاسم جويبر بن سعيد الأزدي البلخي. روى عن أنس بن مالك والضحاك بن مزاحم وأكثر عنه، وأبي صالح السمان، ومحمد بن واسع وغيرهم. وعنه ابن المبارك والثوري. وله رواية ومعرفة بأيام الناس وعلم واسع بالتفسير. توفي بين الأربعين إلى الخمسين هجرية. تهذيب التهذيب: 2/ 123.

(4) أبو ثابت سعد بن عبادة الخزرجي: صحابي جليل، أحد النقباء في العقبة، كان يلقب في الجاهلية «بالكامل» لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة. هاجر في خلافة عمر إلى الشام. وتوفي رحمه الله بحوران سنة أربع عشرة هجرية.
ينظر: الاستيعاب: 2/ 589 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 613 ـ صفة الصفوة: 1/ 503.

(5) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان، خ، الورقة: 36.

(6) أبو صالح ذكوان السمان الزيات المدني: تابعي، كان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة.

قال: نزلت هذه الآية في عبد اللَّه بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فقال عبد اللَّه لأصحابه: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم. فذهب فأخذ بيد أبي بكر[1] رضي اللَّه عنه قال: مرحباً بالصدِّيق وسيد بني تميم وشيخ الإسلام وثاني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول اللَّه. ثم أخذ بيد عمر رضي اللَّه عنه وقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الصادق القوي في دين اللَّه عز وجل، الباذل نفسه وماله لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم. وأخذ بيد علي كرم اللَّه وجهه فقال: مرحباً بابن عم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم. فقال له علي رضي اللَّه عنه: اتق اللَّه ولا تنافق فإن المنافقين شر خليقة اللَّه. فقال: مهلاً يا أبا الحسن، واللَّه إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم. وفي رواية: واللَّه إني مؤمن باللَّه ورسوله. ثم افترقوا. فقال عبد اللَّه لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأثنوا عليه وقالوا: لا نزال بخير ما عشت. فرجع المسلمون إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فأخبروه بذلك، فأنزل اللَّه هذه الآية[2]، ومعناها: وإذا لقوا الذين آمنوا: أبا بكر وأصحابه قالوا: آمنا كإيمانكم. وقرأ محمد بن السميقع[3]: وإذا لاقوا. وهما بمعنى

= سمع أبا هريرة وعدداً من الصحابة. وعنه أخذ زيد بن أسلم وغيره. ثقة من أجلِّ الناس وأوثقهم. توفي رحمه اللَّه سنة إحدى ومائة هجرية.
ينظر: الطبقات الكبرى: 5/ 301 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 89.
السيوطي، طبقات الحفاظ: 33، مكتبة وهبة، مصر، ط 1، 1973م.

(1) أبو بكر الصديق عبد اللَّه بن أبي قحافة التيمي القرشي: أول من آمن بالرسول (ص) من الرجال. وأول الخلفاء الراشدين. ولد بمكة ونشأ بها سيداً في قومه، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وكانت له في عصر النبوة مواقف مشهودة. وبعد خلافته انتصر على المرتدين. وفتحت في خلافته بلاد الشام وقسم كبير من العراق. توفي رحمه اللَّه سنة ثلاث عشرة هجرية. ينظر الاستيعاب: 3/ 963 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 169 ـ حلية الأولياء: 1/ 281.

(2) يراجع: الواحدي، أسباب النزول: 31.

(3) أبو عبد اللَّه محمد بن عبد الرحمن بن السميقع اليماني: قارىء متقن للعربية، وله اختيار في القراءة ينسب إليه. ورد عن الأعرج قال: سمعت محمد بن السميقع. وكان من أفصح العرب.
ينظر: غاية النهاية: 2/ 161 رقم: 3106.

واحد[1]. وأصل لقوا: لقيوا، فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى القاف وسكنت الياء والواو فحذفت الياء لالتقاء الساكنين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أي مع شياطينهم وهم رؤساؤهم في الضلالة. قال الأخفش: كل عات متمرد فهو شيطان ومعنى خلوا رجعوا، ويجوز أن يكون من الخلوة. يقال: خلوت به، وخلوت معه، وخلوت إليه كلها بمعنى واحد. قال ابن عباس: شياطينهم رؤساؤهم وكبراؤهم وكهنتهم وهم خمسة نفر من اليهود، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان منهم: كعب بن الأشرف[2] بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبد الدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد اللّه بن السويد بالشام، والشيطان: المتمرد العاتي من كل شيء، ومنه قيل للحية النضناض شيطان[3]، قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾[4]. أي الحيات.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي على دينكم وأنصاركم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بمحمد وأصحابه بإظهار قول: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه.

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي يجزيهم

---

(1) يراجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/ 206.

(2) كعب بن الأشرف الطائي: شاعر جاهلي وتاجر مشهور، كانت أمه من بني نضير فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله مقيم في حصن له قريب من المدينة. أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه سنة ثلاث هـ.
ينظر: الزركلي، الأعلام: 5/ 222 البداية والنهاية: 4/ 5.

(3) قال ابن عاشور في تفسيره: وحقيقة الشيطان: أنه نوع من المخلوقات المجردة طبيعتها الحرارة النارية. ويطلق الشيطان على المفسد ومثير الشر، فتقول العرب: فلان من الشياطين، وأطلق هنا على قادة المنافقين.
ووزن شيطان اختلف فيه البصريون والكوفيون، فقال البصريون: هو فيعال من شطن بمعنى بعد لأنه أبعد من رحمة اللّه ومن الجنة، فنونه أصلية. وقال الكوفيون: هو فعلان من شاط بمعنى هاج واحترق أو بطل. (ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 390).

(4) سورة الصافات (37)، الآية: 65.

على استهزائهم فسمي الجزاء باسم الابتداء إذا كان مثله في الصورة كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[1] فسمي جزاء السيئة سيئة. وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[2] والثاني ليس باعتداء. وقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ أي يمهلهم ويتركهم في ضلالتهم يتحيرون. يقال: مد في الشر وأمد في الخير. وقال يونس:[3] المد في معنى الترك، والإمداد في معنى الإعطاء. وقيل: مده وأمده بمعنى واحد[4]. وقال الأخفش: يمدهم أي يمد لهم، فحذف اللام. والطغيان: مجاوزة الحد. فقال: ﴿طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ إذا جاوز حده. وقيل لفرعون: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾[5] أي أسرف في الدعوة حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[6]. وقرأ ابن محيصن[7]: وُيمِدهم بضم الياء وكسر الميم، وهما لغتان. إلا أن المد أكثر ما يأتي في الشر[8]. قال اللّٰه تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾[9] والإمداد في الخير. وقال اللّٰه تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥﴾[10]، وقيل معنى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ أي يوبخهم ويعيبهم

---

(1) سورة الشورى (42)، الآية: 40.

(2) سورة البقرة (2)، الآية: 194.

(3) أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي النحوي، وكان إمام نحاة البصرة في عصره. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء. وعنه أخذ سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم. من مؤلفاته: «معاني القرآن». توفي رحمه اللّٰه سنة اثنتين وثمانين ومائة هجرية.
ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 48 ـ اليافعي، مرآة الجنان: 1/ 388، طبع في حيدر أباد، 1339هـ.

(4) يراجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/ 809.

(5) سورة طه (20)، الآية: 25، وسورة النازعات (79)، الآية: 17.

(6) سورة النازعات (79)، الآية: 24.

(7) أبو حفص محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي المكي: مقرىء أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية. أخذ عن مجاهد وابن جبير. وعنه أخذ أبو عمرو بن العلاء وغيره. وله اختيار في القراءة عرف به. توفي في مكة سنة ثلاث وعشرين ومائة هجرية.
ينظر: غاية النهاية: 2/ 167 ـ ابن حجر، تهذيب التهذيب: 7/ 477، دار المعارف، الهند، ط 1، 1326هـ.

(8) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان، خ الورقة: 37.

(9) سورة مريم (19)، الآية: 79.

(10) سورة المؤمنين (23)، الآية: 55.

ويجهِّلهم. وقيل معناه: اللَّه يظهر المؤمنين على نفاقهم. وقال ابن عباس: هو أن يطلع اللَّه المؤمنين يوم القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار فيقولون لهم: أتحبون أن تدخلوا الجنة؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم باب إلى الجنة، ويقال لهم: ادخلوا. فيأتون وينقلبون في النار، فإذا انتهوا إلى الباب سد عليهم و ردّوا إلى النار ويضحك المؤمنون منهم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿29﴾﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿34﴾﴾. وعن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال: «**يأمر بناس من المنافقين إلى الجنة حتى إذا دنوا منها، ووجدوا رائحتها ونظروا إلى ما أعد اللَّه لأهلها من الكرامة نودوا أن أصرفوهم عنها فيرجعون بحسرة وندامة لم يرجع الخلائق بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا. فيقول اللَّه تعالى: هذا الذي أردت بكم هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلوني، كنتم تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما كنتم تروني من قلوبكم فاليوم أدنيتكم[2] من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي[3]**». فإن قيل: لم أمر اللَّه بقتال الكفار المعلنين بالكفر ولم يأمر بقتال المنافقين وهم في الدرك الأسفل من النار؟ وخالف بين أحكامهم وأحكام الكفار والمظهرين للكفر وأجراهم مجرى المسلمين في التوارث والأنكحة وغيرها؟ قيل: عقوبات الدنيا ليس على قدر الإجرام وإنما هي على ما يعلم اللَّه من المصالح. ولهذا أوجب رجم الزاني المحصن ولم يزل عنه الرجم بالتوبة. والكفر أعظم من الزنا ولو تاب منه قبلت توبته. وكذلك أوجب اللَّه على القاذف بالزنا الجلد ولم يوجبه على القاذف بالكفر، وأوجب على شارب الخمر الحد ولم يوجبه على شارب الدم.

---

(1) سورة المطففين (83)، الآية: 29 ـ 34.

(2) في النسخة (ف): أذيتكم.

(3) كذا عند الثعلبي في تفسيره، الكشف والبيان: خ الورقة: 37 مع بعض الاختلاف.
ـ رواه المنذري في الترغيب والترهيب: 1/ 52 رقم: 54. (باب الترهيب من الرياء).

قال اللّه تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿16﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿17﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿18﴾﴾.

قال أبو بكر:

قوله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي أخذوا الضلالة وتركوا الهدى واختاروا الكفر على الإيمان، وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً، لأن الشراء والتجارة راجعان إلى الاستبدال والاختيار، لأن كل واحد من المتبايعين يختار ما بيد صاحبه على ما في يده.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي فما ربحوا في تجارتهم. تقول العرب: ربح بيعك وخسرت صفقتك، ونام ليلك توسعاً. قال اللّه تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾[1]. قرأ ابن أبي عبلة: فما ربحت تجاراتهم بالجمع[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ أي من الضلالة، وقيل معناه: وما كانوا مصيبين في تجارتهم.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ أي مثل المنافقين في إظهارهم الإسلام وحقنهم دماءهم وأموالهم كمثل رجل في مفازة في ليلة مظلمة يخاف السباع على نفسه فأوقد ناراً يأمن بها السباع، فلما أضاءت النار ما حول المستوقد أطفئت فبقي في الظلمة، كذلك المنافق يخاف على نفسه من قبل محمد صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه فيسلم رياء الناس فيحقن دمه ويناكح المسلمين فيكون له نور بمنزلة نار المستوقد، فإذا بلغ آخر عمره لم يكن لإيمانه

(1) سورة محمد (47)، الآية: 21.

(2) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان: خ الورقة: 37.
في النسخة (ف): على الجمع.

أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله، سلب نور الإيمان عند الموت فبقي في ظلمة الكفر.

قال أبو بكر الحداد رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ يعني أوقد. قال الشاعر[1]

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى ∴ فلم يستجبه عند ذاك مجيب[2]

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾ بمعنى الذين دليله سياق الآية ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3] فإن قلت: كيف يجوز تشبيه الجماعة بالواحد؟ قلت: لأن «الذي» اسم ناقص فيتناول الواحد والاثنين كـ «من» و«ما» وفي الآية ما يدل على أن معناه الجمع، وهو قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾، وقد يجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحد مثل قوله تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾. ضاء القمر يضوء ضوءاً، وأضاء يضيء إضاءة وأضاءة غيره يكون لازماً ومتعدياً وقرأ محمد بن السميقع ضاءت بغير ألف[5]، وحوله نصب على الظرف.

---

(1) كعب بن سعد الغنوي: شاعر جاهلي حلو الديباجة. أشهر شعره «يائيته» في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار، أولها:

تقول ابنة العبسي قد شبت بعدنا ∴ وكل امرىء بعد الشباب يشيب

له ديوان أشار إليه صاحب «كشف الظنون». توفي سنة عشر ق. هـ.

(2) يرثي كعب أخاه أبا المغوار بهذا الشعر من البحر الطويل بعاطفة مكلومة، ونفس تنطق بسجيتها من غير تكلف، فلا يرى بعد أخيه أبى المغوار من يلبي طلب المعروف. (ينظر: البستاني، أدباء العرب: 1/ 62. طبعة جديدة منقحة، دار مارون عبود، 1979م ـ البغدادي، الخزانة: 10/ 436 ـ ابن الشجري، الأمالي الشجرية: 1/ 62 دار المعارف، الهند، ط1، 1349هـ ـ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: 7/ 198 ـ ابن منظور، اللسان: (جوب).

(3) سورة الزمر (39)، الآية: 33.

(4) سورة الأحزاب (33)، الآية: 19.

(5) يراجع القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/ 213.

قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي أذهب اللّه نورهم وإنما قال بنورهم والمذكور في أول الآية النار لأن النار فيها شيئان: النور والحرارة، فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم.

وفي بعض التفاسير قال ابن عباس وقتادة والضحاك: معنى الآية مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمن أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ونجا ممن يخاف وأمن، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان واستناروا بنورها واعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فإذا ماتوا عادوا في الظلمة والخوف وبقوا في العذاب والنقمة[1].

قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ أي هم صم عن الهدى لا يسمعون الحق، بكم لا يتكلمون بخير، عمي لا يبصرون الهدى أي بقلوبهم كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[2] وقيل هم صم يتصامتون عن الحق، بكم يتباكمون عن قول الحق، عمي يتعامون عن النظر إلى الحق يعني الاعتبار. وقرأ عبد اللّه: صماً بكماً عمياً بالنصب[3] على معنى: وتركهم كذلك، وقيل على الذم، وقيل على الحال.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[4] أي عن الضلالة والكفر إلى الهدى والإيمان.

---

(1) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان: خ، الورقة: 37، عبارته قريبة جداً من هذه.

(2) سورة الأعراف (7)، الآية: 198.

(3) يراجع: القرطبي، الجامع الأحكام القرآن: 1/ 214.

(4) وورد فيما بعد قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (سورة البقرة (2)، الآية: 171). ففي الأول: «لا يرجعون» وفي الثانية: «لا يعقلون» مع اتحاد الأوصاف الواردة مورد التسبب.
قال ابن الزبير: لما مثل حال المنافقين بحال مستوقد النار لطلب الإضاءة، وأنه لما أضاءت ما حوله أذهبها اللّه وأطفئت، فلم يكن له ما يستضيء به ويرجع إليه، فنفى عنهم وجود ما يرجعون إليه من ضياء يدفع حيرتهم. أما الثانية فإنه مثل حال الكافرين فيها بحال الغنم في =

قال اللّه تعالى:

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿19﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿20﴾﴾

قال أبو بكر:

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ هذا مثل آخر ضربه اللّه تعالى لهم أيضاً معطوف على المثل الأول، أي مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً، ومثلهم أيضاً كصيب. قال أهل المعاني: «أو» بمعنى الواو يريد: وكصيب، كقوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1]. وأنشد الطبري[2]:

وقد زعمت ليلى بأنّيَ فاجر .:. لنفسي تقاها أو عليها فجورها[3]

= كونها يصاح بها وتنادى فلا تفهم عن راعيها، ولا تسمع إلا صوتاً لا تعقل معناه ولا تفهم ما يراد به، كذلك الكفار في خطاب الرسول إياهم فلا يجيبونه ولا يعقلون ما يراد بهم. (ابن الزبير، ملاك التأويل: 1/ 180).

(1) سورة الصافات (37)، الآية: 147. قال اللّه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿147﴾﴾.

(2) في النسخة (س): الفراء.
والطبري هو: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: أحد الأئمة الأعلام يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. كان حافظاً لكتاب اللّه، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين. ذا دراية بأيام الناس وأخبارهم. من مؤلفاته: «التفسير المشهور» و«تاريخ الأمم والملوك» و«الجامع في القراءات». توفي رحمه اللّه في بغداد سنة عشر وثلاثمائة هجرية.
ينظر: الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 106 ـ الذهبي، تذكرة الحفاظ: 2/ 710 ـ البغدادي، تاريخ بغداد: 2/ 162.
ويراجع: تفسير الطبري: 1/ 336، تح. شاكر، دار المعارف بمصر، ط 2.

(3) هذا البيت من قصيدة قالها الشاعر: أبو حرب توبة بن الحمير بن خفاجة العقيلي في ليلى الأخيلية بنت عبد اللّه بن الرحال العامري، وهي شاعرة فصيحة ذكية جميلة، اشتهرت =

أي وعليها. ومعنى الآية: مثل المنافقين مع النبي صلى اللّه عليه وسلم والقرآن كصِّيب، أي مطر نزل من السماء ليلاً على قوم في مفازة فيه ظلمات ورعد وبرق، كذلك القرآن نزل من السماء فيه ظلمات، أي بيان الفتن وابتلاء المؤمنين بالشدائد في الدنيا، ورعد أي زجر وتخويف وبرق أي تبيان وتبصرة، فجعل أصحاب المطر أصابعهم في آذانهم من الصواعق مخافة الهلاك. كذا المنافقون كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ببيان القرآن ووعده ووعيده وما فيه من الدعاء إلى الجهاد مخافة أن يقتل في الجهاد ويقال مخافة أن تميل قلوبهم إلى ما في القرآن. وعن الحسن أنه قال: في الآية تشبيه الإسلام بالصيب، لأن الصيب يحيي الأرض والإسلام يحيي الكفار. قال اللّه تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي كأصحاب الصيب لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب وتمثيل العاقل بغير العاقل.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ جمع صاعقة وهي صوت [رعد] وبرق فيه قطعة من النار لا تأتي على شيء إلا أحرقته. والسماء كل ما علاك فهو سماء. والسماء يكون واحداً وجمعاً. قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾(2). وقيل هو جمع واحدها سماوة والسماوات جمع الجمع مثل جرادة وجراد وجرادات. والسماء تذكر وتؤنث. قال اللّه تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ

= بأخبارها مع توبة بن الحمير. جمع شعرها في ديوان مطبوع. توفيت سنة ثمانين هجرية.
وتوبة بن الحمير من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشبباً بها واشتهر أمره، وسار شعره، وكثرت أخباره حتى كان ذلك سبب قتله سنة خمس وثمانين هجرية.
ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية: 2/ 317 ـ علي بن الحسن العلوي، أمالي المرتضى: 3/ 146، طبع بمصر 1907م ـ إسماعيل بن القاسم القالي، أمالي القالي: 1/ 88، طبع مصر، 1926م ـ شرح شواهد المغني: 2/ 20 (الشاهد السابع والثمانون) دار المأمون دمشق، ط 1، 1980م ـ ابن خلكان، وفيات الأعيان: 2/ 48.

(1) سورة الأنعام (6)، الآية: 122.

(2) سورة البقرة (2)، الآية: 29.

بِهِۦ﴾[1]، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ أي في الصيب، وقيل في الليل كناية عن غير مذكور. وظلمات جمع ظلمة، وضمة اللام على الإتباع لضمة الظاء. وقرأ الأعمش[3]: ظلمات بسكون اللام على أصل الكلام، لأنها ساكنة في التوحيد[4]. وقرأ أشهب العقيلي: ظلمات بفتح اللام لأنه لما أراد تحريك اللام حركها إلى أخف الحركات[5] كقول الشاعر[6]:

فلما رأونا بادياً ركباتنا ∴ على موطن لا يخلط الجد بالهزل[7]

قوله تعالى: ﴿وَرَعۡدٌ﴾ الرعد: هو الصوت الذي يخرج من السحاب، ﴿وَبَرۡقٌ﴾ هو النار التي تخرج منه. قال مجاهد: الرعد ملك يسبح بحمده ويقال

---

(1) سورة المزمل (73)، الآية: 18.

(2) سورة الانفطار (83)، الآية الأولى.

(3) أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الكوفي: الإمام المعلم. أقرأ الناس، ونشر العلم دهراً طويلاً. عرف بالفصاحة والضبط ودقة الحفظ، فكان ثقة مأموناً عابداً ذا دعابة ولطف. روى عن سعيد بن جبير وعبد الله بن أبي أوفى وغيرهما. وقرأ عليه حمزة الزيات وغيره. توفي رحمه الله سنة ثمان وأربعين ومائة هجرية.

الطبقات الكبرى: 6/ 238 ـ معرفة القراء: 1/ 80 ـ وفيات الأعيان: 1/ 213 ـ تاريخ بغداد: 9/ 3.

(4) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان: خ، الورقة: 38.

(5) مثله عند الثعلبي، الكشف والبيان: خ، الورقة: 38.

(6) زهير بن أبي سلمى المزني حكيم الشعراء ومن علماء الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. نشأ في بيت عرف أفراده بالشعر كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى بالحوليات. أشهر شعره معلقته التي مطلعها «أمن أم أوفى دمنة لم تكلم». له ديوان مطبوع ترجم أكثره إلى لغات أجنبية مختلفة. توفي سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة.

ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 76 ـ البغدادي. الخزانة: 2/ 232 ـ البغدادي، بلوغ الأرب: 2/ 377، ط 3، 1942م.

(7) فلما رأونا باديا ركباتنا... إلخ، كناية عن الجد، كما يقال: شمر عن ساق. والشاهد فيه فتح الكاف في «ركباتنا» وهو من البحر الطويل. (ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 241. دار عالم الكتب، بيروت، ط1, 1988م ـ سيبويه، الكتاب: 2/ 185 تح: هارون، دار عالم الكتب، ط 2، 1983م).

لذلك الملك: رعد، ولصوته أيضاً رعد. وقال عكرمة[1]: الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعي الإبل. وقال شهر بن حوشب[2]: هو ملك يزجي السحاب كما يزجي الراعي الإبل فإذا تبددت السحاب ضمها، فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق[3]. والصواعق أيضاً المهالك، وهي جمع صاعقة. والصاعقة والصعقة كله الهلاك، ومنه قيل صعق الإنسان إذا غشي عليه، وصعق إذا مات.

قوله عز وجل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي مخافة الموت، وهو نصب على المصدر، وقيل بنزع الخافض. وقرأ قتادة: حذر الموت[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي عالم بهم، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[5]، وقيل معناه: والله مهلكهم وجامعهم في النار، دليله ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾[6] أي تهلكوا جميعاً.

قوله عز وجل: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي يختلس أبصار المسافرين من شدة ضوئه، كذلك البيان من القرآن يكاد يذهب بأبصار المنافقين فيأخذهم إلى الله ليقبلوا الدين. ومعنى يكاد: يقرب من ذلك ولم يدخل. قرأ ابن أبي

---

(1) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه خلق كثير، خرج إلى بلاد المغرب فروى عنه أهلها، ثم عاد إلى المدينة فبقي فيها إلى أن توفي سنة أربع ومائة هجرية.
ينظر: الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 380 ـ الطبقات الكبرى: 5/ 287 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 95.

(2) شهر بن حوشب الأشعري: فقيه قارىء من رجال الحديث، شامي الأصل وسكن العراق، وولي بيت ماله مدة. توفي رحمه الله سنة مائة هـ.
ينظر: ميزان الاعتدال: 2/ 283 ـ غاية النهاية: 1/ 329 ـ تهذيب التهذيب: 4/ 369 ـ حلية الأولياء: 6/ 9.

(3) مثله عند الطبري في تفسيره: 1/ 339 مع بعض الاختلاف اليسير.

(4) حذر وحذر بمعنى واحد. يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان: خ، الورقة: 39.

(5) سورة الطلاق (65)، الآية: 12.

(6) سورة يوسف (12)، الآية: 66.

إسحاق[1]: يخطف بنصب الخاء وتشديد الطاء، أي يختطف، فأدغم[2].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ أي كلما أضاء البرق للمسافرين مشوا في ضوئه، وإذا أظلم عليهم قاموا بقوا في الظلمة، كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين، فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر. وفي مصحف عبد الله: مضوا فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ﴾ أي لذهب بسمع المسافرين بالرعد وأبصارهم بالبرق لذلك لو شاء الله لذهب بسمع المنافقين وأبصارهم بزجر القرآن ووعده ووعيده والبيان الذي فيه وجعلهم صماً عمياً في الحقيقة عقوبة لهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي من إذهاب السمع والبصر.

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿21﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿22﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿23﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿24﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿25﴾﴾.

---

(1) عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي البصري النحوي. أخذ القراءة عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم. وروى القراءة عنه أبو عمرو بن العلاء وغيره. توفي رحمه الله سنة سبع عشرة ومائة هجرية.

ينظر: غاية النهاية: 1/ 410 ـ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 124.

(2) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان: خ، الورقة: 39.

قال أبو بكر: قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾. قال ابن عباس: يأيها الناس خطاب لأهل مكة، ويأيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة. وهو هنا عام. قوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ أي وحدوه وأطيعوه. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أي أوجدكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي وخلق الذين من قبلكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لكي تنجوا من السخط والعذاب. قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترجٍّ وهما من اللّه تعالى: واجبتان.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أي هو الذي جعل، وقيل: اعبدوا ربكم الذي جعل لكم الأرض فراشاً أي بساطاً. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ إنما أطلق البناء على السماء دون الأرض لأن خلقها بعد خلق الأرض. قال اللّه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾[1]. قال ابن عباس: كل سماء مطبقة على الأخرى كالقبة، وسماء الدنيا ملتزقة أطرافها بالأرض.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي من السحاب. سمي سحاباً لقربه من السماء، وقيل معناه: من نحو السماء، وقيل: لأن اللّه تعالى: ينزل المطر من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض، وقيل: يخلق اللّه المطر في السحاب ثم ينزل منه إلى الأرض.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي أمثالاً ونظراء وأنتم تعلمون أن اللّه خلق كافة الأشياء دون غيره، وأن ليس للأصنام عليكم نعمة تستحق بها عبادتكم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾[2] أي في شك:

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 29.

(2) عبر سبحانه وتعالى ـ واللّه أعلم ـ بـ «في» الدالة على الظرفية للإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب، وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف.

﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[1] محمد صلى اللّه عليه وسلم، أنه ليس نبي، وأن محمداً مختلقه من نفسه.

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي من بشر مثله، والهاء في مثله عائدة إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم، وقيل معناه: فأتوا بسورة من مثل ما أنزلنا.

قوله عز وجل: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي آلهتكم ومن رجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله إن كنتم صادقين أنه ليس من الوحي. وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟﴾ أمر تعجيز لأنه تعالى علم عجز العباد عنه.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أي وإن لم تأتوا بمثله ولم تأتوا بذلك أبداً.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أي حطبها الناس والحجارة، وقيل المراد بالحجارة حجارة الكبريت، لأنها أسرع وقوداً وأبطأ خموداً وأنتن رائحة وأشد حراً وألصق بالبدن.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأن لهم موضع أن نصب بنزع الخافض.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها أنهار الماء، والعسل، والخمر، واللبن.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي كلما أطعموا من أنواع الثمار بالبكر والعشيات أو أوتوا به بكرة قالوا هذا الذي أوتينا به عشية، وإذا أوتوا به عشية قالوا هذا الذي أوتينا به بكرة، فإذا طعموا وجدوا طعمه غير الطعم الذي طعموه من قبل.

قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي في المنظر مختلفاً في الطعم.

---

(1) أتى سبحانه وتعالى بالفعل «نزل» ولم يقل «أنزل» للإشارة إلى أن القرآن نزل منجماً على سبيل التدريج، موافقاً للحوادث والوقائع الحاصلة في المجتمع.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي نساء وجوار لا يحضن ولا يبصقن ولا يلدن ولا يحتجن إلى ما يتطهّرن منه ولا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن إلى غير أزواجهن، مهذبات في الخَلق والخُلق، طاهرات من كل دنس وعيب.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي مع هذه الكرامات دائمون لا يموتون ولا يخرجون أبداً. وسئل صلى اللّه عليه وسلم: ما بال أهل الجنة عملوا في عمر قصير فخلدوا في الجنة؟ وما بال أهل النار عملوا في عمر قصير فخلدوا في النار؟ فقال: كل واحد من الفريقين معتقد أنه لو عاش أبداً عمل ذلك العمل. والبشارة المطلقة هو الخبر السار الذي يحدث عنده الاستبشار والسرور وإن كان قد يستعمل تخيلاً فيما يسوء كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[(1)]، ولهذا قال علماؤنا فيمن قال: أي عبيدي بشرني بقدوم فلان فهو حر. فبشره جماعة من عبيده واحداً بعد واحد أن الأول يعتق دون غيره، لأن البشارة حصلت بخبره خاصة، بخلاف ما إذا قال: أي عبيدي أخبرني بقدوم فلان، فأخبروه واحداً بعد واحد فإنهم يعتقون جميعاً.

قال اللّه تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ
يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿26﴾ ٱلَّذِينَ
يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿27﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿28﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿29﴾﴾.

---

(1) سورة آل عمران (3)، الآية: 21.
ـ سورة التوبة (9)، الآية: 34.

يقول أبو بكر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ هذا مثل آخر للمنافقين، وسببه لما ذكر اللّه في المنافقين المثلين المتقدمين[1]، قالوا إن اللّه أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل اللّه هذه الآية[2]، لأن البعوضة تحيا ما دامت جائعة، وإذا شبعت هلكت، فكذلك المنافقون يحيون ما افتقروا، فإذا شبعوا بطروا وهلكوا. فكأنه قال تعالى: كيف أستحيي من ضرب هذا المثل في المنافقين وأنا أضربه بالبعوض الذي هو مثلهم. وقيل إن المشركين لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾[4]، قالوا: إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت. فأنزل اللّه هذه الآية[5]، فكأنه قال: إن اللّه لا يستحيى بضرب المثل بالبعوض والذباب مع صغرهما فإنهما يعجزان آلهتكم. ومعنى الآية: أن اللّه لا يمنعه الحياء أن يضرب الحق شبهاً ما بعوضة فما فوقها مثل الذباب وغيره. وقيل فما فوقها في الصغر.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي فيعلمون أن المثل حق من ربهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ﴾: أي شيء أراد اللّه بذكر البعوض والذباب مثلا؟

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾، أي قل لهم يا محمد يضل ويخذل بالمثل كثيراً من الناس ويوفق لمعرفته كثيراً.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، يعني الخارجين عن طاعة اللّه قيل: هم

---

(1) يعني قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) الآية، وقوله تعالى: (أو كصيب من السماء) الآية.
(2) يراجع: الواحدي، أسباب النزول: 32.
(3) سورة الحج (22)، الآية: 73.
(4) سورة العنكبوت (29)، الآية: 41.
(5) يراجع: الواحدي، أسباب النزول: 33.

اليهود في هذه الآية. و«ما» في قوله ﴿مَثَلًا مَّا﴾ قيل: نكرة ومعناه أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضة فما فوقها، وقيل الأصح: أنها زائدة مثل ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾(1) ولا إعراب لها، فيتخطاها الناصب والخافض إلى ما بعدها، وقيل نصب بعوضة على معنى ما بين بعوضة إلى ما فوقها، فإذا التقى بين وإلى نصب، ويقال في الكلام:

يا أحسن الناس ما قرناً إلى قدم(2)

قوله تعالى: ﴿مَثَلًا﴾ نصب على القطع عند الكوفيين، غير أنه قطع الإضافة، أي بهذا المثل، وعند البصريين على الحال أي ما أراد اللّٰه بالمثل في هذه الحال.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ أي يتركون أمر اللّٰه ووصيته من دون تغليظه وتوكيده. والعهد: ما أخذه اللّٰه على النبيين ومن اتبعوهم أن لا يكفروا بالنبي صلى اللّٰه عليه وسلم، ويبينوا نعته وصفته. قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ يعني الرحم الذي أمرهم بصلته.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ أي وكنتم نطفاً في أصلاب آبائكم فأحياكم في أرحام أمهاتكم وأخرجكم نسماً صغاراً. ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ثم يحييكم للبعث ثم إليه ترجعون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني من الشجر والثمار والدواب.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾. فإن قيل: هذه الآية تقتضي أن خلق السماء بعد الأرض. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾(3). ثم قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿30﴾﴾(4) قيل: مجموع الآيتين دل على أن خلق

---

(1) سورة النساء (4)، الآية: 155. وسورة المائدة (4)، الآية: 13.

(2) هذا صدر بيت أشار له الفراء في: معاني القرآن: 1/ 22 دون أن ينسبه إلى قائل، وتمامه:
يا أحسن الناس ما قرناً إلى قدم ∴ ولا حبال محب واصل تصل
أراد: بين قرن، فلما أسقط «بين» نصب «قرناً» على التمييز لنسبة «أحسن».

(3) سورة النازعات (79)، الآية: 27، 30.

(4) المرجع السابق نفسه.

الأرض قبل السماء، إلا أن بسط الأرض بعد خلق السماء.

قال اللَّه تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿30﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿31﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿32﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿33﴾﴾.

قال أبو بكر:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ يعني آدم وذريته، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها؟ واختلفوا في معنى الخليفة، فروي أن رجلا[1] سأل طلحة[2] والزبير[3] وكعباً[4] وسلمان[5]: ما الخليفة وما؟

---

(1) في: الكشف والبيان، للثعلبي: خ والورقة: 43: أن السائل عمر بن الخطاب.

(2) أبو محمد طلحة بن عبيد اللَّه بن عثمان التيمي: صحابي شجاع من الأجواد، أحد المبشرين بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، وأحد السابقين إلى الإسلام. كان مع الرسول صلى اللَّه عليه وسلم في أكثر المشاهد، وكان يشتغل بالتجارة فأكسبته مالا وافراً جعله في نصرة الإسلام ورعاية المسلمين. توفي رحمه اللَّه سنة ست وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 764 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 214 ـ صفة الصفوة: 1/ 336.

(3) أبو عبد اللَّه الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي: صحابي شجاع أحد المبشرين بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، وأول من سل سيفه في الإسلام. شهد مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بدراً وأحداً وغيرهما. توفي رحمه اللَّه سنة ست وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 510 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 100 ـ حلية الأولياء: 1/ 89.

(4) أبو إسحاق كعب الأحبار بن ماتع الحميري: تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقدم المدينة في خلافة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم، وأخذ عن الصحابة القرآن الكريم والسنة، ثم انتقل إلى الشام فسكن حمص وبقي بها إلى أن توفي رحمه اللَّه سنة اثنتين وثلاثين هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 49 ـ حلية الأولياء: 5/ 364 ـ الأعلام: 5/ 228.

(5) أبو عبد اللَّه سلمان الفارسي: صحابي جليل، قرأ كتب الفرس والروم واليهود، وعندما علم بالنبي صلى اللَّه عليه وسلم قصده فاعتنق الإسلام ولازم النبي صلى اللَّه عليه وسلم فتفوق =

الملك؟ فقال طلحة، والزبير: لا ندري، وقال سلمان: الخليفة هو الذي يعدل في رعيته ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ويقضي بكتاب اللّه تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أن أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن اللّه ملأ سلمان علماً وحلماً وعدلاً. وروي أن عمر رضي اللّه عنه قال لسلمان: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر، ووضعته في غير حقه فأنت ملك، وإن أنت فعلت بالعدل والانصاف فأنت خليفة. فاستغفر عمر رضي اللّه عنه. وروي أن معاوية[1] كان يقول إذا جلس على المنبر: يا أيها الناس إن الخلافة ليست بجمع المال ولا بتفريقه، ولكن الخلافة العمل بالحق، والحكم بالعدل، وأخذ الناس بأمر اللّه[2] عز وجل. كذا في تفسير الثعلبي[3] رحمه اللّه تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ أي يعصيك فيها: ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي نبرئك من السيّىء ونصلي

= في شرائع الإسلام وتعاليمه، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، جعل أميراً على المدائن توفي رحمه اللّه سنة ست وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 634 ـ الطبقات الكبرى: 4/ 75 ـ صفة الصفوة: 1/ 523.

(1) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي: مؤسس الدولة الأموية، كان فصيحاً حليماً وقوراً. ولد بمكة وأسلم عام فتحها. كتب للرسول صلى اللّه عليه وسلم. توفي رحمه اللّه بدمشق سنة ستين هجرة.
الاستيعاب: 3/ 1416 ـ الطبقات الكبرى: 7/ 406 ـ الأعلام: 7/ 261.

(2) يراجع: الثعلبي، الكشف والبيان: خ، الورقة: 43.

(3) أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري: المقرىء المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ. من مؤلفاته: تفسيره «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» الذي لا يزال مخطوطاً. وقد وصفه ابن خلكان بأنه تفسير كبير فاق غيره من التفاسير. وقال عنه ياقوت: التفسير الحاوي أنواع الفوائد من المعاني والإشارات وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات. وله أيضاً «كتاب العرائس في قصص الأنبياء صلوات اللّه عليهم». توفي رحمه اللّه سنة سبع وعشرين وأربعمائة هجرية.
الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 65 ـ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 238، طبع بمصر 1369هـ السيوطي، بغية الوعاة: 1/ 356 ـ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: 3/ 230.

لك، ونطهر أنفسنا لك. وقيل اللام في ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ زائدة، أي نقدسك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي أعلم أنه سيكون فيهم أنبياء وقوم صالحون يسبحون بحمدي ويقدسون لي ويطيعون أمري. وروي أن اللّه لما خلق الأرض جعل سكانها الجن وبني الجان، وجعل سكان السماوات الملائكة، لأهل كل سماء عباد أهون من التي فوقها، وكان إبليس مع جند من الملائكة في سماء الدنيا، وكان رئيسهم واسمه عزازيل. فلما أفسدت الجن بنو الجان الذين سكنوا الأرض فيما بينهم وسفكوا الدماء وعملوا المعاصي، بعث اللّه إليهم إبليس مع جنده فهبطوا إلى الأرض وأجلوا الجن منها وألحقوهم بجزائر البحار، وسكن إبليس والجن الذين معه في الأرض. فلما أراد اللّه أن يخلق آدم وذريته قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فتعجبوا من ذلك وقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعلت الجن بنو الجان ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. فلما قالوا هذا القول أخرجت لهم نار من الحجب فأحرقت عشرة آلاف ملك منهم، وأعرض الرب سبحانه عن الباقين حتى طافوا حول العرش سبع سنين يقولون: لبيك اللهم لبيك اعتذاراً لك[1].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ وذلك أن اللّه لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا فيما بينهم: يخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق أفضل ولا أكرم عليه منا وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه، لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره. فلما أعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضل آدم عليهم بالعلم، فعلمه الأسماء كلها وهي أسماء الملائكة، وقيل أسماء ذريته. وقال ابن عباس: أسماء كل شيء من الدواب والطيور والأمتعة حتى الشاة والبقرة والبعير وحتى القصعة والسكرجة[2]، وقيل أسماء كل شيء من الحيوان والجمادات وغيرها. فقيل له:

---

(1) يراجع: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن: 1/ 450. تحقيق شاكر. دار المعارف بمصر، ط 2 ـ وذكره البيهقي في: شعب الإيمان: 1/ 168 وما بعدها.

(2) السكرجة: بضم السين والكاف والراء الثقيلة بعدها جيم مفتوحة: فارسي معرب، والمراد بها الصحاف الصغيرة.

هذا فرس، وهذا حمار، وهذا بغل حتى أتى على آخرها، ثم عرض تلك الشخوص المسميات على الملائكة ولم يقل عرضها برده إلى الشخوص المسميات، لأن الأعراض لا تعرض، وإن شئت قلت لأن فيهم من يعقل فغلبهم. وفي قراءة أبي[1]: ثم عرضها[2]. وقال الضحاك: علم اللّه آدم أسماء الخلق والقرى والمدن والأجندة[3] وأسماء الطير والشجر، وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة اللّه بارئها إلى يوم القيامة، وعرض تلك الأسماء على الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بأن الخليفة الذي أجعله يفسد فيها ويسفك الدماء، أراد بذلك كيف تدّعون علم ما لم يكن وأنتم لا تعلمون علم ما ترون وتعاينون. وقال الحسن وقتادة معناه: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه وأفضل. وقالت الملائكة إقراراً واعتذاراً: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ أي تنزيهاً لك عن الاعتراض في حكمك وتدبيرك، إنك أنت العليم بخلقك الحكيم في أمرك. وسبحانك منصوب على المصدر أي يسبح سبحاناً في قول الخليل، وقيل على ابتداء المضاف أي يا سبحانك.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ له معنيان: أحدهما المحكم للفعل كقولهم: عذاب أليم أي مؤلم وضرب وجيع أي موجع، فعلى هذا هو صفة فعل الآخر بمعنى العالم، فحينئذ يكون صفة ذات.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ الأدمة: لون مشوب سواداً، وقيل: هي كل لون يشبه لون التراب فلما ظهر عجز الملائكة قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي

---

(1) أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس: صحابي جليل، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يقرأ ويكتب مع قلة العارفين بالكتابة في عصره. ولما أسلم كتب للرسول صلى اللّه عليه وسلم، وشهد معه المشاهد كلها. له أحاديث في الصحيحين وغيرهما. توفي رحمه اللّه سنة ثلاثين هـ.
الاستيعاب: 1/ 47 ـ ابن حجر، الإصابة: 1/ 19 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 498 ـ ابن الأثير، أسد الغابة: 1/ 61، دار الفكر.

(2) يراجع، الطبري في تفسيره: 1/ 486.

(3) في النسخة (ف): والأجيال.

أخبرهم بأسمائهم. فسمى كل شيء باسمه، وألحق كل شيء بجنسه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾ يا ملائكتي ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وما كان فيها وما يكون ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ من الخضوع[1] والطاعة لآدم ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٣٣﴾ في أنفسكم له من العداوة. وقيل: أعلم ما تبدون من الإقرار بالعجز والاعتذار، وما كنتم تكتمون من الكراهة في استخلاف آدم عليه السلام. وقيل معناه: أعلم ما أظهرتم من الطاعة وما أضمر إبليس من المعصية لله تعالى في الأمر بالطاعة لآدم عليه السلام، وذلك أن الله لما صور آدم ورآه إبليس قال للملائكة الذين معه: أرأيتم هذا الذي لم تروا من في الخلائق مثله إن الله أمركم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع. وأضمر الخبيث في نفسه أنه لا يطيع. وقيل معناه: أعلم ما تبدون، يعني قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها؟ وما كنتم تكتمون، يعني قولهم: لن يخلق الله خلقاً أفضل ولا أعلم، ولا أكرم عليه منا. فإن قيل في قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أمر بتكليف ما لا يطاق، فهل يجوز تكليف ما لا يطاق؟ قلنا: الصحيح أنه ليس بتكليف، وهذا كمن يلقي المسألة على من يتعلم منه فيقول أخبرني بجواب هذه المسألة؟ ولا يريد بذلك أن يأمره بجوابها لأنه يعلم أنه لا يعرفه بل يقصد أن يقرر عليه أنه لا يعرف جوابها ليكون أشد حرصاً على تعلم تلك المسألة.

قال الله تعالى:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
۝٣٤ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ
بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ
فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن
تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ

(1) في النسخة (ف): الخصوم.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿39﴾﴾.

قال أبو بكر:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿34﴾﴾ ظاهر الآية أن إبليس كان من الملائكة لأنه مستثنى منهم، وإلى هذا ذهب جماعة من العلماء وقالوا: معنى قوله في آية أخرى ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[1] يعني من خزان الجنان، وذهب جماعة آخرون: إلى أنه من أولاد الجان لأنه مخلوق من نار وله ذرية، والملائكة من نور وليس لهم ذرية. فعلى هذا يكون مستثنى منقطعاً مثل قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[2]، وقيل سبب كونه مع الملائكة أن الملائكة لما حاربت الجن سبوا إبليس صغيراً فنشأ معهم، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع وكفر وعاد إلى أصله[3]. وقوله تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ هو سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة، نظيره في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[4] وكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضاً ولم يكن وضع الوجه على الأرض، وإنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام بطل ذلك بالسلام. وفي الحديث أن «معاذ بن جبل[5] رجع من اليمن فسجد لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، فتغير وجه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وقال: «**ما هذا؟**» قال: رأيت اليهود يسجدون لأحبارهم والنصارى يسجدون لقسّيسيهم. فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**مه يا معاذ، كذب اليهود والنصارى، إنما السجود لله عز**

---

(1) سورة الكهف: (18): الآية: 50.
(2) سورة النساء (4)، الآية: 157.
(3) يراجع: الطبري في تفسيره: 1/ 507.
(4) سورة يوسف (12)، الآية: 100.
(5) أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرا وأحداً والمشاهد كلها مع الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم، وأرسله الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم قاضياً ومعلماً لأهل اليمن وقال لهم في كتابه: إني بعثت لكم خير أهلي. توفي رحمه اللّٰه بناحية الأردن سنة ثماني عشرة هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1402 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 583 ـ حلية الأولياء: 1/ 228.

وجل»[1]. وقال بعضهم: سجودا على الحقيقة جعل آدم قبلة لهم، فالسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين والصلاة لله عز وجل وإنما سمي آدم لأنه خلق من التراب، وهو بلسان العبرانية آدم بالمد، ومنهم من قال: سمي بذلك لآدميته لأنه كان آدم اللون، وكنيته أبو محمد وأبو البشر. وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ منصوب على الاستثناء ولا يتصرف للعجمة والمعرفة. وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي صار من الكافرين كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[2]. وقال أكثر المفسرين معناه: وكان في علمه السابق من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**»[3].

قوله عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وذلك أن آدم كان في الجنة مستوحشاً لم يكن معه من يجالسه ويؤانسه، فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته حواء من قصراه من شقه الأيسر من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألماً، ولو ألم من ذلك لما عطف رجل على امرأة. فلما هب آدم من نومه إذ هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله. قال لها: من أنت؟ قالت: زوجتك خلقني الله لك. فقالت الملائكة عند ذلك امتحاناً له: يا آدم ما هذه؟ فقال: امرأة. قالوا: وما اسمها؟ قال: حواء. قالوا: ولم سمّيت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي. قالوا: يا آدم أتحبها؟ قال: نعم. قالوا لحواء: أتحبينه يا حواء؟ قالت: لا، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه، فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء.

---

(1) رواه المنذري في: الترغيب والترهيب: 4/ 124، رقم: 2841، وفيه: «رجع من الشام». يراجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/ 293.

(2) سورة هود (11)، الآية: 43.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي من حديث أبي هريرة: 2/ 69، باب بيان إطلاق الكفر على تارك الصلاة ـ وأخرجه ابن ماجه في سننه: 1/ 334، رقم: 1052، باب سجود القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا﴾ واسعاً كثيراً حيث شئتما وكيف شئتما ولا تقربا هذه الشجرة، قيل هي: الكرم، وقيل: التين، وقيل شجرة من أحسن أشجار الجنة عليها كل نوع من أطعمة الجنة منها مثل كلية البقرة ألين من الزبد وأحلى من الشهد وأشد بياضاً من اللبن.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتصيران من الضارين لأنفسكما بالمعصية. وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ أي عن الجنة. ومعنى أزلهما: استزلهما. وقرأ حمزة[1]: فأزالهما[2] الشيطان وهو إبليس، وهو فيعال من شطن أي بعد، سمي بذلك لبعده من الخير عن رحمة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ أي من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليفتن آدم فمنعه الخزنة، فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة، وكانت لإبليس صديقة فسألها أن تدخله في فمها، فأدخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون، فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء فناح عليهما نياحة وبكى، وهو أول من ناح. فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان وتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة. فاغتما لذلك. فقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إني لكما من الناصحين. فاغترا وما

---

(1) أبو عمارة، حمزة بن حبيب الزيات: أحد القراء المشهورين بالكوفة بعد عاصم والأعمش. أخذ عن الأعمش. وعنه أخذ الكسائي القراءة. كان ثقة حافظاً للحديث ورعاً. قال له الإمام أبو حنيفة: شيئان غلبتنا عليهما لا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. توفي رحمه الله بحلوان من أرض العراق سنة ست وخمسين ومائة هـ.
معرفة القراء: 1/ 93 ـ النشر: 1/ 166 ـ ميزان الاعتدال: 1/ 606.

(2) فأزالهما ـ بالألف ـ من الإزالة وهي التنحية، أي نحاهما.
يقال: أزلته فزال، أو أزالهما من الزوال، أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة، وقراءة الجماعة «فأزلهما» بغير ألف من الزلة وهي الخطيئة أي استزلهما فزال. قال القرطبي في تفسيره: 1/ 311: وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى واحد، إلا أن قراءة الجماعة أمكن في المعنى.

كانا يظنان أن أحداً يحلف باللَّه كاذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها. روي أن سعيد بن المسيب[1] كان يحلف باللَّه ما يستثني ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل، فلما أكلا تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة[2]. قيل إن آدم دخل الجنة عند الضحوة وأخرج ما بين الصلاتين، مكث نصف يوم من أيام الآخرة خمسمائة عام.

مسألة: قالت القدرية[3]: إن الجنة التي أسكنها اللَّه آدم لم تكن جنة الخلد، وإنما كانت بستاناً من بساتين الدنيا، قالوا لأن الجنة لا يكون فيها ابتلاء ولا تكليف. والجواب أنا قد أجمعنا على أن أهل الجنة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلفون ذلك. وجواب آخر أن اللَّه قادر على الجمع بين الأضداد، فأراد آدم المحنة في الجنة وأراد إبراهيم النعمة في النار لئلا يأمن العبد ربه ولا يقنط من رحمته، وليعلم أن لله أن يفعل ما يشاء، واحتجوا أن من دخل الجنة يستحيل عليه الخروج منها، فالجواب أن من دخلها للثواب لا يخرج منها أبداً، وآدم لم يدخلها للثواب. ألا ترى أن رضوان وخزان الجنان يدخلونها ثم يخرجون منها، وإبليس أيضاً كان خازن الجنة فأخرج منها.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي قلنا لآدم وحواء وإبليس والحية والطاوس انزلوا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو، فإبليس عدو لآدم وذريته، والحية تلدغ ابن آدم، وابن آدم يشدخ رأسها. قيل إن إبليس قال لآدم وحواء: أيكما أكل من الشجرة فكان المسلط على صاحبه فابتدرا إلى الشجرة

---

(1) أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي: سيد التابعين وأحد فقهاء المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. كان أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته. توفي رحمه اللَّه بالمدينة سنة أربع وتسعين هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 119 ـ تذكرة الحفاظ: 541 ـ تهذيب التهذيب: 1/ 84.

(2) ذكر أبو بكر بن العربي في تفسيره: أحكام القرآن: 1: 18 قول سعيد بن المسيب ثم قال: أما القول بأن آدم أكلها سكران ففاسد نقلاً وعقلاً. أما النقل فلأن هذا لم يصح بحال، وأما العقل فلأن الأنبياء بعد النبوة معصومون عما يؤدي إلى الإخلال بالفرائض واقتحام الجرائم.

(3) صرح النسفي في تفسيره: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 1/ 42 بأن قائل ذلك هم المعتزلة.

فسبقت حواء فأكلت منها وأطعمت آدم. وقيل إن آدم قال لها: يا حواء ويحك أما تعلمين أن اللّه قد نهانا عنها؟ فقالت: أما تعلم سعة رحمة اللّه؟ فأكلت منها وأطعمته. قيل: إن إبليس لما دخل الجنة في فم الحية سأل الطاوس على الشجرة التي نهى اللّه آدم وحواء عنها فدله عليها، فغضب اللّه على الطاوس وأهبطه ببستان[1] وهو موضع بسواد العراق، وأهبط إبليس بساحل بحر «أيله» وهي مدينة إلى جنب البصرة، وأهبطت الحية بأصبهان.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، أي إلى وقت انقضاء آجالكم ومنتهى أعماركم. روى أن إبراهيم بن أدهم[2] كان يقول: أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً[3]:

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. قرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات، يعني جاءت الكلمات آدم من ربه[4]. وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ اختصار وتغليب للمذكر وإلا فهو قد تاب عليه وعلى حواء. واختلفوا في الكلمات التي تلقاها آدم[5]. وقيل نزل بها جبريل وهي: «**سبحانك لا إله إلا أنت وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين. سبحانك لا إله أنت وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، سبحانك لا إله إلا أنت وبحمدك عملت سوءاً**

---

(1) في النسخة (ف): بميسان.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم: أحد الزهاد المشهورين، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وتجول في العراق والشام والحجاز، وأخذ على كثير من علماء هذه الأقطار، وكان يعيش حياة تقشف يلبس الفرو في الشتاء من غير قميص، ويكثر الصيام، وينطق بالعربية الفصحى ولا يلحن. وكان سفيان الثوري إذا حضر إبراهيم مجلسه أوجز في كلامه مخافة أن يزل أمامه. توفي رحمه اللّه سنة إحدى وستين ومائة هجرية.
السلمي: طبقات الصوفية: 27 ـ حلية الأولياء: 7/ 367.

(3) الثعلبي: الكشف والبيان: خ، الورقة: 46.

(4) الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع: 2/ 597 ـ مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 236.

(5) ينظر هذا الاختلاف في: تفسير القرطبي: 1/ 324.

وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم». هكذا روي عن رسول الله صلى اللّه عليه وسلم. وعن ابن عباس أنها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[1]، وروي أنه قال: يا رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني؟ فقال: بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك. قال: يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي[2]. وعن رسول صلى اللّه عليه وسلم قال: «**تحاج آدم وموسى. فقال له موسى: أنت يا آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة إلى الأرض؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاك اللّه كل شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: أتلومني على أمر كان قد كتب علي أن أفعله من قبل أن أخلق. فحج آدم موسى**»[3]. وعن شهر بن حوشب قال: بلغني أن آدم لما أهبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من اللّه عز وجل[4]. وقال ابن عباس: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ولم يقرب آدم حواء مائة سنة[5]. وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي تجاوز عنه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي يقبل توبة عباده رحيم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾: آدم وحواء وإبليس والحية والطاوس. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ أي كتاب ورسول. ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ يعني القرآن ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها.

---

(1) سورة الأعراف (7)، الآية: 23.
(2) نسبه البغوي في تفسيره: معالم التنزيل: 1/ 70 إلى عبيد بن عمير.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 13/ 346، رقم: 6614، كتاب القدر.
وابن ماجه في سننه: 1/ 31، رقم: 80، باب في القدر.
(4) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 70.
(5) البغوي في المصدر السابق.

قال اللّٰه تعالى:

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ
(40) وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا
قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (42)
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (43) أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ
وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44) وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
ٱلْخَٰشِعِينَ (45) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (46)﴾.

قال أبو بكر:

قوله عز وجل: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي يا أولاد يعقوب. ومعنى إسرائيل: صفوة اللّٰه، وإيل: هو اللّٰه وقيل إسرا هو العبد وإيل هو اللّٰه ومعناه: عبد اللّٰه، وهو خطاب لليهود والنصارى. وإنما سمي يعقوب لأن يعقوب وعيص كانا توأمين فاقتتلا في بطن أمهما فأراد يعقوب أن يخرج فمنعه عيص وقال: واللّٰه لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي فأقتلها، فتأخر يعقوب وخرج عيص، وأخذ يعقوب بعقبه فخرج بعده فسمي يعقوب، فلذلك سمي عيص لما عصى فخرج قبل يعقوب. وكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فلما كبر إسحاق وعمي قال لعيص: يا بني أطعمني لحم صيد وأقرب مني حتى أدعو لك بدعاء دعا به أبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وكان عيص رجلاً أشعر، وكان يعقوب أجرد، فخرج عيص يطلب الصيد فقالت أمه ليعقوب: يا بني اذهب إلى الغنم واذبح شاة منها ثم اشوها والبس جلدها وقدمها إلى أبيك وقل أنا ابنك عيص. ففعل ذلك يعقوب. فلما جاء قال: يا أبتاه، كل. قال: من أنت؟ قال: ابنك عيص. فمسه فقال: المسّ مسّ عيص، والريح ريح يعقوب. فقالت أمه: هو ابنك عيص فادع له. قال: قدم طعامك. فقدَّمه. فأكل منه، ثم قال: ادن مني. فدعا له أن يجعل اللّٰه في ذريته الأنبياء والملوك. وذهب يعقوب فجاء عيص فقال: قد جئتك بالصيد الذي أردت. قال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب. فغضب

وقال: واللَّه لأقتلنه. فقال اسحاق: يا بني، قد بقيت لك دعوة فهلم أدعو لك بها، فدعا له أن تكون ذريته عدد التراب، وأن لا يملكهم أحد غيرهم.

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي احفظوا واشكروا. قال الحسن: ذكر النعمة شكرها. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**المتحدث بنعم اللَّه شاكرها، وتاركها كافر**»[1].

وقوله: ﴿نِعْمَتِيَ﴾ أراد نعمي لفظها واحد ومعناها جمع، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2] والعدة لا تقع على الواحد. قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي على أجدادكم وأسلافكم، وذلك أن اللَّه فلق لهم البحر وأنجاهم من فرعون، وأهلك عدوهم وأورثهم ديارهم وأموالهم، وظلل عليهم الغمام في التيه تقيهم حر الشمس، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر، وأنزل عليهم المن والسلوى وفجر لهم اثنتي عشرة عيناً، وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم. فهذه نعم من اللَّه لا تحصى.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ أي الذي عهدت إليكم في التوراة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي أدخلكم الجنة وأنجز لكم ما وعدتكم. وقرأ الزهري[3]: بالتشديد على التأكيد ـ يقال: وفى، وأوفى، ووفي بمعنى واحد[4]. قيل إن اللَّه تعالى كان قد عهد إلى بني إسرائيل في التوراة أني باعث من بني إسماعيل نبياً أمياً فاتبعوه، فمن اتبعه وصدَّق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنوبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين: أجراً باتباعه ما جاء به موسى والأنبياء من بني إسرائيل، وأجراً باتباعه ما جاء به محمد صلى اللَّه عليه وسلم. وقال قتادة: هو العهد

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 4/ 127، رقم: 3534، باب تعديد نعم اللَّه وشكرها.

(2) سورة إبراهيم (14)، الآية: 34.

(3) أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري تابعي من حفاظ الحديث والمهتمين بجمعه وتدوينه نزل الشام واستقر بها واشتغل بالقضاء، توفي سنة أربع وعشرين ومائة هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1: 108 حلية الأولياء: 3: 300.

(4) تفسير القرطبي: 1: 332.

الذي أخذه اللّٰه تعالى عليهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ فهذا قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾.

ثم قال: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الآية، فهذا قوله: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وقيل معناه: أوفوا لي بشرط العبودية، أوف بشرط الربوبية. وقال أهل الإشارة: أوفوا في دار محنتي بحفظ حرمتي أوف في دار نعمتي على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي.

قوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أي خافوا من نقض العهد.

قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي موافقاً لما معكم من التوراة والإنجيل وسائر الكتب في التوحيد والنبوة وبعض الشرائع. نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم[2] ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ أي ولا تكونوا أول من يكفر بالقرآن فتتابعكم اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وذلك أن علماء اليهود ورؤساءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامهم يأخذون منهم شيئاً معلوماً كل عام من زروعهم وضروعهم ونقودهم، فخافوا أنهم إن بينوا صفة محمد صلى اللّٰه عليه وسلم وبايعوه وآمنوا به تفوتهم تلك المآكل والرياسة، واختاروا الدنيا على الآخرة. والهاء في قوله: ﴿كَافِرٍ بِهِۦ﴾ عائدة على ما أنزل على محمد صلى اللّٰه عليه وسلم، ويجوز أن تكون عائدة إلى قوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ لأنهم كتموا نعت محمد صلى اللّٰه عليه وسلم وصفته في التوراة، فإذا كفروا بالقرآن فقد كفروا بالتوراة.

قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ أي فاخشون في أمر محمد صلى اللّٰه عليه وسلم

---

(1) سورة المائدة (5)، الآية: 12.

(2) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 72.

لا ما يفوتكم من الرياسة والمآكل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾. قال مقاتل(1): وذلك أن اليهود أقروا ببعض صفة محمد صلى اللّٰه عليه وسلم وكتموا بعضها ليصدقوا في ذلك(2)، فقال تعالى: ولا تلبسوا الحق الذي تقرون به وتثبتونه بالباطل الذي تقرون به وتبينونه، فالحق بيانه والباطل كتمانه. وقيل معناه: لا تكتموا الحق بالباطل هو إيمانهم ببعض ما جاء به النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وكفرهم ببعضه. ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ يعني نعت محمد صلى اللّٰه عليه وسلم وصفته. قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون أنه نبي مرسل. قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ يحتمل أن يكون «وتكتموا» مجزوماً على النهي، ويحتمل أن يكون منصوباً على معنى: وأن تكتموا، أي لا تجعلوه بين اللبس والكتمان، فهذا مثل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله(3)

وقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ أي لا تخلطوا. يقال: لبست عليه الأمر أي خلطته.

قوله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ أي حافظوا على الصلوات الخمس لمواقيتها بركوعها وسجودها، وأدوا زكاة أموالكم المفروضة.

قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي صلوا مع المصلين محمد وأصحابه في

---

(1) أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي: من أعلام المفسرين. روى عن مجاهد وعطاء والضحاك وغيرهم. وعنه روى خلق كثير. توفي رحمه اللّٰه بالبصرة سنة خمسين ومائة هجرية. الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 330 ـ الطبقات الكبرى: 7/ 373 ـ ميزان الاعتدال: 4/ 173.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان: خ، الورقة: 47.

(3) هذا صدر بيت عجزه: «عار عليك إذا فعلت عظيم»، وهو من الأبيات التي وردت في عدة قصائد ونسبت إلى أكثر من شاعر، فقد نسب إلى الأخطل، والطرماح، وسابق البربري، والمتوكل الليثي، ولأبي الأسود الدؤلي في قصيدة ساقها البغدادي في: خزانته في نواصب المضارع: الشاهد الحادي والسبعون بعد الستمائة، على أن تأتي منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية الواقعة بعد النهي، ومعناه: إذا أردت النصح بترك خلق مذموم فينبغي أن تكون أنت تاركاً له، وإلا لحقك من جراء ذلك عار عظيم. (خزانة الأدب: 8/ 564 ـ البغدادي، شرح أبيات المغني: 6/ 112 ـ سيبويه، الكتاب: 3/ 42 ـ الفراء، معاني القرآن: 1/ 34).

الجماعات إلى الكعبة. يخاطب اليهود فعبر بالركوع عن الصلاة إذ كان ركناً من أركانها، كما عبر عن اليد بالجسد في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[1]، وبالعنق عن النفس في قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[2]. والفائدة في تكرار ذكر الصلاة لئلا يتوهم متوهم أن الصلاة لا تجب إلا على من تجب عليه الزكاة. وقيل: إن اليهود كانوا يصلون بغير ركوع، فأمروا بالركوع في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ خطاب لعلماء اليهود كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبي صلى اللّه عليه وسلم بأن رسولاً سيظهر يدعو إلى الحق فاتبعوه وأجيبوا دعوته. فلما بعث النبي صلى اللّه عليه وسلم حسدوه وكفروا به. فأنزل اللّه هذه الآية مذكراً لهم ما كان منهم[3].

قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي تتركون أنفسكم فلا تتبعوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة وتعلمون ما فيها من وجوب اتباعه.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن ذلك حجة عليكم، وأنه نبي حق فتصدقونه وتتبعونه.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي استعينوا على ما يستقبلكم من أنواع البلايا، وقيل عن طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض وبالصلاة على تمحيص الذنوب، وقيل استعينوا بالصبر والصلاة على ما يذهب منكم من الرياسة والمآكل باتباع محمد صلى اللّه عليه وسلم. وقال مجاهد: الصبر في هذه الآية الصوم. وقيل الواو هنا بمعنى على، تقديره: استعينوا فيما ينوبكم في الصبر على الصلاة، كقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[4]. روي أن ابن عباس نعيت إليه بنت له وهو في سفر، فاسترجع ثم قال: عورة سترها

---

(1) سورة الحج (22)، الآية: 10.
(2) سورة الإسراء (17)، الآية: 13.
(3) القرطبي في تفسيره: 1/ 365.
(4) سورة طه (20)، الآية: 132.

اللَّه، ومؤنة كفاها اللَّه، وأجر ساقه اللَّه. ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: صنعنا ما أمرنا اللَّه به[1] ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأصل الصبر: هو الحبس يقال: قتل فلان صبراً إذا حبس حتى مات، وقيل: الصبر هو الصوم، ويسمى شهر رمضان شهر الصبر، وسمي الصوم صبراً لأن صاحبه يحبس نفسه عن الطعام والشراب.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ يحتمل أن الهاء كناية عن الصلاة لأنها أشرف الطاعات، ويحتمل أن تكون عن الاستعانة. ويحتمل أن يكون المراد بها الصبر والصلاة جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[2] فاكتفى بذكر أحدهما دلالة عى الآخر. ونظير القول الأول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾[3] رد الكناية إلى الفضة أهم، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾[4] رد الكناية إلى التجارة لأنها الأهم والأفضل. وقال الأخفش: رد الكناية إلى كل واحدة منهما. أراد كل خصلة منهما كبيرة[5]. كقوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾[6] يعني كل واحدة منهما. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[7] ولم يقل آيتين، أراد: جعلنا كل واحد منهما آية.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي ثقيلة شديدة إلا على الخاشعين، أي المؤمنين. وقيل: إلا على العابدين المطيعين، وقيل: الخائفين، وقيل: المتواضعين. وقال الزجاج[8]: الخاشع الذي ترى أثر الخشوع والذل

---

(1) تفسير القرطبي: 1/ 371.
(2) سورة التوبة (9)، الآية: 62.
(3) سورة التوبة (9)، الآية: 34.
(4) سورة الجمعة (62)، الآية: 11.
(5) الأخفش، معاني القرآن: 1/ 252، مع اختلاف في اللفظ.
(6) سورة الكهف (18)، الآية: 33.
(7) سورة المؤمنين (23)، الآية: 50.
(8) أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، يشتغل بخرط الزجاج، ثم مال إلى دراسة النحو فلزم المبرد، وأخذ عنه النحو، وكانت =

عليه[1]. يقال: خشع إذا رمى بصره إلى الأرض، واختشع إذا طأطأ رأسه للسجود. والخشوع والخضوع نظيران، إلا أن الخضوع يكون بالبدن والخشوع يكون بالبصر والصوت والقلب كما قال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾[2]، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾[3] ﴿أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ أي الذين يعلمون ويستيقنون لأنهم لو كانوا شاكين لكانوا كافرين، ومثله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾[5] أي أيقنت.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ فيجزيهم بأعمالهم.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي عالمي زمانكم.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ معناه: واخشوا يوماً أي عذاب يوم ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ

= له مناقشات مع ثعلب وغيره، واشتغل بالتدريس. من مؤلفاته: «معاني القرآن وإعرابه» و«الاشتقاق» و«الأمالي في الأدب واللغة». توفي رحمه اللّه في بغداد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة هجرية.
بغية الوعاة: 1/ 411 ـ ياقوت، معجم الأدباء: 1/ 130 ـ طبقات الزبيدي: 111.

(1) معاني القرآن وإعرابه: 1/ 125.
(2) سورة المعارج (70)، الآية: 44.
(3) سورة طه (20)، الآية: 108.
(4) سورة الحديد (57)، الآية: 16.
(5) سورة الحاقة (69)، الآية: 20.

عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي لا تكفي ولا تغني، وفيه إضمار وتقديره: واتقوا يوماً من الشدائد والمكاره، وقيل معناه: لا تغني نفس مؤمنة ولا كافرة عن نفس كافرة شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ لأنها كافرة. وكانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء كإبراهيم وإسحاق ويعقوب يشفعون لهم فأيئسهم اللَّه بهذه الآية. قرأ أهل مكة والبصرة «تقبل» بالتاء لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون بالياء لتقديم الفعل أو لأن تأنيثه غير حقيقي[1]، وقرأ قتادة: «لا يقبل منها شفاعة» بياء مفتوحة ونصب شفاعة أي لا يقبل اللَّه[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فداء كما كانوا يأخذون في الدنيا. وسمي الفداء عدلاً لأنه يساوي المفدى ويماثله. قال اللَّه تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾[3]. والفرق بين العَدل والعِدل أن العدل ـ بكسر العين ـ مثل الشيء من جنسه، وبفتحها بدله قد يكون من جنسه، وقد يكون من غير جنسه مثل قوله: ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي لا يمنعون من عذاب اللَّه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني نجينا أسلافكم، وإنما عدها منة عليهم لأنهم نجوا بنجاتهم. قرأ إبراهيم النخعي[4]: «نجيتكم» على التوحيد[5]. وآل فرعون: أشياعه وأتباعه وأسرته وعترته وأهل دينه. وفرعون هو الوليد بن مصعب، وكان من العماليق، جمع عملاق، وهي

---

(1) مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 238.

(2) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 48.

(3) سورة المائدة (5)، الآية: 95.

(4) أبو عمران، إبراهيم بن يزيد النخعي: من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث، فقيه العراق، كان إماماً مجتهداً. ولما بلغ الشعبي موته قال: ما ترك بعده مثله. توفي رحمه اللَّه سنة ست وتسعين هجرية.
الطبقات الكبرى: 6/ 270 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 73 ـ غاية النهاية في طبقات القراء: 1/ 29.

(5) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 48.

قبيلة: وقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي يكلفونكم ويذيقونكم أشد العذاب وأسوأه وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولاً. فصنف يبنون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال فعليه الجزية، فذلك سوء العذاب. وقيل إنهم كلفوا الأعمال القذرة. وقيل تفسيره ما بعده ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾. قرأ ابن محيصن «يذبحون» بالتخفيف، ومن قرأ بالتشديد فعلى التكثير[1]، وذلك أن فرعون رأى في منامه ناراً أقبلت من بيت المقدس فأحرقت مصر، وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فسأل الكهنة، فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يكون هلاكك على يديه. فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني آسرائيل، وترك كل أنثى ففعلوا ذلك، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل. فقال القبط لفرعون: إن الموت وقع في مشيخة بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا. فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة. فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي يتركونهن أحياء فلا يذبحونهن بل يستخدمونهن وقيل معناه: ويستحيون من الحياء الذي هو الرحم، فإن القوم كانوا ينظرون إلى فروج نساء بني إسرائيل ليعلموا هل بهن حمل أم لا؟

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ يعني في سومهم إياكم سوء العذاب محنة وفتنة عظيمة، وقيل معناه: وفي إنجائي إياكم نعمة عظيمة. والبلاء ينصرف على وجهين: النعمة والمحنة. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر اللّه موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر، فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وألقى اللّه على القبط الموت فاشتغلوا بدفنهم، وخرج

(1) تفسير القرطبي: 1/ 385.
(2) سورة الأنبياء (21)، الآية: 35.

موسى في ستمائة وعشرين ألفاً سوى الذرية، وكان موسى على ساقهم وهارون على مقدمتهم، فخرج فرعون في طلبهم، وعلى مقدمتهم هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة، ونظروا فإذا هم بفرعون وقومه، وذلك حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين، وقالوا: يا موسى كيف نصنع وما الحيلة وفرعون خلفنا والبحر أمامنا؟ ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾[1]، فأوحى اللّه إليه ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾[2] فضربه فلم يطعه، فأوحى اللّه إليه أن كنّه فضربه بعصاه وقال: انفلق أبا خالد بإذن اللّه عز وجل ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٍ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ وظهر فيه اثنا عشر طريقاً. لكل سبط طريق. وأرسل اللّه الريح والشمس على قعر البحر فصار يبساً، فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق، وعلى جانبيه الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقال كل سبط: قد قتل إخواننا، فأوحى اللّه إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ أي فلقناه وسيرنا الماء يميناً وشمالاً. قوله تعالى ﴿فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ﴾ أي من الضرر ومن آل فرعون.

قوله: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر ورآه منفرقاً قال لقومه انظروا إلى البحر انفلق لهيبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا فأقتلهم ادخلوا البحر. فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى، فجاء جبريل على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر، فلما شمت خيول فرعون ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا البحر، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول الحقوا بأصحابكم حتى إذا خرج جبريل من البحر وهم أولهم أن يخرج أمر اللّه البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم فغرقوا جميعاً وذلك بمرأى من بني إسرائيل فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ إلى مصارعهم.

---

(1) سورة الشعراء (26)، الآية: 62.
(2) سورة الشعراء (26)، الآية: 63.

قوله تعالى

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿51﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿52﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿53﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿54﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد اللّٰه موسى أن ينزل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه إني ذاهب لميقات ربي فآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون، وواعدهم أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون. فلما أتى الموعد جاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة لا تصيب شيئاً إلا حيي فلما رأى السامري جبريل على ذلك الفرس قال إن لهذا شأناً، وكان رجلاً منافقاً قد أظهر الإسلام، فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيراً من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر تعلَّة عرس. فأهلك اللّٰه قوم فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل، فلما لم يرجع موسى قال السامري لبني إسرائيل: إن الأمتعة والحلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة فادفنوها فيها حتى يرجع موسى. ففعلوا ذلك فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري وكان رجلاً صائغاً، وجعل عليها القبضة التي أخذها من حافر فرس جبريل فخرج عجلاً من ذهب فخار، فذلك قوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[1] فعبدوه. قال السدي[2]: كان يخور والسامري يقول: هذا إلهكم وإله موسى فنسيه، أي تركه

---

(1) سورة طه (20)، الآية: 88.

(2) أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي حجازي سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. روى عن ابن عباس وأنس وغيرهما. توفي رحمه اللّٰه سنة ثمان وعشرين ومائة هجرية.
الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 109 ـ شذرات الذهب: 1/ 174 ـ ابن الأثير، اللباب: 2/ 110.

ههنا وخرج يطلبه، فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامري، افتتنوا بالعجل ثمانية آلاف منهم فعبدوه من دون اللَّه[1]. وقال بعضهم معنى الآية «واذكروا إذ أخبر اللَّه موسى أن يؤتيه الألواح فيها التوراة على رأس ثلاثين يوماً من ذي القعدة، وأمره أن يصومها فصامها، فوجد من فيه خلوفاً، أي تغير رائحة فاستاك، فأمره اللَّه أن يصوم عشرة أخرى من أول ذي الحجة. قال اللَّه تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾[2]. فقال السامري في الأيام العشرة لبني إسرائيل: قد تمت الثلاثون ولم يرجع إلينا موسى، وإنكم قد استعرتم من نساء آل فرعون حليهم حين سار بكم من مصر، فلما لم تردوا حليهن لم يرد اللَّه علينا موسى، فهاتوا ما معكم من الحلي حتى نحرقه فلعل اللَّه يرد علينا موسى، فجمعوا الحلي وكان السامري صائغاً فاتخذ من ذلك عجلاً، فصار العجل جسداً له خوار فعبدوه، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿51﴾﴾. قال ابن عباس: صار عجلاً له لحم ودم وشعر. وقيل جعل فيه خروقاً فكانت الريح تقع في تلك الخروق فيسمع فيها مثل الخوار فأوهمهم أن ذلك الصوت خواره..

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي من بعد انطلاق موسى إلى الجبل وأنتم ظالمون، أي ضارون لأنفسكم بالمعصية، واضعون العبادة في غير موضعها. وفي قوله تعالى: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ خلاف بين القراء: فقرأ أبو عمرو، ويعقوب «وعدنا» بغير ألف في جميع القرآن[3]، وقرأ الباقون بالألف، وكذا في قراءة ابن مسعود. فمن قرأ بغير ألف قال: لأن اللَّه تعالى هو المنفرد بالوعد والقرآن ينطق به، كقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾[4] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾[5]. ومن قرأ بالألف فقال: قد تجيء المفاعلة من واحد كقولهم: عاقبت اللص، وعافاك اللَّه، وطارقت النعل، وسافر، ونافق. قال أهل اللغة: الوعد في الخير

---

(1) يراجع البغوي في تفسيره: 1/ 82.
(2) سورة الأعراف (7)، الآية: 142.
(3) يراجع: الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 239، والقرطبي في تفسيره: 1/ 495.
(4) سورة النور (24)، الآية: 55.
(5) سورة إبراهيم (14)، الآية: 22.

والوعيد في الشر. قال الشاعر[1]:

وإنـي إذا أوعـدتـه أو وعـدتـه ∴ لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[2]

والعجل والعجول: ولد البقرة. وإنما قرن التاريخ بالليل دون النهار لأن العرب وضعت التاريخ على سنين القمر وإنما تهل بالليل، وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء، والليل خلق قبل النهار قال اللّه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي تركناكم فلم نستأصلكم، من قوله عليه السلام: «**اعفوا اللحى**»[4]. وقيل: محونا ذنوبكم من قول العرب: عفت الرياح المنزل فعفى. قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد عبادتكم العجل.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم. واختلف العلماء في هيئة الشكر، فقال ابن عباس: هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية[5]. وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها[6]. وقال الفضيل[7]: شكر كل نعمة أن لا تعصي اللّه

---

(1) عامر بن طفيل العامري: من شعراء الحماسة في العصر الجاهلي، اشتهر بركوب الخيل، روى ديوانه أبو بكر الأنباري ونقله إلى الانجليزية المستشرق الانجليزي السر تشارلس.

(2) هذا البيت من شعر عامر بن طفيل ورد في ديوانه في قطعة تتألف من اثني عشر بيتاً بعنوان: «المرء غير مخلد».
في النسخة (ف): وعدي، وإن ـ
ديوان عامر بن طفيل: 58 ـ ابن رشيق، العمدة: 2/ 14 ـ ابن منظور: اللسان: (خبأ) ـ ابن عبد ربه، العقد الفريد: 1: 245.

(3) سورة يس (36)، الآية: 37.

(4) أخرجه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: 8/ 46، رقم: 2913، باب ما جاء في إعفاء اللحى ـ وأخرجه النسائي في سننه: 1/ 19، باب إحفاء الشارب واعفاء اللحى.

(5) يراجع الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 49.

(6) المصدر السابق بلفظه.

(7) أبو علي الفضيل بن عياض التميمي: شيخ الحرم المكي، من العباد الصلحاء. كان ثقة. أخذ عن خلق كثير، منهم الإمام الشافعي. توفي رحمه اللّه بمكة سنة سبع وثمانين ومائة هجرية. تذكرة الحفاظ: 1/ 245 ـ طبقات الصوفية: 6 ـ حلية الأولياء: 8/ 84.

بعدها[1]. قال أبو بكر الوراق[2]: حقيقة الشكر معرفة المنعم وأن لا تعرف لنفسك في النعمة حظاً بل تراها من اللّه عز وجل، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[3]، ويدل عليه قوله صلى اللّه عليه وسلم: «**قال موسى :يا رب كيف استطاع آدم أن يؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك؟ خلقته بيدك، وأسجدت له ملائكتك، وأسكنته جنتك. فأوحى اللّه إليه: إن آدم علم أن ذلك كله مني ومن عندي فذلك شكره**»[4]. وقال الجنيد[5]: حقيقة الشكر العجز عن الشكر. وقال بعضهم: الشكر ألا ترى النعمة ألبتة بل ترى المنعم. قال أبو عثمان الحيري[6]: صدق الشكر أن لا يمدح لسانك غير المنعم. وروي عن الشبلي[7] أنه قال: الشكر التواضع عند رؤية المنة. وقال: الشكر خمسة أشياء: مجانبة السيئات، والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل

---

(1) يراجع الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 50.

(2) أبو بكر محمد بن عمر الوراق البلخي: صوفي، أصله من ترمذ، وصحب محمد بن إبراهيم الزاهد. له كتب في أنواع الرياضات والأدب.
طبقات الصوفية: 221 ـ طبقات الشعراني: 1/ 106 ـ حلية الأولياء: 10/ 225 ـ صفة الصفوة: 4/ 129.

(3) سورة النحل (16)، الآية: 53.

(4) يراجع تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 50.

(5) أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي: صوفي، من العلماء بالدين مولده ونشأته ووفاته ببغداد. عد من مؤسسي التصوف. من كلامه: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به. كان مجلسه يحضره المتكلمون لمعانيه، والكتبة لألفاظه، والأدباء لفصاحته.
من مؤلفاته: «مجموعة رسائل» في علم الكلام والتصوف. توفي رحمه اللّه سنة سبع وتسعين ومائتين هجرية.
طبقات الصوفية: 155 ـ طبقات الشافعية: 2/ 28 ـ تاريخ بغداد: 7/ 241.

(6) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري. أصله من الري. صحب يحيى بن معاذ الرازي، ثم رحل إلى نيسابور فاتصل بأبي حفص وصحبه وأخذ عنه طريقته. توفي رحمه اللّه سنة ثمان وتسعين ومائتين هـ. طبقات الصوفية: 170 ـ حلية الأولياء: 10/ 244 ـ طبقات الشعراني: 2/ 101.

(7) أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي: صوفي خراساني الأصل بغدادي المولد والنشأة. صحب الجنيد ومن عاصره من رجال التصوف حتى صار أوحد عصره حالاً وعلماً، وكان فقيهاً على مذهب الإمام مالك. توفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة هجرية.
طبقات الصوفية: 337 ـ الرسالة القشيرية: 33 ـ حلية الأولياء: 10/ 366.

الطاعات، ومراقبة رب السماوات[1]. وسئل أبو الحسن علي بن عبد الرحيم:[2]: من أشكر الشاكرين؟ فقال: الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد بعد آدائه الفرائض يعد نفسه من المقصرين، والراضي من الدنيا بالقليل يعد نفسه من الراغبين، والقاطع بذكر اللَّه دهره يعد نفسه من الغافلين. فهذا أشكر الشاكرين[3].

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾. قال مجاهد والفراء: هما شيء واحد يعني التوراة، وما يفرق به بين الحق والباطل. وقد سمّى اللَّه التوراة فرقاناً في موضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾[4]. وسمى اللَّه نصرة المؤمنين يوم بدر على الكفار فرقانا كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾[5] أراد به يوم بدر، وإنما عطف الشيء على نفسه وكرره لأن العرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه، قال عنترة[6]:

حييت من طلل تقادم عهده ∴ أقوى وأقفر بعد أم الهيثم[7]

---

(1) يراجع تفسير القرطبي: 1/ 391.

(2) أبو الحسن علي بن عبد الرحيم الواسطي: من أئمة الصوفية، وممن سافر ولقي المشايخ، وروى عن الحلاج شيئاً من كلامه.
طبقات الصوفية: 310 ـ صفة الصفوة: 3/ 197 ـ وفيات الأعيان: 4/ 139.

(3) يراجع تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 50.

(4) سورة الأنبياء (21)، الآية: 48.

(5) سورة الأنفال: (8)، الآية: 41.

(6) عنترة بن شداد العبسي: من فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، يوصف بالحلم على شدة بطشه. وفي شعره عذوبة ورقة. توفي سنة اثنتين وعشرين قبل الهجرة.
بلوغ الأرب: 2/ 126 ـ الشعر والشعراء: 171 ـ البستاني، أدباء العرب: 1/ 162.

(7) هذا البيت من الكامل من معلقته التي يقول مطلعها:
هل غادر الشعراء من متردم ∴ أم هل عرفت الدار بعد توهم؟
وقد وردت في الديوان في خمسة وثمانين بيتاً، هذا البيت هو الخامس فيها.
الإقواء والإقفار: الخلاء. جمع بينهما لضرب من التأكيد وأم الهيثم: كنية حبيبته عبلة.
خاطب الشاعر الطلل وحياه لقدم معرفته بتلك البقاع التي كان يتردد عليها عندما كانت حبيبته تسكنها، فهو لا زال محافظاً على تلك التحية حتى بعد خلوها من السكان وارتحال حبيبته عنها. (يراجع: ديوان عنترة: 15، دار صادر، بيروت).

وقال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب. يريد: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ فرق بين الحلال والحرام، والكفر والإيمان، والوعد والوعيد. فزيدت الواو فيه كما تزاد في النعوت من قولهم: فلان حسن وطويل. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1]. وقال قطرب: أراد بالفرقان القرآن، وفي الآية إضمار معناه: وإذ آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان. قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي تهتدون بالكتابين، وقال بعضهم: أراد بالفرقان: انفراق البحر وهو من عظيم الآيات يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ يعني الذين عبدوا العجل: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ أي أضررتم أنفسكم: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً. قالوا: ماذا نصنع؟ وما الحيلة؟ قال: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ أي فارجعوا إلى خالقكم. وكان أبو عمرو يختلس الهمزة إلى الجزم[2] في قوله: ﴿بَارِئِكُمْ وَيَأْمُرُكُم يُشْعِرُكُمْ وَيَنصُرْكُمْ﴾ طلباً للخفة.

قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي يقتل البريء المجرم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ يعني القتل. قال ابن عباس: أبى اللَّه عز وجل أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحال الذي كرهوه وهو أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل. وقال قتادة: جعل اللَّه توبتهم القتل لأنهم ارتدوا، والكفر مبيح الدم. وقرأ قتادة: فأقيلوا أنفسكم، من الإقالة أي استقيلوا العثرة بالتوبة[3]. فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا: نصبر لأمر اللَّه تعالى. فجلسوا بالأفنية محتبين، وأرسلت القوم عليهم الخناجر، فكان الرجل يرى ابنه وأخاه وأباه وقريبه وصديقه، فلا يمكنهم إلا المضي لأمر اللَّه تعالى. وقيل لهم: من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته.

---

(1) سورة الأنعام (6)، الآية: 154.
(2) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 240 ـ تفسير القرطبي: 1/ 402.
(3) القرطبي في المصدر نفسه.

فكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر فيهم القتل دعا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وقالا: يا رب هلكت بنو إسرائيل. البقية البقية. فأمرهم اللَّه تعالى أن يرفعوا السلاح عنهم، ويكفوا عن القتل، وقد قتل منهم ألوف كثيرة، فاشتد ذلك على موسى، فأوحى اللَّه تعالى إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة؟ فكان من قُتل منهم شهيداً، ومن قَتل منهم كفر عنه ذنوبه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي ففعلتم ما أمركم به فتاب عليكم، أي تجاوز عنكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وفي بعض التفاسير أن موسى عليه السلام قال لهم بعدما رجع من الجبل، وأعطاه اللَّه التوراة: إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادتكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم، أي ليقتل الذين لم يعبدوا العجل الذين عبدوه. فقالوا: يا موسى نحن نفعل ذلك. فأخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل. فأصبحوا بأفنية البيوت كل بني أب على حدة، فأتاهم هارون والاثني عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل بالسيوف، فقال لهم هارون: هؤلاء إخوانكم قد أتوكم شاهرين السيوف، فاتقوا اللَّه واصبروا. فلعن اللَّه رجلاً حل حبوته أو قام من مجلسه، أو مد طرفه إليهم، أو اتقاهم بيده أو رجله. فقالوا: آمين. فجعلوا يقتلونهم إلى المساء، وقام موسى يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدم[1]. فنزلت التوبة[2]، وقيل له: ارفع السيف فإني قد قبلت توبتهم جميعاً من قتل منهم ومن لم يقتل، وجعل ذلك القتل لهم شهادة، وغفرت لمن بقي منهم. فكان القتلى سبعين ألفاً، والقاتلون اثني عشر ألفاً. وكان السبب في امتحانهم بذلك أنه كان فيهم من عرف بطلان عبادة العجل، إلا أنهم لم ينهوا الآخرين لخشية وقوع القتل فيما بينهم، فابتلاهم اللَّه بما تركوا النهي عن المنكر لأجله.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ

---

(1) في النسخة (ف): الدماء.
(2) في النسخة (ف): التوراة.

تَنظُرُونَ ﴿55﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿56﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ
وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿57﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ
سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿58﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿59﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وذلك أن اللَّه عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً من خيارهم، وقال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم. ففعلوا ذلك. فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه. فلما بلغوا هنالك[1]، أمرهم موسى بالمكث في أسفل الجبل، وصعد هو الجبل، فقالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام اللَّه. فوقع على الجبل غمام أبيض فغشاه كله. وكان موسى عليه السلام إذ كان يناجي ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه الحجاب. ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام، وخروا سجداً، وسمعوه وهو يكلم موسى بأمره ونهيه، فأسمعهم اللَّه تعالى: إني أنا اللَّه لا إله إلا أنا أخرجتكم من مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري. فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم، قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي لن نصدق حتى نرى اللَّه عياناً وعلانية. فأخذتهم الصاعقة، نزلت نار من السماء فأحرقتهم جميعاً. وقيل سمعوا صوتاً فماتوا. يقال صعق فلان أي هلك. قرأ عمر وعثمان وعلي: الصعقة بغير ألف[2]. وقرأ ابن عباس: جهرة بفتح الهاء، وهما لغتان[3]. فلبثوا موتى يوماً وليلة.

---

(1) في النسخة (س): ذلك
(2) يراجع القرطبي في تفسيره: 1/ 404.
(3) القرطبي في المصدر السابق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿56﴾﴾ وذلك أنهم لما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾. فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم اللَّه عز وجل جميعاً رجلاً بعد رجل، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون. فإن قيل: كيف يقبل اللَّه التوبة بعد الموت؟ قيل: البعث في دار الدنيا كالانتباه من النوم، لأن اللَّه ردهم إلى التكليف في الدنيا، وأحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم.

قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ أي في التيه يقيكم حر الشمس، وذلك أنهم كانوا في التيه ولم يكن لهم كن[1] يسترهم، فشكوا ذلك إلى موسى، فأنزل اللَّه عليهم غماماً أبيض، أي سحاباً رقيقاً يشبه غمام المطر لكن أرق وألطف منه فأظلهم، وكان يدلي لهم بالليل عمود من السماء من نور فيسير معهم بالليل حيث ساروا مكان القمر، فقالوا: هذا الظل قد حصل، فأين الطعام؟ فأنزل اللَّه عليهم المن. قال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد[2]. وقال الضحاك: هو الترنجبين[3]. وقال وهب[4]: هو الخبز الرقاق. وقال السدي: عسل كان يقع على الأشجار بالليل. وكان ينزل عليهم هذا المن كل ليلة يقع على أشجار مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع كل ليلة، فإذا أخذ أكثر من ذلك دوّد وفسد، ويوم الجمعة يأخذ صاعين لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت. وقيل: هو شيء حلو كان يسقط على الشجر كالشهد

---

(1) القرطبي في تفسيره: 1/ 404.

(2) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 41.

(3) الترنجبين ـ بتشديد الراء وتسكين النون.
وفي النسخة (س): الطرنجبين ـ بالطاء ـ وهو: طل يقع من السماء نديّ يشبه العسل جامد متحبب.

(4) أبو عبد اللَّه وهب بن منبه الصنعاني. ولد بمدينة ذفار، وكان من كبار التابعين. أدرك جماعة من الصحابة كعبد اللَّه بن عمر وأنس. وأخذ عن ابن عباس وغيره. توفي رحمه اللَّه في صنعاء سنة أربع عشرة ومائة هجرية.
طبقات ابن سعد: 5/ 543 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 100.

المعجون بالسمن، وكان يأخذ كل واحد منهم كل غداء صاعاً يكفيه يومه وليلته فإذا أخذ أكثر من ذلك فسد عليه. فقالوا: يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته، فادع لنا ربك يطعمنا لحماً. فدعاه: فأنزل اللّه عليهم السلوى، وهو طائر يشبه السماني. كذا قال ابن عباس وأكثر المفسرين بعث اللّه سحابة أمطرت السماني في عرض ميل وقدر طول الرمح في السماء بعضه على بعض[1] وقال المؤرج[2] السلوى: هو العسل بلغة كنانة، فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوماً وليلة، ويوم الجمعة يأخذ ما يكفيه يومين[3]. قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد، فادخروا لغد فقطع اللّه ذلك عنهم ودوّد وفسد ما ادخروا. قال صلى اللّه عليه وسلم: **«لولا بنو إسرائيل لم يخنز[4] اللحم ولم يخبث الطعام. ولولا حواء لم تخن[5] أنثى زوجها»[6].**

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي ما ضرونا بالمعصية ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي يضرون باستجابتهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل

---

(1) يراجع الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 51.

(2) أبو فيد المؤرج بن عمرو السدوسي: أحد علماء اللغة والتفسير كان من أصحاب الخليل بن أحمد، قال أول ما تعلمت القياس في حلقة أبي يزيد الأنصاري بالبصرة. من مؤلفاته: «معاني القرآن» و«غريب القرآن». توفي رحمه اللّه سنة خمس وتسعين ومائة هـ. طبقات المفسرين: 2/ 240 ـ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ص. 98 ـ تاريخ بغداد: 13/ 258.

(3) القرطبي في تفسيره: 1/ 407.

(4) يخنز ـ بفتح أوله وسكون الخاء ـ: ينتن. والخنز: التغير والنتن. أصله: أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ادخاره فعوقبوا بذلك.

(5) فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس، ثم زينته لآدم عليه السلام، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عليه السلام عد ذلك خيانة. وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: فتح الباري: 7/ 5 رقم: 3330، كتاب أحاديث الأنبياء ـ وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة بشرح النووي: 10/ 59، كتاب الوصية بالنساء.

عليهم بلا كلفة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى: وهذا كله في التيه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي قلنا لبني إسرائيل بعد انقضاء التيه على لسان يوشع بعد موت موسى وهارون: ادخلوا مدينة أريحاء بقرب بيت المقدس وهي قرية الجبارين، وكان فيها قوم من بقية قوم عاد يقال لهم العمالقة. وقال الضحاك: هذه القرية هي الرملة، والأردن، وفلسطين. وقال مجاهد: بيت المقدس. وقال مقاتل: إيليا[1].

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ أي واسعاً بلا حساب.

قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ يعني بابا من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب، وقيل باب مسجد بيت المقدس، ﴿سُجَّدًا﴾ أي ركعاً منحنين متواضعين. ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ أي قولوا مسألتنا حطة. قال ابن عباس: أمروا بالاستغفار. وقيل: أمروا أن يقولوا لا إله إلا اللّٰه. وقيل: قولوا إنما قيل لنا حق. وقال قتادة: احطط عنا خطايانا. وعن ابن عباس أيضاً أنه قال: معناه وقولوا لا إله إلا اللّٰه لأنها تحط الذنوب. وما كان يحط الذنوب يصح أن يترجم عنه بحطة، وذلك أنهم كانوا قد أذنبوا بإبائهم دخول أريحاء فلما فصلوا من التيه أحب اللّٰه أن يستنقذهم من الخطيئة. وحطة رفع على الحكاية في قول[2] أبي عبيدة. وقال الزجاج: تقديره مسألتنا حطة[3]. ومن قرأ حطة ـ بالنصب ـ فمعناه: أحطط عنا ذنوبنا حطة.

قوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ قرأ أهل المدينة بياء مضمومة، وأهل الشام بتاء مضمومة، والباقون بنون مفتوحة[4]. ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إحساناً وثواباً.

---

(1) يراجع هذا الخلاف في تعيين المراد بالقرية في: تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 51 ـ تفسير القرطبي: 1/ 409.

(2) يراجع: مجاز القرآن لأبي عبيدة: 1/ 44.

(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 139، أي على إضمار مبتدأ.

(4) وقد رجح القرطبي في تفسيره: 1/ 414 القراءة بالنون لأن قبلها: (وإذ قلنا ادخلوا) فجرى (نغفر) على الإخبار عن اللّٰه تعالى ووجه من قرأ بالتاء: أنه أنث لتأنيث لفظ الخطاب، =

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ أي خالفوا فقالوا: إطة سمقايا: أي حنطة حمراء بلغتهم، قالوا هذا القول استهزاء وتبديلاً مكان القول الذي أمروا به أن يقولوا: حطة ـ وقال الحسن: أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة، وأمروا أن يدخلوا الباب ركعاً فدخلوا زحفاً على أستاهم، وقيل منحرفين[1]. قال مجاهد: طؤطىء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوا ولم يركعوا ودخلوا زحفاً[2]. وانتصب «قولاً» على المصدر، أي قالوا قولا غير الذي قيل لهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ أي عذاباً من السماء. أنزل اللَّه عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً فجأة، وقيل نزلت بهم نار فأحرقتهم بتبديلهم ما أمروا به.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ أي يعصون ويخالفون أمر اللَّه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿60﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿61﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ أي سأل لهم السقي، وذلك أنهم

= ووجه القراءة بالياء: أنه ذكر لما حال بين المؤنث وبين فعله، وحسن الياء والتاء وإن كان قبله إخبار عن اللَّه تعالى لأنه قد علم أن ذنوب الخاطئين لا يغفرها إلا اللَّه تعالى، فاستغني عن النون، ورد الفعل إلى الخطايا المغفورة.

(1) الطبري في تفسيره: 2/ 114.

(2) الطبري في المصدر السابق.

عطشوا في التيه فقالوا: يا موسى من أين لنا الشراب؟ وكان قولهم له حال نزولهم في الأرض القفر بعد غرق فرعون، فاستسقى لهم موسى، فأوحى اللّه إليه أن اضرب بعصاك الحجر، وكانت عصاه من أس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى، ولها شعبتان يتقدان في الظلمة نوراً، وكان آدم حملها معه من الجنة إلى الأرض فتوارثها الأنبياء صاغراً عن كابر، حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى. وأما الحجر الذي أمر موسى بضربه فقد اختلف فيه المفسرون. قال وهب بن منبه: كان موسى يضرب لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فيتفجر عيوناً لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً، ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، ثم إنهم كانوا قالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً، فأوحى اللّه إلى موسى: لا تقرعن الحجارة ولكن كلمها تعطك لعلهم يعتبرون. فقالوا: كيف بنا إذا أفضينا إلى الرحل وإلى الأرض التي ليست فيها حجارة، فحمل موسى معه حجراً فحيث ما نزلوا ألقاه[1]. وقال آخرون: كان حجراً مخصوصاً بعينه، والدليل على ذلك إدخال الألف واللام عليه وذلك للتعريف، ثم اختلفوا فيه ما هو؟ فقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مثل رأس الرجل يحمله معه، فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه. وروي أنه كان رخاماً، وقيل كان حجراً فيه اثنتي عشرة حفرة، تنبع من كل حفرة عين ماء عذب فرات، فإذا أخذوا حاجتهم من الماء وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فغار الماء وانقطع، وكان يسقي كل يوم ستمائة ألف. وقال سعيد بن جبير[2]: هو الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل حين رموه بالأدرة[3] ففر الحجر بثوبه ومر به على ملإ من بني إسرائيل حتى علموا أنه ليس

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 52.

(2) أبو عبد اللّه سعيد بن جبير الأسدي: تابعي، من العلماء المشهورين أخذ عن ابن عباس وابن عمر، وكان ابن عباس يقول لأهل الكوفة: أتسألوني وفيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيداً. توفي رحمه اللّه سنة أربع وتسعين هجرية.
الطبقات الكبرى: 6/ 256 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 76 ـ تهذيب التهذيب: 4/ 11.

(3) الأدرة ـ بالضم ـ: نفخة في الخصية. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، باب (أدر).

بآدر[1]. فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام، فقال :يا موسى إن اللّه عز وجل يقول لك: ارفع هذا الحجر فلي فيه مقدرة ولك فيه معجزة، وقد ذكر اللّه تعالى في قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾[2]، فحمله موسى ووضعه في مخلاته، وكان إذا احتاج إلى الماء ضربه بعصاه. وقصة ذلك الحجر ما روي عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «**كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: واللّه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فجمع موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر ثوبي، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: واللّه ما بموسى من بأس فقام الحجر بعدما نظر بنو إسرائيل إليه، فأخذ موسى ثوبه فطفق بالحجر ضرباً**». قيل ضربه موسى اثنتي عشرة ضربة، وكان يظهر على كل ضربة مثل ثدي المرأة، ثم تنفجر بالأنهار المطردة[3]. فذلك قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، وفي الآية إضمار واختصار تقديره: فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجرت، أي سالت. وأصل الانفجار: الانشقاق والانتشار، ومنه فجر النهار لأنه ينشق من الظلام، وأما قوله في موضع آخر: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾[4]. الانبجاس: أول ما يتقاطر من الماء وينشق. والانفجار حين السيلان. فكان الانبجاس أول القصة والانفجار في آخرها، والانبجاس أقل من الانفجار. وقال بعضهم: هو حجر أمر اللّه موسى أن يأخذه من أسفل البحر حين مر فيه مع قومه. وقيل إنه من الجنة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي موضع شربهم. ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل والمخرج والمطلع. وكان كل سبط يشربون من عين لا يخالطهم فيها غيرهم للعصبية التي كانت بينهم.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ أي قالوا لهم: كلوا من المن

(1) القرطبي في تفسيره: 1/ 420.
(2) سورة الأحزاب (33)، الآية: 69.
(3) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 52.
(4) سورة الأعراف (7)، الآية: 160.

والسلوى واشربوا من الماء. فهذا كله من رزق اللّه الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤونة ولا تبعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. العيث والعثو أشد الفساد. وإنما جمع بين العيث والفساد وإن كان معناهما واحد كما يقال: كذب وزور، وظلم وجور، أي قيل لهم: كلوا واشربوا ولا تسرعوا إلى الفساد في الأرض عاصين. فالدليل على أن العيث هو الفساد قول الشاعر[1]:

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا[2] ∴ فيه المشيب لزرت أم القاسم[3]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وذلك أنهم وخموا المن والسلوى وملوهما. قال الحسن: كانوا أناس أهل كراث وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم عكر سوء[4]، واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم، فقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يعنون المن والسلوى[5]. وإنما قال: طعام واحد وهما اثنان، لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد، وعن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿22﴾﴾[6] وإنما يخرج من الملح دون العذب. وقال عبد الرحمن بن زيد[7]: كانوا يعجنون المن والسلوى،

---

(1) هو ابن الرقاع العاملي ـ بكسر الراء وتخفيف القاف ـ: عدي بن زيد بن مالك: شاعر مقدم عند بني أمية مدّاحٌ لهم. لقب بشاعر الشام. له ديوان. توفي سنة خمس وتسعين هجرية.

(2) عثا ـ بالمثلثة ـ: أفسد، وفي رواية: عسا ـ بالسين ـ فيه المشيب: اشتد بياضه.

(3) هذا الشعر من البحر الكامل، من قصيدة مدح بها الشاعر الوليد بن عبد الملك بن مروان، يقول في مطلعها:

ألمم على طلل عفا متقادم ∴ بين الذؤيب وبين غيب الناعم

يراجع: المبرد، الكامل: 1/ 148 ـ المرصفي، رغبة الآمل من كتاب الكامل: 2/ 138 ـ البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: 1/ 521.

(4) العكر ـ بكسر أوله وسكون ثانيه ـ: الأصل، وقيل العادة والديدن.

(5) القرطبي في تفسيره: 1/ 422.

(6) سورة الرحمن (55)، الآية: 22.

(7) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي. روى عن أبيه وابن المنكدر وروى عنه: قتيبة وغيره. أخرج له الترمذي وابن ماجه. من مؤلفاته: «التفسير» و«الناسخ والمنسوخ». توفي رحمه اللّه سنة اثنتين وثمانين ومائة هجرية.

الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 265 ـ تهذيب التهذيب: 6/ 177.

فيصير طعاماً واحداً فيأكلونه[1].

قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾. قرأ يحيى بن وثاب[2] وطلحة بن مصرف[3]: وقثائها بضم القاف وهي لغة تميم[4].

قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا﴾ قال ابن عباس: الفوم: الخبز. تقول العرب: فوموا لنا أي اختبزوا لنا. ويقال لسائر الحبوب التي تختبز: الفوم. يقول الرجل لجاريته: فومي لنا، أي اختبزي لنا. وقال عطاء[5]: هو الحنطة، وهي لغة قديمة[6]. وقال الكلبي: هو الثوم. قال حسان[7]:

وأنتم أناس لئام الأصول ∴ طعامكم الفوم والحوقل

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 52.

(2) يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي: تابعي ثقة، من أكابر القراء. روى عن ابن عمر وابن عباس. أخذ القراءة عن علقمة والأسود وغيرهما وأخذ عنه الأعمش وطلحة بن مصرف. توفي رحمه الله سنة ثلاث ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 380 ـ معرفة القراء: 1/ 51 ـ الطبقات الكبرى: 6/ 299.

(3) أبو محمد طلحة بن مصرف الكوفي: تابعي، كبير، ثقة،من رجال الحديث الثقات، ومن أقرأ أهل الكوفة في عصره. أخذ القراءة عن الأعمش ويحيى بن وثاب. وعنه أخذ عيسى الهمذاني وغيره. توفي رحمه الله سنة اثنتي عشرة ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 343 ـ تهذيب التهذيب: 5/ 25 ـ حلية الأولياء: 5/ 14.

(4) القرطبي في تفسيره: 1/ 424.

(5) أبو محمد عطاء بن أبي رباح الفهري: تابعي، من أجل الفقهاء، ولد باليمن ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم. حدث عن كثير من الصحابة منهم: أبو هريرة وابن عمر وغيرهما. توفي رحمه الله بمكة سنة أربع عشرة ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 467 ـ الشيرازي، طبقات الفقهاء: 69 تذكرة الحفاظ: 1/ 98.

(6) القرطبي في تفسيره: 1/ 426.

(7) أبو الوليد، حسان بن ثابت الخزرجي الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. قال الشعر في أكثر أغراضه، وأجاد في المديح والهجاء. له ديوان مطبوع. توفي رحمه الله سنة أربع وخمسين هجرية.
الإصابة: 1/ 336 ـ الاستيعاب: 1/ 341 ـ خزانة الأدب: 1/ 111 ـ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 141.

يريد الثوم والبصل. والعرب تعاقب بين الفاء والثاء، فتقول للقبر جدف جدث، ودليل هذا التأويل أنها في مصحف عبد اللَّه: «وثومها» بالثاء. قوله تعالى: ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وإنه يرق القلب ويكثر الدمعة وإنه بارك فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى عليه السلام**»[(1)]. فقال لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾. وفي مصحف أبي: أتبدلون الذي هو أدنى، أي أخس وأردى بالذي هو خير، يعني المن والسلوى.

قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ معناه: إن أبيتم إلا ذلك فاهبطوا مصراً من الأمصار. ولو أراد مصراً بعينها لم يصرفه كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[(2)]. وقال الضحاك: هي مصر موسى وفرعون. ودليل هذا القول قراءة الحسن وطلحة بغير تنوين[(3)]، جعلاها معرفة فاجتمع فيها التعريف والتأنيث من حيث أراد البقعة فلم ينصرف.

قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ أي الذل والهوان بالجزية.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي زي الفقر، فتراهم كأنهم فقراء وإن كانوا مياسير. وقيل فقراء القلب فلا ترى في أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي رجعوا، وقيل: استحقوا والباء صلة. وقيل: احتملوا وأقروا به. ومنه الدعاء المأثور: «**أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي**». ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ذمه إياهم وتوعده لهم في الدنيا وإنزال العقوبة بهم في العقبى.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي ذلك الغضب لأنهم كانوا يكفرون بآيات اللَّه،

---

(1) قال القرطبي في تفسيره: 1/427: ذكره الثعلبي وغيره.
يراجع الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 53.

(2) سورة يوسف (12)، الآية: 99.

(3) يراجع الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 53.

أي بصفة محمد. وآية الرجم في التوراة والإنجيل والفرقان.

قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ السلمي[1]: ويقتلون بالتشديد. والنبيّين في جميع القرآن[2] بالتشديد من غير همز، وتفرد نافع بهمز النبيئين[3]. فمن همز فمعناه: المخبر، من قول العرب: أنبأ ينبىء إنباء. ومن حذف الهمز فإنه أراده، لكن حذفه طلباً للخفة لكثرة استعمالها، وقيل لأنه بمعنى: الرفيع، مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع. يقال نبا الشيء بغير همز أي ارتفع.

قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي بلا جرم مثل: زكرياء ويحيى وسائر من قتل اليهود من الأنبياء. وفي الخبر أن اليهود قتلوا سبعين نبياً في أول النهار وقامت سوق بقتلهم في آخر النهار. وقيل: قتلوا في يوم واحد ثلاثمائة نبي.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ أي يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿62﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
﴿63﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿64﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿65﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا
نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿66﴾﴾.

---

(1) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي المقرىء: من كبار التابعين، ثقة. قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود، وتصدر للإقراء في خلافة عثمان. توفي رحمه الله سنة ثلاث وسبعين هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 58 ـ معرفة القراء: 1/ 45 ـ تهذيب التهذيب: 1/ 408.

(2) في النسخة (س): القراءات.

(3) يراجع الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 53.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي إن الذين آمنوا بموسى والتوراة ثم لم يتهودوا والذين آمنوا بعيسى ولم يتسموا بالنصرانية، والذين تهودوا وتنصروا وتصابأوا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. اختلف العلماء في تسمية الذين هادوا بهذا الاسم، فقال بعضهم: سموا بذلك لأنهم هادوا، أي تابوا من عبادة العجل. كقوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[1] أي تبنا، وقال بعضهم: لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى عليه السلام. يقال: هاد يهود هوداً إذا مال. واختلفوا أيضاً في تسمية النصارى بذلك فقال مقاتل: لأن أصلهم من قرية يقال لها «ناصرة» كان نزلها عيسى وأمه فنسبوا إليها. وقال الزهري: تسموا بذلك لأن الحواريين قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾. والصابئين: قرأ أهل المدينة بترك الهمزة، وقرأ الباقون بالهمز[2]، وهو الأصل. يقال: صبا يصبو صبواً: إذا مال وخرج من دين إلى دين. واختلفوا في الصابئين من هم[3]؟ فقال عمر: هم طائفة من أهل الكتاب ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب. وبه قال السدي. وقال ابن عباس: لا دين لهم، ولا تحل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم. وقال مجاهد: هم قبيلة نحو السواد[4] بين اليهود والمجوس لا دين لهم. وكان لا يراهم من أهل الكتاب. وقال مقاتل وقتادة: هم يقرون بالله، ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور، ويصلون إلى الكعبة، أخذوا من كل دين شيئاً. وقال الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى. يحلقون أواسط رؤوسهم، ويجبُّون مذاكيرهم. وقال عبد العزيز بن يحيى[5]. قد انقرضوا فلا عين ولا أثر[6].

---

(1) سورة الأعراف (7)، الآية: 156.
(2) مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 245.
(3) يراجع هذا الاختلاف في: تفسير القرطبي: 2/ 146.
(4) يعني سواد العراق. وفي نسخة (س): نحو الشام.
(5) أبو الأصبع عبد العزيز بن يحيى الحراني. روى عن محمد بن مسلمة، وروى عنه أبو داود وأبو حاتم. توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين هجرية.
تهذيب التهذيب: 6/ 362.
(6) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 94.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي بالتحقيق وعقد التصديق، وهم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا، وانتظروا خروج محمد صلى اللَّه عليه وسلم قبل مبعثه. وقيل هم طلاب الدين، منهم: حبيب النجار، وقس بن ساعدة[1]، وورقة بن نوفل[2] وزيد بن عمرو بن نفيل[3]، وأبو ذر الغفاري[4]، وسلمان الفارسي، وبحيراء الراهب: آمنوا بالنبي صلى اللَّه عليه وسلم قبل مبعثه، فمنهم من أدركه وتابعه، ومنهم من لم يدركه. وقيل هم مؤمنو الأمم الماضية، وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا ولم يغيروا. والنصارى: الذين كانوا على دين عيسى ولم يبدلوا وماتوا على ذلك. والصابئين: من آمن منهم باللَّه أي من مات منهم وهو مؤمن.

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ إنما ذكره بلفظ الجمع لأن لفظة «من» تصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. قال اللَّه

---

(1) قس بن ساعدة الإيادي: أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يقال: أول عربي خطب وهو متكىء على سيف، وأول من قال: أما بعد. أدرك النبي صلى اللَّه عليه وسلم ورآه في سوق عكاظ. توفي سنة ثلاث وعشرين قبل الهجرة.
الزركلي، الأعلام: 5/ 196 ـ بلوغ الأرب: 2/ 244 ـ خزانة الأدب: 2/ 89.

(2) ورقة بن نوفل بن عبد العزى القرشي: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وتنصر وقرأ كتب الأديان. توفي سنة اثنتي عشرة ق.هـ، الأعلام. 8/ 114 ـ سيرة ابن هشام: 1/ 222، بلوغ الأرب: 2/ 269.

(3) زيد بن عمرو بن نفيل: حكيم وشاعر جاهلي. ترك عبادة الأوثان والعادات القبيحة عند قومه، ثم خرج إلى الشام يبحث عن الدين الصحيح ويسأل الرهبان والأحبار، فأخبر بظهور النبي صلى اللَّه عليه وسلم في مكة فرجع إليه، إلا أنه قتل في الطريق حين توسط بلاد لخم.
سيرة ابن هشام: 1/ 222.

(4) أبو ذر، جندب بن جنادة الغفاري: صحابي جليل من السابقين في الإسلام وله مواقف مشهودة تدل على صدقه وقوة إيمانه وتمسكه بتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي. توفي رحمه اللَّه في الربذة سنة اثنتين وثلاثين هجرية.
الإصابة: 4/ 60 ـ الاستيعاب: 4/ 1652 ـ الطبقات الكبرى: 4/ 219 ـ حلية الأولياء: 1/ 156.

تـعـالـى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[1] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[2] ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾[3]. قال الفرزدق[4] في التثنية:

تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونني ∴ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان[5]

فإن قيل: ما معنى إعطاء أجرة المؤمن وهو عامل لنفسه؟ قيل: لما حمل على نفسه المشقة، وحرمها شهواتها فأجره في الآخرة عوض عما فاته من اللذات في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما تعاطوا من الإجرام. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم في الإسلام. وقيل: لا خوف عليهم في الكبائر فإني أغفرها. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على الصغائر فإني أكفرها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي وإذ أخذنا ميثاقكم يا معشر اليهود ورفعنا فوقكم الطور وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم، وقالوا ليس من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن. وقال الحذاق من العلماء: لا يجوز أن يكون في القرآن لغة غير لغة العرب، لأن اللّه تعالى قال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[6] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾[7]، وإنما هذا وأشباهه وفاق وقع بين اللغتين، وقد وجدنا الطور في كلام العرب. قال جرير[8]:

---

(1) سورة الأنعام (6)، الآية: 25.
(2) سورة يونس (10)، الآية: 42.
(3) سورة الأحزاب (33)، الآية: 31.
(4) أبو فراس همام بن غالب الفرزدق: شاعر عظيم الأثر في اللغة والشعر. قال الشعر في أكثر أغراضه، وأجاد في الهجاء والمدح. له ديوان مطبوع. توفي في بادية البصرة سنة عشر ومائة هـ. ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 47 ـ وفيات الأعيان: 6/ 86 ـ بطرس البستاني، أدباء العرب: 1: 287.
(5) هذا البيت من البحر الطويل، من قصيدة الفرزدق الجيدة التي قالها حين نزل به ذئب فأضافه. (ديوان الفرزدق: 2/ 329، دار صادر، 1966 ـ خزانة الأدب: 7/ 578 ـ أمالي ابن الشجري: 2/ 311).
(6) سورة الزمر (39)، الآية: 28.
(7) سورة الشعراء (26)، الآية: 195.
(8) أبو حرزة جرير بن عطية الخطفي. عاش عمره يناضل شعراء زمانه ويساجلهم. وله =

فإن تر سلمى الجن يستأنسوا بها ∴ وإن ير سلمى صاحب الطور ينزل[1]

والمأخوذ عليهم ميثاقان: الأول حين أخرجهم من صلب آدم كالذر، والثاني: الذي أخذ عليهم في التوراة وسائر الكتب. والمراد في هذه الآية الثاني، وذلك أن اللَّه تعالى أنزل التوراة فأمر موسى قومه بالعمل بأحكامها، فأبوا أن يقبلوا ويعملوا بها للآصار والأثقال التي كانت فيها، وكانت شريعة ثقيلة فأمر اللَّه جبريل فقطع جبلاً على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل. وعن ابن عباس: أمر اللَّه جبلاً من جبال فلسطين فانقطع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة، وقال عطاء: رفع اللَّه فوق رؤوسهم الطور، وبعث ناراً من قبل وجوههم، وآتاهم البحر الملح من خلفهم، وقيل لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ أي اقبلوا ما أتيناكم بجد ومواظبة في طاعة اللَّه، وفيه إضمار، أي وقلنا لهم خذوا.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ أي احفظوه واعملوا بما فيه، وقيل معناه: واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب. وفي حرف أبي بكر: وادَّكِروا ـ بدال مشددة وكسر الكاف ـ. وفي حرف عبد اللَّه: وتذكروا ما فيه، ومعناهما: اتعظوا به.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلا رضختكم بهذا

= مع الفرزدق مواقف مشهورة. قال الشعر في معظم أغراضه، وأجاد في الهجاء والمدح. له ديوان مطبوع. توفي سنة إحدى عشرة ومائة هجرية.
الأعلام: 2/ 119 ـ الشعر والشعراء: 179 ـ وفيات الأعيان: 1/ 321 ـ شذرات الذهب: 1/ 140.

(1) هذا البيت من قصيدة هجا بها جرير عياش بن الزبرقان، وردت في ديوانه بعنوان: «ضغا القرد لما مسه الجهد» وهي من أربعة وعشرين بيتاً هذا هو ثانيها، يقول في مطلعها:
أمن عهد ذي عهد تفيض مدامعي ∴ كأن قذى العينين من حب فلفل
وفي الديوان: راهب الطور. (ديوانه: 367، دار صادر، 1964).

الجبل، وأغرقتكم في البحر، وأحرقتكم بهذه النار. فلما رأوا أن لا مهرب لهم منه قبلوا ذلك، وسجدوا خوفاً، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم في السجود مخافة أن يقع عليهم، فصارت سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم. فلما رأوا الجبل قالوا: يا موسى سمعنا وأطعنا، ولولا الجبل ما أطعنا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي أعرضتم وعصيتم من بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتأخير العذاب عنكم ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي لصرتم من المغبونين في العقوبة، وذهاب الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ وذلك أنهم كانوا في زمن داود بأرض يقال لها «أيلة» على ساحل البحر بين المدينة والشام وكانت مسكن بني إسرائيل، وكان قد حرم عليهم صيد السمك يوم السبت، وكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لأمنها في ذلك اليوم، فإذا مضى يوم السبت تفرقن ولم يخرجن ولزمن لجة البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾[1] فعمد رجال فحفروا حفرة عشية الجمعة حيث يدخل السمك، وساقوا إليه الماء من البحر، فأقبل الموج بالحيتان فحبسوا السمك فيها يوم السبت فأخذوا منها ليلة الأحد ويوم الأحد، وقالوا نحن لا نصطاد يوم السبت. وكان في القرية نحو من سبعين ألفاً، فصنف منهم أمسك عن الاصطياد ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف منهم انتهكوا الحرمة. فكان الذين نهوا اثني عشر ألفاً. فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قال الناهون: واللّه لا نساكنكم في قرية واحدة. فقسموا القرية بجدار، ولعنهم داود عليه السلام، وغضب اللّه عليهم لإصرارهم على المعصية. فخرج الناهون ذات يوم من بابهم، والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد، فلما أبطأوا

---

(1) سورة الأعراف (7)، الآية: 163.

تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسيخ فوق ثلاثة أيام، ولم يتوالدوا، فذلك قوله تعالى ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ أي صاغرين مطرودين بلغة كنانة. قاله مجاهد وقتادة والربيع[1]: وقال أبو روق[2]: يعني خرساً لا يتكلمون، دليله قوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[3]، وقيل: مبعدون من كل خير. وروي عن ابن مسعود أنهم لم يلدوا بعدما مسخوا قال: وكذلك الممسوخ لا يكون له نسل. وقيل إنهم كانوا رجالاً ونساء فمسخهم اللّه الذكر ذكراً والأنثى أنثى، وكانوا يتعاوون، وكانت تسيل دموعهم ولم يأكلوا ولم يشربوا ثم أهلكهم اللّه، فجاءت ريح فهبت بهم، وألقتهم في الماء. وما مسخ اللّه أمة إلا أهلكها.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا﴾ أي جعلنا القردة، وقيل المسخة، وقيل العقوبة، وقيل القرية. قوله تعالى: ﴿نَكَٰلًا﴾ أي عقوبة وعبرة وفضيحة ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي عقوبة لما مضى من ذنوبهم قبل نهيهم عن الصيد، وما خلفها من العصيان بأخذ الحيتان بعد النهي، وقيل لما بين يديها من عقوبة الآخرة وما خلفها من الفضيحة في دنياهم فيذكرونها إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي عظة وعبرة للمؤمنين من أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم الذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش فلا يفعلون مثل فعلهم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿67﴾ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا

---

(1) الربيع بن أنس البكري: تابعي من أهل البصرة، لقي ابن عمر وأنس بن مالك. توفي رحمه اللّه سنة ست وأربعين ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 7/ 369 ـ تهذيب التهذيب: 3/ 238 ـ البغوي، معالم التنزيل: 1/ 97.

(2) أبو روق عطية بن الحارث الهراني. روى عن أنس وعكرمة والشعبي والضحاك، وعنه ابناه: يحيى وعمارة، والثوري وغيرهم. له تفسير ذكره صاحب الطبقات الكبرى.
طبقات ابن سعد: 6/ 369 ـ تهذيب التهذيب: 7/ 224.

(3) سورة المؤمنون (23)، الآية: 108.

بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ
ٱلنَّٰظِرِينَ (69) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا
شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ (71)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ ولو كانت متقدمة في التلاوة لأن قتل النفس كان قبل ذبح البقرة. والقصة في ما روي أن بني إسرائيل قيل لهم في التوراة أيما قتيل وجد بين القريتين فليقس إلى أيهما أقرب ثم ليؤخذ أهل تلك القرية وليحلف خمسون شيخاً من شيوخهم باللَّه ما قتلوه، ولا علموا له قاتلاً، فقتل رجلان من بني إسرائيل ابن عم لهما اسمه عاميل ليرثاه وكان لهما ابنة عم حسنة فخافا أن ينكحها فقتلاه لذلك وحملاه إلى جانب قرية، فأخذ أهل تلك القرية به فجاءوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: ادع اللَّه تعالى لنا أن يطلعنا على قاتله. فأوحى اللَّه إليه: مرهم أن يذبحوا بقرة. فأمرهم بذلك ليضرب المقتول ببعض تلك البقرة فيحيا فيخبرهم من قتله. فقالوا: أتتخذنا هزؤا؟ أي تستهزىء بنا يا موسى حين سألناك عن القتل وتأمرنا بذبح البقرة. وإنما قالوا لتباعد الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه؟ قرأ ابن محيصن: أيتخذنا هزؤاً[1]؟ بالياء، يعنون اللَّه عز وجل. ولا يستبعد هذا من جهلهم لأنهم هم الذين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿هُزُوًاۖ﴾ فيه ثلاث لغات: هزؤاً بالتخفيف والهمز ومثله كفؤا، وهي قراءة الأعمش وحمزة وخلف، وهزؤاً وكفؤاً مثقلان مهموزان وهي قراءة أبي عمرو وأهل الحجاز، والشام، والكسائي[3]. وهزوًا وكفواً مثقلان بغير

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 55.
(2) سورة الأعراف (7)، الآية: 138.
(3) ذكر الثعلبي في المصدر السابق هذه القراءات.

همز، وهي قراءة حفص[1] عن عاصم[2]. وكلها لغات صحيحة فصيحة معناها: الاستهزاء. فقال لهم موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي أمتنع به أن أكون من المستهزئين بالمؤمنين. فلما علم القوم أن ذبح البقرة من اللّه قالوا له: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا﴾ ما هذه البقرة كبيرة أم صغيرة؟ وروي عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت، ولكن شددوا على أنفسهم بالمسألة فشدد اللّه عليهم**»[3].

وإنما كان تشديدهم تقديراً من اللّه عز وجل وحكمة منه. وكان السبب فيه: أن رجلاً من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من بره أن رجلاً أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل. فقال: إن أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلني حتى يستيقظ فأعطيك الثمن. قال: فأيقظه وأعطني الثمن. قال: ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأمهلني حتى ينتبه أبي. فقال الرجل: أنا أحط عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد. فقال: أنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباه أبي. ففعل ولم يوقظ الرجل أباه، فأعقبه اللّه ببره أباه أن جعل تلك البقرة بعينها عنده، وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها.

وقال ابن عباس: كان في بني إسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة، فأتى بالعجلة إلى غيضة وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر. ومات الرجل فنشأت العجلة في الغيضة وصارت عواناً، وكانت تهرب من كل من مر بها، فلما كبر الابن وكان باراً بأمه، كان يقسم الليلة أثلاثاً، يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح ذهب يحتطب على ظهره ويبيعه في السوق، ثم يتصدق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي أمه ثلثه. فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة. وذهب بها إلى غيضة كذا

---

(1) أبو عمرو حفص بن سليمان الأسدي الكوفي: المقرىء الإمام صاحب عاصم وابن زوجته. روى عن علقمة وأبي إسحاق السبيعي وغيرهما كان أعلم أهل عصره بقراءة عاصم. توفي رحمه اللّه سنة ثمانين ومائة هجرية. معرفة القراء: 1/ 116 ـ غاية النهاية: 1/ 254.

(2) يراجع: الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع: 2/ 598 ـ مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 247.

(3) ذكره الطبري في تفسيره: 2/ 206 من حديث قتادة مرسلاً رقم: 1244.

واستودعها اللَّه فانطلق إليها وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها إليك، فإن من علامتها: أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها. وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها. فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها، وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب. فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها. فتكلمت البقرة بإذن اللَّه تعالى وقالت: أيها الفتى البار بوالديه، اركبني، فإن ذلك أهون عليك. قال: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت قدها بعنقها. فقالت البقرة: وحق إله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبداً. فانطلق لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرِّك بأمك. فجاء بها إلى أمه، فقالت له: يا بني، إنك فقير ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فاذهب فبع هذه البقرة وخذ ثمنها، فقال: بكم؟ قالت: بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي. وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير. فانطلق بها إلى السوق، فبعث اللَّه ملكاً في صورة بشر ليختبر كيف بر الفتى بوالدته، فقال له: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضى والدتي. فقال الملك: بستة دنانير ولا تستأمر أمك. فقال: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضى أمي. ثم ذهب إلى أمه، فقالت: بعها بستة دنانير على رضى مني فانطلق بها وقال للملك: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها. فقال الملك: أنا أعطيك اثني عشر ديناراً على أن لا تستأمرها. فأبى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك، فقالت له: الذي يأتيك ملك في صورة إنسان، فقل له: أتأمرنا أن نبيعها أم لا؟ فأتى إليه فقال له ما قالت أمه، فقال له: اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير. فأمسكوها، وقدر اللَّه على بني إسرائيل ذبحها مكافأة له على بره والدته فضلاً منه ورحمة(1). وروي أنها كانت لرجل يبيع الجوهر، فجاءه إبليس بجراب من اللؤلؤ يساوي مائتي ألف، فعرضه عليه بمائة ألف، فوجد الجوهري

---

(1) تفسير القرطبي: 1/ 454 ـ وتفسير البغوي: 1/ 99.

المفتاح تحت رأس أبيه وهو نائم. فقال كيف أوقظ أبي لربح مائة ألف، فكره أن يوقظه، فرجع وقال إن أبي نائم والمفتاح تحت رأسه. فقال له إبليس: اذهب أوقظه وأنا أبيعك بخمسين ألفاً. فذهب فلم يحتمل قلبه ذلك فرجع. فلم يزل إبليس يحط من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم، فلم يوقظ أباه وترك الشراء، فجعل اللّه في ماله البركة حتى اشتريت بقرته بملء مسكها ذهباً.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾، وفي مصحف عبد اللّه: سل لنا ربك يبين لنا. ومعنى الآية قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما سنها؟ قال موسى: إنه يعني اللّه عز وجل يقول: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ أي لا كبيرة ولا صغيرة. وارتفع فارض وبكر بإضمار هي، أي لا هي فارض ولا بكر. قال مجاهد والأخفش: الفارض الكبيرة المسنة التي لا تلد، والبكر الفتية الصغيرة التي لم تلد. وقال السدي: البكر التي لم تلد قط إلا واحداً. وقيل: معناه لا فارض أي ليست بكبيرة ولدت بطوناً كثيرة ولا بكر أي لم تلد[1].

قوله تعالى: ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي وسط بين الصغيرة والكبيرة قد ولدت بطنا أو بطنين وجمعها عون.

قوله تعالى: ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي افعلوا ما تؤمرون به من الذبح ولا تكثروا السؤال، ثم عادوا للسؤال: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ موضع «ما» رفع بالابتداء، ولونها خبرها. وقرأ الضحاك: ما لونها نصباً كأنه أعمل فيه «بين» وجعل «ما»[2] صلة. ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ قيل: يعني سوداء مثل قوله: ﴿جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾﴾[3] أي سود. كذا قال الحسن. والعرب تسمي الأسود أصفر. قال الشاعر:[4]

---

(1) راجع هذه الأقوال في: تفسير القرطبي: 2/ 192 ـ وتفسير الثعلبي: خ، الورقة: 56.
(2) راجع الثعلبي في المصدر نفسه.
(3) سورة المرسلات (77)، الآية: 33،
(4) الأعشى الأكبر، ميمون بن قيس: شاعر جاهلي، قال الشعر في أكثر أغراضه وتكسب =

تلك خيلي منه وتلك ركابي ∴ هن صفر أولادها كالزبيب[1]

والصحيح أنها صفراء لأن السود لا تؤكد بالفاقع وإنما تؤكد بالحالك. يقال في المبالغة في الوصف: أصفر فاقع، وأحمر قانىء، وأسود حالك، وأخضر ناضر، وأبيض ناصع، ويقال أبيض يقق. فمعنى فاقع: أي صافٍ شديد الصفرة. وقال ابن عباس: بقرة صفراء فاقع لونها، أي شديدة الصفرة. وقال القتيبي[2]: غلط من قال الصفراء ههنا السوداء، لأن هذا غلط في نعوت البقر، وإنما هو في نعوت الإبل[3].

قوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي تعجب الناظر إليها لتمام خلقها وكمال حسنها ونصوع لونها. قال علي رضي اللَّه عنه: من لبس نعلاً صفراء قل همه، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾. فإن قيل: لم أمروا بذبح البقرة دون غيرها؟ قيل لأن القربان يكون من الإبل والبقر والغنم، وكانوا

= به، وسمي صنّاجة العرب لأنه كان يتغنى بشعره. ذكر بأنه توجه ليسلم عام الحديبية فاعترضه زعماء قريش، وحالوا دون إعلان إسلامه، فرجع ومات في الطريق من تلك السنة ينظر: الشعر والشعراء: 198 ـ بطرس البستاني، أدباء العرب: 1/ 212 ـ بركلمان، تاريخ الأدب العربي: 1/ 147.

(1) هذا البيت من البحر الخفيف من قصيدة مدح بها الأعشى أبا الأشعث قيس بن معدي كرب الكندي، تبلغ ثمانية عشر بيتاً هذا البيت الأخير منها.
الركاب: الإبل التي يسار عليها، لا واحد لها من لفظها، واحدتها راحلة. والزبيب: ذاوي العنب، وأسوده أجوده، ولكنه ليس خالص السواد. يقول الأعشى: كل ما أملك من خيل ومن إبل قد ولدت لي خير ما تلد فهو من جود أبي الأشعث.
وفي النسخة (ص): تلك خيلي منها. وسياق القصيدة يقتضي التعبير منه. (يراجع: ديوان الشاعر، النص: 68 ـ ابن منظور: اللسان: (صفر) ـ الزمخشري، شرح شواهد الكشاف: 4/ 328).

(2) أبو عبد اللَّه محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي. كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة ديناً فاضلاً، ولي قضاء دينور، وحدث عن إسحاق بن راهويه وأبي حاتم السجستاني. وعنه ابنه القاضي أحمد، وابن درستويه. له عدة مؤلفات منها: «إعراب القرآن» و«مختلف الحديث» و«دلائل النبوة». توفي سنة سبع وستين ومائتين هجرية.
الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 251 ـ القفطي، إنباه الرواة: 2/ 143 ـ الذهبي، طبقات الحفاظ: 2/ 631.

(3) تفسير الثعلبي، ورقة: 56.

يحرمون لحم الإبل كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ يعني لحوم الإبل. وكان ذبح البقر أفضل من ذبح الغنم فخصت بذلك.

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أسائمة أم عاملة؟

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ هذه قراءة العامة. وقرأ يحيى بن يَعْمَرَ[1]: إن الباقر ـ وهو جمع البقر[2]. قال قطرب: يقال في جمع البقر: بقر، وباقر، وبقور، وباقور. فإن قيل: لم قال: تشابه علينا والبقر جمع ولم يقل تشابهت؟ قيل: فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه ذكر لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ⑳﴾[3]. وسئل سيبويه عن هذا فقال: كل جمع حروفه أقل من حروف واحده فإن العرب تذكِّره. وقال الزجاج: معناه إن جنس البقر[4].

قوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ فيه سبع قراءات[5]: بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين، وهي قراءة العامة. وقرأ الحسن: تشابه ـ بالتخفيف وهاء مضمومة ـ يعني تتشابه. وقرأ الأعرج[6]: تشابه ـ بفتح التاء والتشديد وضم الهاء ـ على معنى تتشابه. وقرأ مجاهد: تشبه كقراءة الأعرج إلا أنه بغير ألف. وفي مصحف أبي: تشابهت، أنثه لتأنيث البقر. وقرأ ابن أبي إسحاق[7]: تشابهت ـ بالتشديد ـ وقرأ الأعمش: متشابه.

---

(1) أبو سليمان يحيى بن يعمر العدواني كان من علماء التابعين عارفاً بالحديث والفقه واللغة اشتغل بكتابة الرسائل الديوانية والقضاء. توفي سنة تسع وعشرين ومائة.
غاية النهاية 1: 381.
(2) تفسير القرطبي: 1/ 452.
(3) سورة القمر (54)، الآية: 20.
(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 155.
(5) تفسير القرطبي: 1/ 451 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 57.
(6) أبو داود، عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني: تابعي ثقة. أخذ القراءة عن ابن عباس وأبي هريرة. وعنه أخذ نافع بن أبي نعيم ثم نزل الإسكندرية فمات بها رحمه الله سنة سبع عشرة ومائة هـ. الطبقات الكبرى: 5/ 283 ـ السيوطي، طبقات الحفاظ: 38 ـ غاية النهاية: 1/ 381 ـ تهذيب التهذيب: 6/ 290.
(7) في النسخة (س): ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ يعني إلى وصفها. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**وأيم اللَّه لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد**».

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ أي لا مذللة بالعمل. ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي ليست بحراثة. ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ أي ليست ناصحة يسقى عليها الزروع.

وقوله: ﴿مُسَلَّمَةٞ﴾ أي بريئة من العيوب. وقال الحسن: مسلَّمة القوائم ليس فيها أثر العمل.

قوله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أي لا عيب فيها. وقال قتادة: لا بياض فيها أصلاً. وقال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد. وقيل: ليس فيها لون يفارق سائر لونها والذلول في الدواب بمنزلة الذليل في الناس. يقال رجل ذليل، ودآبة ذلول.

قوله تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي بالوصف البين التام. فطلبوها ولم يجدوها لكمال وصفها إلا عند الفتى البار بوالدته، فاشتروها منه بملء مسكها ذهباً. وقال السدي: بوزنها عشر مرات ذهباً.

قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ من غلاء ثمنها. وقيل: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها. وقيل لأن كل واحد منهم خشي أن يكون القاتل من قبيلته.

قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ (72) فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ
كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (73) ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا
يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ
(74)﴾.

قال أبو بكر:

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾ يعني عاميل. وهذه الآية أول القصة ومعناه: واذكروا إذ قتلتم نفساً فادارأتم، أي اختلفتم فيها. كذا قال ابن عباس ومجاهد. ومنه قول النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**كنت خير شريك لا تداري ولا تماري**»[1].

وقال الضحاك: فادارأتم، أي اختصمتم. وقال عبد العزيز بن يحيى: شككتم. وقال الربيع: تدافعتم. وأصل الدرى: الدفع، يعني ألقى ذاك على هذا وهذا على ذاك، ودافع كل واحد عن نفسه كقوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي مظهر ما كتمتم من أمر القاتل.

قوله عز وجل: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي اضربوا المقتول ببعض البقرة أي بعض منها. واختلفوا في هذا البعض، فقال ابن عباس: العضو الذي يلي الغضروف فهو المقتل، وقال الضحاك: بلسانها، وقال سعيد بن جبير: بعجب ذنبها وهو العصعص، فإنه أساس البدن الذي ركب عليه، وهو أول ما يخلق وآخر ما يبلى. وقال مجاهد: بذنبها، وقيل بفخذها الأيمن، وقال السدي: بالبضعة[3] التي بين كتفيها[4]، ففعلوا ذلك، فلما ضربوه قام القتيل حياً بإذن اللّه تعالى، وأوداجه تتشخب دماً. فسألوه: من قتلك؟ فقال: فلان وفلان لابني عم له، ثم اضطجع ميتاً. فأخذا فقتلا. وفي الآية اختصار تقديره: فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي.

---

(1) رواه أحمد في مسنده: 3/ 425، رقم: 15566. مطبعة الحلبي مصر.
والمخاطب بذلك هو: السائب بن أبي السائب المخزومي، أسلم فحسن إسلامه، وبايع الرسول صلى اللّه عليه وسلم مع قريش. وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين، وعاش إلى زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان. (ينظر: سيرة ابن هشام: 2/ 711).

(2) سورة القصص (28)، الآية: 54، والرعد (13)، الآية: 22.

(3) البضعة: القطعة من اللحم.

(4) راجع هذه الأقوال في: تفسير الطبري: 2/ 229 وما بعدها. تحقيق شاكر.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي كما أحيا عاميل بعد موته كذلك يحيي اللَّه الموتى ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي عجائب قدرته ودلالته ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تفهموا إحياء الموتى وغير ذلك. قال الواقدي[1]: كل شيء في القرآن «لعلكم» فهو بمعنى «لكي» غير الذي في الشعراء: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿129﴾﴾[2] فإنه بمعنى: كأنكم تخلدون فلا تموتون[3]. واللَّه سبحانه كان قادراً على إحيائه بغير هذا السبب، إلا أن اللَّه تعالى أوهم بذلك، لأن إحياء الميت بالميت آكد دليلاً وأبين قدرة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾. قال الكلبي: قالوا بعد ذلك لم نقتله نحن وأنكروا، ولم يكن أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً منهم لنبيهم عند ذلك، فقال اللَّه تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾. قال الكلبي: أي يبست وفسدت[4]. وقال أبو عبيدة: جفت[5]. وقال الواقدي: حقدت فلم تلن. وقيل: اسودت. وقال الزجاج: تأويل القسوة ذهاب اللين والخشوع والخضوع. وقيل: قست أي غلظت[6]. قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد إحياء الميت. وقيل: من بعد هذه الآيات التي تقدمت من مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل، وخروج الأنهار من الحجر وغير ذلك، فهي كالحجارة في غلظها وشدتها ويبسها، أو أشد يبساً وغلظاً. ومعنى ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾: بل أشد، كقوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[7]. وقيل «أو» بمعنى: الواو، أي: وأشد قسوة، وكقوله تعالى: ﴿بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾[8]، وكقوله: ﴿لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ

---

(1) أبو عبد اللَّه محمد بن عمر الواقدي المدني ثم البغدادي. روى القراءة عن نافع وعيسى بن وردان. وروى عنه محمد بن سعيد كاتبه توفي رحمه اللَّه ببغداد سنة تسع ومائتين هجرية.
غاية النهاية: 2/ 219.

(2) سورة الشعراء (26)، الآية: 129.

(3) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 57.

(4) المصدر نفسه.

(5) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 45.

(6) ذكره الزجاج في: معاني القرآن وإعرابه: 155 ونقل بتصرف.

(7) سورة النحل (16)، الآية: 77.

(8) سورة النور (24)، الآية: 61.

﴿ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[2]. قرأ أبو حيوة[3]: أو أشد قساوة[4]. ثم عذر اللَّه الحجارة وفضلها على القلب القاسي، وأخبر أن منها ما يكون فيه رطوبة، وأن منها لما يتردد من أعلى الجبل إلى أسفله من مخافة اللَّه عز وجل، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾. قرأ مالك بن دينار[5]: ينفجر[6]، بالنون، كقوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾[7]. وفي مصحف أبي: منها الأنهار. رد الكناية إلى الحجارة[8]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾. قرأ الأعمش: يتشقق.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله من خشية اللَّه، وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير. قيل: لا يهبط من الجبل حجر بغير سبب ظاهر إلا وهو مجعول فيه التمييز.

قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد وتهديد أي ما اللَّه بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به.

قوله تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ

---

(1) سورة النور (24)، الآية: 31.
(2) سورة الإنسان (76)، الآية: 24.
(3) أبو حيوة، شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي: مقرىء الشام وصاحب القراءة الشاذة. أخذ عن الكسائي وغيره. وعنه أخذ ابنه حيوة وغيره. توفي رحمه اللَّه سنة ثلاث ومائتين هجرية.
غاية النهاية: 1/ 325 ـ تهذيب التهذيب: 4/ 331.
(4) يراجع تفسير القرطبي: 1/ 464.
(5) أبو يحيى، مالك بن دينار البصري. كان صوفياً عارفاً باللَّه ثقة عابداً زاهداً في الدنيا تاركاً لشهواتها. توفي رحمه اللَّه سنة إحدى وثلاثين ومائة هجرية.
حلية الأولياء: 2/ 357 ـ صفة الصفوة: 3/ 197 ـ تهذيب التهذيب: 10/ 14.
(6) يراجع ابن عطية في تفسيره: المحرر الوجيز: 1/ 265.
(7) سورة البقرة (2)، الآية: 60.
(8) ابن عطية في المصدر السابق.

مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُوا۟ لَكُمۡ﴾ خطاب للنبي صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه، أي أفترجون أيها المؤمنون أن يصدقكم اليهود فيما أتاكم به نبيكم محمد صلى اللّه عليه وسلم، وقد كان فريق منهم ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، يعني التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي يغيرونه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي من بعد ما فهموه وعلموه كما غيروا آية الرجم وصفة النبي صلى اللّه عليه وسلم. قوله: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أي وهم يعلمون أنهم كاذبون. هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي. وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي: نزلت هذه الآية في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه لما أخذتهم الرجفة، وأحياهم اللّه بدعاء موسى. قالوا: يا موسى، أسمعنا كلام اللّه. فطلب ذلك فأجابه اللّه تعالى: مرهم أن يتطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا. ففعلوا. ثم خرج بهم موسى حتى أتوا الطور، فلما غشيهم الغمام سمعوا صوتاً كصوت الشبور[1] فسجدوا فسمعوا كلام اللّه يقول: إني أنا اللّه ربكم لا إله إلا أنا الحي القيوم، لا تعبدوا إلهاً غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وأوصيكم ببر الوالدين، وأن لا تحلفوا بي كاذبين، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يشهد بعضكم على بعض شهادة زور، وأطعموا المساكين، وصلوا القرابة، ولا تظلموا اليتيم، ولا تقهروا الضعيف. فلما سمعوا خرجت أرواحهم ثم ردت إليهم، فقالوا: يا موسى إنا لا نطيق أن نسمع كلام اللّه. ثم رجعوا إلى قومهم، قال فريق منهم: سمعنا اللّه عز وجل يقول في آخر كلامه: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس[2]. والمعنى بهذه الآية تعزية الصحابة في اليهود، إن كذبوا النبي صلى اللّه عليه وسلم فلهم سابقة في الكفر والتحريف.

---

(1) الشبور، على وزن التنور: البوق.

(2) يراجع الواحدي، أسباب النزول: 35.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾. قرأ ابن السميقع: وإذا لاقوا. قيل: يعني المنافقين من أهل الكتاب في وقت موسى، فإنه كان في قومه منافقون كما في أمتنا. وقيل: المراد به منافقو هذه الأمة، وإنما ذكرهم اللّٰه هنا مع اليهود لأن أكثرهم كانوا من اليهود قبل مبعث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، ومعناه: وإذا لقي المنافقون من اليهود الذين آمنوا، يعني أبا بكر وأصحابه من المؤمنين قالوا آمنا كإيمانكم، وشهدنا بأن محمداً صادق ونجده في كتابنا بنعته وصفته، وإذا خلوا إلى رؤسائهم قال لهم رؤساؤهم ـ كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ووهب بن يهوذا وغيرهم من رؤساء اليهود ـ: أتحدثونهم بما فتح اللّٰه عليكم، أي تخبرونهم أنهم على الحق لتكون لهم الحجة عليكم عند اللّٰه في الدنيا والآخرة إذ كنتم مقرين بصحبة أمرهم ولم تتبعوهم. وقال الكلبي: معناه أتحدثونهم بما قص اللّٰه عليكم في كتابكم: أن محمداً حق وقوله صدق. ومنه قيل للقاضي: الفتاح. وقال الكسائي: بما بينه اللّٰه لكم. وقال الواقدي: بما أنزل اللّٰه عليكم. نظيره: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1] أي أنزلنا. وقال أبو عبيدة والأخفش: بما منَّ اللّٰه عليكم وأعطاكم.

قوله تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾ أي ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عليكم عند ربكم. وقال بعضهم: هو أن الرجل من المسلمين يلقى قريبه وصديقه من اليهود، فيسأله عن أمر محمد صلى اللّٰه عليه وسلم فيقول: إنه حق وهو نبي. فيرجعون إلى رؤسائهم فيلومونهم على ذلك. وقيل: إن كعب بن الأشرف وغيره من رؤساء الكفرة كانوا يقولون لعبد اللّٰه بن أبي وأصحابه: إذا أقررتم بنبوة هذا النبي وأن ذكره في التوراة حق تأكدت حجته عليكم. وقال مجاهد: إن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم سب يهود بني قريظة[2] فقال لهم: «**يا أخوة القردة والخنازير، يا عبدة الطاغوت**» فقال بعضهم لبعض: من أخبر

---

(1) سورة الأعراف (7)، الآية: 96.

(2) إحدى الطوائف اليهودية الثلاث التي نزلت يثرب (المدينة المنورة) وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة. وقد سكن بنو قريظة في المنطقة الجنوبية الشرقية من المدينة على بعد ثلاث كيلومترات منها، وكان عددهم وقت هجرة الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم حوالي خمسمائة وألف نسمة. (ابن كثير، البداية والنهاية: 4/ 120).

محمداً بهذا، ما سمعه إلا منكم؟ أو ما خرج هذا إلا منكم[1]؟ وأصل الفتح: فتح المغلق، ثم استعمل في مواضع كثيرة من فتح البلدان، وفتحك على القارىء. وقد يكون الفتح بمعنى الحكم كما في هذه الآية، ومثل قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[2]. ويسمى القاضي بالفتاح بلغة عمان. وقد يكون الفتح بمعنى النصر مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[3] أي يطلبون النصر عليهم.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أفليس لكم ذهن الإنسانية.

قوله تعالى:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿77﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿78﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿79﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿80﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿81﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿77﴾﴾ أي ما يسرون من تكذيب النبي صلى اللّه عليه وسلم فيما بينهم، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مع الصحابة من التصديق.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: أي ومن اليهود من لا يحسن القراءة ولا الكتابة إلا أن يحدثهم كبارهم بشيء فيظنونه حقاً فيصدقونهم وهو كذب.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾. اختلفوا في معنى الأماني: قال الكلبي: معناه لا يعلمون إلا ما يحدثهم به علماؤهم. وقال أبو روق:

(1) الطبري في تفسيره: 2/ 252.
(2) سورة الأعراف (7)، الآية: 89.
(3) سورة البقرة (2)، الآية: 89.

القراءة عن ظهر القلب ولا يقرؤون في الكتب. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[1] أي إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته، وقال الشاعر[2]:

تمنى كتاب اللَّه أوّل ليله ∴ وآخره لاقى حمام المقادر[3]

وقال مجاهد: الأماني الكذب والأباطيل، كقول عثمان رضي اللَّه عنه: ما تمنيت منذ أسلمت[4]. أي ما كذبت. وأراد بالأماني: الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم أضافوها إلى اللَّه تعالى من تغيير صفة النبي صلى اللَّه عليه وسلم. وقال الحسن: يعني يتمنون على اللَّه الباطل والكذب مثل قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[5]، وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[6]، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[7].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي ما هم إلا يظنون ظناً وتوهماً لا حقيقة ويقيناً. قاله قتادة والربيع. وقال مجاهد: معناه وإن هم إلا يكذبون.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ نزلت هذه الآية في علماء اليهود الذين غيروا صفة النبي صلى اللَّه عليه وسلم في التوراة، فكتبوها: محمداً سبطاً طويلاً أزرق سبط الشعر، وكان صفته في التوراة: حسن الوجه، جعد الشعر، أسمر، ربعة. فبدلوا وقالوا: هذا هو من

---

(1) سورة الحج (22)، الآية: 52.

(2) أبو عبد اللَّه كعب بن مالك بن عمر الخزرجي: صحابي من أكابر الشعراء المجيدين، اشتهر في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وشهد أكثر الوقائع، وله ديوان مطبوع. توفي رحمه اللَّه سنة خمسين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1323 ـ تهذيب التهذيب: 8/ 440 ـ الأعلام: 5/ 228.

(3) هذا البيت من البحر الطويل من قصيدة رثى بها الشاعر الخليفة عثمان. (الأغاني: 6/ 164 ـ سيرة ابن هشام: 2/ 538 ـ اللسان: منى).

(4) بلفظه عند القرطبي في تفسيره: 2/ 6.

(5) سورة البقرة (2)، الآية: 80.

(6) سورة البقرة (2)، الآية: 111.

(7) سورة المائدة (5)، الآية: 18.

عند اللَّه. فإذا سئلوا عن صفته قرأوا ما كتبوه، فيجدونه مخالفاً لصفته فيكذبونه. وإنما فعلت اليهود ذلك لأنهم خافوا ذهاب ملكهم، وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى اللَّه عليه وسلم المدينة، فاحتالوا في تغيير صفته فيمنعوا الناس عن الإيمان به[1]. والويل: الشدة في العذاب، وقيل الهلاك، وقيل: الجزاء. ويكنى عنه بوي، وويح. وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يقع على قعره. وقيل يسيل فيه صديد أهل النار. وقيل لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره.

قوله تعالى: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني ما كان لهم من المآكل والهدايا من أغنيائهم. ألحق اللَّه بهم ثلاث ويلات فيما غيروا من الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي ما يصيبون من المآكل والهدايا. ولفظ الأيدي للتأكيد، كقولهم: مشيت برجلي، ورأيت بعيني. قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ اختلفوا في هذه الأيام ما هي؟ قال ابن عباس ومجاهد: قدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم واليهود تقول: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً، ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام. فأنزل اللَّه هذه الآية[3]. وقال قتادة وعطاء: يعنون الأربعين يوماً التي عبد آباؤهم فيها العجل، وفي مدة غيبة موسى عليه السلام. وفي بعض التفاسير: اختلف في مقدار عبادتهم العجل، فقيل عشرة أيام، وقيل سبعة أيام، وقيل أربعون يوماً. فقال اللَّه تعالى تكذيباً لهم: قل يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي موثقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة[4] ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. روي أنه يقال لهم عند

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 34.
(2) سورة الأنعام (6)، الآية: 38.
(3) الواحدي، أسباب النزول: 35.
(4) الطبري في تفسيره: 2/ 274 ـ والثعلبي: خ، الورقة: 59.

مضي الأجل: يا أعداء اللَّه في مضى الأجل وبقي الأمد. ولفظ «المعدودة» للقلة، كقوله تعالى: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[1]، وفي الصوم: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[2]، واحتج أصحابه بقوله عليه السلام: «**المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها**»[3]. وقوله: «**دعي الصلاة أيام أقرائك**»[4]. إن أقل الأيام ثلاثة وأكثرها عشرة، لأنه يقال لما دون الثلاثة يوماً ويومين، وفيما زاد على العشرة أحد عشر يوماً. وليس لأحد أن يعترض على هذا بقوله في أيام الصيام: أياماً معدودات أراد بها الشهر كله، لأن ظاهر لفظ الأيام من الثلاثة إلى العشرة إلا أنه قد يذكَّر ويراد به الزيادة. وقد فسر اللَّه أيام الصوم بالشهر، فانعقد بذلك التفسير. وأما أيام الحيض فمبهمة فلا بد أن تكون محصورة، لأن الأحكام تختلف بحال الحيض والطهر، فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته أولى.

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي ليس كما تقولون. قال الكسائي: الفرق بين بلى ونعم: أن بلى إقرار بعد جحد، ونعم جواب استفهام بغير جحد. فإذا قيل لك: ألست فعلت كذا؟ تقول: بلى. أو قيل لك: ألم تفعل كذا؟ تقول: بلى فإن قيل لك: أفعلت كذا؟ قلت: نعم. قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝8 قَالُوا بَلَىٰ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[6]، وقال في غير الجحود: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾[7]. وإنما قال ههنا: بلى للجحود الذي قبله وهو قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾. والسيئة هنا: الشرك.

---

(1) سورة يوسف (12)، الآية: 20.
(2) سورة سورة البقرة: (2)، الآية: 184.
(3) أخرجه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 1/ 393، رقم: 126، باب ما جاء في أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة.
ابن ماجه في سننه: 1/ 204، رقم: 625، باب في المستحاضة.
(4) أخرجه الدارقطني في سننه: 1/ 212.
(5) سورة الملك (67)، الآية: 8، 9.
(6) سورة الأعراف (7)، الآية: 172.
(7) سورة الأعراف (7)، الآية: 44.

قوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾. قرأ أهل المدينة: خطيئاته بالجمع، وقرأ الباقون: خطيئته على الواحد[1]. والإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، أي سد عليه طريق النجاة ومات على الشرك. وقيل السيئة: الذنوب التي وعد عليها العقاب. والخطيئة: الشرك. ولا بد أن تكون الخطيئة أكبر من السيئة. لأن ما أحاط بغيره كان أكبر منه. وأصل بلى: بل، وهو رد الكلام الماضي وإثبات كلام آخر مبتدأ، وإنما زيدت إليه الياء لتحسين الوقف. وقيل أصله: بل لا، فخففت. وعن الربيع بن خثيم[2] في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب[3]. ومثله قال عكرمة. وقال مقاتل: يعني أصر عليها. وقال الكلبي: معنى ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي أوثقته ذنوبه.

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿81﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿82﴾﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿83﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿84﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي أخذنا عليهم في التوراة العهد الشديد ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بالياء: قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي،

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 249 ـ القرطبي في تفسيره: 2/ 12.

(2) أبو زيد، الربيع بن خُثَيْم ـ بضم الخاء المعجمة مصغر ـ الكوفي. كان إماماً قدوة، من كبار التابعين وخيارهم. روى عن ابن مسعود وغيره. وعنه أخذ الشعبي والنخعي وغيرهما. توفي رحمه اللّه سنة ستين هجرية. (تذكرة الحفاظ: 1/ 57 ـ تهذيب التهذيب: 3/ 242).

(3) كذا في تفسير الطبري: 2/ 285 بلفظه.

وقرأ الباقون بالتاء[1]. قال أبو عمرو: ألا تراه يقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فدلت المخاطبة على التاء. قال الكسائي: إنما رفع ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ لأن معناه: أخذنا ميثاق بني إسرائيل ألا تعبدوا إلا اللّه. فلما ألقى «أن» رفع. ومثله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾[2] يريد: أن أعبد. فلما حذف «أن» الناصبة عاد الفعل إلى المضارعة. وقرأ أبي بن كعب: لا تعبدوا، جزماً على النهي، أي وقل لا تعبدو إلا اللّه. ومعنى الآية: أمرناهم بإخلاص العبادة لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي وصيناهم بالوالدين إحساناً براً بهما وعطفاً عليهما. وإنما قال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ وأحدهما والدة، لأن المذكر والمؤنث إذا اقترنا غلب المذكر لخفته وقوته.

قوله تعالى: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ أي وبذوي القربى، أي وصيناهم بصلة الرحم. واليتامى: جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له. والمساكين: الفقراء.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ اختلف فيه، فقرأ زيد بن ثابت[3] وأبو العالية[4] وعاصم وأبو عمرو ونافع بضم الحاء وجزم السين[5]: وهو اختيار أبي

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 249 ـ ابن الجزري، النشر: 2/ 218.

(2) سورة الزمر (39)، الآية: 64.

(3) أبو خارجة، زيد بن ثابت الأنصاري: صحابي جليل، كان من كتاب الوحي. ولد بالمدينة، وجمع القرآن حفظاً في حياة النبي صلى اللّه عليه وسلم، وتفقه في الدين، فكان رأساً في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وهو من الذين عهد إليهم أبو بكر بجمع القرآن وكذلك عثمان. توفي رحمه اللّه سنة خمس وأربعين هـ.
الاستيعاب: 2/ 537 ـ أسد الغابة: 2/ 221 ـ الاعلام: 3/ 57.

(4) أبو العالية، رفيع بن مهران الرياحي: المقرىء الفقيه. قرأ على أبي بن كعب وغيره. وعنه أخذ الربيع بن أنس وقتادة وغيرهما. له تفسير رواه عنه الربيع بن أنس. توفي رحمه اللّه سنة ثلاث وتسعين هجرية. الطبقات الكبرى: 7/ 112 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 172 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 61 ـ معرفة القراء: 1/ 49.

(5) يراجع: النشر: 2/ 218 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 60.

حاتم[1]. دليله قوله تعالى: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾[2]، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾[3] وقرأ ابن مسعود وحمزة والكسائي وخلف: حَسَناً ـ بفتح الحاء والسين وهو اختيار أبي عبيد، قال: إنما آثرناها لأنها نعت بمعنى قولاً حَسَناً[4]. وقرأ عيسى بن عمر[5] بضم الحاء والسين والتنوين، وهو لغة مثل النصب والسحت. وقرأ عاصم الجحدري: إحساناً، بالألف. وقرأ أبي بن كعب وطلحة بن مصرف: حسنى، بالتأنيث مرسلة ومجارة كلمة «حسناً»[6]. ومعنى الآية: أيها الرؤساء من اليهود، قولوا للسفلة قولاً حسناً، أي حقاً وصدقاً، وبينوا لهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما في التوراة ولا تكتموها ولا تغيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا قول ابن عباس وابن جبير وابن جريج[7] ومقاتل، ودليله قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾[8] أي صدقاً وقيل معناه: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾، أي ثم أعرضتم عن العهد والميثاق. وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا

---

(1) أبو حاتم، سهل بن محمد السجستاني البصري. كان إماماً في علوم القرآن واللغة والأدب. قرأ كتاب سيبويه على الأخفش، وروى عن أبي عبيدة وغيره. وأخذ عنه ابن دريد وغيره. من مؤلفاته: «إعراب القرآن» و«المقصور والممدود» و«كتاب الأضداد» و«كتاب القراءات». توفي رحمه الله سنة ثمان وأربعين ومائتين هجرية.
الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 210 ـ بغية الوعاة: 1/ 606 ـ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 100.

(2) سورة العنكبوت (29)، الآية: 8.

(3) سورة النمل (27)، الآية: 11.

(4) مكي، الكشف: 1/ 250 ـ ابن الجزري، النشر: 2/ 218، تفسير القرطبي: 2/ 15.

(5) أبو عمرو، عيسى بن عمر الهمذاني الكوفي: القارىء. قرأ على عاصم وطلحة والأعمش. وقرأ عليه الكسائي وغيره، وكان يقرىء أهل الكوفة بعد حمزة. توفي رحمه الله سنة ست وخمسين ومائة هـ. معرفة القراء الكبار: 1/ 99.

(6) راجع هذه القراءات في تفسير القرطبي: 2/ 16 ـ وتفسير الثعلبي، خ، الورقة: 60.

(7) أبو الوليد، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أول من هذب المصنفات ورتبها. توفي رحمه الله سنة خمسين ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 49 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 169 ـ شذرات الذهب: 1/ 265.

(8) سورة طه (20)، الآية: 86.

﴿مِنكُمْ﴾ هو عبد الله بن سلام وأصحابه، وانتصب «قليلاً» على الاستثناء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً بغير حق، وإنما قال ذلك لمعنيين: أحدهما أنه كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة، والآخر: وهو أن الرجل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقاد ويقتص منه. قرأ طلحة بن مصرف: لا تسفكون ـ بضم الفاء، وهما لغتان مثل: تعرشون، وتعكفون. وقرأ بعضهم: لا تسفّكون ـ بالتشديد على التكثير[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ أي يخرج بعضكم بعضاً من داره.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي ثم اعترفتم بأن هذا العهد قد أخذ عليكم وعلى آبائكم وأنه حق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿84﴾﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿85﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿86﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي ثم أنتم يا هؤلاء فحذف حرف النداء للاستغناء بدلالة الكلام عليه كقوله تعالى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[2]، وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾. قرأ الحسن: تقتّلون بالتشديد[3]. والآية خطاب ليهود بني قريظة والنضير، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس وبنو النضير

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 60.
(2) سورة الأسراء (17)، الآية: 3.
(3) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 60.

حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الفريق الآخر، فإذا غلبهم قتلهم وأسر ذراريهم وأخرجهم من ديارهم.

قوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾. قرأ أهل الشام وأبو عمرو ويعقوب: تظّاهرون، فأدغم التاء في الظاء مثل: إثاقلتم، وادّاركوا. وقرأ عاصم والأعمش وحمزة وطلحة والحسن والكسائي: تظاهرون بالتخفيف، حذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب[1]، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[2] و﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[3]. وقرأ أبي ومجاهد وقتادة: تظهرون بالتشديد من غير ألف، أي تتظهرون. ومعناهما جميعاً: تتعاونون. والظهير: العون سمي بذلك لإسناد ظهره إلى ظهر صاحبه[4].

قوله تعالى: ﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ أي بالمعصية والظلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ متصل بقوله: ﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾، لأن قوله: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ داخل في الميثاق، ومعناه: تفكوا أسراكم من غيركم بالفداء. قرأ السلمي ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر[5]: أسارى بالألف، وتفدوهم بغير ألف. وقرأ الحسن: أسرى بغير ألف، وتافدوهم بالألف. وقرأ النخعي[6] وطلحة والأعمش وحمزة: أسرى

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 250 ـ الثعلبي في المصدر السابق.
(2) سورة المائدة (5)، الآية: 2.
(3) سورة الصافات (37)، الآية: 25.
(4) تفسير القرطبي: 2/ 20.
(5) أبو عمران، عبد اللّه بن عامر بن يزيد اليحصبي الشامي: أحد القراء السبعة. كان إماماً كبيراً وتابعياً جليلاً وعالماً شهيراً ولي قضاء دمشق ومشيخة الإقراء بها. توفي رحمه اللّه سنة ثماني عشرة ومائة هجرية.
معرفة القراء: 1/ 67 ـ النشر: 1/ 144 ـ ميزان الاعتدال: 2/ 449.
(6) أبو عمرو، الأسود بن يزيد النخعي. أخذ القراءة عن ابن مسعود، وحدث عن أبي بكر وعمر وعائشة وغيرهم. وقرأ عليه يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي وغيرهما. توفي رحمه اللّه سنة خمس وسبعين هجرية.
معرفة القراء الكبار: 1/ 43.

تفدوهم. كلاهما بغير ألف. وقرأ شيبة[1] ونافع وعاصم وقتادة والكسائي ويعقوب: أسارى تفادوهم. كلاهما بالألف[2]. والأسرى: جمع أسير مثل مريض ومرضى، وصريع وصرعى، وقتيل وقتلى. والأسارى جمع أسير أيضاً مثل سكارى وكسالى. ولا فرق بين الأسارى والأسرى في الصحيح. وقال بعضهم: المقيدون المشدودون أسارى، والأسرى: المأسورون غير مقيدين.

قوله تعالى: ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ أي بالمال، و﴿تُفَدُوهُمْ﴾ أي مفاداة الأسير بالأسير. وأسرى: في موضع نصب على الحال. ومعنى الآية: ما قال السدي إن اللّه تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه وأعتقوه[3] فكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتلون في حرب سمير[4]، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم والنضير مع حلفائهم، فإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها، وإذا أسر الرجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه، فتعيِّرهم العرب بذلك فيقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ فيقولون: إنا قد أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم. قالوا: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحيي أن نستذل حلفاؤنا، فذلك حين عيرهم اللّه تعالى فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾. وفي الآية تقديم وتأخير تقديره: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وهو محرم عليكم إخراجهم: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾، فكأن اللّه عز وجل أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداء أسرائهم. فأعرضوا عن كل ما أمر اللّه به إلا الفداء.

---

(1) شيبة بن نصاح بن يعقوب المخزومي المدني: قاضي المدينة وإمام أهلها في القراءات، وكان من ثقات رجال الحديث. توفي سنة ثلاثين ومائة هجرية.
ينظر: غاية النهاية: 1/ 329 ـ معرفة القراء: 1/ 64، تهذيب التهذيب: 4/ 277.

(2) مكي، الكشف: 1/ 251 ـ الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 60.

(3) تفسير الطبري: 2/ 306.

(4) حرب سمير: كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج. وسمير: رجل من بني عمرو بن عوف. (ينظر خبر هذه الحرب في: الأغاني: 3/ 18 ـ 26) دار الثقافة بيروت 1959م.

قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، فإيمانهم: الفداء، وكفرهم: القتل والإخراج والمظاهرة. وقال مجاهد: يقول إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك[1].

قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي فما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض إلا ذل وهوان في الدنيا. يعني بالخزي: قتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير عن منازلهم. يقال في السوء والشر: خزي يخزى خزياً. وفي الحياء: خزي يخزى خزاية.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو عذاب النار. قرأ السلمي والحسن وأبو رجاء[2]: تردون بالتاء، لقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء: مدني ومكي وأبو بكر[3] ويعقوب. والباقون بالتاء[4].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي استبدلوا الدنيا الآخرة ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي لا يهون ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ من عذاب الله تعالى:

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

---

(1) بنصه في تفسير الطبري: 2/ 309.

(2) أبو رجاء، عمران بن تميم العطاردي البصري: تابعي ثقة، أخذ القراءة عن ابن عباس وأبي موسى، وحدث عن عمر وغيره. توفي سنة خمسين ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 604 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 66.

(3) أبو بكر، شعبة بن عياش الأسدي الكوفي القارىء الإمام العالم، راوي عاصم. كان من أئمة الحديث، اشتهر بالصدق والدفاع على الإسلام وأهله. توفي رحمه الله سنة أربع وتسعين ومائة هـ. غاية النهاية: 1/ 325 ـ معرفة القراء: 1/ 100.

(4) ابن الجزري، النشر: 2/ 218.

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿87﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿88﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي أعطينا موسى التوراة جملة واحدة، وأردفنا وأتبعنا من بعده رسولاً من بعد رسول. يقال: قفا أثره وقفا غيره في البعدية مأخوذ من قفا الإنسان. قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1]، قيل: إن اللَّه أنزل التوراة على موسى جملة واحدة، وأمره أن يحملها فلم يطق، فبعث اللَّه بكل آية ملكاً، فلم يطيقوا حملها، فبعث اللَّه بكل حرف ملكاً فلم يطيقوا، فخففها اللَّه على موسى فحملها وعمل بها.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونزول المائدة. ومعنى البينات: الدلالات اللائحات، والعلامات الواضحات.

قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ الآد والأيد: هما القوة، أي وأعنّاه بجبريل. خفف ابن كثير «القدس» وثقله الآخرون، وهما لغتان مثل: الرعب والسحب[2]. قال الضحاك والسدي وقتادة: روح القدس: جبريل. وقال الحسن: القدس هو اللَّه عز وجل، وروحه: جبريل عليه السلام، وأضافه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً، نحو: بيت اللَّه، وناقة اللَّه، وعبد اللَّه. وقال السدي: القدس: البركة. وقد أعظم اللَّه بركة جبريل إذ نزل عامة وحي أنبيائه على لسانه. وتأييد عيسى عليه السلام: أنه كان قرينه يسير معه حيث سار، ورفعه إلى السماء حين أراد اليهود قتله. وقيل سمي جبريل روح القدس لأن بمجيئه يحيا الكفار بالإسلام. والقدس: الطاهر، وقيل: المبارك. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: القدس: اسم اللَّه الأعظم وبه كان يحيي الموتى، ويرى

---

(1) سورة الإسراء (17)، الآية: 36.
(2) مكي، الكشف: 1/ 253.

الناس تلك العجائب[1]. وقال ابن زيد: هو الإنجيل جعله اللّه روحاً، كما جعل القرآن لمحمد صلى اللّه عليه وسلم روحاً[2]. قال اللّه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾[3]. فلما سمعت اليهود بذكر عيسى، قالوا: يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت، ولا كما يقص علينا من الأنبياء فعلت، فآتنا بما أتى عيسى إن كنت صادقاً؟ فقال اللّه تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي فكلما جاءكم أيها اليهود رسول بما لا يوافق هواكم ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان به ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى ومحمد عليهما السلام، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مثل زكرياء ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام. والألف في «أفكلما» ألف استفهام، معناه: التوبيخ والزجر.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أي قالت اليهود: قلوبنا ممنوعة من القبول. فرد اللّه عليهم بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي إنهم ألفوا كفرهم فاشتد إعجابهم به ومحبتهم له، فمنعهم اللّه الألطاف والفوائد التي منح اللّه المؤمنين مجازاة لهم على كفرهم. قرأ ابن محيصن: غلف بضم اللام، وقرأ الباقون بجزمها[4]. فمن خفف فهو جمع الأغلف مثل أصفر وصفر، وهو الذي عليه غشاوة وغطاء بمنزلة الأغلف أي غير المختون والأقلف مثله، أي عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمد. قال قتادة ومجاهد: نظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾[5]، ومن ثقل «غلف» فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب، وكتاب وكتب، ومعناه: قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج إلى علمك وكتابك. قاله عطاء وابن عباس. وقال الكلبي: يريدون أوعية لكل

(1) تفسير القرطبي: 2/ 321،
(2) المصدر نفسه.
(3) سورة الشورى (42)، الآية: 52.
(4) تفسير القرطبي: 2/ 25.
(5) سورة فصلت (41)، الآية: 5.

علم فهي لا تسمع حديثاً إلا وعته إلا حديثك فلا تعيه ولا تقبله، فلو كان فيه خيراً لفهمته ولوعته. قال اللّه تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ وأصل اللعن: الطرد والإبعاد، فمعناه: طردهم اللّه وأبعدهم من كل خير. وقال النضر بن شميل[1]: الملعون: المخزي والمهلك.

قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾. قال قتادة: معناه ما يؤمن منهم إلا قليل، وهو عبد اللّه بن سلام وأصحابه، لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود. فعلى هذا القول «ما» صلة، معناه: فقليلاً يؤمنون. ونصب «قليلاً» على الحال، وقيل على معنى صاروا قليلاً يؤمنون، وقيل معناه: إيمانهم باللّه قليل لأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وانتصب «قليلاً» على هذا التأويل على معنى إيماناً قليلاً يؤمنون. وقال معمر[2]: معناه لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره. وعلى هذا القول يكون قليلاً منصوباً بنزع الخافض، و«ما» صلة، أي فبقليل يؤمنون. وقال الواقدي وغيره: معناه قليلاً ولا كثيراً. وهذا كقول الرجل للآخر: ما أقل ما تفعل كذا: يريد: لا تفعله ألبتة.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (89) بِئْسَمَا

(1) أبو الحسن، النضر بن شميل المازني. ولد في مرو، ولكنه أقام زمناً طويلاً في البادية، فتمكن من العربية وأتقن مذاهب النحاة حتى أصبح أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب، ورواية الحديث، وفقه اللغة. وولي قضاء خراسان. من مؤلفاته: «غريب الحديث» توفي رحمه اللّه سنة ثلاث ومائتين هجرية.
الطبقات الكبرى: 7/ 373 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 314 ـ طبقات الزبيدي: ص 53 ـ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 2/ 138.

(2) أبو عروة، معمر بن راشد الأزدي. كان محدثاً ثقة سيد أهل عصره في العلم والصلاح. روى عن زيد بن أسلم وقتادة والزهري. وعنه يحيى بن أبي كثير وأبو إسحاق السبيعي. توفي رحمه اللّه سنة اثنتين وخمسين ومائة هجرية.
تهذيب التهذيب: 10/ 243 ـ الطبقات الكبرى: 6/ 72.

ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿90﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ يعني القرآن موافقاً لما معهم، يعني التوراة وسائر الكتب في التوحيد والدعاء إلى اللَّه.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي وكانوا من قبل مبعث محمد صلى اللَّه عليه وسلم يستنصرون بذكر القرآن ونبي آخر الزمان على الذين جحدوا توحيد اللَّه. كانوا إذا قاتلوا المشركين قالوا: اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذي تنزله على الذي وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان، الذي نجد صفته في التوراة. وكانوا يرجون ذلك النبي منهم، وكانوا إذا قالوا ذلك نصروا، وكانوا يقولون لأعدائهم المشركين: أظل زمان نبي يخرج فيصدق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ أي فلما بعث محمد صلى اللَّه عليه وسلم، وعرفوه بصفته في كتابهم، ولم يكن منهم كفروا به، وغيروا صفته بغياً وحسداً لما بعث من غير بني إسرائيل مخافة زوال رئاستهم ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا﴾ أي بئس ما باعوا به أنفسهم من الهدايا بكتمان صفة محمد صلى اللَّه عليه وسلم، أنهم اختاروا الدنيا على الآخرة، فباعوا أنفسهم بأن كفروا بما أنزل اللَّه، يعني القرآن، حسداً منهم للنبي صلى اللَّه عليه وسلم[1]. وقيل معناه. بئس الذي اختاروا لأنفسهم حتى استبدلوا الباطل بالحق، والكفر بالإيمان.

قوله تعالى: ﴿بَغۡيًا﴾. أصل البغي: الفساد. يقال: بغى الرجل: إذا فسد وتعدّى. ومعنى قوله: ﴿بَغۡيًا﴾ أي بالبغي.

---

(1) سيرة ابن هشام: 2/ 541 ـ 542.

قوله تعالى: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يعني الكتاب والنبوة على محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قال قتادة: الغضب الأول حين كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل؛ والثاني: حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن[1]. فاستوجبوا اللعنة على أثر اللعنة. وقال السدي: الغضب الأول بعبادتهم العجل؛ والثاني: بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتبديلهم صفته[2].

قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي وللجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين يهانون به فلا يقرون.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (91) وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ (92) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (93)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي إذا قيل ليهود المدينة صدقوا بالقرآن ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون التوراة ويكفرون بما وراءه، أي يجحدون بما سوى الذي أنزل عليهم، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾[3] أي سواه.

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 120.
(2) نفس المصدر.
(3) سورة المؤمنون (23)، الآية: 7. والمعارج: (70)، الآية: 31.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي موافقاً للتوراة وسائر الكتب. ونصب «مصدقاً» على الحال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد إن كنتم تصدقون بالتوراة: فلم تقتلون أنبئاء اللّه وليس فيما أنزل عليكم قتل الأنبئاء؟

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي فلم تقتلون أنبئاء اللّه إن كنتم مؤمنين بالتوراة، وقد نهيتكم فيها عن قتلهم. وقوله: ﴿لِمَ﴾ أصله «لما» فحذفت الألف فرقا بين الخبر والاستفهام مثل: فيم، وبم، وعلام، حتام.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالدلالات اللائحات والآيات التسع، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد ذلك إلها ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي كافرون باللّه. وفائدة الآية أن تكذيب الأنبئاء من دأبكم وعادتكم، كما أن موسى جاءكم بالبينات ثم اتخذتم العجل إلها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي أخذنا عليكم العهد في التوراة ورفعنا فوقكم الجبل، خذوا ما أعطيناكم بجد ومواظبة في طاعة اللّه تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي اسمعوا ما فيه من حلاله وحرامه وما تؤمرون به، أي استجيبوا وأطيعوا. سميت الطاعة سمعاً لأنه سبب الطاعة والإجابة، ومنه قولهم: سمع اللّه لمن حمده، أي من أجابه. قال الشاعر[1]:

دعوت اللّه حتى خفت ألا ∴ يكون اللّه يسمع ما أقول[2]

أي يجيب.

---

(1) شمير بن الحارث الضبي: شاعر مجيد، اشتهر بحبه للخيل ووصفه لها.

(2) هذا البيت من جملة أبيات قالها شمير يذكر فيها حبه للخيل، ورغبته أن يرزقه اللّه بشيء منها، وبعده:

ليحملني على فرس فإني ∴ ضعيف المشي للأدنى حمول

البغدادي، الخزانة: 2/ 363 ـ شرح الرضى على الكافية: 2/ 382 ـ اللسان: (سمع) ـ ـ نوادر أبي زيد: 124، دار الشروق بيروت 1401هـ.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي سمعنا قولك وعصينا أمرك، ولولا مخافة الجبل ما قبلنا. قالوا ذلك بعد رفع الجبل عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي سقوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم. ومعناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها ذلك كإشراب اللون لشدة الملازمة.

قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ أي قل لهم يا محمد بئس شيئاً يأمركم به إيمانكم من عبادة العجل من دون اللّه أي بئس الايمان إيمان يأمركم بالكفر.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين بزعمكم لأنهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم اللّه.

قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ هذا جواب قول اليهود: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[1]، وقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[2]، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[3]، فكذبهم اللّه تعالى وألزمهم الحجة، فقال: قل لهم يا محمد: إن كانت لكم الآخرة، يعني الجنة، خالصة، أي خاصة، وقيل صافية، من دون الناس ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ﴾ أي فاسألوا اللّه الموت، فإن من كان بهذه الصفة فالموت خير له، ولا سبيل إلى دخول الجنة إلا بعد الموت.

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 111.
(2) سورة البقرة (2)، الآية: 80.
(3) سورة المائدة (5)، الآية: 18.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي في قولكم فقولوا: اللهم أمتنا. فقال لهم النبي صلى اللَّه عليه وسلم بعد نزول هذه الآية: إن كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا: اللهم أمتنا. فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه. فأبوا أن يفعلوا ذلك. قال ابن عباس عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**لو قالوا ذلك ما بقي على ظهر الأرض يهودي إلا مات**»[1]. فلما لم يقولوا ذلك، أنزل اللَّه تعالى قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي سلفت من المعاصي وكتمان صفة النبي صلى اللَّه عليه وسلم. وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ يعني في مدة العمر. فإنهم يتمنونه في الآخرة وقت مشاهدة العذاب. وإنما أضافه إلى الأيدي لأن أكثر المعاصي تكون باليد.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾. واللام لام القسم، والنون تأكيد القسم تقديره: واللَّه لتجدنهم يا محمد يعني اليهود. ومعنى الآية: لتعلمن أن اليهود أحرص الناس على البقاء. وفي مصحف أبي: على الحياة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ قيل إنه متصل بالكلام الأول معناه: وأحرص من الذين أشركوا. قال الفراء: وهذا كما يقال هو أسخى الناس ومن حاتم، أي وأسخى من حاتم. وقيل: هو ابتداء. وتمام الكلام عند قوله: ﴿حَيَوٰةٍ﴾ ثم ابتدأ بواو الاستئناف وأضمر المبتدأ، تقديره: ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم، وقيل معناه: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا، وأراد بالذين أشركوا: المجوس ومن لا يؤمنون بالبعث.

قوله تعالى: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي أن يعمر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ أي وما أحدهم بمباعده من العذاب تعميره، أي وما التعمير بمباعده من العذاب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره: 2/ 263 ـ وابن هشام في السيرة النبوية: 2/ 542.

قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿97﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿98﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: إن حبراً من الأحبار وعالماً من علماء اليهود يقال له ابن صوريا قال للنبي صلى اللّه عليه وسلم: كيف نومك، فإنا نعرف نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان؟ قال: «**تنام عيناي وقلبي يقظان**». قال: صدقت. فأخبرنا عن الولد أمن الرجل أم من المرأة؟ قال: «**أما العظم والعصب والعروق فمن الرجل، وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة**». قال: صدقت. فما بال الولد يشبه أعمامه وليس فيه شبه من أخواله. ويشبه أخواله وليس فيه شبه من أعمامه؟ فقال: «**أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له**». قال: صدقت. بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعتك: أي ملك يأتيك بالوحي؟ قال «**جبريل**». قال: ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرخاء. فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك وصدقناك. فقال عمر رضي اللّه عنه: أنا أشهد أن من كان عدواً لجبريل فإنه عدو لميكائيل. فقال: لا تقولن هذا. فأنزل اللّه هذه الآية[1]. وقال مقاتل: إن اليهود قالت: إن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا[2]. وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر رضي اللّه عنه أرض بأعلى المدينة ممرها على مدراس اليهود، وكان عمر إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم ويكلمهم. فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا، وإنا لنطمع فيك. فقال عمر ضي اللّه عنه: ما أحبكم لحبكم إياي، ولا أسألكم أني شاك في ديني وإنما أدخل إليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى

---

(1) رواه الطبري في تفسيره: 2/ 377 وفيه اختلاف في بعض الألفاظ، وكذا ابن هشام في السيرة النبوية: 2/ 543.

(2) بنصه في تفسير البغوي، معالم التنزيل: 1/ 124.

اللَّه عليه وسلم، وأرى آثاره في كتابكم. فقالوا: من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل. قالوا: ذاك عدونا يطلع محمداً على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة، وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والسلامة. فقال عمر: أتعرفون جبريل وتنكرون محمداً صلى اللَّه عليه وسلم؟ قالوا: نعم. فقال عمر: أنا أشهد أن من كان عدواً لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدواً لهما فإن اللَّه عدو له. ثم رجع عمر إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فقرأ عليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم هذه الآيات وقال: «**لقد وافقك ربك يا عمر**»[1]. فقال عمر رضي اللَّه عنه: لقد رأيتني في دين اللَّه بعد ذلك أصلب من الحجر[2]. قال اللَّه تعالى تصديقاً لعمر: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ أي قل لهم يا محمد: من كان عدواً لجبريل إذ هو المنزل للكتاب علي، فإنه إنما أنزله على قلبي بأمر اللَّه لا من تلقاء نفسه، وإنما أنزل ما هو مصدق لما بين يديه من الكتب التي في أيديكم لا مكذباً بها، وإنه كان فيما أنزل الأمر بالحرب والشدة على الكافرين فإنه هدى وبشرى للمؤمنين، وقيل معناه على وجه الترغيم، أي فإن جبريل هو الذي نزل عليك رغماً لهم. وفي جبريل سبع قراءات: جبرئيل مهموز مشبع مفتوح الجيم والراء، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف[3]. وقال الشاعر[4]:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة ∴ مدى الدهر إلا جبرئيل أمامها

وجبرائيل ممدود مشبع على وزن جبراعيل، وهي قراءة ابن عباس وعلقمة[5]

---

(1) راجع البغوي في المصدر السابق.

(2) نفسه.

(3) مكي، الكشف: 1/ 254.

(4) هو كعب بن مالك: من الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام وأهله. يقول: شهدنا الغزوات مع النبي صلى اللَّه عليه وسلم فكان جبريل عليه السلام معنا وناصرنا في ذلك. (البغدادي، الخزانة: 1/ 199 ـ الزجاج، معاني القرآن: 1/ 180 ـ شرح الرضى على الكافية: 1/ 250).

(5) أبو شبل، علقمة بن قيس النخعي. أخذ القراءة على ابن مسعود وروى عن عمر وعلي وعائشة، وتفقه به إبراهيم النخعي والشعبي وأخذ عنه القراءة يحيى بن وثاب وغيره. توفي رحمه اللَّه سنة اثنتين وستين هجرية.
طبقات ابن سعد: 6/ 86 ـ معرفة القراء: 1/ 44 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 48.

[ويحيى] بن وثاب[1]؛ وجبرايل ممدود مختلس على وزن جبراعل، وهي قراءة طلحة بن مصرف؛ وجبرئل مهموز مقصور مختلس، وهي قراءة يحيى بن آدم[2]؛ وجبرئل مقصور مشدد اللام من غير ياء، وهي قراءة يحيى بن يعمر؛ وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وهي قراءة علي رضي اللّه عنه وابن المسيب والحسن وأهل البصرة والمدينة[3]، وقد روي ذلك عن النبي صلى اللّه عليه وسلم؛ وجبريل بلغة السريانية عبد اللّه، وإن جبر هو العبد، وأيل هو اللّه. وعن معاوية رضي اللّه عنه قال: إنما جبريل وميكائل كقولك عبد اللّه وعبد الرحمن. وقيل: جبريل مأخوذ من جبروت اللّه، وميكائل من ملكوت اللّه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ يعني القرآن، فإن جبريل نزل القرآن كناية عن غير مذكور، كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[4] و﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[5] يعني الشمس.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿98﴾﴾ معناه: من كان عدواً لهؤلاء فليكن ـ وهذا على التهديد ـ فإن اللّه عدو للكافرين يعني اليهود. وإنما قال: عدو للكافرين ولم يقل عدو لهم، لأنه لو قال ذلك لم يعلم بذلك أن عداوة جبريل تكون كفراً، بل يجوز أن يتوهم متوهم أن عداوة جبريل تكون فسقاً ولا تكون كفراً، فأزال اللّه هذا الإشكال. وفي ميكائيل أربع لغات[6]: ممدود مشبع على وزن ميكاعيل، وهي قراءة أهل مكة والكوفة والشام، وميكائل ممدود مهموز مختلس مثل ميكاعل

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 64.

(2) أبو زكرياء، يحيى بن آدم بن سليمان الصلحي: قارىء كبير حافظ روى القراءة عن أبي بكر بن عياش، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وخلف بن هشام وغيرهما. توفي رحمه اللّه بواسط سنة ثلاث ومائتين هجرية.
ابن الجزري، غاية النهاية: 2/ 363.

(3) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 64.

(4) سورة فاطر (35)، الآية: 45.

(5) سورة ص (38)، الآية: 32.

(6) تنظر هذه القراءات في: مكي، الكشف: 1/ 255 ـ تفسير القرطبي: 2/ 38.



وهي قراءة أهل المدينة، وميكئل مهموز مقصور على وزن ميكعل، وهي قراءة الأعمش وابن محيصن، وميكال بغير همز، وهي قراءة أبي عمرو. وميكائل معناه: عبد اللَّه: ميكا عبد، وإيل هو اللَّه، وكذلك إسرائيل. وهذه الأسماء أعجمية رفعت إلى العرب فلفظت بها بألفاظ مختلفة. وإنما عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة بعد دخولهما في أسماء الملائكة لفضيلتهما، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1] الآية. ومعنى الآية: من كان عدواً لأحد من هؤلاء فإن اللَّه عدو له. فالواو فيه بمعنى «أو» يعني من كفر باللَّه أو ملائكته أو كتبه، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ قال ابن صوريا: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل اللَّه عليك من آية بينة. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ هم اليهود وغيرهم. سمي الكفر فسقاً، لأن الفسق: الخروج من شيء إلى شيء. واليهود خرجوا من دينهم بتكذيب النبي صلى اللَّه عليه وسلم[2]. والفاسقون: هم الخارجون عن أمر اللَّه.

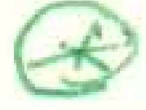
قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾ واو العطف دخل عليها ألف

---

(1) سورة الأحزاب (33)، الآية: 7.

(2) تفسير الطبري: 2/ 398 ـ سيرة ابن هشام: 2/ 548.

الاستفهام كما يدخل على الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾[1] و﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾[2] وعلى «ثم» كقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾[3]. قرأ أبو السمال[4]: أو كلما ساكنة الواو على النسق[5]. و«كلما» انتصب على الظرف.



قوله تعالى: ﴿عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ يعني اليهود. قال ابن عباس: لما ذكر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لهم ما أخذ عليهم وما عهد إليهم فيه، قال مالك بن الصيف: واللَّه ما عهد إلينا في محمد عهداً ولا ميثاقاً. فأنزل اللَّه هذه الآية[6] توضحه قراءة أبي رجاء العطاردي «أو كلما عوهدوا عهداً»[7] فجعلهم مفعولين. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[8] الآية. وقال بعضهم: هو أن اليهود عاهدوا لئن خرج محمد ليؤمنن به وليكونن معه على مشركي العرب، وينفونهم عن بلادهم. فلما بعث تفضوا العهد، وكفروا به، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي طرحوه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صدق ما جاء به النبي صلى اللَّه عليه وسلم، أي أنهم يعلمون ذلك ولكنهم تجاهلوه كأنهم لا يعلمون.



قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة. والنبذ: الطرح. وقرأ ابن مسعود: نقضه فريق. وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين

---

(1) سورة يونس (10)، الآية: 42.
(2) سورة الكهف (18)، الآية: 50.
(3) سورة يونس (10)، الآية: 51.
(4) أبو السمال، قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري. له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس.
غاية النهاية: 2/ 72 رقم: 2614.
(5) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 64.
(6) نفسه.
(7) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 64.
(8) سورة آل عمران (3)، الآية: 187.

رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وبين اليهود كفعل قريظة والنضير، ودليله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾[1]، وكانوا قد عاهدوا النبي صلى اللّه عليه وسلم أن لا يعينوا عليه أحداً، فنقضوا وأعانوا مشركي قريش عليه يوم الخندق. وإنما قال ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ لأن علماءهم هم الذين نبذوا العهد عناداً مع العلم به. وإنما قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ لأن منهم من آمن، وهو ابن سلام وكعب الأحبار وغيرهما. والنبذ وراء الظهر مثل لمن يستخف بالشيء ولا يعمل به. تقول العرب: اجعل هذا خلف ظهرك، وتحت قدمك، ودبر أذنك: أي اتركه وأعرض عنه.

قال اللّه تعالى: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾[2]، وأنشد الزجاج:

نظرت إلى عنوانه فنبذته ∴ كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا[3]

قوله تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

---

(1) سورة الأنفال (8)، الآية: 56.

(2) سورة هود (11)، الآية: 92.

(3) ينسب هذا البيت إلى أبي الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني التابعي المعدود من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، وواضع علم النحو في بعض الأقوال. له ديوان شعر مطبوع. توفي رحمه اللّه سنة تسع وستين هجرية.
الطبقات الكبرى: 7/ 99 ـ طبقات الزبيدي: 13 ـ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 1/ 171 ـ تهذيب التهذيب: 5/ 37.
وكان هذا البيت من جملة أبيات كتب بها إلى صديقه الحصين بن الحر والي ميسان، الذي كان أبو الأسود قد كتب إليه في أمر يهمه فلم يقضه له وشغل عنه. ولا يوجد هذا البيت في الديوان المطبوع. (الزجاج، معاني القرآن: 1/ 181، مجاز القرآن، لأبي عبيدة: 1/ 48 ـ تفسير الطبري: 2/ 401 ـ اللسان: غنن).

يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿102﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿103﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يعني اليهود، وهو عطف على ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ كأنه قال: نبذوا كتاب اللّه، واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان. ومعنى ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي ما تلت، قيل: هم شياطين الجن، وقيل: شياطين الجن والإنس على ملك سليمان، أي على عهد ملك سليمان، وقيل معنى تتلو: تكذب. يقال: فلان تلا عن فلان: إذا صدق في الحكاية وتلا عليه: إذا كذب عليه، كما يقال: قال عنه وقال عليه. وقال ابن عباس: تتلو أي تتبع وتعمل. وقال عطاء: تتحدث وتتكلم به. وقرأ الحسن: الشياطون بالواو في موضع الرفع في كل القرآن[1]. وسئل أبو حامد الخارزنجي[2] عن قراءة الحسن هذه، فقال: هي لحن فاحش عند أكثر أهل الأدب. غير أن الأصمعي[3] زعم أنه سمع أعرابياً يقول: بستان فلان حوله بساتون[4]. وقصة ذلك: أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات[5] على لسان آصف: هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك. ثم دفنوها تحت مصلاه حين انتزع اللّه ملكه. ولم يشعر بذلك سليمان. فلما مات عليه السلام،

---

(1) يراجع ابن عطية في تفسيره: المحرر الوجيز: 1/ 305.

(2) أبو حامد أحمد بن محمد البستي الخارزنجي: إمام في الأدب واللغة بخراسان في عصره، شهد له علماء العراق بالتقدم في اللغة وسمع الحديث من أبي عبد اللّه البوشنجي. وعنه أبو عبد اللّه الحاكم. صنف تكملة كتاب العين. توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة هجرية.
بغية الوعاة: 1/ 388 ـ السمعاني، الانساب: 1/ 184.

(3) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة اللغة والأدب. ولد بالبصرة وكان كثير التجول في البادية يقتبس علومها، ويتلقى أخبارها. قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. له مؤلفات كثيرة منها: «الأضداد» و«خلق الإنسان» وغيرهما. توفي رحمه اللّه سنة ست عشرة ومائتين هـ.
بغية الوعاة: 2/ 112 ـ طبقات الزبيدي: 183 ـ تهذيب التهذيب: 6/ 415.

(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 65.

(5) في شرح القاموس: النيرنجيات: التمويهات.

استخرجوها من تحت مصلاه، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه. وأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ اللّه أن يكون هذا علم سليمان فلا نتعلمه. وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائهم، وقالوا: إنما تم ملكه بالسحر وبه سحر الجن والإنس والطير والرياح فلم يزالوا على ذلك الاختلاف، وفشت الملامة لسليمان حتى بعث اللّه محمداً صلى اللّه عليه وسلم، وأنزل عذره على لسانه، وأظهر براءته مما رمي به من الكفر تكذيباً لليهود، فقال عز وجل: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ أي هم الذين كتبوا السحر، وهم الذين يعلمونه الناس. هذا قول الكلبي[1]. وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون كلام اللّه فيما يكون في الأرض من موت أو غيره، فيأتون الكهنة، ويخلطون بما سمعوا كذباً وزوراً في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بذلك، فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب. فبعث سليمان في الناس، وجمع تلك الكتب، وجعلها في صندوق، ودفنها تحت كرسيه، وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه. فلما مات سليمان ضل الناس، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، فتمثل شيطان على صورة إنسان، فأتى نفراً من بني إسرائيل، وقال: هل أدلكم على كنز؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي. وذهب معهم، فأراهم المكان، فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخذوها، قال الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين بهذه الكتب. فلما أخذوها، فشا في الناس أن سليمان عليه السلام كان ساحراً، واتخذ بنو إسرائيل الكتب، ولذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود. فلما جاء محمد صلى اللّه عليه وسلم خاصمته اليهود بهذا، فبرأ اللّه سليمان، وأنزل هذه الآية[2].

---

(1) تفير القرطبي: 2/ 42. وعبارة البغوي في تفسيره: 1/ 127 أقرب من حيث اللفظ.

(2) يراجع قول السدي في: تفسير الطبري: 2/ 405.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي بالسحر، فإن السحر كفر، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾. قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً، وأهل الشام بتخفيف النون ورفع الشياطين[1]. وكذلك في الأنفال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾[2] و﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾[3] وقرأ الباقون بالتشديد ونصب ما بعده.

قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾. قال بعضهم: السحر: العلم والحذق بالشيء، قال اللّه تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾[4] أي العالم، وقال بعضهم: هو التمويه بالشيء حتى يتوهم أنه شيء ولا حقيقة له، كالسراب يغر من يراه، قال اللّه تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[5].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾. محل «ما» نصب بإيقاع التعليم عليه، معناه: ويعلمون الذي أنزل على الملكين، ويجوز أن يكون نصباً بالاتباع، أي اتبعوا ما أنزل على الملكين قرأ ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى وابن كثير بكسر اللام من الملكين[6]، وقالوا: هما رجلان ساحران كانا ببابل، لأن الملائكة لا يعلمون الناس السحر.

قوله تعالى: ﴿بِبَابِلَ﴾ هي بابل العراق.

قوله تعالى: ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾: اسمان سريانيان، وهما في محل الخفض على تفسير الملكين بدلاً منهما، إلا أنهما فتحا لعجمتهما ومعرفتهما. وكانت قصتهما، على ما حكاه ابن عباس والمفسرون، أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة، وذلك في زمن إدريس عليه السلام، فعيروهم بذلك وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم فهم يعصونك. فقال اللّه تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركَّبت فيكم ما ركَّبت فيهم

---

(1) تراجع هذه القراءة في: الكشف: 1/ 256 ـ تفسير الثعلبي: خ، 65.
(2) سورة الأنفال (8)، الآية: 17.
(3) سورة الأنفال (8)، الآية: 17.
(4) سورة الزخرف (43)، الآية: 49.
(5) سورة طه (20)، الآية: 66.
(6) سورة تفسير القرطبي: 2/ 52.

لارتكبتم ما ارتكبوا. فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك. قال اللَّه تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض. فاختاروا هاروت وماروت، وكان من أعبد الملائكة وأصلحهم، فركب اللَّه فيهم الشهوة وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق. ونهاهما عن الشرك، والقتل بغير حق، والزنا، وشرب الخمر. فكان يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم اللَّه الأعظم وصعدا إلى السماء[1]. قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتى افتتنا، وذلك أنه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة ـ وكانت من أجمل النساء، وكانت من أهل فارس ملكة في بلدها ـ فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك، فأبت وقالت: لا، إلا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر. فقالا: لا سبيل إلى هذا، فإن اللَّه نهانا عنها. فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر. فشربا وانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا. فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه[2]. قال الربيع بن أنس: وسجدا للصنم. فمسخ اللَّه عز وجل الزهرة كوكباً. وقال الكلبي والسدي: إنها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء، فقالا: بالاسم الأكبر، فقالت: ما أنتما مدركاني حتى تعلمانيه. قال أحدهما للآخر: علمها، قال: إني أخاف اللَّه قال الآخر: فأين رحمه اللَّه؟ فعلماها ذلك فتكلمت به وصعت إلى السماء فمسخها اللَّه كوكباً[3]. فعلى قول هؤلاء هي «الزهرة» بعينها وقيدوها فقالوا: هي الكوكب الأحمر. يدل على صحة هذا القول ما روي عن علي رضي اللَّه عنه قال: كان النبي صلى اللَّه عليه وسلم إذا رأى سهيلاً قال: «**لعن اللَّه سهيلاً إنه كان عشاراً باليمن**». وإذا رأى الزهرة

---

(1) تفسير الطبري: 2/ 427،
(2) البغوي في تفسيره: 1/ 130.
(3) نفسه: 1/ 131.

قال: «**لعن اللَّه الزهرة فإنها فتنت ملكين**». وكان ابن عمر رضي اللَّه عنهما إذا رأى الزهرة قال: لا مرحباً ولا أهلاً[1]. وعن ابن عباس: أن المرأة التي فتنت هاروت وماروت مسخت، فهي هذه الكوكبة الحمراء، يعني الزهرة. وأنكر الآخرون هذا وقالوا إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم اللَّه بها فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥﴾[2]، وإنما المرأة التي فتنت هاروت وماروت كان اسمها زهرة من جمالها، فلما رأى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذلك سهيل كان رجلاً عشارا، فلما رأى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم النجم ذكره فلعنه واللَّه أعلم. قال المفسرون: فلما أمسيا هاروت وماروت بعدما أصابا الذنب، همَّا بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما، فقصدا إدريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما، وسألاه أن يشفع لهما وقالا: إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاشفع لنا إلى ربك. ففعل إدريس، فخيرهما اللَّه تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع، فهما ببابل يعذبان. واختلف العلماء في عذابهما، فقال ابن مسعود: هما معلقان بشعورهما إلى يوم القيامة. وقال قتادة: كبلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما. وقال مجاهد: إن جبا ملئت ناراً فجعلا فيها. وقيل معلقان منكسان في السلاسل، وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد. وروي أن رجلاً أراد أن يتعلم السحر فقصدهما فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهما وبين الماء، إلا أربعة أصابع، وهما يعذبان بالعطش. فلما رأى ذلك هاله مكانهما، فقال: لا إله إلا اللَّه. فلما سمعا كلامه قالا: من أنت؟ قال: رجل من الناس. قالوا: ومن أي أمة أنت؟ قال: من أمة محمد صلى اللَّه عليه وسلم. قالا: أو قد بعث محمد؟ قال: نعم. قالا: الحمد لله، وأظهرا الاستبشار. قال الرجل: ومم استبشاركما؟ قالا: إنه نبي الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا[3].

---

(1) رواه الطبري في تفسيره: 2/ 433.

(2) سورة التكوير (81)، الآية: 15.

(3) تراجع هذه الأقوال في: تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 67.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يعني الملكين. و«من» صلة، أي لا يعلمان أحداً السحر حتى ينصحاه أولاً وينهياه، ويقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلم السحر، يقولان له ذلك سبع مرات. قال السدي وعطاء: فإن أبى إلا التعلم قالا له: إئتِ هذا الرماد فبل فيه، يخرج نور ساطع في السماء فتلك المعرفة، وينزل شيء أسود حتى يدخل مسامعه يشبه الدخان، فذلك غضب اللَّه عز وجل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ إنما وحدها لأنها مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع مثل قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[1]. وفي مصحف أبي: وما يعلم المكان من أحد. وتعلم السحر لا يكون إثماً كمن يقول لرجل علمني ما الزنا؟ وما السرقة؟ فيقول: هو كذا وكذا، ولكنه حرام فلا تفعله. وهما كانا لا يصفان السحر لأحد حتى يقولا: إنما نحن اختبار وابتلاء للناس، فلا تكفر أيها المتعلم، أي لا تتعلم العمل به. وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قدمت عليَّ امرأة من أهل دومة الجندل تبغي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بعد موته لتسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به. فلما لم تجد رسول اللَّه بكت حتى رحمتها، وقالت: إني أخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج فغاب عني، فدخلت على عجوز، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك فأجعله يأتيك. فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما، وركبت الآخر فلم يكن كثيراً حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ قلت: لتعلم السحر. فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي. فقلت: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت، ففزعت، فلم أفعل، فجئت إليهما فقالا: فعلت؟ قلت: نعم. قالا: هل رأيت شيئاً؟ قلت: لا. قالا: كذبت، إنك لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك إنما نحن فتنة فلا تكفري. فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت،

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 7.

فاقشعر جلدي. فرجعت إليهما فقلت: قد فعلت. فقالا: هل رأيت شيئاً؟ فقلت: لا. فقالا: كذبت لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك فلا تكفري. فأبيت. فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي، فذهبت فبلت فيه، فرأيت فارساً مقنعاً بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء، وغاب عني حتى لم أره، فجئتهما فقلت: قد فعلت. فقالا: ما رأيت؟ فقلت: رأيت فارساً مقنعاً بالحديد خرج مني فذهب في السماء حتى غاب عني. قالا: صدقت، ذاك إيمانك خرج منك، اذهبي. فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان سقط في يدي وندمت. والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً[(1)].

قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ قيل معناه: يعمل به السامع فيكفر بالعمل فتقع الفرقة بينه وبين زوجته بالردة إذا كانت مسلمة، وقيل معناه: السعي بينهما بالنميمة والإغراء والإفساد وتمويه الباطل لكي ينقص كل واحد منهما صاحبه فيفارقه. قرأ الحسن: بين المر، بالتشديد. وقرأ الزهري بضم الميم والهمز، وقرأ الباقون بفتح الميم والهمز[(2)].

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ أي بالسحر من أحد، أي أحد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي بعلمه وقضائه ومشيئته.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾ أي يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم في الدنيا، وقيل معناه: يضرهم ولا ينفعهم كلاهما في الآخرة، لأن السحر كان ينفعهم في الدنيا لأنهم يتكسبون به.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أي علمت اليهود لمن اشتراه، أي لمن اختار السحر والكفر على الإيمان ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ أي من

---

(1) رواه الطبري في تفسيره: 2/ 439 رقم: 1695، من طريق ابن أبي الزناد.

(2) يراجع ابن عطية في تفسيره: 1/ 310 حيث قال: وقرأ الحسن والزهري وقتادة: «المر» براء مكسورة وخفيفة، وروي عن الزهري تشديد الراء، وقرأ ابن أبي إسحاق: «المرء» بضم الميم وهمزة وهي لغة هذيل، وقرأ الأشهب العقيلي: «المرء» بكسر الميم وهمزة ورويت عن الحسن، وقرأ جمهور الناس: «المرء» بفتح الميم وهمزة.

نصيب. وقال الحسن: من دين ولا وجه عند اللَّه. وقال ابن عباس: من قوام. وقيل: من خلاص. قال أمية[1]:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم ∴ إلا سرابيل من قطر وأغلال[2]

أي لا خلاص لهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي باعوا به أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق، وقيل: لبئسما باع المستعملون السحر أنفسهم بعقوبة الآخرة. وذهب جماعة إلى أن قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ عطف على: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ في معنى النفي كأنه قال: لم ينزل على الملكين، ولكن الشياطين هاروت وماروت وأتباعهما يعلِّمون الناس السحر والغرض من هذه الآية أن بهت اليهود وكذبهم حملهم على أخذ السحر من الشياطين، وادعوا أنهم أخذوه من سليمان، وأن ذلك اسم اللَّه الأعظم ليكتسبوا به.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ أي لو أن اليهود آمنوا بمحمد صلى اللَّه عليه وسلم والقرآن واتقوا اليهودية والسحر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي لكان ثواب اللَّه خيراً لهم من كسبهم بالكفر والسحر.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ

---

(1) أمية بن عبد اللَّه بن أبي الصلت الثقفي: شاعر جاهلي وحكيم من أهل الطائف. كان مطلعاً على الكتب القديمة، ويلبس المسوح تعبداً، وفي شعره ذكر الآخرة. أدرك الإسلام ولم يسلم. توفي بالطائف سنة خمس هجرية.
الشعر والشعراء: 194 ـ البستاني، أدباء العرب: 1/ 144 ـ خزانة البغدادي: 2/ 246 ـ الأعلام: 2/ 32.

(2) وهو بيت مفرد في ديوان: 47. وقوله: «فيها» أي النار، يعني لا نصيب لهم في النار ولا حظ إلا سرابيل النحاس الذائب والأغلال.

خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: راعنا يا رسول اللَّه، وأرعنا سمعك: يعنون من المراعاة، وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً باليهودية، قيل كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت. فلما سمعها اليهود اغتنموها، وقالوا فيما بينهم: كنا نسب محمداً سراً، فأعلنوا له الآن بالشتم. فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم. فسمعها سعد بن معاذ(1) رضي اللَّه عنه ففطن بها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة اللَّه، والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لأضربن عنقه. قالوا: أو لستم تقولونها؟ فأنزل اللَّه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ لكيلا تجد اليهود سبيلاً إلى سب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم(2). وقيل معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للنبي صلى اللَّه عليه وسلم راعنا، أي اسمع إلينا نستمع إليك. وقيل إن اليهود قالوا للنبي صلى اللَّه عليه وسلم: اسمع إلى كلامنا حتى نسمع إلى كلامك. فنهى اللَّه عنه، إذ لا يجوز لأحد أن يخاطب أحداً من الأنبياء إلا على وجه التوقير والإعظام.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ يحتمل أن يكون من النظر الذي هو الرؤية، ويحتمل أن يكون انتظرنا حتى تبين لنا ما تعلمنا. وقال مجاهد: معناه فهِّمنا، وقال بعضهم: معناه بين لنا.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ أي اسمعوا ما تؤمرون به. والمراد: أطيعوا.

---

(1) أبو عمرو، سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري: صحابي جليل من الأبطال كانت له سيادة الأوس وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحداً، رمي بسهم يوم الخندق فمات من أثر ذلك رحمه اللَّه سنة خمس هـ.
الاستيعاب: 2/ 602 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 420 ـ صفة الصفوة: 1/ 455.

(2) يراجع: الواحدي، أسباب النزول: 40 وفيه «سعد بن عبادة» ـ السيوطي، أسباب النزول: 20 ـ تفسير القرطبي: 2/ 57 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 67.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني اليهود.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي ما يتمنى الذين كفروا من يهود المدينة ونصارى نجران، ولا من مشركي العرب عبدة الأوثان أن ينزل عليكم أيها المؤمنون من خير من ربكم من الوحي وشرائع الإسلام. قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مجرور في اللفظ بالنسق على ﴿أَهْلِ﴾ مرفوع في المعنى بفعله، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي خير، كما تقول: ما أتاني من أحد، فـ«من» فيه وفي أخواته صلة وهي كثيرة في القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي يختار برحمته للنبوة والإسلام من يشاء، فاختص بها محمداً صلى اللّه عليه وسلم. والاختصاص آكد من الخصوص، لأن الاختصاص لنفسك، والخصوص لغيرك، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ على من اختصه بالنبوة والإسلام قوله تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (106) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾. قيل سبب نزول هذه الآية أن اليهود كانوا يقولون حين حولت القبلة إلى الكعبة: إن كان الأول حقاً فقد رجعتم. وإن كان الثاني حقاً فقد كنتم على الباطل. وقيل سببها أن اليهود كانوا ينكرون نسخ الشرائع، ويقولون: إن النسخ سببه الندامة، ولا يجوز ذلك على اللّه. فنزلت هذه الآية رداً عليهم، وبيّن أنه يدبر الأمر كيف يشاء. ومعناه: ما نبدل من آية أو نتركها غير منسوخة نأت بخير من المنسوخة، أي أكثر من الثواب. وقيل: ألين وأسهل على الناس، أو مثلها في المصلحة والثواب. قيل

---

(1) سورة الأنعام (6)، الآية: 38.

إن قوله: ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ مثل الأمر بالقتال فرض اللّه في القتال أول ما فرض الجهاد أن يكون كل مسلم يعدل عشرة من الكفار. فكان لا يحل له أن يفر من عشرة كما قال تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾[1] الآية ولم يقل أحد إن بعض القرآن خير من بعض في التلاوة والنظم، إذ جميعه معجز. وأما قوله تعالى: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾[2] فهو مثل آية القبلة جعل اللّه ثواب الصلاة إلى الكعبة بعد النسخ مثل ثواب الصلاة إلى بيت المقدس قبل النسخ. روي أن المشركين قالوا: ألا ترون أن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً. ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً. فأنزل اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿101﴾﴾[3]، وأنزل أيضاً: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ﴾. قرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين، ومعناه على هذه القراءة: نجعله نسخة: من قولك نسخت الكتاب إذا كتبته. وقرأ الباقون: ننسخ بفتح النون والسين[5]. وقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾. قرأ سعيد بن المسيب وشيبة ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ننسها بضم النون وكسر السين[6]. ومعناها: نأمر بتركها. وقرأ أبي بن كعب: أو ننسيك[7]. وقرأ عبد اللّه: ما ننسيك من آية أو ننسخها. وقرأ سالم[8] مولى أبي حذيفة: أو

---

(1) سورة الأنفال (8)، الآية: 65.
(2) نفس السورة، الآية: 66.
(3) سورة النحل (16)، الآية: 101.
(4) الواحدي، أسباب النزول: 40 ـ البغوي في تفسيره: 1/ 135.
(5) مكي، الكشف: 1/ 257 ـ تفسير القرطبي: 2/ 67.
(6) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 68.
(7) المصدر نفسه.
(8) أبو عبد اللّه، سالم بن معقل، مولى أبي حذيفة: صحابي جليل فارسي الأصل أعتقته بثينة زوجة أبي حذيفة صغيراً وتبناه أبو حذيفة، وزوّجه ابنة أخ له. كان يؤم المهاجرين الأولين =

نسيكها[1]. وقرأ أبو رجاء: أو ننسِّيها بالتشديد. وقرأ الضحاك: أو تنسها بضم التاء وفتح السين[2]. وقرأ سعد بن أبي وقاص[3]: أو تنسها بتاء مفتوحة. وعن القاسم بن ربيعة[4] قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ: أو تنسها، فقلت له: إن سعيد بن المسيب يقرأ: تنسها. فقال: إن القرآن لم ينزل على آل المسيب[5]. قال اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلم ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ⑥﴾[6] وقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[7]. وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس وعطاء وابن كثير وأبو عمرو والنخعي: أو ننسأها ـ بفتح النون الأولى وفتح السين مهموزة[8] ـ ومعناه: نتركها؛ يقال: نسيت الشيء إذا تركته، ومنه قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[9]. وقيل معناه: يؤخرها فلا يبدلها ولا ينسخها. يقال: نسأ اللّه في أجله وأنسأ اللّه أجله، ومنه النسيئة في البيع قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي ما هو أسهل وأنفع وأكثر أجراً لا أن آية خير من آية لأن كلام اللّه واحد وكله خير. قوله تعالى: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ يعني في المنفعة والثواب.

= في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر. وفي صحيح الحديث: «خذوا القرآن من أربعة: ابن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب». توفي رحمه اللّه سنة اثنتي عشرة هجرية.
الاستيعاب: 2/ 567 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 85.

(1) الثعلبي في المصدر السابق.

(2) ابن جني، المحتسب في وجوه شواذ القراءات: 1/ 103. تح. النجار وآخرون. إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1386هـ.

(3) أبو إسحاق، سعد بن أبي وقاص القرشي: صحابي جليل، فاتح العراق ومدائن كسرى، أحد الستة الذين اختارهم عمر للخلافة، وأحد المبشرين بالجنة. تولى الكوفة في عهد عمر وعثمان. توفي رحمه اللّه سنة خمس وخمسين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 606 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 137 ـ حلية الأولياء: 1/ 92.

(4) القاسم بن عبد اللّه بن ربيعة الثقفي. روى عن سعد بن أبي وقاص. وعنه يعلى بن عطاء العامري. تهذيب التهذيب: 8/ 320.

(5) أخرجه الحاكم في المستدرك: 2/ 242، وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ـ تفسير الطبري: 2/ 475.

(6) سورة الأعلى (87)، الآية: 6.

(7) سورة الكهف (18)، الآية: 24.

(8) تفسير القرطبي: 2/ 67 ـ مكي، الكشف: 1/ 258.

(9) سورة التوبة (9)، الآية: 67.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي من النسخ والتبديل. قال الزجاج: لفظه استفهام ومعناه تفهيم وتقرير[1].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ألم تعلم يا محمد أن اللّٰه له ملك السماوات والأرض ومن فيهن وأنه أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغير متروك. ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى اللّٰه عليه وسلم والمراد به غيره، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يجوز أن يكون تطييباً لنفوس المؤمنين، وبيان أنه وليهم وناصرهم، وأنه بنصره إياهم يغلبون من سواهم. ويجوز أن يكون وعيداً لمن لا يؤمن بالناسخ والمنسوخ، أي ليس لكم رقيب ينفعكم، ولا مانع يمنعكم من عذاب اللّٰه تعالى.

قوله تعالى:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿108﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾. قال ابن عباس: نزلت في عبد اللّٰه بن أبي أمية المخزومي وفي رهط من قريش أتوا النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وقالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً ونحن نؤمن بك، ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿90﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾[3] إلى آخر الآية، فأنزل اللّٰه هذه الآية[4]، ومعناها: أتريدون؟ والميم صلة، وقيل معناها: بل تريدون. وسألوا رؤية اللّٰه كما سألها السبعون رجلاً من بني إسرائيل موسى.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه: 1/191.

(2) سورة الطلاق (65)، الآية: الأولى.

(3) سورة الإسراء (17)، الآية: 90 ـ 91.

(4) الواحدي، أسباب النزول: 40 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 69.

وقوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ يعني محمداً صلى اللّه عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ﴾ أي من يختر الكفر على الإيمان ويستبدله به ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾ أي أخطأ قصد الطريق.

قوله تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (109) وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾. نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفة[1] بن اليمان وعمار بن ياسر[2] بعد وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم؟ ولو كنتم على الحق ما هزمتم، وارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلاً. فقال لهم عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديداً. قال: فإني عهدت أن لا أكفر بمحمد صلى اللّه عليه وسلم ما عشت. فقالت اليهود: أما هذا فقد صبأ. وقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيت باللّه ربا، وبمحمد صلى اللّه عليه وسلم نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخواناً.

---

(1) أبو عبد اللّه، حذيفة بن حسيل بن اليمان: صحابي جليل ومن الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في المنافقين، وكان عمر يرقبه في الصلاة على الموتى فإذا صلى حذيفة على الميت صلى عمر، وأسند له ولاية المدائن وبقي فيها إلى أن توفي سنة ست وثلاثين هجرية.
الإصابة: 1/ 317 _ الاستيعاب: 1/ 334 _ أسد الغابة: 1/ 107 _ حلية الأولياء: 1/ 270.

(2) أبو اليقظان، عمار بن ياسر العنسي: صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام والجهر به والذين عذبوا في ذلك فصبروا، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع النبي صلى اللّه عليه وسلم. توفي رحمه اللّه سنة سبع وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1135 _ الطبقات الكبرى: 3/ 246 _ حلية الأولياء: 1/ 139 _ البداية والنهاية: 2/ 312.

ثم أتيا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأخبراه بذلك فقال: «**أصبتما الخير وأفلحتما**»، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] الآية لو يردونكم يا معشر المؤمنين من بعد إيمانكم كفاراً. نصب «كفارا» بـ «يرد»، وقيل على الحال.

قوله تعالى: ﴿حَسَدًا﴾ أي حسداً لكم لتشريف اللَّه إياكم عليهم بوضع النبوة فيكم بعدما كانت في بني إسرائيل. وانتصب «حسداً» على المصدر، وقيل بنزع الخافض تقديره: للحسد.

قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ راجع إلى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لا إلى قوله: ﴿حَسَدًا﴾، لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من قبل نفسه. فكأن اللَّه تعالى بيَّن أن مودتهم ردكم إلى الكفر لا لأن دينهم يأمرهم بذلك، ولكن ذلك من عند أنفسهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ في التوراة وسائر الكتب: أن محمداً صلى اللَّه عليه وسلم صادق ودينه حق، وقيل معنى ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: أي لم يأمرهم اللَّه بذلك.

قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي اتركوهم وأعرضوا عنهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي حتى يأذن لكم في قتالهم وسبيهم، وينصركم عليهم. وقد جاء اللَّه تعالى بأمره حين استقرت آيات النبي صلى اللَّه عليه وسلم ومعجزاته ولم يؤمنوا، أمر اللَّه النبي صلى اللَّه عليه وسلم بقتالهم بقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[2]، إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات، فقتلوا بني قريظة وأجلوا بني النضير. وقيل معنى ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: قيام الساعة فيجازيهم بأعمالهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. لما أمر اللَّه تعالى بالصفح عن اليهود، علم أن ذلك يشق على المسلمين، فأمرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاة والزكاة كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[3].

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 41 ـ البغوي، معالم التنزيل: 138.
(2) سورة التوبة (9)، الآية: 29.
(3) سورة البقرة (2)، الآية: 45.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني من طاعة وعمل صالح تجدوا ثوابه ونفعه عند اللّه، وقيل: أراد بالخير المال، كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[1] ومعناه: وما تقدموا لأنفسكم من زكاة وصدقة التمرة واللقمة تجدوه عند اللّه مثل أحد. وفي الحديث: «**إذا مات العبد قالت الناس: ما خلَّف. وقالت الملائكة: ما قدَّم**». روي أن علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه دخل المقابر فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، أموالكم قسمت، ودوركم سكنت، ونساؤكم نكحت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ فهتف هاتف: وعليكم السلام، ما أكلنا ربحنا، وما قدمنا وجدنا، وما خلفنا خسرنا[2].

قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾. قال الفراء: أراد «يهوداً» فحذف الياء الزائدة. وقال الأخفش: هو جمع هائد مثل عائد وعود، وحائك وحوك[3]. وفي مصحف أبي: إلا من كان يهودياً أو نصرانياً. ومعنى الآية: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا النصرانية. فأنزل اللّه تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾. يجوز أن تكون تلك كناية عن الجنة، ويجوز أن تكون عن المقالة. وأمانيهم: أباطلهم بلغة قريش، وقيل شهواتهم التي تمنوها على اللّه بغير الحق. قل لهم يا محمد: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي حججكم على ذلك من التوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾،

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 180.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 69.

(3) الأخفش، معاني القرآن: 1/ 331.

ثم قال تعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم: ﴿بَلَىٰ﴾ أي ليس كما قالوا، بل يدخل الجنة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي من أخلص دينه لله، وقيل من فوض أمره إلى اللَّه تعالى، وقيل من خضع وتواضع لله. وأصل الإسلام: الاستسلام وهو الخضوع والانقياد، وإنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي محسن في عمله، وقيل معناه: وهو مؤمن مخلص ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي فيما يستقبلهم من أهوال يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا في الدنيا، لأنهم يتيقنون بثوابهم عند اللَّه.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿113﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾. قال ابن عباس: صدق كل واحد من الفريقين، ولو حلف على ذلك ما حنث، وليس أحد من الفريقين على شيء[1].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي وكلا الفريقين يقرؤون كتاب اللَّه. ولو رجعوا إلى ما معهم من الكتاب لما اختلفوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي الذين ليسوا بأهل كتاب نحو المجوس ومشركي العرب يقولون أيضاً: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا، وقيل أراد بالذين لا يعلمون آباءهم الذين مضوا. وقال مقاتل: هم مشركو العرب قالوا في محمد صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه: ليسوا على شيء

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 141.

من الدين[1]. قال ابن جريج: قلت لعطاء: كيف الذين لا يعلمون، من هم؟ قال: أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونحوهم، قالوا في أنبيائهم ليسوا على شيء، وأن الدين ديننا.

قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي يقضي بين اليهود والنصارى والمشركين يوم القيامة، أي يريهم من يدخل الجنة عياناً، ومن يدخل النار عياناً.

قوله تعالى: ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ يعني من الدين.

قوله تعالى:

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾﴾.

نزلت هذه الآية في ططوس بن اسبيسبانوس الرومي وأصحابه وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم، وخربوا بيت المقدس وألقوا فيه الجيف، وذبحوا فيه الخنازير، وكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر رضي اللَّه عنه، ولم يدخل بيت المقدس بعد عمارته رومي إلا خائفاً مستخفياً ولو علم به لقتل[2]. وقال قتادة والسدي: نزلت في بختنصر وأصحابه الذين غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس، وأعانهم على ذلك ططوس الرومي وأصحابه النصارى من أهل الروم وذلك لبغضهم اليهود[3]. إلا أن هذا يشبه الغلط، فالأول أظهر لأنه لا خلاف أن بختنصر كان قبل مولد عيسى بدهر طويل، والنصارى إنما ينتمون إلى عيسى عليه السلام. فكيف يكونون مع بختنصر؟ ومعنى الآية: ومن أظلم، أي ومن أكفر وأعتى ممن منع مساجد اللَّه، يعني بيت المقدس ومحاريبه، وقوله: ﴿أَن يُذۡكَرَ﴾ في موضع نصب مفعول ثان،

---

(1) البغوي، في المرجع نفسه.
(2) الواحدي، أسباب النزول: 41 ـ البغوي، معالم التنزيل: 1/ 141.
(3) الواحدي، أسباب النزول: 42 ـ البغوي، معالم التنزيل: 1/ 142 ـ تفسير الطبري: 2/ 520.

لأن المنع يتعدى إلى مفعولين، وإن شئت جعلته نصباً بنزع الخافض أي: بأن يذكر.

وقوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾. قال قتادة ومقاتل: لم يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا مستنكر مسارقة لو قدر عليه عوقب ونهك ضرباً. قال السدي: أخيفوا بالجزية. وقال أهل المعاني: هذا خبر فيه معنى الأمر يقول: أجهضوهم بالجهاد لئلا يدخلها أحد منهم إلا خائفاً من القتل والسبي[(1)].

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي عذاب وهوان، وهو القتل والسبي إن كانوا حرباً، والجزية إن لم يكونوا حرباً.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو النار. وقال عطاء: نزلت هذه الآية في مشركي مكة، وأراد بالمسجد: المسجد الحرام منعوا النبي صلى اللَّه عليه وسلم والمسلمين من ذكر اللَّه فيه وصدوهم عنه عام الحديبية[(2)]. فعلى هذا سعيهم في خرابها هو المنع من ذكر اللَّه فيها، لأن عمارة المساجد بإقامة العبادات فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ يعني أهل مكة. يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم. ففتحها اللَّه عليهم، وأمر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم منادياً ينادي: ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فمنعوا منها، فهذا خوفهم، لهم في الدنيا خزي وذل وقتل ونفي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. وقيل المراد بالآية جميع الكفار الذين منعوا المسلمين من المساجد. وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد. قال عليه السلام: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا**»[(3)]. فعلى هذا تقديره: ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، أي يظهر اللَّه الإسلام على جميع الأديان، ولا يدخل الكفار المساجد

---

(1) البغوي في المصدر السابق.

(2) الواحدي، أسباب النزول: 42 ـ البغوي، معالم التنزيل: 1/ 142.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث جابر: فتح الباري: 1/ 100، رقم: 438، كتاب التيمم ـ ابن ماجه: 1/ 88، باب التيمم.

إلا خائفين، بعدما كانوا لا يتركون المسلمين أن يدخلوا مساجدهم.

قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿115﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿116﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿117﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿118﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿119﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ قيل معناه: لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد اللَّه أن تذكروه حيث كنتم من أرضه. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة رضي اللَّه عنهم كانوا في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا وصلوا، فمنهم من صلى قبل المشرق، ومنهم من صلى قبل المغرب. فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم له يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية[1]. وقال عبد اللَّه بن عامر[2] [بن ربيعة عن أبيه قال][3]: كنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة، فنزلنا منزلاً، فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يصلي فيه، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 143.

(2) أبو محمد، عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة العدوي: ثقة من كبار التابعين. توفي رحمه اللَّه سنة خمس وثمانين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 930 ـ الطبقات الكبرى: 5/ 44.

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من غير بياض من النسخة (ك).
وعامر هو: أبو عبد اللَّه، عامر بن ربيعة العنزي العدوي؛ صحابي جليل. أسلم قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد بدراً وسائر المشاهد. توفي رحمه اللَّه سنة ثلاث وثلاثين هـ.
الاستيعاب: 2/ 970 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 386.

إلى غير القبلة. فأنزل اللّه هذه الآية[1]. وقال عبد اللّه بن عمر[2]: نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته تطوعاً. كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يصلي على راحلته تطوعاً في السفر أينما توجهت به[3]. وقال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة لما صلى إليها المسلمون بعدما كانت قبلتهم بيت المقدس. قالت اليهود: مرة يصلون هكذا ومرة يصلون هكذا. فأنزل اللّه هذه الآية[4]. فإن قيل: لم قال المشرق والمغرب على التوحيد وله المشارق والمغارب؟ قيل: لأنه أخرجه مخرج الجنس كما يقال: أهلك الناس الدنيار الدرهم.

قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي رضى اللّه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[5] أي لرضاه، وقيل معنى فثم وجه اللّه: أي علمه محيط بهم، وقيل معناه: فأينما تولوا وجوهكم أيها المسلمون في سفركم وحضركم فثم قبلة اللّه التي وجهكم إليها فاستقبلوها، يعني الكعبة. وقال الكلبي: معناه: فثم اللّه تعالى يعلم ويرى. والوجه: صلة، كقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾[6] أي يريدونه بالدعاء، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[7] أي إلا هو، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[8] أي ويبقى ربك.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 8/ 292، رقم: 4033، تفسير سورة البقرة ـ وأخرجه الطبري في تفسيره: 2/ 531 ـ والواحدي في: أسباب النزول: 42.

(2) أبو عبد الرحمن، عبد اللّه بن عمر بن الخطاب العدوي: صحابي جليل. نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة. استصغر في بدر وأحد، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد. توفي رحمه اللّه بمكة سنة ثلاث وسبعين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 950 ـ الطبقات الكبرى: 4/ 142 ـ حلية الأولياء: 1/ 292.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 209، جواز صلاة النافلة على الدابة ـ وأخرجه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 8/ 292، رقم: 4032 تفسير سورة البقرة.

(4) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 143.

(5) سورة الإنسان (76)، الآية: 9.

(6) سورة الروم (30)، الآية: 38.

(7) سورة القصص (28)، الآية: 88.

(8) سورة الرحمن (55)، الآية: 27.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. قال الكلبي: يعني واسع المغفرة. وقال أبو عبيدة: الواسع الغني، يقال: فلان يعطي من سعة، أي من غناه. وقال الفراء: الواسع: الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء[1]. وقيل الواسع: الرحيم، دليله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[2]، وقيل الواسع: العالم الذي يسع علمه كل شيء. قال اللّه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[3].

وقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ أي عالم بنياتهم حيثما صلوا ودعوا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ نزلت في يهود المدينة حيث قالوا: عزير ابن اللّه، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن اللّه، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات اللّه[4].

وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ نزه تعالى نفسه.

قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ عبيد وملك أي: من كان مالك السماوات والأرض فإن الأشياء تضاف إليه من جهة الملك.

قوله تعالى: ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ أي مطيعون، وهذا تأويل لا يستغرق الكل، فيكون لفظ عموم أريد به الخصوص، ثم سلكوا في تخصيصه طريقين: أحدهما: راجع إلى: عزير، والمسيح، والملائكة. وهذا قول مقاتل؛ والطريق الثاني: راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين، وهذا قول ابن عباس والفراء. وقال بعضهم هو عام في جميع الخلق، ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما: أن ظلالهم تسجد لله وتطيعه، وهذا قول مجاهد، ودليله قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ١٥﴾[6]، والثاني: قالوا هذا يوم القيامة. قاله السدي، وتصديقه قوله

---

(1) الفراء، معاني القرآن: 1/ 76.
(2) سورة الأعراف (7)، الآية: 156.
(3) سورة البقرة (2)، الآية: 255.
(4) الواحدي، أسباب النزول: 43.
(5) سورة النحل (16)، الآية: 48.
(6) سورة الرعد (13)، الآية: 15.

تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[1]. وقال عكرمة ومقاتل: معنى الآية: كل له مقرون بالعبودية. وقال ابن كيسان:[2]: قائمون بالشهادة[3]. وأصل القنوت: القيام، وقيل: مصلون، دليله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[4]، وقيل: داعون. وسمي دعاء الوتر قنوتاً لأنه يدعو قائماً.

قوله عز وجل: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مبتدعهما ومنشئهما على غير مثال سبق. ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي أراد شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾. وهذه الآية والتي قبلها جواب عن قول جماعة من النصارى ناظروا النبي صلى اللَّه عليه وسلم في أمر عيسى عليه السلام، قال لهم النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «**هو عبد اللَّه ورسوله**». وقالوا: هل رأيت خلقاً من غير أب؟ فأنزل اللَّه هذه الآية وما قبلها جواباً لهم. ومعناها: أن اللَّه مبتدع السموات والأرض وخالقهما، فإذا أراد أمراً مثل عيسى بغير أب أو غير ذلك فإنما يقول له كن فيكون كما أراده. والإبداع: الإنشاء على غير مثال سبق. والبديع فعيل بمعنى مفعل، والبديع أشد مبالغة من المبدع.

قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾، من رفعه فمعناه: فهو يكون، ومن نصبه فعلى جواب الأمر بالفاء. فإن قيل: قوله ﴿كُن﴾ خطاب للموجود أو للمعدوم؟ ولا يجوز الأول لأن الشيء الكائن لا يؤمر بالكون، والثاني: لا يجوز أيضاً، لأن المعدوم لا يخاطب، قيل: إنما قال ذلك على سبيل المثل، لأن الأشياء لسهولتها عليه وسرعة كونها بأمره بمنزلة ما يقال له: كن فيكون، وهذا مثل

---

(1) سورة طه (20)، الآية: 111.

(2) صالح بن كيسان المدني: تابعي ثقة، رأى ابن عمر، وحدث عن عروة بن الزبير ونافع وجماعة، وكان رفيق الزهري في طلب العلم. حدث عنه ابن جريج ومالك وابن عيينة وغيرهم. توفي رحمه اللَّه سنة أربعين ومائة هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 148 ـ ميزان الاعتدال: 2/ 299.

(3) تراجع هذه الأقوال في: تفسير الطبري: 2/ 358 ـ وتفسير الثعلبي: خ، الورقة: 72 ـ وتفسير البغوي: 1/ 144.

(4) سورة الزمر (39)، الآية: 9.

قوله: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[1] لم يرد بهذا أن السماء والأرض كانتا في موضع فقال لهما: ائتيا فجاءتا من ذلك الموضع، ولكن أراد به تكوينهما، فعلى هذا معنى كن فيكون، أي يريده فيحدث.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أراد بالذين لا يعلمون: يهود المدينة وغيرهم من الكفار، وقيل: النصارى، وقيل: مشركي العرب. قالوا: هلا يكلمنا اللَّه عياناً بأنك رسوله، أو تأتينا آية أي علامة دالة على صدقك ونبوتك، يعنون قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾[2] الآية..

قال اللَّه عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يعني اليهود الذين قالوا لموسى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[3].

قوله تعالى: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي قلوب الأولين والآخرين منهم في القسوة والكفر، ويقال: تشابهت قلوب المشركين واليهود والنصارى في القساوة والكفر.

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي لمن أيقن وطلب الحق. والآيات مثل بيان بعث النبي صلى اللَّه عليه وسلم وصفته في التوراة، وانشقاق القمر، إعجاز القرآن وغير ذلك

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي أرسلناك يا محمد بالصدق من قولهم: فلان محق في دعواه: إذا كان صادقاً، دليله قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾[4] أي صدق.. وقال مقاتل: معناه لن نرسلك عبثاً بغير شيء، بل أرسلناك بالحق، دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[5] وهو ضد الباطل. وقال ابن عباس: بالقرآن، دليله قوله تعالى: ﴿بَلْ

---

(1) سورة فصلت (41)، الآية: 11.
(2) سورة الإسراء (17)، الآية: 90.
(3) سورة النساء (4)، الآية: 153.
(4) سورة يونس (10)، الآية: 53.
(5) سورة الحجر (15)، الآية: 85.

﴿كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾[1]. وقال ابن كيسان: بالإسلام دليله قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي بشيراً للمؤمنين بالثواب ونذيراً للفكار بالعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ أي لست تسأل في الآخرة عن أصحاب الجحيم، كما قال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[3] وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾[4] ومن فتح التاء فعلى النهي، وتأويله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «**ليت شعري ما فعل بأبوي**»!؟ فنزلت هذه الآية[5]. وفيه قراءتان: الجزم على النهي، وهي قراءة نافع وشيبة والأعرج ويعقوب، وقرأ الباقون بالرفع على النفي، يعني: لست تسأل عنهم، وقرأ أبي: وما تسأل، وقرأ ابن مسعود: ولن تسأل[6]. والجحيم والجحم والجحمة: معظم النار.

قوله تعالى:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (123)﴾.

---

(1) سورة ق (50)، الآية: 5.

(2) سورة الإسراء (17)، الآية: 81.

(3) سورة فاطر (35)، الآية: 8.

(4) سورة الرعد (13)، الآية: 41.

(5) يراجع تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 73 ـ الواحدي، أسباب النزول: 44 ـ والبغوي، معالم التنزيل: 1/ 146.

(6) مكي، الكشف: 1/ 262 ـ ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع: ص 87 ـ تفسير القرطبي: 2/ 92، 93 ـ تفسير الثعلبي: خ، و: 73.

قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى اللّه عليه وسلم الهدنة ويطمعونه في أن يتبعوه إن هادنهم، فأنزل اللّه هذه الآية[1]. وقيل: كان النبي صلى اللّه عليه وسلم حريصاً على طلب رضاهم طمعاً في أن يرجعوا إلى الحق. وقيل: كانوا يطلبون من النبي صلى اللّه عليه وسلم المسالمة ويطمعونه في أنه إن هادنهم أسلموا. فأمر اللّه النبي صلى اللّه عليه وسلم أن لا يعطيهم ما طلبوه من الهدنة وأخبر أنهم لا يرضون عنه بذلك، وهم يهود المدينة ونصارى نجران. وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما: هذا في القبلة، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى قبلتهم، فلما صرف اللّه القبلة إلى الكعبة شق عليهم ذلك وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل اللّه هذه الآية[2]: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ أي دينهم وقبلتهم بيت المقدس.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي الصراط الذي دعا اللّه إليه. وهو الذي أنت عليه هو صراط الحق.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي اتبعت ملتهم، وصليت إلى قبلتهم ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي بعد ما ظهر لك أن دين اللّه الإسلام، وأن القبلة قد حولت إلى الكعبة ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي ما لك من اللّه من ولي ينفعك ويحفظك من عقابه، ولا نصير يدفع مضرة عقابه عنك. وهذا خطاب للنبي صلى اللّه عليه وسلم، والمراد به عامة الناس مثل قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[3] وقد علم اللّه أنه لا يشرك. وهذا كما يقال في المثل: «إياك أعني فاسمعي يا جارة».

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 44 ـ السيوطي، أسباب النزول: 25 ـ تفسير البغوي: 1/ 147 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 73.
(2) المصادر السابقة.
(3) سورة الزمر (39)، الآية: 65.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾. قال ابن عباس: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب[1]، وكانوا أربعين رجلاً: اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا[2]. وقال الضحاك: هم من آمن من اليهود: عبد اللّه بن سلام وشعبة بن عمرو وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد اللّه بن صوريا. وقال عكرمة: هم أصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم. وقيل هم المؤمنون عامة.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال الكلبي: يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس. وعلى هذا القول تكون «الهاء» راجعة إلى محمد صلى اللّه عليه وسلم. وقال آخرون: هي عائدة على الكتاب. واختلفوا في معناه: قال ابن مسعود: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه عن مواضعه. وقال الحسن معناه: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه. وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ أي بالقرآن، ويقرون بمحمد صلى اللّه عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ويجحد نبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قد تقدم تفسيره. وفائدة تكرار

---

(1) أبو عبد اللّه، جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب: صحابي من السابقين في الإسلام. هاجر إلى الحبشة، ثم عاد منها بعد هجرة الرسول صلى اللّه عليه وسلم إلى المدينة، وصادف رجوعه والرسول بخيبر، حضر وقعة مؤتة بأرض الشام فاستشهد بها سنة ثمان من الهجرة.
الاستيعاب: 1/ 242 ـ الإصابة: 1/ 237 ـ الطبقات الكبرى: 4/ 34 ـ حلية الأولياء: 1/ 114.

(2) الواحدي، أسباب النزول: 44 ـ تفسير البغوي: 1/ 147 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 73.

القصص والألفاظ أن اللّه تعالى أراد برحمته أن يشهر القصص في أطراف الأرض، ويلقنها في كل مسمع، ويبثها في كل قلب، ويزيد الحاضرين إفهاماً. فإن القرآن نزل بلسانهم، ومن مذهبهم أن التكرار إرادة التوكيد وزيادة الإفهام.

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿124﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿125﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿126﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي اختبره بما تعبده من السنين وهي عشر خصال: خمس في الرأس، وهي المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وفرق الرأس؛ وخمس في الجسد: التقليم، والختان، والاستنجاء بالماء، وحلق العانة، ونتف الإبط. وقيل معناه: ابتلاه اللّه بالمناسك، أي تعبده بها، وهي: عرفة، والمزدلفة، والرمي، والطواف، والسعي. وقيل: ابتلاه بأمر عظيم فصبر وأحسن الظن باللّه، فأول ذلك: الكواكب، والقمر، والشمس، ثم النار فجعلها عليه برداً وسلاماً. ثم بالهجرة من أهله وولده، ثم بالختان على رأس ثمانين سنة، ثم بذبح الولد فاتخذه اللّه خليلاً.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي عمل بهن ولم يترك منهن شيئاً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي يقتدى بك. قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي ومن أولادي فاجعل أئمة يقتدى بهم. وأصل الذرية: الأولاد الصغار، مشتق من الذر لكثرته، وقيل من الذرء وهو الخلق، وفيه ثلاث لغات: ذرية ـ بكسر الذال ـ وهي قراءة زيد بن ثابت[1]؛ وذرية ـ بفتح الذال ـ وهي

---

(1) تفسير القرطبي: 2/ 107.

وقراءة أبي جعفر[1]؛ وذرية ـ بضم الذال ـ وهي قراءة العامة[2].

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أعلمه اللَّه أن في ذريته الظالم والظالم لا يصلح إماماً، وفيه ثلاث قراءات[3]: عهدي الظالمون ـ بالواو ـ وهي قراءة ابن مسعود: و﴿عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ـ بإسكان الياء ـ وهي قراءة الأعمش وحفص وحمزة؛ وعهديَ ـ بفتح الياء ـ وهي قراءة العامة. واختلفوا في هذا العهد: فقال عطاء: رحمتي؛ وقال الضحاك: طاعتي، ودليله قوله العهد: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[4]؛ وقال السدي: نبوتي؛ وقال حذيفة: أمانتي، دليله قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[5]؛ وقال أبو عبيدة: أماني، دليله قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾[6]. قال السدي: ليس للظالم أن يطاع في ظلمه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ يعني جعلنا الكعبة مثابة أي مرجعاً. وقال ابن عباس: يعني معاذاً وملجأ. وقال ابن جبير ومجاهد والضحاك: يثوبون إليه من كل جانب، ويحجونه ولا يملون منه، فما من أحد قصده إلا ويتمنى العود إليه. وقال قتادة وعكرمة: مجمعاً، وقرأ طلحة: مثابات[7]. وقيل: يحجون إليه ويثابون عليه.

---

(1) أبو جعفر، يزيد بن القعقاع المخزومي: تابعي ثقة، أحد القراء العشرة، عرض القراءة على عبد اللَّه بن عباس وأبي هريرة وعبد اللَّه بن عياش وغيرهم، وروى عنه نافع وعيسى بن وردان وغيرهما. كان إمام أهل المدينة في القراءة، وكان من المجتهدين المتقنين. توفي رحمه اللَّه سنة ثلاثين ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 382 ـ معرفة القراء: 1/ 48 ـ النشر: 1/ 178.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 74.

(3) تفسير القرطبي: 2/ 108 ـ تفسير البغوي: 1/ 149 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 74.

(4) سورة البقرة (2)، الآية: 40.

(5) سورة النحل (16)، الآية: 91.

(6) سورة التوبة (9)، الآية: 4.

(7) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 74.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْنًا﴾ وصف للبيت، والمراد به جميع الحرم كما قال: ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[1] لأنه لا يذبح فيها ولا في المسجد. ومعنى «وأمناً» أي مأمناً يأمنون فيه. قال ابن عباس: فمن أحدث حدثاً خارج الحرم ثم لجأ إليه أمن من أن يهاج فيه، أي لم يتعرض له ولكن لا يبايع ولا يخالط، ويأكل به، فإذا خرج عنه أقيم عليه الحد، ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد فيه. وهذا كانوا يتوارثونه من زمن إسماعيل إلى أيام النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، وكانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك في الحرم وتستعظم القتل فيه، كان الرجل منهم يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له. ومن الأمن الذي جعله اللّٰه فيه اجتماع الطير والكلب، ولا يهيج الكلب الصيد، ولا ينفر الصيد من الكلب حتى إذا خرجا منه عدى الكلب على الصيد وعاد الصيد إلى الهرب.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ قرأ شيبة ونافع وابن عامر والحسن: واتخذوا بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقون بالكسر على الأمر[2]. قال ابن كيسان: ذكروا أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مر بالمقام ومعه عمر رضي اللّٰه عنه، فقال: يا رسول اللّٰه أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: «**بلى**». قال: أفلا نتخذه مصلى؟ قال: «**لم أومر بذلك**». فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزل[3]: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: وعن أنس بن مالك قال: قال عمر رضي اللّٰه عنه: وافقني ربي في ثلاث[4]: قلت: لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، فأنزل اللّٰه: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول اللّٰه إنه يدخل عليك البر والفاجر، فلو حجبت أمهات المؤمنين. فأنزل

---

(1) سورة المائدة (5)، الآية: 95.

(2) المهذب في القراءات العشر: 1/ 72 ـ تفسير القرطبي: 2/ 111 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 75.

(3) أخرجه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 8/ 295، رقم: 4038، تفسير سورة البقرة ـ وأخرجه ابن ماجه في سننه: 1/ 322، رقم: 1009، باب القبلة. ويراجع تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 74. فإنه أكثر موافقة من حيث اللفظ.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 9/ 20، تفسير سورة البقرة. وأخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 15/ 166، فضائل عمر.

اللّه آية الحجاب[1]. قال: وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى اللّه عليه وسلم، فاستقريتهن أقول لتَكُفُنَّ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، أو ليبدلنه اللّه أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين، فقالت أم سلمة[2]: يا عمر ما في رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من يعظ نساءه حتى تعظنا؟ فأمسكت، فأنزل اللّه تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[3]. واختلفوا في قوله تعالى: ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فقال النخعي: الحرم كله مقام ابراهيم، وقيل المسجد كله مقام إبراهيم، وقال قتادة ومقاتل والسدي: هو الصلاة عند مقام إبراهيم، أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله. وقصة ذلك ما روي عن ابن عباس: لما أتى إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة، ومضت مدة وتزوج إسماعيل امرأة من الجرهميين، استأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له، وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر، فقال لامرأة إسماعيل: أين صاحبك؟ قالت: ليس هو ههنا ذهب يتصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصطاد فقال لها إبراهيم: هل عندك من ضيافة من طعام أو شراب؟ قالت: لا. فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه. وذهب، فجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه. قال: فما قال لك؟ قالت: قال أقرئي زوجك السلام وقولي له يغير عتبة

---

(1) قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ (سورة الأحزاب (33) آية: 53).

(2) أم سلمة، هند بنت أبي أمية المخزومية: إحدى زوجات النبي صلى اللّه عليه وسلم، كانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد، هاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وبعد وفاته تزوجها النبي صلى اللّه عليه وسلم. توفيت سنة تسع وخمسين هجرية.
الاستيعاب: 4/ 1939 ـ الطبقات الكبرى: 8/ 86 ـ أعلام النساء: 5/ 221.

(3) سورة التحريم (66)، الآية: 5.

بابه. فطلقها وتزوج أخرى. فلبث إبراهيم ما شاء اللَّه ثم استأذن في زيارة إسماعيل، فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل، فجاء فقال لامرأة إسماعيل: أين ذهب صاحبك؟ قالت: يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء اللَّه تعالى، فانزل يرحمك اللَّه. قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم. فدعا بالبركة. ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض اللَّه براً وشعيراً وتمراً. فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك. فلم ينزل، فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فبقي أثر قدميه عليه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فغسلته، وبقي أثر قدميه عليه، فقال: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك. فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، فقال كذا، وقلت كذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه على المقام. قال: ذاك إبراهيم[1]. قال أنس بن مالك: رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه، غير أنه أذهبه الناس بأيديهم[2]. روي عن عبد اللَّه بن عمر أنه قال: أشهد باللَّه ثلاث مرات أني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول: «**الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس اللَّه نورهما، ولولا أن اللَّه طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب**»[3]. وقيل: مقام إبراهيم الحج كله: عرفة والمزدلفة والجمار، وقيل: الحرم كله، وقيل: الحجر المعروف الذي وضعته امرأة إسماعيل تحت قدميه فغابت رجله فيه، وهذا من معجزات إبراهيم عليه السلام[4]،

قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي أمرناهما وأوصيناهما ﴿أَن

---

(1) روى هذه القصة عن ابن عباس: البغوي في تفسيره: 1/ 151 ـ 152.
(2) ذكر قول أنس بن مالك: القرطبي في تفسيره: 2/ 113.
(3) رواه المنذري في: الترغيب والترهيب: 3/ 32، رقم: 1678.
رواه الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان: خ، الورقة: 75.
(4) تراجع هذه الأقوال في: تفسير القرطبي: 2/ 112، فقد ذكرها معزوة لأصحابها.

﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي مسجدي، يعني الكعبة من الأوثان والنجاسات. وعن حذيفة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن اللَّه أوحى إلي أن أنذر قومك ألا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة، وألسنة صادقة، وأيد نقية، وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً بين يديّ يصلي حتى يردّ تلك الظلامة إلى أهلها، فأكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي**»(1). وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وسلّ سيوفكم، ورفع أصواتكم، وحدودكم، وخصومتكم، وبيعكم، وشراءكم، وجمروها يوم جمعكم، واجعلوا على أبوابها مطاهركم**»(2). قرأ الحسن وحفص وهشام ونافع: بيتي ـ بفتح الياء، والباقون بإسكانها(3). وإضافة اللَّه عز وجل البيت إلى نفسه تخصيصاً وتفضيلاً.

قوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ وهم الغرباء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ أي المقيمين المجاورين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ يعني المصلين، وقيل: أراد بذلك جميع المسلمين. وعن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن لله في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة. تنزل على أهل البيت: ستون للطائفين وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين**»(4).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ يعنى مكة والحرم أمناً من الجدب والقحط، وقيل من الحرب، أي حرِّم يا رب القتال فيه.

قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ لا يكون إلا ويوجد فيه أنواع الثمار، فأحب إبراهيم أن لا يأكل طعام اللَّه إلا

---

(1) رواه الثعلبي في المصدر السابق.
(2) أخرجه ابن ماجه في سننه: 1/ 247، رقم: 750، باب ما يكره في المساجد.
(3) يراجع: المهذب في القراءات العشر: 1/ 72 ـ تفسير القرطبي: 2/ 114.
(4) رواه الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 75.

الموحدون، فأعلمه اللَّه أن لا يخلق خلقاً إلا برزقه، فذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ أي سأرزقه في الدنيا يسيراً. قيل خشي إبراهيم ألا يستجاب له في الرزق كما لم يستجب له في الأمانة، فخص المؤمنين في المسألة للرزق، فأعلمه اللَّه تعالى أن المؤمن والكافر في الرزق سواء.

قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ في موضع نصب بدل من أهله بدل بعض من كل، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ أي فسأرزقه إلى منتهى أجله. وقرأ ابن عامر: فأمتعه ـ بإسكان الميم مخففاً، وقرأ أبي بن كعب: فنمتعه قليلاً ثم نضطره ـ بالنون. وقرأ ابن عباس: فأمتعه ـ بفتح الألف وجزم العين، ثم أضطره موصولة الألف مفتوحة الراء على جهة الدعاء من إبراهيم عليه السلام. وقرأ الباقون بالتشديد[2].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ أي ألجئه إلى عذاب النار في الآخرة، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي بئس المرجع يصير إليه. واختلفوا في مكة هل كانت حرما آمناً قبل دعاء إبراهيم، أو إنما صارت كذلك بدعائه؟ قيل: ما صارت كذلك إلا بدعائه، بدليل أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «**إنما حرَّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة**»[3]. والأصح أنها كانت حرماً آمناً قبل دعائه، بدليل قوله عليه السلام: «**إن اللَّه حرم مكة يوم خلق السموات والأرض**»[4]. ووضعها بين أخشبين، أي جبلين. فعلى هذا كانت أمنا قبل دعائه من الخسف والاصطلام لأهله، وكان اللَّه قد جعل في قلوب الناس هيبة ذلك المكان حتى كانوا لا ينتهكون حرمة من كان فيه بمال ولا نفس، ثم بدعاء

---

(1) سورة آل عمران (3)، الآية: 97.
(2) تراجع هذه القراءات في: المهذب في القراءات العشر: 1/ 73 ـ تفسير القرطبي: 2/ 119.
(3) تفسير القرطبي: 3/ 48.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 4/ 514، رقم: 1832، باب لا يغضب شجر الحرم ـ وأخرجه ابن ماجه في سننه: 2/ 1038، رقم: 3109 باب فضل مكة.

إبراهيم صارت حرماً آمناً بأن أمر اللَّه الناس بتعظيمه على ألسنة الرسل. والواو في قوله ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ دليل على إجابة اللَّه دعوة إبراهيم خاصة.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿127﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿128﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿129﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾. قيل إن اللَّه تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق آدم بألفي عام، وكان ربوة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحته، فلما أهبط اللَّه آدم إلى الأرض كان رأسه يلمس السماء حتى صلع وأورث أولاده الصلع، ونفرت من طوله دواب الأرض، وكان يسمع كلام أهل السماء وتسبيحهم وأنس إليهم، فاشتكت نفسه فنقصه اللَّه إلى ستين ذراعاً بذراع آدم. فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم، استوحش وشكا إلى اللَّه، فأنزل اللَّه ياقوتة من ياقوت الجنة لها بابان من زمرد أخضر له باب شرقي وباب غربي، وفيه قناديل من الجنة، فوضعه على موضع البيت الآن ثم قال: يا آدم إني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي. وأنزل عليه حجراً ليمسح به دموعه، وكان أبيض. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن الحجر ياقوت من ياقوت الجنة، ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا شفاه اللَّه تعالى**». فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقيض اللَّه له ملكاً يدله على البيت. قيل لمجاهد: يا أبا الحجاج ألا كان يركب؟ قال: فأي شيء كان يحمله؟ فواللَّه إن خطوته مسيرة ثلاثة أيام، وكل موضع وضع عليه قدميه صار عمراناً، وما تعداه صار مفاوز وقفاراً، فأتى مكة وحج البيت، وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا له: بر حجك يا آدم، فلقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. قال ابن عباس: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه. فكانت الكعبة كذلك إلى أيام

الطوفان فرفعها اللّٰه تعالى إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه أبداً إلى يوم القيامة، وبعث اللّٰه جبريل حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له عن الغرق، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام، ثم أمر اللّٰه إبراهيم بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام أن يبني بيتاً له يعبد ويذكر فيه، فلم يدر إبراهيم أين يبني، فسأل اللّٰه أن يبين له موضعه، فبعث اللّٰه إليه السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج[1] لها رأسان تشبه الحية، فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة، فجعلت السكينة تطوف به على موضع البيت كما تطوف الحية، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى. هذا قول علي كرم اللّٰه وجهه. وقال ابن عباس: بعث اللّٰه تعالى سحابة على قدر الكعبة، فجعلت تسير وإبراهيم يسير في ظلها إلى أن وافت مكة، ووقفت على موضع البيت، ونودي يا إبراهيم ٱبْنِ على ظلها لا تزيد ولا تنقص. فبنى حيالها. وقال بعضهم: أرسل اللّٰه جبريل ليدله على موضع البيت وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[2]، فبنى إبراهيم وإسماعيل، فكان إبراهيم يبنيه، وإسماعيل يناوله الحجر والملائكة ينقلون الحجارة من خمسة أجبل: جبل طور سيناء، وطور زيتا، والجودي، ولبنان، وحراء. قيل: إن قواعده من حراء[3]. فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل: ائتني بحجر حسن يكون للناس علماً. فأتاه بحجر فقال: ائتني بأحسن من هذا. فمضى إسماعيل يأتي بحجر، فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها. فأخذ الحجر الأسود ووضعه مكانه[4]. وقيل: إن اللّٰه تعالى أيد إبراهيم وإسماعيل بسبعة[5] من الملائكة يعينونهما على بناء البيت، فلما فرغا من بنائه جثيا على

---

(1) الريح الخجوج: الشديدة الحر، التي تتلوى في هبوبها، وتشق شقاً بشدة عصفها.

(2) سورة الحج (22)، الآية: 26.

(3) تراجع هذه الأقوال في: تفسير الطبري: 3/ 58 وما بعدها ـ تفسير البغوي: 1/ 154 وما بعدها.

(4) تفسير البغوي: 1/ 155 ـ وتفسير الطبري: 2/ 122.

(5) في النسخة (ف): بتسعة.

الركب وقالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فقيل: قد فعل ذلك لكما. فقالا: ربنا ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾، فقيل: قد فعل لكما ذلك. فقالا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي موحدين مخلصين. والقواعد: هي أساس الكعبة. كذا قال الكلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي بنياتنا.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾. قرأ عوف[1]: مسلمين لك ـ على الجمع[2].

قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أي واجعل من ذريتنا أمة مخلصة لك بالتوحيد والطاعة، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي عرفنا معتقداتنا وشرائع ديننا وأعلام حجنا وأصل النسك نسك العبادة. ويقال للعابد: ناسك. قرأ ابن مسعود: وأرهم مناسكهم، رده إلى الأمة. وقرأ قتادة وابن كثير: وأرنا ـ بسكون الراء في جميع القرآن. وقرأ أبو عمرو باختلاس كسرة الراء. وقرأ الباقون بكسر الراء[3]. فأجاب اللّه دعاءهما، فبعث جبريل عليه السلام، فأراهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات قال: يا إبراهيم عرفت؟ قال: نعم. فسمى الوقت عرفة، والموضع عرفات.

قوله تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ أي تجاوز عن ذنوبنا الصغائر، لأن ذنوب الأنبياء لا تكون إلا صغائر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ المتجاوز الرجاع بالرحمة على عباده.

---

(1) أبو سهل، عوف بن أبي جميلة البصري، المعروف بالأعرابي. كان محدثاً ثقة مأموناً صادقاً. روى عن أبي رجاء العطاردي وأبي عثمان النهدي وأبي العالية وغيرهم. وعنه روى شعبة وابن المبارك والثوري. توفي رحمه اللّه سنة ست وأربعين ومائة هـ.
تهذيب الأسماء واللغات: 2/ 40 ـ تهذيب التهذيب: 8/ 166.

(2) تفسير القرطبي: 2/ 126.

(3) نفس المصدر: 2/ 127 ـ 128.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي وابعث في ذريتنا الأمة المسلمة، أي ذرية إبراهيم وإسماعيل من أهل مكة.

وقوله: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي من أهل نسبهم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ أي يقرأ عليهم كتابك.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي الكتاب الذي تنزله عليهم ويعلمهم معانيه، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي فقه الحلال والحرام. وقال مجاهد: الحكمة فهم القرآن. وقال مقاتل: مواعظ القرآن وبيان الحلال والحرام. وقال ابن قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما. وقال بعضهم: كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة. وقيل: الحكمة وضع الأشياء مواضعها. وقيل: هي السنة البينة.

قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من الكفر والفواحش والدنس والذنوب. وقيل: يصلحهم بأخذ زكاة أموالهم. وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. العزيز: هو المنيع الذي لا يغلبه شيء. الحكيم: الذي يحكم بما يريد[1]. قال ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله، دليله قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[2] وقال الكلبي: العزيز المنتقم ممن شاء، دليله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[3] وقال الكسائي: العزيز الغالب، دليله قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾[4] أي غلبني. وقال ابن كيسان: العزيز الذي لا يعجزه شيء. وقال المفضل: العزيز المنيع الذي لا تناله الأيدي، ولا يرد له أمر، ولا غالب له فيما أراد. وقيل: العزيز هو القوي ذو القدرة، دليله قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[5] أي قوينا، وأصل العزة في اللغة:

---

(1) تراجع هذه الأقوال في: البغوي، معالم التنزيل: 1/ 157 ـ 158.
(2) سورة الشورى (42)، الآية: 11.
(3) سورة آل عمران (3)، الآية: 4.
(4) سورة ص (38)، الآية: 23.
(5) سورة يس (36)، الآية: 14.

الشدة. يقال: عزّ علي كذا إذا شق. والمراد بالرسول في هذه الآية: محمد صلى اللَّه عليه وسلم، وبالكتاب: القرآن. روي أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «**أنا دعوة إبراهيم وبشرى أخي عيسى**»(1)، يعني قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(2) فاستجاب اللَّه دعاء إبراهيم عليه السلام، وبعث فيهم محمداً سيد الأنبياء، كذلك قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إني عند اللَّه في أم الكتاب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته**»(3).

قوله تعالى:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (132)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ هذا تحريض من اللَّه على ملة نبينا محمد صلى اللَّه عليه وسلم التي هي ملة إبراهيم، لأن إبراهيم وإسماعيل كانا سألا في دعائهما أن يجعل اللَّه في ذريتهما بمكة رسولاً، لأن الكلام كان في ذكر مكة، ولم يكن أحد من أهل مكة من ذريتهما نبياً سوى محمد صلى اللَّه عليه وسلم. وملة إبراهيم داخلة في ملة نبينا، مع الزيادات التي في شرائع هذه الأمة. وسبب نزول هذه الآية: أن عبد اللَّه بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام، وقال لهما: قد علمتما أن اللَّه تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد، من آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فملعون. فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم. فأنزل اللَّه(4) ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي يترك دينه وشريعته.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك من طريق يونس بن بكير: 2/ 600 ـ يراجع تفسير الطبري: 3/ 82.

(2) سورة الصف (61)، الآية: 6.

(3) تفسير الطبري: 3/ 83.

(4) أسباب النزول، للسيوطي: 26 ـ معالم التنزيل، للبغوي: 1/ 158.

يقال: رغبت في الشيء إذا أردته، ورغبت عنه إذا تركته. والرغبة في اللغة: محبّة ما للنفس فيه منفعة. ولهذا لا يجوز في صفات اللَّه تعالى: «راغب».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي خسر وهلك. وقال الكلبي: ضل من قتل نفسه. وقال بعض أهل اللغة: سفيه بمعنى سفه. وقيل: سفه نفسه أي جهل نفسه بمعنى لم يفكر في نفسه أن لها خالقاً، وقيل سفه في نفسه. إلا أنه حذف الخافض فنصب، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾[1] أي على عقدة نكاح. ويقال: ضربته الظهر والبطن، أي على الظهر والبطن. وأصل السفه والسفاهة: الجهل وضعف الرأي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي للرسالة. وأصل «الطاء» فيه «تاء» حولت «طاء» لقرب مخرجهما ولقطع اللسان به.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي الفائزين. قاله الزجاج[2]. وقيل: المستوجبين للكرامة. وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين، نظيره في سورة النحل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾[3].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أي استقم على الإسلام واثبت عليه لأنه كان مسلماً، كقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4] أي اثبت على علمك. وقال ابن عباس: إنما قال ذلك حين خرج من السرب فرأى الكواكب والقمر والشمس فألهمه اللَّه الإخلاص فاستدل وعرف وحدانية اللَّه تعالى، فأسلم حينئذ، وقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[5] الآية، وليس أنه كان حين أفلت الشمس كافراً، لأن اللَّه

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 235.
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 211.
(3) سورة النحل (16)، الآية: 122.
(4) سورة محمد (47)، الآية: 19.
(5) سورة الأنعام (6)، الآية: 78 ـ 79.

لا يتنبأ من كان كافراً قط. ويجوز أن يكون معنى الإسلام: تسليم الأمور إلى اللَّه تعالى، والانقياد له من غير امتناع وعصيان. قال الكلبي: معناه أخلص دينك لله بالتوحيد. وقال عطاء: سلم نفسك إلى اللَّه وفوض أمرك إليه. وقيل: اخضع واخشع.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾. قرأ أهل المدينة والشام: وأوصى ـ بالألف. وقرأ الباقون بالتشديد[1]، وهما لغتان. يقال: أوصيته ووصيته إذا أمرته به، مثل: أنزل ونزل.

قوله تعالى: ﴿بِهَآ﴾ يعني كلمة الإخلاص: لا إله إلا اللَّه. قال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة، لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية. وقال المفضل: بالطاعة كناية عن غير مذكور، وكناية الملة هذا أصح، لأن ردها إلى المذكور أولى من ردها إلى المدلول. وكلمة الإخلاص مدلول عليها في ضمن قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وبنو إبراهيم أربعة: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدائن.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْقُوبُ﴾. قيل سمي يعقوب لأنه خرج على أثر العيص آخذاً بعقبه، وقد مضت قصتهما[2]. وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل**»[3]. ومعنى الآية: وصى بها أيضاً يعقوب بنيه الاثني عشر. وحكي عن مجاهد أنه حكى عن بعضهم: ويعقوب ـ بالنصب عطفاً على بنيه داخلاً في جملة الموصين.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 265 ـ تفسير القرطبي: 2/ 138.

(2) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (الآية: 40).

(3) رواه الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة 78 عن أنس بن مالك.

وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي مؤمنون، وقيل مخلصون، وقيل محسنون بربكم الظن، وقيل مفوضون. روي أنه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود للنبي صلى اللَّه عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه بدين اليهودية؟ فأنزل اللَّه تعالى قوله[1]:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿133﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿134﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿135﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أي أكنتم أيها اليهود حضوراً حين حضر يعقوب الموت؟ ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ الخليل وإسماعيل الصادق، وإسحاق الحليم، والمراد بحضور الموت: حضور أسبابه، لأن من حضره الموت لا يتمكن من القول، وقد يسمى سبب الشيء باسمه كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[2]. وقال الكلبي: معنى الآية أن يعقوب لما دخل مصر رأى أهلها يعبدون الأوثان والنيران، فجمع أولاده وخاف عليهم ذلك، فقال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾[3]. وقال عطاء: إن اللَّه تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الحياة والموت، فلما خير يعقوب قال: أنظرني حتى أسأل أولادي وأوصيهم. فجمع أولاده وأولاد أولاده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي[4]؟ أي من بعد موتي ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ الآية. قرأ يحيى بن يعمر: وإله أبيك ـ على التوحيد[5]. قال: لأن إسماعيل عم يعقوب لا أبوه. (*)

(1) الواحدي، أسباب النزول: 41 ـ الثعلبي في المصدر السابق.
(2) سورة الشورى (42)، الآية: 40.
(3) الثعلبي في المصدر السابق.
(4) تفسير البغوي: 1/ 161.
(5) ابن جني، المحتسب: 1/ 112.

وقرأ العامة: وإله آبائك ـ على الجمع، وقالوا عم الرجل صنو أبيه. قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم للعباس: «**هذا بقية آبائي**». والعرب تسمي العم أباً كما تسمي الخالة أما. قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[1] يعني يعقوب وليان، وهي خالة يوسف عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ﴾ أي لا تتكلموا أيها اليهود على آبائكم وأسلافكم اعتماداً منكم على شفاعتهم فإنهم جماعة قد مضت.

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ﴾ أي لها جزاء ما عملت من خير أو شر، ولكم جزاء ما علمتم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤﴾ أي إنما تسألون عن أعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر؛ وفي نصارى نجران: السيد والعاقب وأصحابهما، الذين خاصموا المسلمين في الدين، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن؛ وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء، وكتابنا أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بمحمد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمسلمين: كونوا على ديننا، فلا دين إلا ذلك. دعوهم إلى دينهم[2].

فقال اللَّه تعالى: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ﴾ أي قل لهم يا محمد: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا مسلماً، أي مخلصاً مائلاً عن كل دين سوى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يعني إبراهيم عليه السلام. والحنف: ميل القدمين، سمي إبراهيم حنيفاً لأنه حنف عما كان يعبد آباؤه، أي عدل. وقيل: الحنف

---

(1) سورة يوسف (12)، الآية: 100.
(2) الواحدي، أسباب النزول: 44.

الاستقامة، وإنما سمي الرجل المعوج أحنف تفاؤلاً كما يقال للأعمى بصير. والفائدة في ذكر ملة إبراهيم: أنه لا شك أنها حق عندنا وعند اليهود والنصارى، ولم يختلف الناس أن ملته الإسلام والتوحيد. قال ابن عباس: الحنيف هو المائل عن الأديان كلها إلا دين الإسلام. وقال مقاتل: الحنيف المخلص. وانتصب «حنيفاً» على القطع عند الكوفيين، لأن تقديره: بل ملة إبراهيم الحنيف، فلما سقطت الألف واللام لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب. وقال البصريون: انتصب على الحال.

قوله تعالى:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ (138) قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ (139)﴾.

قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية، وذلك أنه جاء أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له: بمن تؤمن من الأنبياء؟ فأنزل الله تعالى[1]: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني القرآن، وما أنزل على إبراهيم وهي عشر صحف وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، يعني أولاد يعقوب، واحدهم ـ سبط، سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس. وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين: سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم. فكان في الأسباط أنبياء، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ يعني التوراة، ﴿وَعِيسَىٰ﴾ يعني الإنجيل،

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره: 2/ 140 عن ابن عباس.

﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، بل نؤمن بجميع أنبياء اللّه وكتبه. فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على اليهود والنصارى، وقال: «**إن اللّه أمرني بهذا**» فلما سمعت اليهود بذكر عيسى أنكروا وكفروا، وقالوا لا نؤمن بعيسى. وقال النصارى: إن عيسى ليس بمنزلة الأنبياء، ولكنه ابن اللّه. فأنزل اللّه تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ أي فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به كإيمانكم[1]. وقيل معناه: فإن آمنوا بما آمنتم به. و«مثل» صلة. وهكذا كان يقرأها ابن عباس ويقول: اقرؤوها ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ فليس لله مثل. وقيل «الباء» بمعنى «على». وقيل: «الباء» زائدة. ومعنى الآية: إن آمنوا باللّه ورسله وكتبه فقد اهتدوا[2].

قوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي وإن أعرضوا عن الإيمان بالقرآن ومحمد صلى اللّه عليه وسلم ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ أي خلاف وعداوة. يقال فلان وفلان تشاقّا، أي أخذ كل واحد في شق غير شق صاحبه، ودليله قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾[3] أي خلافي. وقيل: مأخوذ مما إذا أخذ كل واحد فيما يشق على صاحبه. وقال مقاتل: معناه فإنما هم في ضلال. وقال الكسائي: معناه فإنما هم في خلع الطاعة. وقال الحسن: معناه فإنما هم في تعادٍ وفراق إلى يوم القيامة. وقيل لما انتهى النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ قالت النصارى له: نؤمن بموسى وعيسى ولا نؤمن بك. فأنزل اللّه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾[4]. وإنما أضاف اللّه الإنزال إلى

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 79.

(2) فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء، كقول القائل: «مر خالد بأخيك مثل ما مررت به» يقصد بذلك: مر خالد بأخيك مثل مروري به. فالتمثيل إنما كان بين المرورين لا بين خالد والمتكلم، فكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ إنما وقع التمثيل بين الإيمانين لا بين المؤمن به. (تفسير الطبري: 3/ 114).

(3) سورة هود (11)، الآية: 89.

(4) سورة المائدة (5)، الآية: 59.

إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وإنما كان الإنزال على آبائهم، لأنهم كانوا جميعاً يعملون بذلك، فأضاف الإنزال إليهم، كما قال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ أي إلى نبينا.

قوله تعالى: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي فسيكفيكم اللَّه يا محمد وسائر المسلمين شر اليهود والنصارى وهو السميع لأقوالهم العليم أحوالهم. فكفاه اللَّه تعالى أمرهم بالقتل والسبي في بني قريظة والجلاء والنفي في بني النضير، والجزية والذلة في نصارى نجران.

قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دين اللَّه وفطرته، لأن دين الإسلام يؤثر في المتدين من الطهور والصلاة والوقار وسائر شعائر الإسلام كالصبغ الذي يكون في الثوب. ولا شيء في الأديان أحسن من دين الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾ وقيل أراد بالصبغة الختان. روي أن صنفاً من النصارى كان إذا ولد لهم ولد وأتى عليه سبعة أيام صبغوه، أي غمسوه في ماء لهم يقال له: المعمودية، ليطهروه بذلك، وقالوا: هذا طهوره مكان الختان[1]. فقيل لهم: صبغة اللَّه، أي التطهر الذي أمر اللَّه به أبلغ في النظافة. وأول من اختتن: إبراهيم عليه السلام بالقدوم، وهو موضع بالشام، وكان يومئذ ابن مائة وعشرين سنة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة. ونصب «صبغة» على الإغراء، أي الزموا صبغة اللَّه أو اتبعوا. وقال الأخفش: هو بدل من قوله تعالى؛ ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾[2]. وقال ابن كيسان: صبغة اللَّه أي وجهة اللَّه، يعني القبلة. وقال الزجاج: معناه خلقة اللَّه، من صبغت الثوب إذا غيرت لونه وخلقته، فيكون المعنى: إن اللَّه تعالى ابتدأ الخلقة على الإسلام[3]، دليله قول مقاتل في هذه الآية: فطرة اللَّه، أي دين اللَّه، ويوضحه قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو**

---

(1) نسب القرطبي في تفسيره: 2/ 144 هذه الرواية لابن عباس.

(2) الأخفش، معاني القرآن: 1/ 340.

(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 215.

ينصِّرانه كما تنتج البهيمة، فهل تجدون من جدعاء[1]؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها». قالوا: يا رسول اللَّه أرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «**اللَّه أعلم بما كانوا عاملين**». وقال أبو عبيدة: معناه: سنة اللَّه[2].

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ أي مطيعون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾، وذلك أن اليهود كانوا يقولون: نحن أهل الكتاب الأول والعلم القديم، وكانوا يقولون هم والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ فأمر اللَّه تعالى النبي صلى اللَّه عليه وسلم بهذه الآية، أي قل لهم: يا محمد أتحاجوننا في اللَّه؟ أي أتجادلوننا وتخاصموننا. قرأ الأعمش والحسن: أتحاجونا ـ بنون واحدة مشددة[3].

قوله تعالى: ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ أي في دين اللَّه، وذلك أنهم قالوا: إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا ولم يكونوا من العرب، فلو كنت نبياً لكنت منا على ديننا.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ أي لنا ديننا ولكم دينكم. وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ أي موحدون. قال عبد الواحد بن زياد[4]: سألت الحسن عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت النبي صلى اللَّه عليه وسلم عن الإخلاص ما هو؟ قال: «**سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت رب العزة عن الإخلاص**

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: فتح الباري: 3/ 583 رقم: 1359، كتاب الجنائز، ولفظه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟».

(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 59.

(3) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 79.

(4) أبو بشر، عبد الواحد بن زياد العبدي البصري: أحد الأعلام الثقات، كان فقيهاً عالماً صاحب حديث، حدث عن كليب بن وائل والأعمش وغيرهما. وعنه أبو داود وعبد اللَّه القواريري. توفي رحمه اللَّه سنة ست وثمانين ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 7/ 44 ـ الذهبي، تذكرة الحفاظ: 1/ 258 ـ ميزان الاعتدال 2/ 672.

ما هو؟ فقال: **سر من سري أودعته قلب من أحببت من عبادي**»[1]. وقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «**ما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى يحب أن يحمد على شيء من علم اللَّه**». وقال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله، ولا يشرك به في دينه، ولا يرائي بعمله أحداً. وقال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك اللَّه منهما[2]. وقال يحيى بن معاذ[3]: الإخلاص تمييز العمل عن العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم. وقال بعضهم: هو ما لا يكتبه الملكان، ولا يفسده الشيطان، ولا يطلع عليه الإنسان[4]. وقيل: هو أن لا تشوبه الآفات، ولا تتبعه رخص التأويلات. وقيل: هو أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن. وقيل: هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته. قال أبو سليمان: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه.

قوله تعالى:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بالتاء للمخاطبة التي قبلها: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ والتي بعدها: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ

---

(1) الرسالة القشيرية: 2/ 444 ـ تفسير البغوي: 1/ 166.
(2) تفسير البغوي: 1/ 166.
(3) أبو زكرياء، يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي: واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته من أهل الري. وأقام ببلخ وتوفي في نيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين هجرية.
طبقات الصوفية: 107 ـ الرسالة القشيرية: 21 ـ تاريخ بغداد: 14/ 208.
(4) نسب في: الرسالة القشيرية: 2/ 446 إلى الجنيد.

ٱللَّهُۗ﴾. وقرأ الباقون بالياء إخباراً عن اليهود والنصارى[1]: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى. ومعنى الآية: أتحاجوننا بقولكم: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، وقولكم: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى[2]، وبقولكم: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى مع علمكم بخلاف ذلك؟ وهذا استفهام بمعنى التوبيخ، فإنهم كانوا يوهمون[3] أن الدين الصحيح هو اليهودية والنصرانية، وأن هؤلاء الأنبياء تمسكوا بها. يقول اللَّه تعالى: قل لهم يا محمد أنتم أعلم أم اللَّه؟ فإن اللَّه تعالى قد أخبر أنهم كانوا مسلمين، وأنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى. فقالوا: ما هو كما قلت، وإنما على دين إبراهيم. وما أنت برسول اللَّه ولا على دينه. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾، يعني به علماء اليهود والنصارى، لأنهم علموا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا حنفاء مسلمين، وأن رسالة نبينا حق بينه اللَّه في التوراة والإنجيل، فكتموه حسداً وطلباً للرياسة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يعني من كتمان بعث محمد صلى اللَّه عليه وسلم وصفته، وهو يجازيكم في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿141﴾﴾ قد تقدم تفسيره. وفائدة التكرار أن القرآن أنزل على لغة العرب، ومن عادتهم ذكر الجواب الواحد في أوقات مختلفة لأغراض مختلفة يعدون ذلك فصاحة، وإنما يعاب تكرار الكلام في مجلس واحد لغرض واحد.

قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿142﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 266 ـ تفسير القرطبي: 2/ 146،
(2) في النسخة (ف): أم بقولكم.
(3) في النسخة (ف): يزعمون.

شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿143﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي الجهال ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ﴾ أي ما صرفهم وحوّلهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ يعني بيت المقدس. نزلت في اليهود ومشركي مكة ومنافقي المدينة الذين طعنوا في تحويل القبلة، فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره، واشتاق إلى مولده ومولد آبائه، وقد توجه نحو قبلتكم وهو راجع إلى دينكم عاجلاً[1]. فقال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي لله المشرق والمغرب ملكاً وخلقاً، والخلق عبيده يحولهم كيف يشاء. وكان النبي صلى اللَّه عليه وسلم يصلي بمكة إلى الكعبة، وربما كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس. فلما هاجر إلى المدينة أمر أن يصلي إلى بيت المقدس لئلا يكذبه اليهود، لأن نعته في التوراة أن يكون صاحب القبلتين. فصلى إلى بيت المقدس نحواً من سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً. ثم أمره اللَّه بالتحويل إلى الكعبة ليمتحن أهل الإسلام فيظهر من يتبع الرسول من غيرهم من منافقي اليهود. فلما حولت القبلة إلى الكعبة بعد إقامة الحجة على الكفار، أعلم أنهم يقولون في نسخ القبلة أشياء يؤذون بها النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فأخبر اللَّه نبيه بما سيقولون في المستأنف ليتعجل التسلي، ويعرف أن ذلك من باب الوحي والغيب، فكان كما أخبر اللَّه تعالى. ومعناه: سيقول السفهاء وهم اليهود وكفار مكة: ما الذي صرف أصحاب محمد صلى اللَّه عليه وسلم عن قبلتهم بيت المقدس؟ قل يا محمد: لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى طريق قائم وهو الإسلام وقبلة الكعبة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدلاً. وقيل: خياراً. يقال في صفة النبي صلى اللَّه عليه وسلم هو أوسط قريش حسباً. ويقال فلان وسيط

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 167. عبارته قريبة جداً من هذا النص.

قومه في حسبه، أي كامل منته في الكمال، ولأن المتوسط في الأمور لا يفرط فيغلو، ولا يقصر فيضيع، فهذه الأمة لم تغل في الأنبياء كغلو النصارى، حيث قالوا: المسيح ابن اللّه، ولم يقصروا كتقصير اليهود حيث كذبوا الأنبياء وقتلوهم. وأصله أن خير الأشياء أوسطها.

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي شهداء للنبيين صلوات اللّه عليهم بالتبليغ. وقد يقام «على» مقام اللام مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ (1) أي للنصب.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ أي ويكون محمد صلى اللّه عليه وسلم عليكم شهيداً معدلاً مزكياً لكم، وذلك أن اللّه تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير. فيسأل اللّه الأنبياء عن ذلك، فيقولون: قد بلغناهم. فيسألهم البينة إقامة للحجة وهو يعلم بذلك، فيؤتى بأمة محمد صلى اللّه عليه وسلم، فيشهدون لهم بالتبليغ، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا ذلك؟ بيننا وبينهم مدة مديدة؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار اللّه تعالى إيانا في كتابه الناطق على لسان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. فيؤتى بالنبي صلى اللّه عليه وسلم فيزكي أمته ويشهد لهم بصدقهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ أي ما أمرتك يا محمد بالتوجه إلى بيت المقدس ثم بالتحول عنها إلى الكعبة إلا لنميز من يتبع الرسول ممن يرجع إلى دينه الأول. وقيل معناه: وما جعلنا القبلة التي أنت عليها وهي الكعبة، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (2) أي أنتم، إلا لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه، فيرتد ويرجع إلى قبلته الأولى. وقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي لنقرر علمنا

(1) سورة المائدة (5)، الآية: 3.
(2) سورة آل عمران (3)، الآية: 110.

عندكم. وقيل معناه: لنعلم محمداً صلى اللّه عليه وسلم، فأضاف علمه إلى نفسه تفضيلا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي وإن كان الاتجاه إلى بيت المقدس ثم الانتقال إلى الكعبة شديداً إلا على الذين حفظ اللّه قلوبهم على الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي تصديقكم بالقبلة. وقيل: وما كان اللّه ليفسد صلاتكم إلى بيت المقدس، وذلك أن حيي بن أخطب[2] وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس أكانت هدى أم ضلالة؟ فإن كانت هدى فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دنتم اللّه بها، وأن من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة. وكان قد مات قبل التحويل إلى الكعبة أسعد بن زرارة[3] من بني النجار، والبراء[4] بن معرور من بني سلمة، ورجال آخرون. فانطلق عشائرهم إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فأخبروه بذلك وقالوا: إن اللّه تعالى قد حولك إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا الذين ماتوا يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس[5].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. الرؤوف: شديد الرحمة، وهو الذي لا يضيع عنده عمل عامل، رحيم بهم حين قبل طاعتهم وتعبدهم في كل

---

(1) سورة الأحزاب (33)، الآية: 57.

(2) حيي بن أخطب النضري: يهودي حاقد، أدرك الإسلام ولم يسلم وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة وقتلوه.
سيرة ابن هشام: 3/ 243 ـ البداية والنهاية: 4/ 124.

(3) أبو أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي الأنصاري: أحد الستة الذين هم أول من أسلم من الأنصار وشهد العقبتين فكان أحد النقباء الاثني عشر. توفي رحمه اللّه على رأس تسعة أشهر من الهجرة. الاستيعاب: 1/ 80 ـ أسد الغابة: 1/ 86 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 608.

(4) البراء بن معرور بن صخر من بني سلمة. كان سيد قومه، وأحد النقباء الاثني عشر في العقبة وأول من بايع الرسول صلى اللّه عليه وسلم. توفي رحمه اللّه قبل مقدم الرسول (ص) المدينة.
سيرة ابن هشام: 2/ 46 ـ الطبقات الكبرى: 3/ 464.

(5) الواحدي، أسباب النزول: 46.

وقت بما يصلح لهم والجمع بين الرأفة والرحمة في الآية للتأكيد، كما في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وفي ﴿رَءُوفٌ﴾ ثلاث قراءات: مهموز مثقل، وهي قراءة شيبة ونافع وابن كثير وابن عامر وحفص[1]، واختارها أبو حاتم. قال الشاعر:

نطيع رسولنا ونطيع رباً ∴ هو الرحمن كان بنا رؤوفاً[2]

ورووف مثقل غير مهموز، وهي قراءة أبي جعفر، ورَؤُف، مهموز مخفف، وهي قراءة الباقين، واختارها أبو عبيدة[3]. قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقاً ∴ كفعل الوالد الرؤف الرحيم[4]

والرأفة: أشد الرحمة.

قوله تعالى:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿144﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ

---

(1) الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع: 2/ 604، مكي، الكشف: 1/ 266.

(2) هذا البيت من البحر الوافر من قصيدة قالها شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم: كعب بن مالك الأنصاري، في توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الله إلى الطائف سنة ثمان من الهجرة.
رؤوف، على وزن ضروب. وفي أكثر الروايات: «نطيع نبينا»، وكذا في النسخة (س).
المبرد، الكامل: 2/ 141 ـ لسان العرب: (رأف)، سيرة ابن هشام: 4/ 480.

(3) المهذب في القراءات العشر: 1/ 75، مجاز القرآن، أبو عبيدة: 1/ 59.

(4) هذا البيت من البحر الوافر، من قصيدة مدح بها جرير هشام بن عبد الملك الأموي. وقد وردت في ديوان الشاعر بعنوان: «أكرم بالخؤولة والعمومة» تتكون من أربعة وعشرين بيتاً، يقول في مطلعها:
ألمت وما رفقت أن تلومي ∴ وقلت مقالة الخطل الظلوم
ديوان جرير: 1/ 219، دار صادر، بيروت، 1964م ـ المبرد، الكامل: 2/ 139 ـ لسان العرب: (رأف) ـ شرح الرضى على الكافية: 2/ 215.

ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿145﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وذلك أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: «**وددت أن اللَّه تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها**». فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك لا أملك شيئاً، فاسأل ربك أن يحولك عنها. فارتفع جبريل، وجعل النبي صلى اللَّه عليه وسلم يديم النظر إلى السماء، رجاء أن يأتيه جبريل بما سأل فأنزل اللَّه الآية[1]: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾. وروي أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجروا إلى المدينة أمره اللَّه أن يصلي إلى بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود له إذا صلى إلى قبلتهم، مع ما يجدون من صفته في التوراة. فروي أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم صلى هو وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً. وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول اللَّه [2]. واختلفوا في السبب الذي كان لأجله يكره قبلة بيت المقدس ويهوى الكعبة. قال ابن عباس لأنها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام. وقال مجاهد: من أجل أن اليهود قالوا: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا. وقال مقاتل: لما أمر النبي صلى اللَّه عليه وسلم أن يصلي إلى بيت المقدس قالت اليهود: يزعم محمد أنه نبي، وما نراه أحدث في نبوته شيئاً، أليس يصلي إلى قبلتنا، ويستن بسنتنا، فإن كانت هذه النبوّة[3] فنحن أقدم وأوفر نصيباً؟ فشق ذلك على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وازداد شوقاً إلى الكعبة وقال: «**وددت أن اللَّه تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فإني أبغضهم وأبغض موافقتهم**». فقال جبريل عليه السلام: إنما أنا عبد مثلك ليس لي من الأمر شيء، فاسأل ربك. ثم عرج جبريل عليه السلام فجعل النبي صلى اللَّه عليه وسلم يديم النظر إلى السماء، رجاء أن ينزل

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 46.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 2/ 60، رقم: 399، كتاب الصلاة ـ وأخرجه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 8/ 298 رقم: 3042 سورة البقرة.

(3) في النسخة (ف): نبوة.

جبريل بما يحب من أمر القبلة. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، أي فلنحولنك إلى قبلة تحبها وتهواها، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي نحوه وقصده، فهو نصب على الظرف. وقيل شطر الشيء نصفه. فكأن اللَّه أمره أن يحوّل وجهه إلى نصف المسجد الحرام والكعبة في النصف منه من كل جهة.

قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أي أينما كنتم من بر أو بحر أو سهل أو جبل أو شرق أو غرب فولوا وجوهكم نحوه. فحولت القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين. وقال مجاهد: نزلت الآية ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في مسجد بني سلمة، وقد صلى بأصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب، فسمي ذلك المسجد: مسجد القبلتين. فلما حولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود: يا محمد ما أمرت بهذا، وما هو إلا شيء تبتدعه من نفسك، فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة، فلو ثبتّ على قبلتنا[1] لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي كنا ننتظره[2]. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني أمر الكعبة وأنها قبلة إبراهيم، وأن اليهود والنصارى ليعلمون أن استقبال الكعبة حق من ربهم، لأن نعت النبي صلى اللَّه عليه وسلم في التوراة أن يكون صاحب القبلتين ثم هددهم فقال عز وجل: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿144﴾﴾ أي لا يخفى عليه جحودهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ يعني يهود المدينة ونصارى نجران، قالوا للنبي صلى اللَّه عليه وسلم: ائتنا بآية كما أتى بها الأنبياء من قبلك. فأنزل اللَّه هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ يعني الكعبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ أي وما أنت بمصل إلى قبلتهم بعد

---

(1) في النسخة (س): ملتنا.
(2) البغوي في تفسيره: 1/ 172.

التحويل، ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾، لأن اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل المشرق.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ أي إن صليت إلى قبلتهم واتبعت ملتهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أنها حق، وأنها قبلة إبراهيم ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي الجاحدين الضارين لأنفسهم، وهذا وعيد على معصية علم الله أنها لا تقع منه، كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] وقد علم الله أنه لا يشرك.

قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، أي يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم من الصبيان. روي عن ابن عباس: أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام: قد أنزل الله على نبيه عليه السلام: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾، كيف يا عبد الله هذه المعرفة؟ قال عبد الله: لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وأنا أشد معرفة بالنبي صلى الله عليه وسلم مني لابني. فقال عمر: وكيف ذلك؟ قال: أشهد أنه رسول الله حقاً من الله تعالى، وقد نعته الله في كتابنا. فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام، فقد صدقت وأصبت[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ مثل كعب بن الأشرف وأصحابه. يكتمون الحق يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة، ﴿وَهُمْ

---

(1) سورة الزمر (39)، الآية: 65.
(2) الواحدي، أسباب النزول: 46.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك حق. روي أن عبد اللَّه بن سلام قال لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حين نزلت هذه الآية: كنت يا رسول اللَّه أشد معرفة لك مني بابني. قال له: «**وكيف ذلك؟**» قال: لأني أشهد أن محمداً رسول اللَّه حقاً يقيناً، ولا أشهد بذلك لابني لأني لا أدري ما أحدثت النساء. فقال له عمر: وفقك اللَّه يا عبد اللَّه.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي هذا القرآن حق. وقيل: جاءك الحق من ربك يا محمد أن الكعبة قبلة إبراهيم يعلمها اليهود. قرأ علي رضي اللَّه عنه «الحق» نصباً على الإغراء[1].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي لا تكونن من الشاكين في أمر القرآن والقبلة. والخطاب في هذه الآية للنبي صلى اللَّه عليه وسلم، والمراد به غيره، وكذلك كل ما ورد عليك من هذا فهذا سبيله.

قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿148﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿149﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿150﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي لكل ملة من اليهود والنصارى قبلة هو موليها، أي مستقبلها ومقبل إليها. يقال: وليته ووليت إليه إذا أقبلت إليه، ووليت عنه إذا أدبرت عنه. وقيل معناه: اللَّه موليها، أي يولي أهل كل ملة القبلة التي يريدها. قرأ ابن عباس وابن عامر وأبو رجاء: ولكل وجهة هو مولاها، أي مصروفاً إليها[2]. وفي حرف أبي: ولكل قبلة هو موليها. وفي حرف عبد اللَّه: ولكل جعلنا قبلة هو موليها.

---

(1) تفسير الطبري: 2/ 163.
(2) الإقناع في القراءات السبع: 2/ 605 ـ تفسير القرطبي: 2/ 164.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي فبادروا بالطاعات أيها المسلمون فقد ظهر لكم الحق، واستبقوا إلى أوامر اللّه وطاعته مبادرة من يطلب الاستباق إليها، وتقديره: فاستبقوا إلى الخيرات، فحذف الخافض، كقول الشاعر:[1]

ثنائي عليكم آل حرب ومن يمل ∴ سواكم فإني مهتد غير مائل[2]

يعني: ومن يمل إلى سواكم.

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي أينما تكونوا أنتم وأهل الكتاب يقبض اللّه أرواحكم، ويجمعكم للحساب فيجزيكم بأعمالكم وإن كانت قد تفرقت بكم البقاع والملل. وقيل: هذا خطاب للمؤمنين الذين قد سبق في علم اللّه أنهم يصلون إلى الكعبة. ومعناه: أينما تكونوا في شرق الأرض وغربها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات يجمعكم اللّه تعالى على هذه القبلة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي من الخلق والبعث والحساب وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هذا تأكيد لأمر التحويل إلى الكعبة، وبيان أنه لا يتغير بنسخ كما تغير بيت المقدس. و«حيث» مبني على الضم مثل: منذ وقط. وقيل: رفع على الغاية، مثل: قبل وبعد. قرأ عبيد بن عمير[3]: «ومن حيث» بالنصب، قال: لأنها ساكنة في الأصل، وإذا اجتمع ساكنان حرك الثاني إلى الفتح، لأنه أخف الحركات مثل: ليت وكيف.

---

(1) هو الراعي النميري، عبيد بن حصين، من قبيلة نمير. سمي الراعي لكثرة نعته الإبل وجودة وصفه إياها.

(2) قال الشاعر هذا النص يمدح بني أمية ويثني عليهم.
الأغاني: 20/ 168 ـ البحر المحيط، ابن حيان: 1/ 439.

(3) أبو عاصم، عبيد بن عمير الليثي: من كبار التابعين. سمع عمرو بن العاص وعائشة. توفي رحمه اللّه سنة أربع وستين هـ.
الاستيعاب: 3/ 1018 ـ الطبقات الكبرى: 5/ 436 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 50.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ أي الأمر بالتوجه إلى الكعبة لصدق من ربك.

قوله تعالى: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ بيان أن حكم النبي صلى اللَّه عليه وسلم وأمته في التوجه إلى الكعبة في السفر والحضر سواء، لأنه كان يجوز أن يظن ظان الفرق بين المسافر والمقيم كالتنقل على الراحلة، فبيَّن اللَّه تعالى أن المسافر كالمقيم في التوجه.

قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ أي لئلا يكون لليهود عليكم حجة، لأن المسلمين لو لم يصلوا إلى الكعبة لكان ذلك مخالفة للبشارة السابقة، فيكون ذلك حجة لهم بأن يقولوا لهم ليس هو النبي المبشر به.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ أي لا يحاجهم أحد إلا من ظلم فيما وضح له واحتج بغير الحق. وأراد بالذين ظلموا قريشاً واليهود. وكانت حجة قريش الباطلة أن قالوا: إنما رجع إلى الكعبة لأنه علم أنها قبلة آبائه وهو الحق، فكذا يرجع إلى ديننا ويعلم أنه حق. وأما اليهود فإنهم يقولون: إن كانت قبلتنا ضلالة فقد صليت إليها سبعة عشر شهراً، وإن كانت هدى فقد انصرفت عنها، وقيل: لأن اليهود يقولون: إن محمداً لم ينصرف عن بيت القدس مع علمه بأنه حق إلا أنه إنما يفعل برأيه ويزعم أنه أمر به. وقيل: إن من حجة مشركي مكة أنهم قالوا لما صرفت القبلة إلى الكعبة: إن محمداً قد تحير في دينه فتوجه إلى قبلتنا وعلم أنا أهدى سبيلاً منه وأنه لا يستغني عنا، ويوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا، فأجابهم اللَّه تعالى بهذه الآية: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾، نفى أن يكون لأحد حجة قبل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه بسبب تحويلهم إلى الكعبة إلا الذين ظلموا من قريش، فإن لهم قبلهم حجة لما ذكرنا. ومعنى الحجة: الخصومة والجدال والدعوى الباطلة، كقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾[1] أي لا

---

(1) سورة الشورى (42)، الآية: 15.

خصومة، وكقوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾[1] و﴿لِيُحَاجُّوكُم﴾[2] و﴿حَاجَجْتُمْ﴾[3] كلها بمعنى المخاصمة والمجادلة لا بمعنى الدليل والبرهان. وموضع «الذين» نصب بنزع الخافض تقديره: إلا للذين ظلموا. وقال الفراء: موضعه نصب بالاستثناء، وإنما قال: «منهم» رداً إلى لفظ «الناس» لأنه عام، وإن كان كل واحد منهم غير الآخر[4]. وقال بعضهم: هذا استثناء منقطع من الكلام الأول ومعناه: لئلا يكون للناس كلهم عليكم حجة اللهم إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجونكم بالباطل ويجادلونكم بالظلم. وهذا كما تقول في الكلام للرجل: الناس كلهم لك حاسدون إلا الظالم لك، وكقولك للرجل: مالك عندي حق إلا أن تظلم، وما لك حجة إلا الباطل. وقال أبو روق: معنى الآية: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ يعني اليهود عليكم حجة وذلك أنهم قد عرفوا أن الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام، وقد كانوا وجدوا في التوراة أن محمداً صلى اللَّه عليه وسلم يحوله اللَّه إليها لئلا يكون لهم حجة فيحتجوا بأن النبي صلى اللَّه عليه وسلم الذي نجده يتحول عليها ولم تتحول أنت. فلما حول النبي صلى اللَّه عليه وسلم ذهبت حجتهم[5]. ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني إلا أن يظلموكم فيكتموا ما عرفوا من ذلك. وكان أبو عبيدة يقول: إلا ههنا بمعنى الواو، كأنه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجة والذين ظلموا لا يكون لهم حجة[6].

قال الشاعر[7]:

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 129.
(2) سورة البقرة (2)، الآية: 76.
(3) سورة آل عمران (3)، الآية: 66.
(4) الفراء، معاني القرآن: 1/ 86.
(5) بنصه في تفسير البغوي، معالم التنزيل: 1/ 177.
(6) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 60.
(7) هو أبو ثور، عمرو بن معد يكرب الزبيدي: فارس اليمن. وفد على النبي صلى اللَّه عليه وسلم بالمدينة سنة تسع مع عشرة من زبيد فأسلموا، وشهدوا اليرموك والقادسية وله شعر جيد جمع في ديوان مطبوع. توفي سنة إحدى وعشرين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1201 ـ الطبقات الكبرى: 4/ 305 ـ بلوغ الأرب: 2/ 131.

وكـل أخ مـفـارقـه أخـوه ∴ لـعـمـر أبـيـك إلا الـفـرقـدان[1]

يعني: والفرقدان أيضاً يفترقان، وقال آخر:

مـا بـالـمـديـنـة دار غـيـر واحـدة ∴ دار الـخـلـيـفـة إلا دار مـروان[2]

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ أي لا تخشوا الكفار في انصرافكم إلى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم في المحاجة والمحاربة فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة، واخشوني في تركها ومخالفتها.

قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام فتتم لكم الملة الحنيفية. وقال علي كرم الله وجهه: تمام النعمة الموت على الإسلام[3]. وروي أنه قال: النعم ست: الإسلام، والقرآن، ومحمد صلى الله عليه وسلم، والستر، والعافية، والغناء عما في أيدي الناس.

قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لكي تهتدوا من الضلالة.

قوله تعالى:

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(1) هذا البيت من البحر الوافر ومعناه: كل أخوين غير هذين الكوكبين متفارقان. وليس «إلا» استثنائية، وإلا لقال الشاعر: «إلا الفرقدين» بالنصب، لأنه بعد كلام تام موجب، أو يكون نصبه بالألف على لغة من يلزم المثنى الألف في الأحوال الثلاثة. والفرقدان: نجمان يهتدى بهما قريبان من القطب لا يفارق أحدهما الآخر. (ديوان الشاعر: 181 ـ خزانة البغدادي: 3/ 421 الشاهد الأربعون بعد المائتين ـ كتاب سيبويه: 2/ 334، باب المستثنى ـ شرح شواهد المغني: 2/ 105 ـ الكامل، للمبرد: 4/ 76).

(2) نسب هذا البيت إلى الشاعر الأموي: أبي فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الفرزدق. تقدمت ترجمته. ومعناه: ما بالمدينة دار غير واحدة هي دار الخليفة الأموي مروان بن عبد الحكم (كتاب سيبويه: 2/ 340 ـ الفراء، معاني القرآن: 1/ 90).

(3) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 177.

وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ هذه الكاف للتشبيه وتحتاج إلى شيء ترجع إليه، واختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو راجع إلى ما قبله، تقديره: فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولاً منكم، فيكون إرسال الرسول مؤذناً بإتمام النعمة. والآية خطاب للعرب، أي ولأتم نعمتي عليكم كما ابتدأت النعمة بإرسال رسول منكم إليكم، لأن اختياره من العرب نعمة عظيمة وشرف لهم واستدعاء إلى الإسلام، لأنه لو اختاره من العجم لكانت العرب مع عزتها ونخوتها لا تتبعه.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي يصلحكم بأخذ زكاتكم، ويأمركم بأشياء تكونون بها أزكياء، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والفقه والمواعظ، ومعرفة التأويل والسنة، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحكام وشرائع الإسلام، وأقاصيص الأنبياء ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ قبل إرساله، ويعني بهذا الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ متصل بما قبله، أي كما أنعمنا عليكم برسالة رجل أمي منكم إليكم فاذكروني. ومعنى الآية: قال ابن عباس: فاذكروني بالطاعة أذكركم بمعونتي. وقال ابن جبير: معناه اذكروني أذكركم بطاعتي بمغفرتي. وقال الفضيل: اذكروني بطاعتي أذكركم بثوابي. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قل صيامه وصلاته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن**»[1]. وقيل معناه: اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنان. وقال أبو بكر رضي الله عنه: كفى بالتوحيد عبادة، وكفى بالجنة ثواباً. وقال ابن كيسان: معناه اذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة. وقيل: اذكروني على ظاهر

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 1/ 452، رقم: 687، باب في محبة الله عز وجل. وينظر القرطبي في تفسيره: 2: 171، فقد ذكر هذه الرواية عن: أحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن خويزمنداد.

الأرض أذكركم في باطنها. قال الأصمعي: رأيت أعرابياً واقفاً يوم عرفة بعرفات وهو يقول: إلهي عجَّت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلاء إذا نسي أهل الدنيا. وقيل معناه: اذكروني في الدنيا أذكركم في العقبى. وقيل: اذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافاة. دليله قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1]. وقيل معناه: اذكروني في الخلاء والملأ أذكركم في الخلاء والملأ. بيانه ما روي في الخبر أن الله تعالى قال في بعض الكتب: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي عبدي ما شاء فأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، ومن تقرّب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيته هرولة، ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة أتيته بمثلها مغفرة بعد أن لا يشرك بي شيئاً**»[2]. وقيل معناه: اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة والبلاء. وقيل: اذكروني بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار. دليله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3]. وقيل اذكروني بالشوق والمحبة اذكركم بالوصل والقرابة. وقيل: اذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة. وقيل: اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء. اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال، اذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، اذكروني بالندم أذكركم بالكرم، اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة، اذكروني بالإرادة أذكركم بالإفادة، اذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص، اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، اذكروني بلا نسيان أذكركم بالأمان، اذكروني ذكراً فانياً أذكركم ذكراً باقياً، اذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر. اذكروني بالصفو أذكركم بالعفو، اذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكروني بالمناجاة أذكركم بالنجاة، اذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بالجهد في الخدمة أذكركم بإتمام النعمة، اذكروني

---

(1) سورة النحل (16)، الآية: 97.
(2) أخرجه ابن ماجه في سننه: 2/ 1255، رقم: 3822، باب فضل العمل.
(3) سورة الطلاق (65)، الآية: 3.

بالاستغفار أذكركم بالاغتفار، اذكروني بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾[1]. قال سفيان بن عيينة[2]: إن اللَّه عز وجل قال: لقد أعطيت عبادي ما أعطيت جبريل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما. قلت: اذكروني أذكركم، وقلت لموسى قل للظلمة: لا يذكروني فإني أذكر من ذكرني، وإن ذكري إياهم أن ألعنهم. وقال أبو عثمان النهدي[3]: إني لأعلم حين يذكرني ربي. قيل: كيف؟ قال: إن اللَّه تعالى قال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ فإذا ذكرت اللَّه ذكرني[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ أي اشكروا لي نعم الدنيا والدين ولا تكفروا نعمتي وإحساني إليكم.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿153﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿154﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿155﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿156﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿157﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

---

(1) سورة العنكبوت (29)، الآية: 45.

(2) أبو محمد، سفيان بن عيينة الهلالي. ولد بالكوفة وسكن مكة، كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. من كتبه: «التفسير» و«الجامع في الحديث». توفي رحمه اللَّه بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 497 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 190 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 262 ـ ميزان الاعتدال: 2.

(3) أبو عثمان، عبد الرحمن بن مل النهدي البصري. سمع من عمر وابن مسعود وحذيفة. وعنه قتادة وخالد الحذاء، صحب سليمان القارىء وكان عالماً صواماً يصلي حتى يغشى عليه. توفي رحمه اللَّه سنة مائة هجرية.
تذكرة الحفاظ: 65 ـ الطبقات الكبرى: 7/ 68.

(4) تفسير القرطبي: 2/ 171.

(153)﴾ أي استعينوا على ما ألزمتكم من عبادة وشكر بالصبر على أداء الفرائض واجتناب المحارم بالمواظبة على الصلاة والاستكثار منها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على أداء الفرائض.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾، نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً: ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين. كان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل اللَّه: مات فلان. وكان الكفار يقولون للشهداء على طريق الطعن: إن أصحاب محمد صلى اللَّه عليه وسلم يقتلون أنفسهم في الحرب بغير سبب، ثم يموتون فيذهبون. فنهى اللَّه المسلمين أن يقولوا مثل هذا القول، ونبه على أن ذلك كذب بقوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾[1]. واختلفوا في حياتهم، والصحيح أنهم اليوم أحياء على الحقيقة. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في رياض الجنة، وتأكل وتشرب من أنهارها، وتأوي في الليل إلى قناديل من نور معلقة بالعرش**»[2]. وقال الحسن: إن الشهداء أحياء عند اللَّه[3] يصل إليهم الروح والفرح. وقيل: إن مساكن الشهداء سدرة المنتهى. وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «**يعطى الشهيد ست خصال: عند أول قطرة من دمه تكفّر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده في الجنة، ويزوّج من الحور العين، ويؤمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر، ويحلى حلية الإيمان**»[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون أنهم كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ أي ولنختبرنكم يا أمة محمد بشيء من الخوف، يعني خوف العدو والفزع والقتال، وقحط السنين، وقلة ذات اليد ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ أي هلاك المواشي وذهاب الأموال.

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 46 ـ البغوي معالم التنزيل: 1/ 180.
(2) رواه ابن ماجه في سننه: 2/ 936، رقم: 2801، باب فضل الشهادة في سبيل اللَّه ـ والدارمي في سننه: 2/ 206، باب أرواح الشهداء في سبيل اللَّه.
(3) في النسخة (ف): ربهم.
(4) رواه ابن ماجه في سننه: 2/ 935، رقم: 2799، باب الشهادة في سبيل اللَّه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾ أراد به الموت والقتل والأمراض.

قوله تعالى: ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ أي لا تخرج الثمار والزروع كما كانت تخرج من قبل. وقيل: أراد بالثمرات: الأولاد لأنهم ثمرة القلب وهم إذا اشتغلوا بالجهاد منعهم ذلك عن عمارة البساتين ومناكحة النساء، فيقل أولادهم وثمرة بساتينهم. وقال بعضهم معناه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ أي خوف اللَّه تعالى. والجوع يعني: صوم رمضان. ونقص من الأموال، أي أداء الزكاة والصدقات. والأنفس، أي الأمراض. والثمرات، موت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة فؤاده. يدل عليه قوله عليه السلام: «**إذا مات ولد العبد قال اللَّه تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول اللَّه تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد**»(1).

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي على هذه الشدائد والبلايا بالثواب لتطيب أنفسهم. ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ «الذين» نعت للصابرين، ومعناه: الذين إذا أصابتهم مصيبة من هذه المصائب قالوا إنا لله عبيد وملك يحكم فينا بما يشاء من الشدة والرخاء إن عشنا فإليه أرزاقنا، وإن متنا فإليه مردنا، وإنا إليه راجعون في الآخرة. قال عكرمة: طفى سراج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال: «﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾»، فقيل: يا رسول اللَّه أمصيبة هي؟ قال: «**كل ما يؤذي المؤمن فهو له مصيبة**»(2). وقال ابن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطيت هذه الأمة ـ يعني الاسترجاع ـ ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألا تسمع إلى قوله في فقد يوسف: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(3). وقال صلى اللَّه عليه وسلم:

---

(1) رواه أبو محمد الحسين البغوي: شرح السنة: 5/ 456، رقم: 1549، باب ثواب من مات له ولد فاحتسب.

(2) تفسير القرطبي: 2/ 175.

(3) سورة يوسف (12)، الآية: 84.

«من استرجع عند المصيبة جبر اللّه مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه»[1].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾. قال ابن عباس: مغفرة من ربهم ونعمة. وقيل: الصلاة هنا الثناء والرحمة والبركة. وجمع الصلاة لأنه عنى بها الرحمة بعد الرحمة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ إلى الاسترجاع. وقيل إلى الجنة والثواب. وقيل: إلى الحق والصواب. وقيل: الرحمة التي لا يعلم مقاديرها إلا اللّه كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[2]. وعن عمر رضي اللّه عنه أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: نعم العدلان ونعم العلاوة! يعني بالعدلين قوله: ﴿صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾؛ وبالعلاوة قوله: ﴿هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[3]. وعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: **«يقول اللّه تعالى: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في أهله أو ولده أو بدنه، فاستقبل ذلك منه بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنشر له ديواناً، أو أنصب له ميزاناً»**.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ أي من أعلام دينه ومتعبداته. وأراد بالشعائر ههنا: مناسك الحج. وسبب نزول هذه الآية أن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة لأنهما كانا من شعائر قريش في الجاهلية فتركناه في الإسلام، فأنزل اللّه هذه الآية[4]. وقال ابن عباس: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له: إسافاً، وعلى المروة

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 7/ 116، رقم: 9689، باب في الصبر على المصائب.

(2) سورة الزمر (39)، الآية: 10.

(3) ذكره البخاري في صحيحه: فتح الباري: 3/ 129، باب الصبر عند الصدمة الأولى. العدلان ـ بكسر العين ـ: المثلان، والعلاوة ـ بكسر العين ـ: ما يعلق على البعير بعد تمام الحمل.

(4) الواحدي، أسباب النزول: 47 ـ 48.

صنم على صورة امرأة يقال لها: نائلة. وإنما ذكروا الصفا لتذكير «إساف» وأنثوا المروة لتأنيث «نائلة»، وزعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما اللَّه حجرين، فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا من دون اللَّه تعالى. وكان أهل الجاهلية إذا طافوا بين الصفا والمروة مسحوا الصنمين. فلما جاء الإسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين، وقالت الأنصار: إن السعي من أمر الجاهلية. فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، أي فلا إثم عليه في الطواف بينهما لمكان الأصنام عليهما، فإن الطواف بينهما واجب. والجناح هو الإثم. وأصله: يتطوف، فأدغمت التاء في الطاء. وقال أبو حيوة: يطوف بطاء مخففة. واختلف العلماء في السعي، فقال أبو حنيفة[2] وأصحابه والثوري[3]: هو واجب وينجبر بالدم. وقال مالك[4]

---

(1) الواحدي، في المصدر نفسه.

(2) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي: فقيه العراق والإمام المحقق. رأى أنس بن مالك، وروى عن عدد من التابعين، منهم: الشعبي وقتادة والزهري. وروى عنه كثيرون منهم: محمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف القاضي. من مؤلفاته: «المسند في الحديث» جمعه تلاميذه، وتنسب إليه رسالة «الفقه الأكبر». توفي رحمه اللَّه ببغداد سنة خمسين ومائة هجرية.
الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 7/ 86 الشيرازي: طبقات الفقهاء: 86 ـ البداية والنهاية: 10/ 107.

(3) أبو عبداللَّه، سفيان بن سعيد الثوري: كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة. له من الكتب: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» كلاهما في الفقه، وكتاب في الفرائض. كان آية في الحفظ، من كلامه: «ما حفظت شيئاً فنسيته». توفي رحمه اللَّه بالبصرة سنة إحدى وستين ومائتين هـ.
الطبقات الكبرى: 6/ 371 ـ الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 186 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 203 ـ طبقات الفقهاء 84.

(4) أبو عبد اللَّه، مالك بن أنس الأصبحي: إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه ينتسب المذهب المالكي، الذي انتشر بنضال أتباعه الذين تولوا التأليف والتدريس في الأقطار الإسلامية. من مؤلفاته: «الموطأ» ويعد في مرتبة الصحاح من كتب السنة. توفي رحمه اللَّه في المدينة سنة تسع وسبعين ومائة.
عياض، ترتيب المدارك: 1/ 102، وزارة الأرقاف المغربية، ط الأخيرة، 1983 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 207 ـ حلية الأولياء: 6/ 316 ـ صفة الصفوة: 2/ 177.

والشافعي[1]: هو فرض ولا ينجبر بالدم كطواف الزيارة. وقال أنس بن مالك، وابن الزبير[2] ومجاهد: هو تطوع إن فعله فحسن، وإن تركه لم يلزمه شيء، واحتجوا بقراءة ابن عباس وابن سيرين[3]: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما. وكذلك هو في مصحف عبد الله، وبقوله بعد ذلك: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ وهذا دليل على أنه تطوع[4]. والجواب عنه: أن «لا» صلة كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[5]، وقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾. وحجة من أوجبه: أن الله سماهما من شعائر الله. وأما قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فمعناه: من زاد على الطواف الواجب. وحجة من قال إنه فرض: تسمية الله له أنه من شعائره. قلنا: هذا لا يدل على الفرضية فإن الله سمى المزدلفة والمشعر الحرام. ولا خلاف أن الدم يقوم مقامه، وسمى الصفا لأنه جلس عليه صفي الله آدم عليه السلام، وسميت المروة لأنها جلست عليها امرأته حواء، وأصل السعي: أن هاجر أم إسماعيل لما عطش ابنها إسماعيل وجاع، صعدت على الصفا فقامت عليه تنظر هل ترى من أحد، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي، ورفعت طرف درعها وسعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة وقامت عليها هل ترى أحداً، فلم تر أحداً. فعملت ذلك سبع مرات.

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾. قرأ حمزة والكسائي: يطوع ـ بالياء وتشديد

---

(1) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: أحد الأئمة الأربعة، وإليه ينتسب الشافعية. ولد في غزة وحمل إلى مكة وأقام في هذيل مدة ثم رحل إلى العراق ومنها إلى مصر. تتلمذ على الإمام مالك وغيره فكان أشعر الناس وأعلمهم بآداب العرب وأعرفهم بالفقه والقراءات. من مؤلفاته: كتاب «الأم» في الفقه، و«الرسالة» في الأصول. توفي رحمه الله في مصر سنة أربع ومائتين هـ. السبكي، طبقات الشافعية: 1/ 10 ـ الشيرازي، طبقات الفقهاء: 71 ـ طبقات الحفاظ: 1/ 361.

(2) أبو بكر، عبد الله بن الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. شهد الجمل مع أبيه وخالته عائشة، وكان شهماً ذا أنفة فصيحاً. توفي رحمه الله في مكة سنة ثلاث وسبعين هجرية. الاستيعاب: 3/ 905.

(3) أبو بكر، محمد بن سيرين البصري. تابعي إمام عصره في العلوم الدينية بالبصرة. تفقه وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. توفي رحمه الله في البصرة سنة عشر ومائة هجرية. تذكرة الحافظ: 1/ 77 ـ الطبقات الكبرى: 7/ 193 ـ حلية الأولياء: 3/ 263.

(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 89 ـ تفسير القرطبي: 2/ 182.

(5) سورة الأعراف (7)، الآية: 12.

الطاء ـ وكذلك الثاني [أي ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾][1] بمعنى يتطوع. وقرأ عبد الله: يتطوع. وقرأ الباقون: تطوع ـ بالتاء ونصب العين[2] ـ. ومعنى الآية: ومن زاد على الطواف الواجب. وقال ابن زيد: ومن تطوع خيراً فاعتمر. وقيل: من تطوع بالحج والعمرة بعد حجته الواجبة. وقال الحسن: من فعل غير المفروض عليه من صلاة وزكاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات كلها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي مجاز له بعمل عليم بنيته يشكر اليسير ويعطي الكثير ويغفر الكبير.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿159﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿160﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ هم علماء اليهود الذين كتموا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة، وكتموا أمر القبلة والأحكام والحلال والحرام ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي من بعد ما أوضحناه للناس في التوراة والإنجيل. وأراد بالناس بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يبعدهم الله من رحمته. وأصل اللعن في اللغة: هو الطرد. ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ اختلف المفسرون في هؤلاء اللاعنين، فقال قتادة: هم الملائكة. وقال عطاء: هم الجن والإنس. وقال الحسن: عباد الله أجمعون. وقال ابن عباس: كل شيء إلا الجن والإنس. وقال مجاهد: اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك القطر يقولون: هذا لشؤم بني آدم. وقال عكرمة: دواب الأرض هوامها حتى

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 184.
وما بين المعقوفتين ساقط من النسخة (ف).
(2) الإقناع في القراءات السبع: 2/ 605.

الخنافس والعقارب، يقولون: منعنا القطر بمعاصي بني آدم(1). وإنما قال لهذه الأشياء اللاعنون ولم يقل اللاعنات، لأن من شأن العرب إذا وصفت شيئاً من البهائم والجمادات بما هو صفة للناس من قول أو فعل أن يخرجوه على مذهب بني آدم وجمعهم، كقوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾(2) ولم يقل: ساجدات، وأشباه ذلك. وفي الآية دليل على وجوب إظهار علوم الدين، وزجر عن كتمانها، لأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ أي إلا الذين تابوا من اليهودية وأصلحوا أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم. وقيل: أصلحوا ما كانوا أفسدوه ممن لا علم له، وبينوا صفة محمد صلى اللّه عليه وسلم في كتابهم، وشهدوا بالحق فيما عندهم من العمل ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي المتجاوز عن التائبين، الرحيم بهم بعد التوبة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (162) وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (163)﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ هذا عام في جميع الكفار، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أما المؤمنون، فيلعنونهم في الدنيا والآخرة، وأما الكفار فيلعن بعضهم بعضاً في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾(3). روي أن الكافر يوقف يوم القيامة، فليعنه اللّه ثم الملائكة والناس أجمعين.

---

(1) تراجع هذه الأقوال في تفسير البغوي: 1/ 187.
(2) سورة يوسف (12)، الآية: 4.
(3) سورة العنكبوت (29)، الآية: 25.

قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في اللعنة والنار مقيمين. وقيل: إن اللعنة هنا: النار، لأن اللعنة هي: إبعاد اللّٰه من رحمته، وذلك عذابه.

قوله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي لا يرفع عنهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي ولا هم يمهلون ويؤجلون. قال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿163﴾﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في كفار مكة، قالوا: يا محمد صف لنا وانسب لنا ربك. فأنزل اللّٰه سورة الإخلاص وهذه الآية[1]. وقال الضحاك عن ابن عباس: كان للمشركين في الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، يعبدونها من دون اللّٰه إفكاً وافتراء، فدعاهم اللّٰه إلى توحيده والإخلاص في عبادته فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿163﴾﴾. ويقال نزلت هذه الآية في صنف من المجوس يقال لهم الثنائية[2]، ويقولون هما اثنان: خالق الخير وخالق الشر. ومعنى الآية: إن الذي يستحق أن تأله قلوبكم إليه في المنافع والمضار وفي جميع حوائجكم وفي التعظيم له: إله واحد لا يستحق الإلهية أحد غيره. فلما نزلت هذه الآية عجب المشركون، وقالوا إن محمداً يقول: إن إلهكم إله واحد، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل اللّٰه قوله تعالى:[3]

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿164﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، إن في تعاقب الليل والنهار في الذهاب والمجيء. واختلاف مأخوذ من خلف يخلف يعني أن واحداً منهما يخلف

---

(1) تفسير البغوي: 1/ 189.

(2) في النسخة (ف): الملكانية.

(3) الواحدي، أسباب النزول: 48 ـ تفسير الطبري: 3/ 268.

صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلافه أي بعده. نظيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾[1]. وقال عطاء: أراد اختلاف الليل والنهار في اللون والطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان. والليل جمع ليلة مثل نحلة ونحل، والليالي جمع الجمع. والنهار واحد وجمعه نهر. وقدم الليل على النهار لأنه هو الأصل والأقدم. قال اللّٰه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ﴾ يعني السفن، واحده وجمعه سواء، قال اللّٰه تعالى في واحده: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿41﴾﴾، وقال في جمعه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[3] ويذكر ويؤنث، قال اللّٰه تعالى في التذكير: ﴿ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾[4]، وقال في التأنيث: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ يعني المطر ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ أي بعد يبسها وجدوبتها ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي نشر وفرق فيها من كل دابة من أجناس مختلفة، ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰٓ أَرۡبَعٍ﴾[5]. ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي تقليبها دبوراً وشمالاً وجنوباً وصباً. وقيل: تصريفها مرة بالرحمة ومرة بالعذاب. قرأ حمزة والكسائي وخلف: وتصريف الريح ـ بغير ألف على الواحد. وقرأ الباقون: الرياح ـ على الجمع[6]. قال ابن عباس: الرياح للرحمة والريح للعذاب. وكان

---

(1) سورة الفرقان (25)، الآية: 62.
(2) سورة يس (36)، الآية: 37.
(3) سورة يونس (10)، الآية: 22.
(4) سورة يس (36)، الآية: 41.
(5) سورة النور (24)، الآية: 45.
(6) الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع: 1/ 605.

النبي صلى اللّه عليه وسلم إذا هاجت الريح قال: «**اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً**».

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ أي المذلل بين السماء والأرض. سمي سحاباً لأنه يتسحب بالسير في سرعة.

قوله تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي لعلامة دالة على وحدانية اللّه لقوم يعرفون أنه لو كانت هذه الأمور إلى اثنين لاختلفا. وقيل: لآيات لقوم يعقلون فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً. وقال صلى اللّه عليه وسلم: «**ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها ويعتبر بها**». قيل: إن السحاب كالمنخل يخرج منه المطر قطرة قطرة، ولا تلتقي منه قطرتان في الجو، إذ لو خرج منهمراً سيالاً لأغرق ما أتى عليه كما في طوفان نوح. قال اللّه تعالى في طوفان نوح: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪﴾[1].

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ⑯⑤ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ⑯⑥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ⑯⑦﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ وهم المشركون. والأنداد: هي الأصنام المعبودة من دون اللّه. قاله أكثر المفسرين. وقال السدي: يعني سادتهم وقادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية اللّه.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي كحب المؤمنين لله. يقال: بعت غلامي كبيع غلامك، أي كبيعك غلامك. وأنشد الفراء[2]:

---

(1) سورة القمر (54)، الآية: 11.

(2) معاني القرآن، الفراء: 1/ 100.

فلست مسلّماً ما دمت حيًّا ∴ على زيد[1] بتسليم الأمير[2]

أي: كتسلمي على الأمير. وهذا قول أكثر العلماء. وقال الزجاج: تقدير الآية: يحبونهم كحب اللَّه، يعني يسوون بين هذه الأصنام وبين اللَّه تعالى في المحبة[3].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ أي يخلصون في محبة اللَّه لا يشركون به غيره، وهم يشركون معه معبوداتهم. وقيل: إن المؤمنين يعبدون اللَّه في كل حال، والكفار يعبدون الأوثان في الرخاء، فإذا أصابتهم شدة تركوا عبادتها. وقال ابن عباس معناه: أثبت وأدوم وذلك أن المشركين كانوا يعبدون صنماً، فإذا رأوا شيئاً أحسن منه تركوه وأقبلوا على عبادة الأحسن. وقال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على اللَّه تعالى كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[4]. والمؤمن لا يعرض عن اللَّه تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء، وقيل: لأن الكفار يرون معبودهم مصنوعهم، والمؤمنون يرون اللَّه تعالى صانعهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾. قرأ أبو رجاء والحسن وشيبة ونافع وقتادة ويعقوب: ولو ترى ـ بالتاء على أنه خطاب للنبي صلى اللَّه عليه وسلم، والجواب محذوف تقديره: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا، أي أشركوا إذ يرون العذاب لرأيت أمراً عظيماً، أو لعملت ما يصيرون إليه، أو لعجبت منه. وقرأ الباقون بالياء[5]. ومعناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب لعلموا أن القوة لله جميعاً، أو لآمنوا، أو لعلموا مضرة الكفر.

---

(1) هو: زيد بن الحصين بن زهير والي أصبهان.

(2) هذا البيت من البحر الوافر، نسب إلى البردخت: علي بن خالد الضبي أحد بني السيد بن مالك بن بكر بن سعيد بن ضبة.
(البيان والتبيين: 4/ 51 ـ العقد الفريد: 2/ 340 ـ أمالي الشريف: 1/ 215 ـ تاريخ بغداد: 1/ 251).

(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 237 مع بعض الاختلاف.

(4) سورة العنكبوت (29)، الآية: 65.

(5) مكي، الكشف: 1/ 270 ـ تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 92.

نظير هذه الآية في المحذوف: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾[1] لكان هذا القرآن.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ قرأ ابن عامر: إذ يرون ـ بضم الياء على التعدي. وقرأ الباقون بفتحها على اللزوم[2]. وقيل: معنى الآية: ولو ترى عبدة الأوثان اليوم ما يرون حين رؤية شدة عذاب اللّه وقوته لتركوا عبادة الأوثان ومحبتها. وهذا التأويل على قراءة الياء.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي أن القوة لله جميعاً، ولأن اللّه شديد العذاب للرؤساء والأتباع من عبدة الأوثان. قرأ الحسن وقتادة وشيبة وسلام[3] ويعقوب: إن القوة لله جميعاً، «وإن اللّه» بالكسر فيهما على الاستئناف، والكلام تام عند قوله: ﴿يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ مع إضمار الجواب كما ذكرنا. وقرأ الباقون بفتحها على معنى «بأن القوة» وقيل على معنى: لرأوا أن القوة، أو لأيقنوا[4].

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ متصل بقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي شديد العذاب وقت يتبرأ المتبعون[5] من التابعين. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي دخلوا جميعاً في النار وعاينوا ما فيها. قرأ مجاهد بتقديم الفاعلين على المفعولين وقرأ الباقون بالضد. والتابعون: هم الأتباع والضعفاء والسفلة. قاله أكثر المفسرين. وقال السدي: هم الشياطين يتبرؤون من الإنس.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني أسباب المودة والصلاة التي كانت بينهم في الدنيا فصارت مخالطتهم[6] عداوة.

---

(1) سورة الرعد (13)، الآية: 31.
(2) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر: 1/ 78 ـ الإقناع: 2/ 605.
(3) أبو المنذر سلام بن سليمان المزني ثقة جليل ومقرىء كبير أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما، وعنه أخذ يعقوب الحضرمي وغيره توفي سنة إحدى وسبعين ومائة هجرية. غاية النهاية: 1/ 309.
(4) المهذب في القراءات العشر: 1/ 79 ـ تفسير القرطبي: 2/ 205.
(5) في النسخة (س): المتبرئون.
(6) في النسخة (ف): محبتهم.

وقال الكلبي: يعني بالأسباب الأرحام. وقال أبو روق: الحلف والعهود التي كانت بينهم في الدنيا. وتقطع الأسباب، أي لا يبقى لهم سبب إلى رحمة اللّه تعالى بوجه من الوجوه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي السفلة والخدم: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ أي قالوا: لو أن لنا رجعة إلى الدنيا لتبرأنا منهم كما تبرؤوا منا في الآخرة. يقول اللّه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي كما أراهم العذاب، وكما تبرأ بعضهم من بعض كذلك يريهم اللّه أعمالهم التي عملوها في الدنيا لغير اللّه ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي ندامات عليهم كما أراهم تبرّي بعضهم من بعض. وقيل: أراد أعمالهم الصالحة التي عملوها. قال السدي: يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا اللّه، فيقال لهم: تلك منازلكم لو أطعتم اللّه تعالى. ثم يمنعون منها فذلك حين يندمون.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي التابعون والمتبوعون.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ أي من الزرع والأنعام وغير ذلك مما أحل اللّه لكم. والطيب صفة للحلال وهو واحد. ويجوز أن يكون الحلال: المستلذ. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي لا تسلكوا طريقه التي يدعوكم إليها. وقيل: نزلت هذه الآية في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة، كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[1] وبعض الحروث.

---

(1) قال ابن اسحاق: البحيرة بنت السائبة: والسائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سيبت لا ينتفع بها أي لا يركب ظهرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف، أو الناقة التي ينذر الرجل أن يسيبها إن شفي من مرضه أو وفق في أمر يطلبه، وإذا ولدت أنثى بعد ذلك شقت أذنها وخلي سبيلها مع أمها فهي البحيرة. والوصيلة: الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات في

ووجه دخول «من» التي هي للتبعيض أن كل ما في الأرض لا يمكن أكله أو لا يحل.

قوله تعالى: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ انتصبا على الحال، وقيل على المفعول، أي كلوا حلالاً طيباً مما في الأرض.

قوله تعالى: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. قرأ شيبة ونافع وعاصم في رواية أبي بكر والأعمش وحمزة وأبو عمرو وابن كثير في رواية البزي[1] بسكون الطاء في جميع القرآن. وقرأ ابن عباس والزهري والكسائي وحفص وقنبل بضم الخاء والطاء في جميع القرآن. وقرأ علي رضي اللَّه عنه وسلام بضم الخاء وهمزة بعد الطاء. وقرأ أبو السمال العدوي وعبيد بن عمير: خطوات ـ بفتح الخاء والطاء. فمن أسكن الطاء أبقاه على الأصل وطلب الخفة لأنه جمع خطوة بإسكان الطاء، ومن ضم الطاء فإنه أتبع ضمة الخاء ضمة الطاء، مثل: ظلمة وظلمات، وقربة وقربات. ومن همز الواو مع الضم ذهب بها مذهب الخطيئة. ومن فتح الخاء والطاء فإنه أراد جمع خطوة مثل: ثمرات[2]. واختلف المفسرون في قوله: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ فعن ابن عباس أن خطوات الشيطان: عمله. وقال مجاهد وقتادة والضحاك: خطاياه. وقال الكلبي والسدي: طاعته. وقال عطاء: زلاته وشهواته. وقال المؤرج: آثاره. وقال القتيبي والزجاج: طرقه[3].

= خمسة أبطن. والحام: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر يقال: حمى ظهره فلا يركب ويخلى في إبله. (سيرة ابن هشام: 1/ 89 ـ بلوغ الأرب: 3/ 34 ـ الواحدي، أسباب النزول: 49).

(1) أحمد بن محمد بن عبد اللَّه بن نافع البزي: راوي ابن كثير ضابط متقن، قرأ على أبيه وغيره. وروى عنه القراءة قنبل. توفي رحمه اللَّه سنة خمسين ومائة هجرية.
ابن الجزري، غاية النهاية: 1/ 119.

(2) الخطوة: هي اسم للمسافة بين قدمي الماشي عند المشي.
الأنصاري، الإقناع: 2/ 605 ـ أبو علي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع: 2/ 202 ـ تفسير القرطبي: 2/ 208.

(3) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 194 ـ الزجاج، معاني القرآن: 1/ 241.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٞ مُّبِينٌ﴾ أي بيِّن العداوة. وقيل: مظهرها قد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لأبيكم آدم، وغروره إياه حين أخرجه من الجنة، ثم بين اللَّه عداوته فقال: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي بالإثم والمعاصي. وقيل: السوء ما يجب به التعزير، والفحشاء: ما يجب به الحدود. وقيل: كل ما كان في القرآن من الفحشاء فهو زنا، إلا قوله ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾[1] فإنه منع الزكاة. وقيل: الفحشاء ما قبح من القول والفعل. وقال طاوس[2]: الفحشاء ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. وقال عطاء: هي البخل. وقال السدي: هي الزنا[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام وغير ذلك، ومن وصفكم اللَّه تعالى بالأنداد والأولاد، تعالى اللَّه عما يقولون علواً كبيراً. فإن قيل: كيف يصح أن يأمر الشيطان ولا يشاهد ولا يسمع صوته؟ قيل معنى يأمركم: يدعوكم ويرغبكم، كما يقول الإنسان نفسي تأمرني بكذا أي تدعوني إليه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي إذا قيل لهؤلاء الكفار: اتبعوا في التحليل والتحريم ما أنزل اللَّه ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ أي

---

(1) سورة البقرة (2)، الآية: 268.
(2) أبو عبد الرحمن، طاوس بن كيسان الهمذاني: من كبار التابعين تفقهاً في الدين ورواية للحديث وتقشفاً في العيش وجرأة على وعظ الأمراء والملوك. توفي رحمه اللَّه سنة ست ومائة هجرية. الطبقات الكبرى: 5/ 537 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 90 ـ حلية الأولياء: 4/ 3.
(3) تفسير البغوي، معالم التنزيل: 1/ 195.

ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأوثان، وتحريم البحيرة والسائبة ونحو ذلك.

قوله اللَّه تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للسنة؟ وقيل: إن هذه الآية قصة مستأنفة وإنها أنزلت في اليهود، فعلى هذا تكون الهاء والميم في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ كناية عن غير مذكور. روي عن ابن عباس قال: دعا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم اليهود والنصارى إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذَّرهم عذاب اللَّه، فقال له رافع بن جارية ومالك بن عوف: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً منا وأعلم. فأنزل اللَّه هذه الآية[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾. هذا مثل ضربه اللَّه للكفار، فوصفهم بعدما أمرهم ونهاهم فلم يأتمروا ولم ينتهوا بصفة الدواب، معناه: مثلك يا محمد أو مثلنا مع الذين كفروا، أو مثل واعظ الذين كفروا، فحذف اختصاراً كمثل الذي يصيح بما لا يدري ما يقال له إلا أنه يسمع الصوت، وهي الإبل والبقر والغنم، تنزجر بالصوت ولا تفقه ما يقال لها ولا تحسن جواباً، فكما أن البهائم لا تفهم كلام من يدعوها فكذا الكفار لا ينتفعون بوعظ النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وهذا قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وأكثر المفسرين، فإنهم قالوا: المراد بما لا يسمع إلا دعاء ونداء البهائم التي لا تعقل كالأنعام والحمير ونحوها، وأضاف المثل إلى الكفار اختصاراً لدلالة الكلام عليه. تقديره: مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى اللَّه تعالى كمثل الراعي الذي ينعق، أي يصوت ويصيح بها. يقال: نعق ينعق نعقاً ونعاقاً إذا صاح وزجر. قال الشاعر[2]:

---

(1) سيرة ابن هشام: 2/ 552 ـ تفسير الطبري: 3/ 305.

(2) هو الأخطل: أبو مالك غياث بن غوث التغلبي: شاعر مصقول الألفاظ حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية وأكثر من مدح أمرائهم. له ديوان مطبوع. توفي سنة تسعين هـ.

فانعق بضأنك يا جرير فإنما ∴ منَّتك نفسك في الخلاء ضلالاً[1]

فكما أن هذه البهائم تسمع الصوت ولا تفهمه ولا تعقل ما يقال لها كذلك الكافر لا ينتفع بالوعظ إن أمرته بخير أو زجرته عن شر، غير أنه يسمع صوتك. وقال الحسن: معناه مثلهم فيما أتيتهم به حيث يسمعونه ولا يعقلونه كمثل راعي الغنم الذي ينعق بها، فإذا سمعت صوته رفعت رؤوسها، فاستمعت إلى الصوت والدعاء ولا تعقل منه شيئاً، ثم تعود بعد ذلك إلى مراعيها لم تفقه ما ناداها به. وقال قوم: معنى الآية مثل الكفار في دعائهم الأصنام وعبادتهم الأوثان كمثل الرجل يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يقال له الصدى، يجيبه ولا ينفعه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ قيل: إن الدعاء والنداء واحد، كما أن الحلال والطيب واحد. وقيل: الدعاء ما يكون للقريب والنداء إنما يكون بمد الصوت للبعيد.

قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي هم صم عن الخير لا يسمعون الحق. والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمعه: كأنه أصم. وقوله: ﴿بُكْمٌ﴾ أي خرص لا يتكلمون بخير، ﴿عُمْىٌ﴾ لا يبصرون الهدى، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ ما يؤمرون به.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ

---

(1) هذا البيت من البحر الوافر، من قصيدة هجا بها الأخطل جرير بن عطية. فبعد أن ذكر حروب رهطه بني تغلب، قال لجرير: إنما أنت راعي غنم، فصوِّت بغنمك ودع الحروب وذكرها فلا علم لك ولا لأسلافك بها، وكل ما تحدث به نفسك من ذلك ضلال وباطل. ديوان الأخطل: 50 ـ شعر الأخطل، صنعة السكّري: 1/ 116 ـ نقائض جرير والأخطل: 81 ـ طبقات فحول الشعراء: 429 ـ خزانة الأدب: 1/ 459 ـ لسان العرب، وتاج العروس: (نعق).

فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي من حلال ما رزقناكم من الحرث والانعام وسائر المأكولات. قال صلى اللّه عليه وسلم: «**إن اللّه طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن اللّه تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**[1]. **فقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾».

قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي واشكروا لله ما رزقكم، وأباح لكم من النعم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي إن كنتم تقرون أنه إلهكم ورازقكم. وهذا أمر إباحة وتخيير، أعني قوله تعالى: ﴿كُلُواْ﴾ لأن تناول المشتهى لا يدخل في التعبد، وقد يكون الأكل تعبداً في بعض الأحوال عند دفع ضرر النفس وتقويتها على الطاعة، وعند مساعدة الضيف إذا امتنع عن الأكل. فلما نزلت هذه الآية قال الكفار: إذا لم تكن البحيرة والسائبة والوصيلة محرَّمة، فما المحرمات؟ فأنزل اللّه تعالى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾. قرأ السلمي: إنما حرم ـ براء مخففة مضمومة، والميتة والدم ولحم الخنزير رفعاً. وروي عن أبي جعفر أنه قرأ: حرم ـ بضم الحاء وكسر الراء وتشديدها، ورفع ما بعدها. وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: إن ما حرم عليكم الميتة ـ بنصب الحاء والراء وتشديد الراء ورفع الميتة وما بعدها، وجعل «ما» بمعنى الذي منفصلة، ويكون موضع «ما» نصباً اسم إن وما بعدها خبرها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾[3]. وقرأ الباقون: حرم ـ بنصب الحاء وتشديد

(1) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، من حديث أبي هريرة: 7/ 100 باب الحث على الصدقة.
(2) سورة المؤمنين (23)، الآية: 51.
(3) سورة طه (20)، الآية: 69.

الراء ونصب الميتة وما بعدها، وجعلوا «إنما» كلمة واحدة تأكيداً وتحقيقاً[1]. والميتة: ما لم يذك. والدم: يعني المسفوح الجاري. وهذه الآية مخصوصة بالسنة وهو قوله صلى اللّه عليه وسلم: «**أحلت لنا ميتتان ودمان؛ فالميتتان؛ السمك والجراد؛ والدمان: الكبد والطحال**[2]».

قوله تعالى: ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ أراد جميع أجزائه وكل بدنه، فعبر عن ذلك باللحم، لأنه معظمه وقوامه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير اللّه. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: يعني ما ذبح للأصنام والطواغيت كلها. وأصل الإهلال: رفع الصوت ومنه إهلال الحج وهو رفع الصوت بالتلبية، ومنه إهلال الصبي واستهلاله، وهو صياحه عند خروجه من بطن أمه.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قرأ عاصم وحمزة ويعقوب وأبو عمرو فمن اضطر بكسر النون فيه وفيما شابهه مثل: (أن أقتلوا) وأمثاله. وقرأ ابن محيصن: فمن اضطر ـ بإدغام الضاد في الطاء حتى تكون طاء خالصة[3]. ومعنى الآية: فمن أحوج وألجىء إلى ذلك بالمجاعة أو الإكراه ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي غير طالب لذلك. وقيل: غير طالب تلذذاً ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي غير متجاوز قدر ما يسد به رمقه.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ نصب «غير» على الحال. وقيل: على الاستثناء. وإذا رأيت «غير» لا تصلح في موضعها «إلا» فهي حال وإذا صلح في موضعها «إلا» فهي استثناء، فقس على هذا. وقال بعض المفسرين: غير باغ قاطع للطريق. ولا عاد، أي ولا مفارق للائحة ولا مشاق للأمة خارج عليهم بسيفه.

---

(1) تفسير القرطبي: 2/ 216 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 95.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر: 2/ 1102، رقم: 3314، باب الكبد والطحال.

(3) الأنصاري، الإقناع: 2/ 606 ـ محيسن، المهذب: 1/ 80.

فمن خرج يخيف السبيل أو يفسد الأرض، أو أبق من سيده، أو فرّ من غريمه، أو خرج عاصياً بأي وجه كان، فاضطر إلى أكل الميتة لم يجز له أكله، أو اضطر إلى الخمر عند العطش لم يحل له شربها. وهذا قول مجاهد وابن جبير والكلبي. وبهذا التأويل أخذ الشافعي رضي اللَّه عنه. وقال أبو حنيفة ومالك رضي اللَّه عنهما: يجوز ذلك لهم ولو كانوا بغاة خارجين على المسلمين كما يجوز لأهل العدل. قال ابن عباس والحسن ومسروق[1]: تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي غير باغ في الميتة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ في الأكل. وقال مقاتل[2]: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي غير مستحل. ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي ولا متزود منها. وقال السدي: غير باغ في أكله شهوة وتلذذاً ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي لا يأكل حتى يشبع منها ولكن يأكل منها ما يمسك رمقه. وقال بعضهم: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي متجاوز القدر الذي يحل له، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي لا يقتصر فيما يحل له منها فلا يأكله. قال مسروق: «بلغني أنه من اضطر إلى الميتة فلم يأكلها حتى مات دخل النار». واختلف الفقهاء في حد الاضطرار، وفيما يحل للمضطر أكله من الميتة، فقال بعضهم: إنه لا يجوز له الأكل إلا عند خوف التلف في آخر الرمق، وهو الصحيح. وقال بعضهم: إذا كان يضعف عن الفرائض. وقال بعضهم: إذا كان يحنث لو دخل السوق لا ينظر إلى شيء سوى المطعوم. وأما مقدار ما يأكل عند الضرورة، فقال أبو حنيفة: لا يأكل إلا مقدار ما يسد به رمقه، وهو أحد قولي الشافعي. وقال مالك: يأكل منها حتى يشبع، ويتزود منها وإن وجد شيئاً مباحاً طرحها. وقال مقاتل: لا يزيد على ثلاث لقم[3].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي فلا حرج عليه في أكلها إن اللَّه غفور لما

---

(1) أبو أمية، مسروق بن عبد الرحمن الهمداني: تابعي ثقة، من أهل اليمن، سكن الكوفة. روى عن عمر وعلي وعائشة وغيرهم. توفي رحمه اللَّه سنة ثلاث وستين هجرية.
الطبقات الكبرى: 6/ 76 ـ تذكرة الحفاظ: 1/ 49 ـ حلية الأولياء: 2/ 95.

(2) أبو بسطام، مقاتل بن حيان: كان إماماً محدثاً صادقاً ناسكاً. حدث عن الشعبي وعكرمة ومجاهد وغيرهم. وعنه حدث ابن المبارك وعلقمة بن فرقد وغيرهما. توفي رحمه لله قبل الخمسين ومائة هـ. الذهبي، تذكرة الحفاظ: 1/ 174 ـ ميزان الاعتدال: 4/ 171.

(3) تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 96.

أكل من الحرام في حال الاضطرار رحيم به حيث رخص له في ذلك. فإن قيل: قوله تعالى ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ يناقض قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾، لأن الغفران يقتضي إثبات الإثم قيل: لأنه بالغفران قد بشر بما لولا الإباحة لكانت معصية، وبرحمته جوز عند الضرورة إحياء النفس بتناوله.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿174﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿175﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿176﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ نزل في علماء اليهود والنصارى. قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: كان علماء اليهود يأخذون من سفلتهم الهدايا، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم. فلما بعث اللّه محمداً صلى اللّه عليه وسلم من غيرهم، وخافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة محمد صلى اللّه عليه وسلم فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة. فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفاً لصفة محمد صلى اللّه عليه وسلم فلا يتبعونه. فأنزل اللّه تعالى هذه الآية[1]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني صفة محمد صلى اللّه عليه وسلم ونبوته ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ﴾ أي بالمكتوم ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ أي عوضاً يسيراً، يعني المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾. ذكر البطون هنا للتأكيد، يعني ما يأكلون إلا ما يوردهم النار وهي الرشوة والحرام، وثمن الدين والإسلام. فلما كان عاقبته النار سماه في الحال ناراً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 49 ـ تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 96.

﴿نَارًا﴾[1] يعني أن عاقبته النار. وقال عليه السلام في الذي يشرب في آنية الذهب والفضة: «**إنما يجرجر**[2] **في بطنه نار جهنم**[3]». أخبر عن المآل بالحال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم كما يكلم أولياءه من البشارة والرضى. وأما التهديد فلا بدّ منه لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿92﴾﴾[4] وقيل: معناه لا يسمعهم كلام نفسه بل يرسل إليهم ملائكة العذاب فيكلمونهم بأمر اللّه. وإنما أضاف السؤال إلى نفسه لأن سؤال الملائكة يأمره.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يثني عليهم خيراً ولا يصلح أعمالهم الخبيثة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي مؤلم.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿175﴾﴾ أي الذين مالوا إلى التحريف للتوراة والإنجيل هم الذين استبدلوا الكفر بالإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ معناه: أن الإيمان بالنبي صلى اللّه عليه وسلم يوجب المغفرة، والكفر به يوجب العذاب، فيكون المستبدل للكفر بالإيمان مشترياً للعذاب بالمغفرة.

قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قال الحسن وقتادة والربيع: واللّه ما عليهم من صبر، ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار. وقال الكسائي وقطرب: ما أصبرهم على عمل أهل النار، أي ما أدومهم عليه. وقيل

---

(1) سورة النساء (4)، الآية: 10.

(2) أي: يجرجر فيها نار جهنم، فجعل الشرب جرجرة، وهي: صوت وقوع الماء في الجوف، وهذا على طريق المجاز، لأن نار جهنم على الحقيقة لا تجرجر في جوفه. (ابن الأثير، النهاية: باب جرجر).

(3) أخرجه في صحيحه: فتح الباري: 11/ 230، رقم: 5634، كتاب الأشربة ـ وأخرجه ابن ماجه في سننه: 2/ 1130، رقم: 4313، باب الشرب في آنية الفضة ـ وأخرجه الدارقطني في سننه: 1/ 40.

(4) سورة الحجر (15)، الآية: 92.

معناه: ما أبقاهم في النار[1]. وقال عطاء والسدي: معناه ما الذي أصبرهم على النار، وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل. وقيل: هو لفظ استفهام ومعناه: التوبيخ لهم والتعجب لنا. كأنه قال: ما أجرأهم على فعل أهل النار مع علمهم. قالوا: وهذه لغة يمنية[2]. قال الفراء: أخبرني الكسائي قال: أخبرني قاضي اليمن أن خصمين اختصما إليه، فوجبت اليمين على أحدهما فحلف، فقال له خصمه: ما أصبرك على اللَّه؟ أي ما أجرأك على اللَّه[3].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي ذلك العذاب لهم في الآخرة. وقيل: ذلك الضلال بأن اللَّه نزل الكتاب بالعدل والصدق، واختلفوا فيه. فحينئذ يكون «ذلك» في موضع الرفع، وقال بعضهم: هو في محل نصب معناه: فعلنا ذلك بهم بأن اللَّه أو لأن اللَّه نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه، وكفروا به. فنزع الخافض.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هم اليهود والنصارى. وأراد بالكتاب: التوراة والإنجيل وما فيهما من البشارة بمحمد صلى اللَّه عليه وسلم، وصحة أمره ودينه. وقيل: هم الكفار كلهم. وأراد بالكتاب: القرآن واختلافهم فيه: أن بعضهم قال هو سحر، وبعضهم قال: هو قول البشر، وبعضهم قال: هو أساطير الأولين، ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي خلاف طويل.

قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟

(1) تفسير الطبري: 3/ 331 وما بعدها.
(2) في النسخة (ك): يمانية. - يراجع تفسير القرطبي: 2/ 236.
(3) الفراء، معاني القرآن: 1/ 103، مع بعض الاختلاف في اللفظ.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرأ حمزة وحفص: ليس البر ـ بالنصب، ووجه ذلك أنهما جعلا «أن» وصلتها في موضع الرفع على اسم «ليس» تقديره: ليس توليتكم وجوهكم البر، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾[1]. وقرأ الباقون بالرفع على أنه اسم «ليس»[2]. واختلف المفسرون في هذه الآية فقال قوم: أراد بها اليهود والنصارى، فكانت اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قبل المشرق، وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك. فأخبر اللَّه تعالى أن البر غير دينهم وعملهم. وعلى هذا القول قتادة والربيع ومقاتل. وقيل لما حولت القبلة إلى الكعبة كثر الخوض في أمر القبلة فتوجهت النصارى نحو المشرق، واليهود نحو المغرب، واتخذوهما قبلة، وزعموا أنه البر، فأكذبهم اللَّه تعالى بهذا، وبين أن البر في طاعة اللَّه واتباع أمره، وأن البر لا يتم إلا بالإيمان. وقيل: معناه ليس البر كله في الصلاة فقط، ولكن البر الذي يؤدي إلى الثواب: بر من آمن باللَّه واليوم الآخر والإقرار بالملائكة أنهم عباد اللَّه ورسله لا كما قال بعض الكفار إن الملائكة بنات اللَّه، والقرار بالنبيئين كلهم. فإن قيل: جعل «من» خبر البر، و«من» اسم و«البر» فعل وهم لا يجيزون [قولك]: البر زيد؟ قيل: معناه عند بعضهم: ولكن البر الإيمان باللَّه. والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل، كقولهم: البر الصادق الذي يصل رحمه ويخفي صدقته، فيريدون صلة الرحم وإخفاء الصدقة، فيكون «من» في موضع المصدر كأنه قال: ولكن البر الإيمان أو البر بر من آمن باللَّه، كما يقال: الجود حاتم، والشجاعة عنترة، أي الجود جود حاتم، والشجاعة شجاعة عنترة، ومثله قوله تعالى؛ ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[3] أي أهل القرية، وقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[1] أي كخلق نفس

---

(1) سورة الحشر (59)، الآية: 17.
(2) مكي، الكشف، 1/ 280.
(3) سورة يوسف (12)، الآية: 82.

واحدة. وقال أبو عبيدة: معناه ولكن البار من آمن بالله[2]، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3] أي للمتقي. وقيل: معناه ولكن ذا البر من أمن بالله، كقوله: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[4] أي ذوو درجات.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ أي من آمن بالله والملائكة كلهم والكتاب، يعني الكتب والنبيئين أجمع.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ اختلفوا في الهاء الذي في حبه، فقال أكثر المفسرين: «الهاء» في حبه راجعة إلى المال، يعني إعطاء المال في صحته ومحبته إياه، وضنته به وهو صحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى ولا يهمل حتى إذا بلغت الحلقوم فيقول لفلان كذا ولفلان كذا[5]. وقيل: هي عائدة إلى الله، أي على حب الله تعالى. وقيل: على حب الأيتام.

قوله تعالى: ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي أهل القرابة. قال صلى الله عليه وسلم: «**أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح**»[6]. وعن ميمونة[7] زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أعتقت جارية لي، فدخل علي رسول الله صلى الله عليه

---

(1) سورة لقمان (31)، الآية: 28.

(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 65.

(3) سورة طه (20)، الآية: 132.

(4) سورة آل عمران (3)، الآية: 163.

(5) هذا مقتبس من حديث أخرجه البخاري: فتح الباري: 4/ 33، رقم: 1419، باب: أي الصدقة أفضل؟ ـ وكذا مسلم في صحيحه بشرح النووي: 7/ 123، بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

(6) رواه الحاكم في المستدرك عن أم كلثوم بنت عقبة: 1/ 406 وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ـ ورواه الدارمي: 1/ 397، باب الصدقة على القرابة ـ وذكره المنذري في: الترغيب والترهيب: 2/ 28 وقال صحيح على شرط مسلم ـ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 3/ 116 وقال رجاله رجال الصحيح.
الكاشح: المبغض أي العدو الذي يضمر عداوته، ويطوي عليها كشحه أي باطنه. فالكاشح هو الذي يضمر لك العداوة كأنه يطويها في كشحه. والكشح: هو ما بين الخاصرة إلى الضلع، أو هو الذي يعرض عنك بوجهه يوليك كشحه.
(ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: والأثر، باب كشح).

(7) ميمونة بنت الحارث الهلالية: تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أداء عمرة القضاء =

وسلم فأخبرته بذلك، فقال: «**آجرك اللَّه أما إنك لو أعطيتها بعض أخوالك كان أعظم لأجرك**»[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني المجتاز. قال مجاهد: هو المسافر المنقطع من أهله يمر عليك. وقال قتادة: هو الضيف ينزل بالرجل. قال: لقوله صلى اللَّه عليه وسلم: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[2]. وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «**حق الضيافة ثلاث فما فوق ذلك فهو صدقة**»[3]. وإنما قيل للمسافر والضيف ابن السبيل لملازمته الطريق، كما يقال للرجل الذي أتت عليه الدهور: ابن الليالي والأيام.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ يعني المستطعمين الطالبين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**للسائل حق وإن جاء على ظهر فرس**»[4]. وقال ﷺ: «**هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه**»[5].

قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ يعني المكاتبين. كذا قال أهل التفسير. وقيل: فداء الأسارى. وقيل: عتق النسمة، وهو شراؤها للعتق، وفك الرقبة.

= وبنى بها بسرف، وكانت قبله عند أبي درهم بن عبد العزى. توفيت رحمها اللَّه سنة إحدى وخمسين هـ.
الاستيعاب: 4/ 1914 ـ الطبقات الكبرى: 8/ 132.

(1) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 5/ 535، رقم: 2592، باب هبة المرأة لغير زوجها ـ ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 7/ 85، فضل الصدقة على الأقربين ـ ورواه أبو داود في سننه: عون المعبود في شرح سنن أبي داود: 5/ 109. رقم: 1674، باب في صلة الرحم.

(2) أخرجه البخاري: فتح الباري: 12/ 164، رقم: 6135، باب إكرام الضيف ـ وأخرجه مسلم بشرح النووي: 2/ 18، باب الحث على إكرام الضيف والجار ـ وأخرجه أبو داود في سننه: 10/ 212، رقم: 3730، باب ما جاء في الضيافة.

(3) أخرجه البخاري: فتح الباري: 12/ 164، رقم: 6135، باب إكرام الضيف، أي جزء من الحديث السابق ـ وكذا عند أبي داود في سننه.

(4) رواه أبو داود في سننه: 5/ 83، رقم: 1/ 1649، باب حق السائل.

(5) ذكره الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 98 عن ابن عمر.

قوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني المفروضة، ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني الواجبة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ يعني فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين الناس، إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا بروا، أو نذروا أوفوا، أو قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدوا. وقيل: معناه الموفون بالعهود التي أمر الله بالوفاء بها من سائر المواثيق. ومدحهم على الوفاء بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه من نصرته على الأعداء، ومظاهرته بالجهاد. واختلفوا في رفع «الموفين»، فقال الفراء والأخفش: هو عطف على محل «من» في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ كأنه قال: ولكن البر المؤمنون والموفون. وقيل: هو رفع على الابتداء والخبر، تقديره: وهم الموفون[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في انتصابه خلاف. قال الكسائي: عطف على ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ كأنه قال: وآتى الصابرين. وقال بعضهم معناه: أعني الصابرين. وقال الخليل والفراء: نصب على المدح، والعرب تنصب على المدح والذم؛ فالمدح مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2]؛ والذم مثل قوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ يعني: الشدة والفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ يعني: المرض والزمانة، وفي هاتين الحالتين يعظم موقع الصبر على العبادة.

قوله تعالى: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أي وقت القتال وشدة الحرب، يقال: لا بأس عليك، أي لا شدة عليك.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ أي في إيمانهم وفي جهادهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ محارم الله تعالى. وقيل جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن الإيمان، فقرأ عليه هذه الآية[4].

---

(1) الفراء، معاني القرآن: 1/ 105، الأخفش، معاني القرآن: 1/ 348.
(2) سورة النساء: 4، الآية: 162.
(3) سورة الأحزاب: 33، الآية: 61.
(4) الواحدي، أسباب النزول: 49 مع بعض الاختلاف في اللفظ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ (178) وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (179)﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾. نزلت هذه الآية في الأوس والخزرج كان بينهما قتلى وجراحات في الجاهلية، وكان لأحدهما طول على الآخر في الكثرة والشرف، فأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم، وبالرجل منا الرجلين منهم، وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك، فلم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام، فرفعوا أمرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمرهم بالمساواة، فرضوا وسلَّموا[1].

قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ قيل: إن «من» اسم القاتل، أي من ترك له القود، وصفح عنه من القصاص في قتل العمد فرضي بالدية. قوله: ﴿مِنۡ أَخِيهِ﴾ أي من أخي المقتول ورضي منه بالدية، فليتبع العافي بالمعروف، أي ليرفق في طلب الدية من القاتل ولا يعسر، وليؤد القاتل إليه بإحسان، أي لا يبخس ولا يماطل هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن يقبل الدية في قتل العمد. وقيل: تأويله أن العفو في اللغة: ما سهل وتيسر. قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾[2] أي ما سهل من الأخلاق، فعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ﴾ أي ولي القتل إذا بذل له من بدل أخيه شيء من المال من جانب القاتل فله اتباع بالمعروف أي فليقبله، أو ليؤد إليه القاتل بالإحسان.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ أي إن الصلح من القصاص على شيء من الدية أو غير ذلك، تسهيل من ربكم عليكم ورحمة رحمكم الله بها،

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 49.
(2) سورة الأعراف: 7، الآية: 199.

وذلك أن الله كتب على أهل التوراة في النفس والجرح: أن يقيدوا ولا يأخذوا الدية ولا يعفوا، وعلى أهل الإنجيل: أن يعفوا ولا يقيدوا ولا يأخذوا الدية. فخير الله هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي إذا قتل الولي قاتل وليه بعد أخذ الدية منه فله عذاب أليم، أي القتل في الدنيا والنار في الآخرة، ومن قتل بعد أخذ الدية يقتل ولا يعفى عنه، قال ﷺ: «**لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذ الدية**»[1]. وفي هذه الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً ولا يخلد في النار، لأن الله تعالى خاطبهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ وقال في آخر الآية: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ فسمى القاتل أخاً للمقتول. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وهما يلحقان المؤمنين دون الكفار. ويروى أن مسروقاً سئل: هل للقاتل توبة؟ فقال: لا أغلق باباً فتحه الله.

قال أبو بكر الحداد:

قوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعني أن الذي يريد قتل غيره إذا علم أنه إذا قَتل قُتل، أمسك عن القتل وارتدع، فيكون في ذلك حياة له، وحياة للذي همّ بقتله، وفي بقائهما بقاء لمن يتعصب لهما، لأن الفتنة تثبت بالقتل فتؤدي إلى المحاربة التي لا منتهى لها. وقيل: أراد بذلك في الآخرة، لأن من اقتص منه في الحياة: سلامته في الآخرة. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي يا ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لكي تتقوا القتل مخافة القصاص.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿180﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿181﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿182﴾﴾.

---

(1) رواه أبو دود في سننه: عون المعبود: 12/ 226، رقم: 4484، باب من قتل بعد أخذ الدية.

قوله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي فرض عليكم إذا حضر أحدكم أسباب الموت من العلل والأمراض ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي مالاً ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. وفي ارتفاع الوصية وجهان: أحدهما: اسم ما لم يسم فاعله، أي كتب عليكم الوصية، والثاني: مبتدأ خبره الجار والمجرور في قوله: ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾. قوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي لا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويترك الفقير، كما قيل: الوصية للأحوج فالأحوج.

قوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ أي حقاً واجباً، وهو نصب على المصدر معناه: حق ذلك حقاً، وقيل: على المفعول، أي جعل الوصية حقاً.

قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي على المؤمنين. وسبب نزول هذه الآية: أنهم كانوا في ابتداء الإسلام يوصون للأباعد طلباً للرياء فأمر الله تعالى من ترك خيراً أي مالاً[1]، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾[2] أي من مال، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿24﴾﴾[3] أي من مال، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿8﴾﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي مرض أحدكم، لأنه إذا عاين الموت فقد شغل عن الوصية. وهذه الآية منسوخة عند أكثر العلماء[5]، واختلفوا بأي دليل نسخت، فقال بعضهم: بآية المواريث. وهذا لا يصح، لأن الله تعالى قال فيها: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[6]، والصحيح أنها نسخت بقوله عليه السلام: «**لا وصية لوارث**»[7]. وهذا الخبر، وإن كان خبر

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 100.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 273.
(3) سورة القصص: 28، الآية: 24.
(4) سورة العاديات: 100، الآية: 8.
(5) تفسير القرطبي 2: 262، أحكام القرآن، ابن العربي: 1/ 71.
(6) سورة النساء: 4، الآية: 11 ـ 12.
(7) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي: العارضة: 8/ 275، باب لا وصية لوارث، ورواه أبو داود في سننه: 3/ 290، رقم: 2870، باب الوصية للوارث، ورواه ابن ماجه في سننه: 2/ 906، رقم: 2714، باب لا وصية لوارث.

واحد، فقد تلقته الأمة بالقبول فجرى مجرى التواتر، ويجوز نسخ القرآن بمثل هذه السنة. ولا تجب الوصية إلا على من عليه شيء من الواجبات لله تعالى أو لعباده، وتستحب لمن لا شيء عليه الوصية بالثلث لأقاربه الذين لا يرثونه بالرحم، وفي جهات الخير إذا لم يخف ضرراً على ورثته. قال الضحاك: من مات ولم يوص لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية[1]. وهذا قول علي وابن عمر وعائشة[2] وعكرمة ومجاهد والسدي. قال عروة بن الزبير[3]: دخل علي رضي الله عنه على مريض يعوده فقال: إني أريد أن أوصي. قال علي رضي الله عنه: إن الله عز وجل قال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإنما تترك شيئاً يسيراً فدعه لعيالك فإنه أفضل[4]. وروى نافع عن ابن عمر: أنه لم يوص، فقال: أما رباعي فما أحب أن يشارك ولدي فيها أحد[5]. وروي أن رجلاً قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن أوصي. قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: إنما قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وهذا شيء يسير، فاتركه لعيالك[6]. وروي أن عروة بن ثابت قال للربيع بن خثيم:

---

(1) تفسير الطبري: 3/ 385.

(2) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أفقه نساء العالمين، وأعلمهن بالدين والأدب. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، وكان كبار الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم، وكان مسروق إذا روى عنها يقول: «حدثتني الصدِّيقة بنت الصدِّيق». توفيت رحمها الله في المدينة سنة ثمان وخمسين هجرية.
الاستيعاب: 4/ 1881، الطبقات الكبرى: 8/ 58، حلية الأولياء: 2/ 43، كحالة، أعلام النساء: 3/ 9.

(3) أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام: تابعي ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة البارزين، كان عالماً بالدين صالحاً كريماً لم يدخل في شيء من الفتن. روى عن أبيه وزيد وغيرهما وتفقه بخالته عائشة. توفي رحمه الله في المدينة سنة ثلاثة وتسعين هـ.
الطبقات الكبرى: 5/ 178، تذكرة الحفاظ: 1/ 62، حلية الأولياء: 2/ 167.

(4) ذكره الطبري في تفسيره: 3/ 394 ـ 395.

(5) ذكره الطبري في تفسيره: 3/ 392.

(6) قال القرطبي في تفسيره: 2/ 260: «روى ابن أبي شيبة من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة قال لها: إني أريد أن أوصي.. إلخ».

أوص لي بمصحفك. فنظر إلى ابنه وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي من غير الوصية من الأوصياء أو الأولياء أو الشهود بعدما سمعه من الميت وعلم صحته فإنما إثمه على المبدل دون الموصى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما قاله الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بما فعله الوصي. وإنما ذكر الوصية وهي مؤنثة لأنها في معنى الإيصاء كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[2] رده إلى الوعظ. وقيل: لأن الوصية قول فذهب إلى المعنى وترك اللفظ.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ لما توعد الله المبدل، خاف الأوصياء من التبديل، فكانوا ينفذون وصية الميت، وإن جار في وصيته واستغرقت كل المال، فأنزل الله هذه الآية، وبين أن الإثم في تبديل الحق بالباطل. فأما إذا غير الوصي من باطل إلى حق على طريق الإصلاح فهو محسن لا إثم عليه. ومعنى الآية: فمن علم من موص جنفاً مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾[3] أي إلا أن يعلما. وقوله تعالى: ﴿جَنَفًا﴾ أي ميلاً عن الحق على جهة الخطأ. قوله تعالى: ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أي ميلاً على جهة العمد بأن زاد في الوصية على الثلث، أو أقر بغير الواجب، أو جحد حقاً عليه فأصلح الوصي بين ورثة الموصي وغرمائه بأن رد الوصية إلى المعروف الذي أمر الله به فلا إثم عليه في التبديل. والهاء والميم في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ كناية عن الورثة، والكناية تصح عن المعلوم وإن لم يكن مذكوراً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني غفور رحيم إذ أرخص للوصي، بخلاف الوصية على جهة الإصلاح. قرأ مجاهد وعطاء وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشيبة ونافع وحفص: مُوصٍ ـ بالتخفيف. وقرأ الباقون: مُوَصٍّ ـ

---

(1) سورة الأنفال: 8، الآية: 75، والأحزاب: 33، الآية: 6.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 275.
(3) سورة البقرة: 2، الآية: 229.

بالتشديد[1]. قوله تعالى: ﴿جَنَفًا﴾ أي جوراً وعدولاً عن الحق. والحيف: الميل في الكلام والأمور كلها. وقرأ علي كرم الله وجهه: حيفاً ـ بالحاء والياء ـ أي ظلماً. قال الفراء: الفرق بين الجنف والحيف: أن الجنف عدول عن الشيء؛ والحيف: حمل الشيء على الشيء حتى ينتقصه، وعلى الرجل حتى ينتقص حقه[2]. قال المفسرون: الجنف الخطأ، والإثم: العمد. ومعنى الآية: من حضر مريضاً وهو يوصي فخاف أن يخطىء في وصيته ليفعل ما ليس له فعله أو يتعمد جوراً فيها، فيأمره بما ليس له، فلا حرج على من حضره أن يصلح بينه وبين ورثته بأن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الحيف فيظهر للموصي وللورثة. وهذا قول مجاهد. قال هذا حين يحضره الموت، فإذا أسرف أمره بالعدل، وإذا قصر قال: افعل كذا، أعط فلاناً كذا[3]. وقال آخرون: هو أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو حاف فيها متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه، أو والي أمر المسلمين أن يصلح بعد موته بين الورثة وبين الموصي لهم، ويرد الوصية إلى العدل والحق. وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع[4]. وروي عن عطاء أنه قال: هو أن يعطي عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه بعد موته، فلا إثم على من أصلح بين الورثة. وقال طاوس: هو أن يوصي لبني ابنه يريد ابنه، ولبني بنته يريد بنته، أو لزوج ابنته يريد ابنته، فلا حرج على من أصلح بين الورثة. وقال السدي: هو في الوصية للآباء وللأقربين يميل إلى بعضهم ويحيف على بعضهم فالأصلح أن لا ينفذها، ولكن يصلح بينهم على ما يرى أنه الحق ينقص بعضاً ويزيد بعضاً. قال ابن زيد: فعجز الموصي أن يوصي للوالدين كما أمره الله، وعجز الوصي أن يصلح، فانتزع الله ذلك منهم وفرض الفرائض[5]، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لم يرض بملك مقرب، ولا نبي مرسل حتى تولى قسمة ميراثكم**».

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 282، الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر: ص 142، القرطبي في تفسيره: 2: 269.

(2) الفراء، معاني القرآن: 1/ 117.

(3) تفسير الطبري: 3/ 399 ـ 400.

(4) تفسير الطبري: 3/ 400 ـ 401.

(5) هذه الأقوال في تفسير الطبري: 3/ 401 ـ 403.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ ولم يجر للورثة ولا للمختلفين في الوصية ذكر لأن سياق الآية وما تقدم من ذكر الوصية يدل عليه. روي أن سعد بن أبي وقاص قال: مرضت مرضاً أشرفت فيه على الموت فعادني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن لي مالاً كثيراً، وليس يرثني إلا بنت واحدة لي، أفأوصي بثلثي مالي؟ قال: «**لا**»، قال: فقلت: فبشطر مالي؟ قال: «**لا**». قلت: فبثلث مالي؟ قال: «**نعم، والثلث كثير، إنك يا سعد**[1] **إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس**»[2]. روي أن جاراً لمسروق أوصى فدعا مسروقاً ليشهده، فوجده قد بذر وأكثر فقال: أشهد أن الله قد قسم بينكم فأحسن القسمة، فمن يرغب برأيه عن أمر الله فقد ضل، أوص لذي قرابتك الذين لا يرثون، ودع المال على قسمة الله[3]. وقال ﷺ: «**من حاف في وصيته ألقي في اللواء؛ واللواء واد في جهنم**»[4]. وقال ﷺ: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى وحاف في وصيته فيختم له بسوء عمله فيدخل النار**»[5].

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿183﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن

---

(1) في النسخة (ف): يا سعيد.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سعد: فتح الباري: 6/ 12، رقم 2742، كتاب الوصايا، وأخرجه مسلم بشرح النووي، حديث سعد: 11/ 76، كتاب الوصية، وأخرجه مالك في الموطأ، من حديث سعد: تنوير الحوالك: 2/ 131، باب في الوصية بالثلث، وأخرجه الترمذي في سننه من حديث سعد: العارضة: 8/ 268، باب ما جاء في الوصية بالثلث.
عالة يتكففون: أي فقراء يسألون الصدقة بأكفهم.

(3) ذكره الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة 101 عن مسلم بن صبيح.

(4) المصدر السابق.

(5) رواه ابن ماجه في سننه: 2/ 902، رقم: 4/ 27، باب الحيف في الوصية.

تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿184﴾».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ قال الحسن: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهي تنهى عنه. وقال جعفر الصادق[1]: لذة ما في النداء إزالة تعب العبادة والعناء.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أي فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من الأنبياء والأمم أولهم آدم عليه السلام، وهو ما روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: أتيت النبي ﷺ ذات يوم عند انتصاف النهار، فسلمت عليه فرد علي السلام، ثم قال: «**يا علي هذا جبريل يقرئك السلام**». قلت: وعليه السلام يا رسول الله. ثم قال: «**يا علي يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف حسنة، وباليوم الثاني ثلاثون ألف حسنة، وباليوم الثالث مائة ألف حسنة**». فقلت: يا رسول الله ثواب لي خاصة أم للناس عامة؟ فقال: «**يا علي يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك**». قلت: يا رسول الله وما هي؟ قال: «**الأيام البيض: ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر**». قال عبيدة: قلت لعلي رضي الله عنه: لأي شيء سميت هذه الأيام البيض؟ قال: لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة أحرقته الشمس فاسود جسده، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا آدم أتحب أن يبيض جسدك؟ قال: نعم. قال: صم من الشهر ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر... فصام آدم عليه السلام أول يوم، فابيض ثلث جسده، فصام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده، وصام اليوم الثالث فابيض كل جسده، فسميت الأيام البيض[2]. قال المفسرون: فرض الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين صوم يوم عاشوراء، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر حين قدم

---

(1) أبو عبد الله، جعفر الصادق بن محمد الباقر: سادس الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. من التابعين الأجلاء. وله مكانة عظيمة في العلم، أخذ عنه كثير منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. توفي بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 55، وفيات الأعيان: 1/ 327، حلية الأولياء: 3/ 192.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 102.

المدينة، فكانوا يصومونها إلى أن نزل صوم شهر رمضان، قبل قتال بدر بشهر وأيام[1]. وقال الحسن: أراد بالذين من قبلنا النصارى، فشبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما في الوقت والقدر، لأن الله تعالى فرض على النصارى صوم شهر رمضان، فاشتد ذلك عليهم لأنه ربما كان يأتي في الحر الشديد، وكان يضرهم في أسفارهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في ربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا، فصار أربعين يوماً[2]. قال مجاهد: أصابهم موت عظيم فقالوا: زيدوا في صيامكم، فزادوا عشراً قبل وعشراً بعد فصار خمسين يوماً[3].

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع في زمان الصوم. وقيل معناه: لتكونوا أتقياء[4]، وأصل الصيام والصوم في اللغة: الإمساك. يقال: صامت الريح إذا سكنت وصامت الخيل إذا وقفت وأمسكت عن السير. قال النابغة[5]:

خيل صيام وخيل غير صائمة .·. تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما[6]

ويقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سويعة. قال امرؤ القيس[7]:

---

(1) ذكره الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 02 عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(2) تفسير الطبري: 3/ 414.

(3) نفسه.

(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 102.

(5) أبو أمامة، النابغة الذبياني، زيادة بن معاوية، ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر: شاعر جاهلي جيد، قال الشعر في أكثر أغراضه وأجودها المدح والاعتذار، وهو أحد أصحاب المعلقات، ويعرض عليه الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ. توفي سنة ثمانية عشرة قبل الهجرة.
ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 92، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 1/ 88، سزكين، تاريخ التراث العربي: 2/ 5، البستاني، أدباء العرب: 1/ 185.

(6) هذا البيت من البسيط، للنابغة من قصيدته التي أولها: «بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما». (ديوانه: 223، اللسان: (علك، صام) تاج العروس للزبيدي: صوم).

(7) امرؤ القيس بن حجر الكندي: شاعر جاهلي، مولده بنجد. أجاد في شعر الغزل والوصف وبكاء الأطلال، وهو أحد أصحاب المعلقات، تناول في وصفه البيئة العربية وحيوانها وطيورها. توفي سنة ثمانين قبل الهجرة.

فدع ذا وسلّ الهم عنك بحسرة ∴ ذمول إذا صام النهار وهجّر

وقال آخر:

حتى إذا صام النهار واعتدل ∴ وسال للشمس لعاب فنزل

ويقال للرجل إذا أمسك عن الكلام: صام. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[(1)] أي صمتاً. فالصوم: هو الإمساك عن المفطرات المعروفة.

قوله عز وجل: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ يعني شهر رمضان: ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً. قال رسول الله ﷺ: «**نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا هكذا**». وعقد الإبهام في الثالثة أي الشهر مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين[(2)]. ونصب «أياماً» على الظرف، أي في أيام، وقيل: على خبر ما لم يسم فاعله، أي كتب عليكم الصيام أياماً، وقيل: بإضمار فعل، أي صوموا أياماً.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي فأفطر فعدة. كقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾[(3)] تقديره: فحلق أو قصر ففدية، فاختصر، وتقديره: فعليه عدة، ولذلك ارتفع «عدة». قرأ ابن أبي عبلة: فعدة ـ بالنصب، أي فليصم عدة[(4)]. و «أخر» في موضع خفض إلا أنها لا تنصرف لأنها معدولة عن جهتها فكان حقها أخريات. فلما عدل إلى فعل لم يجر مثل عمر وزفر. ومعنى الآية: فليصم عدة من أيام أخر غير أيام مرضه أو سفره.

= ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 50 ـ البغدادي، بلوغ الأرب: 3/ 93، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 1/ 97.

(1) سورة مريم: 19، الآية: 26.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر: فتح الباري: 4/ 623، رقم: 1913، باب لا نكتب ولا نحسب، وأخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي عن ابن عمر: 7/ 192، وجوب الصيام برؤية الهلال.

(3) سورة البقرة: 2، الآية: 196.

(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 103.

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قرأ ابن عباس وعائشة وعطاء وابن جبير وعكرمة ومجاهد: يطوّقونه ـ بضم الياء وفتح الطاء والواو والتشديد، أي يحكمونه، وروي عن مجاهد وعكرمة أيضاً: يطَّوَّقونه ـ بفتح الياء وتشديد الطاء والواو أي يتطوقونه، بمعنى يتكلفونه. وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قرأ: يطوقونه ـ بفتح الياء وتشديد الطاء والواو الثانية وفتحها، بمعنى يطيقونه. يقال: طاق وأطاق بمعنى واحد[1].

قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قرأ أهل المدينة والشام: فدية طعام ـ مضافاً، مساكين ـ جمعاً. أضاف الفدية إلى الطعام وإن كانا واحداً لاختلاف اللفظين[2]، كقوله تعالى: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝﴾[3]. وقولهم: مسجد الجامع. وربيع الأول. قرأ ابن عباس: طعام مسكين على الواحد، وهي قراءة الباقين غير نافع، فمن وحد فمعناه: لكل يوم طعام مسكين واحد، ومن جمع رده إلى الجمع، أي عليه إطعام مسكين، وذلك أنه كان يرخص في الصوم الأول لمن يطيق الصوم أن يفطر ويتصدق مكانه كل يوم على مسكين، ثم نسخ[4] بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[5].

قوله عز وجل: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ قرأ يحيى بن وثاب وحمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزم العين على معنى: يتطوع، وقرأ الآخرون: بالتاء وفتح العين وتخفيف الطاء على الفعل الماضي. ومعنى الآية: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي زاد على طعام مسكين واحد فهو خير له ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن تطعموا وتفطروا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ثواب الله في الصوم. واختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها، فقال قوم: كان ذلك في أول ما فرض

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 103.
(2) مكي، الكشف: 1/ 282.
(3) سورة ق: 50، الآية: 9.
(4) تفسير الطبري: 2/ 287.
(5) سورة البقرة: 2، الآية: 185.

الله الصوم؛ وذلك أن الله عز وجل لما أنزل فرض صيام شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر أصحابه بذلك شق عليهم الصوم، وكانوا قوماً لم يتعودوا الصوم، فخيرهم الله تعالى بين الصيام والإطعام، فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام. ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ونزلت العزيمة في إيجاب الصوم. وعلى هذا القول معاذ بن جبل وأنس بن مالك وسلمة بن الأكوع[1] وابن عمر وعلقمة وعكرمة والشعبي والزهري وإبراهيم الضحاك. وهي إحدى الروايات عن ابن عباس.
وقال آخرون: بل هذا خاص للشيخ والعجوز الكبيرة اللذين يطيقان الصوم ولكن يشق عليهما، وخص لهما إن شاءا أفطرا مع الفدية ويطعمان كل يوم مسكيناً، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وثبتت الرخصة للذين لا يطيقونه. وهذا قول الربيع بن أنس، ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال الحسن: هذا في المريض، كان إذا وقع عليه اسم المريض، وكان يستطيع الصيام فهو بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم. حتى نسخ. فعلى هذه الأقاويل الآية منسوخة وهذا قول أكثر الفقهاء والمفسرين[2].
وقال قوم: لم تنسخ هذه الآية ولا شيء منها، وإنما تأويلها: وعلى الذين يطيقونه في حال شبابهم وفي حال صحتهم وقوتهم، ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام مسكين. وجعلوا هذه الآية محكمة. وهذا قول سعيد بن المسيب والسدي، وإحدى الروايات عن ابن عباس. فجملة ما ذكرنا من الأقاويل على قراءة من قرأ: يطيقونه من الإطاقة، وهي القراءة الصحيحة التي عليها عامة أهل القرآن ومصاحف أهل البلدان، وأما على قراءة: يطوقونه، يتأولونه أنه الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، والمريض الذي لا يرجى برؤه، فهم مكلفون ولا يطيقونه فلهم أن يفطروا

---

(1) أبو مسلم، سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي: صحابي جليل من الذين بايعوا تحت الشجرة. غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات منها الحديبية وخيبر وحنين، وكان شجاعاً بطلاً رامياً. توفي رحمه الله في المدينة سنة أربع وسبعين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 639، الطبقات الكبرى: 4/ 305، الأعلام: 3/ 113.

(2) تفسير الطبري: 2/ 287 وما بعدها.

ويطعموا مكان كل يوم مسكيناً، وقالوا الآية محكمة[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي خير لكم من أن تفطروا وتطعموا.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إن كنتم تعلمون ثواب الله تعالى في الصوم. ثم بين الله تعالى أيام الصيام بقوله عز وجل:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿185﴾﴾.

قال أبو بكر:

قوله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قراءة العامة: شهر ـ بالرفع على معنى: أتاكم شهر رمضان. وقال الفراء: ذلكم شهر رمضان[2]. وقال الأخفش: هو شهر رمضان[3]. وقال الكسائي: كتب عليكم شهر رمضان. وقيل: ابتداء وما بعده خبره. وقرأ الحسن ومجاهد: شهر رمضان، نصب على معنى: صوموا شهر رمضان. وقال الأخفش: نصب على الظرف، أي كتب عليكم الصيام في شهر رمضان[4]. وقال بعضهم: نصب على الإغراء. وقيل: نصب على البدل من قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وسمي الشهر شهراً لشهرته، واختلفوا في رمضان، فقال بعضهم: هو اسم من أسماء الله تعالى، فيقال شهر رمضان، كما يقال شهر الله، ويدل على ذلك ما روي عن أنس قال: قال رسول الله: «**لا تقولوا رمضان، انسبوه كما نسبه الله عز وجل في القرآن فقال: شهر رمضان**»؛ وقال أبو عمرو: إنما سمي رمضان لأنه رمضت

---

(1) تفسير الطبري: 2/ 287.
(2) الفراء، معاني القرآن: 1/ 112.
(3) الأخفش، معاني القرآن: 1/ 352.
(4) نفسه.

فيه الفصال من الحر[1]؛ وقيل: سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها، وقيل: لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس؛ وقال الخليل: هو مأخوذ من الرمض، وهو مطر يأتي في الخريف سمي به هذا الشهر، لأنه يغسل الأبدان من الآثام غسلاً ويطهر قلوبهم تطهيراً.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ روي أن عطية بن الأسود قال لابن عباس: إنه قد وقع الشك في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[3] وقد نزل في سائر الشهور. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾[4] الآية، فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة[5]، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾[6]، وقيل: كان ينزل في كل شهر من شهور رمضان إلى السماء الدنيا ما كان ينزل في تلك السنة، فنزل من اللوح المحفوظ في عشرين شهراً ونزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوماً في ثلاث وعشرين سنة[7]. وقال بعضهم: كان ابتداء إنزاله على النبي ﷺ في شهر رمضان فأضيف إنزال الكل إلى ذلك. روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وأنزلت التوراة في ست ليال مضين من رمضان، وأنزلت الإنجيل في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزلت الزبور في ثماني عشرة ليلة مضت**

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 104.
(2) سورة القدر: 97، الآية: 1.
(3) سورة الدخان: 44، الآية: 3.
(4) سورة الإسراء: 17، الآية: 106.
(5) رواه البيهقي في الشعب: 1/ 2: 416، رقم 2253.
(6) سورة الواقعة: 56، الآية: 75.
(7) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 105، تفسير الطبري: 3/ 448.

من رمضان، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من رمضان»[1]. وروي أن التوراة أنزلت في اثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، والإنجيل في ثماني عشرة من رمضان.

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي القرآن هادياً للناس من الضلالة. وانتصب «هدى» على القطع، لأن «القرآن» معرفة و«هدى» نكرة.

قوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ أي دلالات واضحات من الهدى، والفرق بين الحق والباطل. وقيل: معناه وبينات من الحلال والحرام والحدود والأحكام. وعن سعيد بن المسيب عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: «**يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، فمن تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن، وشهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء**». قالوا: يا رسول الله كلنا نجد ما نفطر به الصائم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة ماء، ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة. وكان كمن أعتق رقبة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار**[2]. **فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم،**

---

(1) ذكره البغوي في: معالم التنزيل: 1/ 218، عن أبي ذر رضي الله عنه، ورواه أحمد في المسند: 4/ 106، رقم: 17051، ورواه البيهقي في: شعب الإيمان: 2/ 414، رقم: 2248، باب تعظيم القرآن.

(2) رواه المنذري في: الترغيب والترهيب: 2/ 221، رقم: 1431.

وخصلتان لا غنى لكم عنهما؛ فأما اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إلٰه إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما: فتسألون الله تعالى الجنة وتعوذون به من النار»[1]. وعن أبي سعيد الخدري[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبواب السماء وأبواب الجنة لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان فلا تغلق إلى آخر ليلة منه، وليس من عبد يصلي في ليلة منها إلا كتب الله بكل سجدة ألف حسنة وخمسمائة حسنة، وبنى له بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء له سبعون ألف باب، لكل باب منها مصراعان من ذهب، فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله كل ذنب إلى آخر يوم من رمضان، وكان كفارة إلى مثله، وله بكل يوم يصومه قصر في الجنة له ألف باب من ذهب، واستغفر له سبعون ألف ملك من غدوة الشمس إلى أن توارى في الحجاب، وله بكل سجدة يسجدها من ليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها»[3]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، نادى الجليل جلت قدرته وعظمته: يا رضوان بجل جنتي وزينها للصائمين من أمة محمد ﷺ ولا تغلقها عنهم حتى ينقضي شهرهم، ثم ينادي: يا مالك أغلق أبواب جهنم عن الصائمين من أمة محمد، ثم لا تفتحها حتى ينقضي شهرهم. ثم ينادي جبريل: انزل إلى الأرض فغلَّ مردة الشياطين عن أمة محمد حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم»[4].
ولله عز وجل في كل يوم عند طلوع الشمس وعند وقت الإفطار عتقاء يعتقهم من النار عبيد وإماء، وله في كل سماء ملك له غرف تحت العرش وقوائمه في تخوم الأرض السابعة له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ينادي: هل من تائب يتاب

---

(1) رواه البيهقي، شعب الإيمان: 3/ 305، رقم: 3608، فضائل شهر رمضان.
(2) أبو سعيد، سعد بن مالك الخدري: صحابي جليل من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم. أول مشاهده الخندق. روى عنه أحاديث كثيرة رواها عنه جماعة من الصحابة والتابعين. توفي رحمه الله في المدينة سنة أربع وسبعين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 502، حلية الأولياء: 1/ 369، صفة الصفوة: 1/ 714.
(3) رواه البيهقي، شعب الإيمان: 3/ 314، رقم: 3635، فضائل شهر رمضان.
(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 106.

عليه؟ هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟ ولو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لبشرتا من صام رمضان بالجنة. وقال ﷺ: «**نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله مضاعف**»[1].

قوله عز وجل: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ قراءة العامة بجزم اللام، وقرأ الحسن والأعرج: فليصمه ـ بكسر اللام، وهي لام الأمر وحقها الكسر إذا انفردت، كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾[2]، فإذا وصلت بشيء ففيه وجهان: الجزم والكسر. وإنما توصل بثلاثة أحرف، بالفاء، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ③﴾[3] وبالواو كقوله تعالى: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾[4] وبثم كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾[5]. واختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناها فمن شهد الشهر بالغاً، عاقلاً، مقيماً، صحيحاً، فليصمه. وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، وقال قوم: معناه فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم الشهر كله غاب بعده فسافر أو أقام فلم يبرح. قاله السدي والنخعي. قال قتادة: إن علياً كان يقول: إذا أدركه رمضان وهو مقيم، ثم سافر فعليه الصوم. قالوا: والمستحب له أن لا يسافر إذا أدركه رمضان مقيماً إن أمكنه حتى ينقضي الشهر. وروي في ذلك عن إبراهيم بن طلحة[6]، أنه جاء إلى عائشة رضي الله عنها يسلم عليها، فقالت له: فأين تريد؟ قال: أريد العمرة. قالت: جلست حتى إذا دخل عليك شهر رمضان خرجت فيه؟ قال: قد خرج رحلي، قالت: اجلس حتى إذا أفطرت فاخرج، فلو أدركني رمضان وأنا ببعض الطريق لأقمت له[7]. وقال آخرون:

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 106.
(2) سورة الطلاق: 65، الآية: 7.
(3) سورة قريش: 106، الآية: 3.
(4) سورة الحج: 22، الآية: 29.
(5) نفس السورة والآية.
(6) إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي: تابعي ثقة رفيع الشأن، نسب إلى جده، كان أعرج، شريفاً صارماً، يسمى أسد قريش وأسد الحجاز، لا يخشى في الله لومة لائم، يقول الحق عند الأمراء والخلفاء.
الطبقات الكبرى: 5/ 321.
(7) ذكره الطبري في تفسيره: 3/ 451.

معناه فمن شهد منكم الشهر فليصم ما شهد منه وكان حاضراً، فإن سافر فله الإفطار إن شاء. قاله ابن عباس وعامة أهل التفسير، وهو أصح الأقاويل. ويدل عليه ما روي عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائماً في رمضان حتى إذا بلغ الكديد دعا بماء فشرب[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي من كان مريضاً أو مسافراً فأفطر فعليه قضاء ما أفطر فيه، واختلفوا في المرض الذي أباح الله فيه الإفطار، فقال قوم: هو كل مرض يسمى مرضاً. قال طريف بن شهاب[2]: دخلت على ابن سيرين في رمضان وهو يأكل، فلما فرغ قال: إنه وجعتني أصبعي هذه[3]. وقال آخرون: هو كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة. وقال الحسن وإبراهيم: إذا لم يستطع المريض أن يصلي الفرائض فله أن يفطر والأصل فيه إذا لم يمكنه الصوم وأجهده أفطر، وإذا لم يجهده فهو بمعنى الصحيح الذي يطيق الصوم.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ واختلفوا في صيام المسافر، فقال قوم: الإفطار في السفر عزيمة واجبة وليس برخصة، فمن صام في السفر فعليه القضاء إذا أقام، وهو قول أبي هريرة وابن عباس وعروة بن الزبير والضحاك، وتمسكوا بقوله ﷺ: «**ليس من البر الصيام في السفر**»[4]. وعن عبد الرحمن بن عوف[5]

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره: 3/ 455، وابن هشام في السيرة: 4/ 399، ورواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس: فتح الباري: 4/ 690، رقم: 1944.
الكديد ـ بفتح الكاف وكسر الدال ـ موضع بينه وبين المدينة سبع مراحل تقريباً، وبينه وبين مكة مرحلتان.

(2) أبو سفيان طريف بن شهاب العطاردي: روى عن الحسن وأبي نضرة وضعفه ابن معين. الذهبي، ميزان الاعتدال: 2/ 336.

(3) تفسير الطبري: 3/ 458.

(4) رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر: فتح الباري: 4/ 963، رقم: 1946، كتاب الصيام، ورواه النسائي في سننه: 3/ 146.

(5) أبو محمد، عبد الرحمن بن عوف الزهري: صحابي جليل، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد أصحاب الشورى، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وكان يشتغل بالتجارة فاجتمعت له =

أنه قال: الصائم في السفر كالمفطر في الحضر[1]. وقال آخرون: الإفطار في السفر رخصة من الله تعالى، والفرض الصوم، فمن صام ففرضه أدى، ومن أفطر فرخصة الله أخذ. ولا قضاء على من صام إذا أقام، وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقهاء، ويدل عليه ما روي عن جابر[2] قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يكن بعضنا يعيب على بعض[3]. وعن حمزة بن عمرو[4] أنه قال: يا رسول الله إني أجد فيَّ قوة على الصوم في السفر، فهل علي جناح؟ قال: هي رخصة من الله تعالى فمن أخذها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه[5]. فأما قوله ﷺ: «**ليس من البر الصيام في السفر**»، فإن أصله ما روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل في ظل شجرة يرش عليه الماء، فقال: «**ما بال صاحبكم هذا**»؟ قالوا: يا رسول الله صائم. فقال: «**ليس من البر أن تصوموا**

= ثروة كبيرة أنفقها في نصرة الإسلام ورعاية مصالح المسلمين. توفي رحمه الله في المدينة سنة اثنتين وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 844، الطبقات الكبرى: 3/ 124 ـ الأعلام: 3/ 331.

(1) تفسير الطبري: 3/ 463.

(2) جابر بن عبد الله الخزرجي: صحابي جليل من المكثرين في الرواية شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، وكان له في المسجد النبوي حلقة يؤخذ عنه العلم. توفي سنة سبع وثمانين هـ. الاستيعاب: 1/ 219، الإصابة: 1/ 2113، الطبقات الكبرى: 3/ 574.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس: الفتح: 4/ 697، رقم: 1946، كتاب الصوم، وأخرجه مسلم بشرح النووي من حديث أبي سعيد 7/ 234، وأخرجه النسائي في سننه، من حديث أبي سعيد: 4/ 159.
في النسخة (ف): ببعض.

(4) أبو محمد، حمزة بن عمرو الأسلم: صحابي جليل، روى عن أبي بكر وعمر، وعنه روى أهل المدينة، وكان يسرد الصوم، بشر كعب بن مالك بتوبته، وما نزل فيه من القرآن، فنزع كعب ثوبين كانا عليه فكساهما إياه، توفي رحمه الله سنة إحدى وستين هجرية.
الطبقات الكبرى: 4/ 315، الاستيعاب: 1/ 375، تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 169.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه: الفتح: 4/ 688، رقم: 1943، كتاب الصوم، وأخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 7/ 247، وأخرجه النسائي في سننه: 3/ 157.

في السفر، **وعليكم برخصة الله تعالى التي رخص لكم فاقبلوها**». وكذلك تأويل قوله عليه السلام: «**الصائم في السفر كالمفطر في الحضر**»، يدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر أنه مر برجل ينضح عليه الماء في وجهه وهو صائم، فقال له: «**أفطر ويحك! فإني أراك لو مت على هذا دخلت النار**»، والذي يؤيد ما قلناه ما روي عن عروة وسالم أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز(1)، إذ هو أمير على المدينة، فتذاكروا الصوم في السفر، فقال سالم: كان ابن عمر لا يصوم في السفر. وقال عروة: كانت عائشة تصوم في السفر. فقال سالم: إنما أحدثك عن ابن عمر. وقال عروة: وأنا أحدثك عن عائشة، فارتفعت أصواتهما، فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم عفواً، إذا كان يسراً فصوموا، وإن كان عسراً فأفطروا. ثم اختلفوا في المستحب، فقال قوم: الصوم أفضل وهو قول معاذ بن جبل وأنس وإبراهيم ومجاهد. وروي أن أنس بن مالك أمر غلامه بالصوم في السفر، فقيل له في هذه الآية، فقال: نزلت ونحن نرتحل يومئذ جياعاً وننزل على غير شبع، فمن أفطر فبرخصته، ومن صام فالصوم أفضل. وقال آخرون: المستحب الإفطار، لما روي عن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح في رمضان حتى إذا بلغ كراع الغميم فصام الناس، فبلغه أن الناس قد شق عليهم الصيام، فدعا بقدح ماء بعد العصر، فشرب والناس ينظرون، فأفطر بعضهم وصام، فبلغه أن ناساً صاموا فقال: «**أولئك العصاة**»(2). وعن يعلى(3) عن يوسف(4) قال: سألت ابن عمر

---

(1) أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان تابعي روى عن أنس وغيره تولى الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك فسار سيرة حسنة حتى ألحقه بعض الكتاب بالخلفاء الراشدين، توفي سنة اثنتين ومائة هـ.
الطبقات الكبرى: 5/ 330، تذكرة الحفاظ: 1/ 118.

(2) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 220.

(3) يعلى بن عطاء العامري الطائفي: ثقة، سمع منه شعبة وأبو عوانة وغيرهما، أقام بواسط في آخر خلافة بني أمية، سمع من القاسم بن عبيد الله بن ربيعة الثقفي ويوسف بن الحكم.
الطبقات الكبرى: 5/ 520.

(4) أبو الحكم يوسف بن الحكم: تابعي ثقة، روى عن ابن عمر، وروى عنه يعلى بن عطاء.
البخاري في التاريخ الكبير: 2/ 376.

عن الصوم في السفر فقال: أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك، ألم تغضب؟ قلت: بلى. قال: فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم[1].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أي حين رخص الإفطار للمريض والمسافر، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ أي تكليف الصوم في المرض والسفر. قرأ يزيد بن القعقاع: العسر واليسر، مثقلتين في جميع القرآن. وقرأ الباقون بتخفيفهما، وهما لغتان جيدتان[2].

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ قرأ أبو بكر بتشديد الميم وقرأ الباقون بالتخفيف[3]، وهو الاختيار لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4]. والواو في قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ واو العطف، واللام لام كي، تقديره: يريد الله بكم اليسرى أي يريد لأن يسهل عليكم ولتكملوا العدة. وقال الزجاج: معناه فعل الله ذلك ليسهل عليكم ما أفطرتم في مرضكم وسفركم إذا برئتم وأقمتم فقضيتموها[5]. وقيل: معنى ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي ولتتموا عدة ما أفطرتم للمرض والسفر. وقيل: معناه عدة ثلاثين يوماً إذا غم عليكم هلال شوال.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: ولتعظموا الله بقلوبكم وأفواهكم وأعمالكم على ما هداكم لدينه وشرائعه ووفقكم ورزقكم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل. ويقال: أراد بذلك التكبير في صلاة عيد الفطر. وقال بعضهم: أراد به التكبير ليلة الفطر. قال ابن عباس: حق على المسلمين إذا رأوا هلال شوال أن يكبروا[6]. روي عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة[7] وغيرهما

---

(1) تفسير الطبري: 3/ 460.
(2) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 280.
(3) مكي، الكشف: 1/ 283.
(4) سورة المائدة: 5، الآية: 3.
(5) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 254.
(6) تفسير الطبري: 3/ 479.
(7) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري: فقيه كثير الحديث، إمام، من العلماء. روى عن أبيه وعثمان وعائشة وأبي هريرة، وعنه الزهري ويحيى بن سعيد، توفي سنة أربع وتسعين هجرية. الذهبي، تذكرة الحفاظ: 1/ 63، السيوطي، طبقات الحفاظ: 23.

أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لكي تشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿186﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية. اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية، فقال ابن عباس نزلت في عمر رضي الله عنه وأصحابه حين أصابوا من أهليهم في ليالي رمضان، وستأتي قصتهم إن شاء الله. وروى الكلبي عن أبي صالح عنه قال: قال يهود المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام؟ وأن غلظ كل سماء مثل ذلك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[2]. وقال عطاء وقتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال رجل: يا رسول الله كيف ندعو ربنا؟ ومتى ندعوه؟ فأنزل الله هذه الآية[3]. وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله هذه الآية[4]: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ قال أهل المعاني: فيه إضمار كأنه قال: فقل لهم يا محمد وأعلمهم أني قريب منهم بالعلم.

قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فإن قيل: ما وجه هذه الآية وقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5] وقد يدعوه كثير من عباده فلا يجيب دعاءه؟ قلنا: اختلف العلماء في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معنى الدعاء هنا: الطاعة. ومعنى الإجابة الثواب، كأنه قال: أجيب دعوة الداعي بالثواب إذا أطاعني.

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 221.
(2) تفسير القرطبي: 2/ 308، تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 107.
(3) القرطبي والثعلبي في المصدرين السابقين.
(4) الثعلبي في المصدر السابق.
(5) سورة غافر: 40، الآية: 60.

وقيل: معناه الخصوص وإن كان اللفظ عاماً، أي أجيب دعوة الداعي إذا شئت، وأجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء، وأجيب دعوة الداعي إذا كانت الإجابة له خيراً. ويدل عليه ما روي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يرفع عنه من السوء مثلها**». قالوا: يا رسول الله إذن نكثر؟ قال: «**الله أكثر**»[1]. وقال بعضهم: هو عام وليس فيه أكثر من إجابة الدعوة، وأما إعطاء الأمنية وقضاء الحاجة فليس بمذكور في الآية، وقد يجيب السيد عبده، والوالد ولده ولا يعطيه سؤله. فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، لأن قوله: أجيب وأستجيب هو خبر، والخبر لا يعترض عليه النسخ، لأنه إذا نسخ صار المخبر كذاباً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً، ودليل هذا التأويل ما روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من فتح له في الدعاء فتح له أبواب الإجابة**». وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل للظلمة لا يدعوني فإني أوجبت على نفسي أن أجيب من دعاني، وإني إذا أجبت الظالمين لعنتهم[2]. وقيل: إن الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت، إلا أنه يؤخر إعطاءه مراده ليدعوه فيسمع صوته، يدل عليه ما روى جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن العبد ليدعو الله تعالى وهو يحبه، فيقول: يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته وأخرها، فإني أحب أن لا أزال أسمع صوته. وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه، فيقول: يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته وعجلها فإني أكره أن أسمع صوته**». وبلغنا عن يحيى بن سعيد[3] قال:

---

(1) رواه أحمد في المسند: 3/ 260، والبخاري في الأدب المفرد: 2/ 175، رقم: 710.

(2) ذكره الطبري في تفسيره: 2/ 310.

(3) أبو سعيد، يحيى بن سعيد الأنصاري: قاض من حفاظ الحديث. ولي قضاء المدينة في زمن بني أمية، وفي العهد العباسي رحل إلى العراق فتولى قضاء الحيرة. توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 137، الشيرازي، طبقات الفقهاء: 66.

رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لي؟ فقال: يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك. وقال بعضهم: إن للدعاء آداباً وشرائط هي أسباب الإجابة ونيل الأمنية، فمن راعاها واستكملها كان من أهل الإجابة، ومن أغفلها وأخلَّ بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء. وقيل: ما من أحد يدعو الله تعالى على ما توجبه الحكمة إلا وهو يجيب دعاءه. والدعاء على شرط الحكمة أن يقول: اللهم افعل لي كذا وكذا إن لم يكن مفسدة في ديني، وفيما يرضيك عني. ويحكى أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قيل له: ما بالنا ندعو الله عز وجل فلا يستجيب لنا؟ فقال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم رسوله فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فوافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، وعرفتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[1].

قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي فليجيبوا لي بالطاعة. يقال: أجاب واستجاب بمعنى واحد. قال الشاعر:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى ∴ فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقال أبو رجاء الخراساني[2]: معناه فليدعوني. والإجابة من الله: الإعطاء، ومن العبد: الطاعة[3]. وفي بعض التفاسير: الاستجابة أن تقول بعد صلاتك: لبيك اللهم لبيك... إلى آخر التلبية.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ الإيمان: أن تقول آمنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت، وعدك حق، ولقاؤك حق، وأشهد أنك واحد فرد، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفؤاً أحد وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها،

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان: 1/ 442، تفسير القرطبي: 2/ 312.
(2) أبو رجاء، عبد الله بن أبي الفضل المدني: 1/تابعي ثقة. روى عن أبيه، وروى عنه يحيى بن أبي كثير. الذهبي، ميزان الاعتزال: 2/ 472.
(3) تفسير الطبري: 3/ 484.

وأنك تبعث من في القبور. قال ابن عباس: ما تركت هذه الكلمات بعد صلاة بعدما أنزلت هذه الآية. وقال الكلبي: ما تركتها منذ أربعين سنة. فعلى هذا، معنى الاستجابة: الإجابة بالطاعة والانقياد لله في كل ما ألزمه. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي ليكونوا على رجاء الرشد في مصالح الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)﴾.

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ قال المفسرون: كان الرجل في ابتداء الأمر إذا أفطر حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها، فإذا صلى العشاء أو رقد قبل الصلاة ولم يفطر، حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى مثلها من الليلة القابلة، ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعدما صلى العشاء، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أعتذر إليك وإلى الله من نفسي هذه الخاطئة، إني رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء الآخرة، فوجدت رائحة طيبة، فسولت لي نفسي فجامعت أهلي، فهل لي من رخصة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**ما كنت جديراً بذلك يا عمر**». فقام رجال فاعترفوا بالذي كانوا صنعوا بعد العشاء. فنزلت في عمر وأصحابه[(1)] قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ أي: أبيح لكم في ليلة الصيام الرفث. قرأ ابن مسعود والأعمش: الرفوث ـ برفع الراء والفاء وبواو[(2)]. والرفوث والرفث: كناية عن الجماع. قال ابن عباس: إن الله حيي

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 50.
(2) تفسير الطبري: 3/ 487.

كريم، فكلّ ما ذكر الله تعالى في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول فإنما يريد به الجماع[1]. قال الشاعر:

فظلنا هنالك في نعمة ∴ وكل اللذاذات غير الرفث

وقال القتيبي[2]: الرفث هو الإفصاح بما يجب أن يكنى به عن ذكر النكاح، وأصله الفحش والقول القبيح. وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء[3].

قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أي هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. قاله أكثر المفسرين. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ⑩﴾[4] أي سكناً، دليله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[5]. وقال أهل المعاني: اللباس الشعار الذي يلي الجلد من الثياب فسمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، وانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال بعضهم: يقال لما ستر الشيء لباساً، فجاز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عن ما لا يحل. روي في الخبر: من تزوج فقد أحرز نصف دينه.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ أي علم الله أنكم كنتم تظلمون أنفسكم بمعصيتكم وجماعكم بعد العشاء الآخرة في ليالي الصوم، فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم على ذلك، ومحا عنكم ذنوبكم.

---

(1) المصدر نفسه.
(2) في النسخة (ف): الثعلبي.
(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 255.
(4) سورة النبأ: 78، الآية: 10.
(5) سورة الأعراف: 7، الآية: 189.

قوله تعالى: ﴿فَالْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أي جامعوهن في ليالي الصوم فهو حلال لكم. سميت المجامعة مباشرة: لملاصقة بشرة كل واحد منهما بصاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي واطلبوا ما قضى الله لكم من الولد. قال مجاهد: إن لم تلد هذه فهذه. وقال ابن زيد: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي ما أحل لكم من الجماع. قرأ معاذ بن جبل: واتبعوا ما كتب الله لكم: من الاتباع، يعني ليلة القدر. وكذلك روى أبو الجوزاء[1] عن ابن عباس[2]. وقرأ الأعمش: وأتوا ما كتب الله لكم، أي افعلوا. وأشبه الأقاويل بظاهر هذه الآية في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قول من تأوله على الولد لأنه عقب. قوله: ﴿فَالْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ وهو أمر إباحة وندب، كقوله صلى الله عليه وسلم: «**تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة**[3]**، حتى بالسقط**». وقال أهل الظاهر: هو أمر إيجاب وحتم، يدل عليه ما روى أنس بن مالك، أن امرأة كان يقال لها الحولاء[4] عطَّارة من أهل المدينة، دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أم المؤمنين زوجي فلان أتزين له كل ليلة وأتطيب كأني عروس زفت إليه، فإذا آوى إلى فراشه دخلت في لحافه ألتمس بذلك رضى الله تعالى، فحوَّل وجهه عني أراه قد أبغضني. فقالت: اجلسي حتى يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فبينما أنا كذلك، إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ما هذه الروائح التي أجدها، أتتكم الحولاء، ابتعتم منها شيئاً؟**» قالت عائشة: لا والله يا رسول

---

(1) أبو الجوزاء، أوس بن عبد الله الربعي: تابعي ثقة. أخرج له الشيخان وأصحاب الكتب الستة. روي أنه قال: جاورت ابن عباس في داره اثنتي عشرة سنة ما في القرآن آية إلا وقد سألته عنها. توفي رحمه الله سنة ثلاث وثمانين هجرية.
ابن الأثير، اللباب: 1/ 459، ميزان الاعتدال: 4/ 512، الطبقات الكبرى: 7/ 223.

(2) تفسير القرطبي: 2/ 318.

(3) رواه ابن ماجه في سننه: 1/ 592، رقم: 1846، باب ما جاء في فضل النكاح.

(4) الحولاء بنت تويت بن حبيب الأسدية: كانت عطارة من أهل المدينة، عابدة من المجتهدات في العبادة، أسلمت وبايعت بعد الهجرة.
رضا كحالة، أعلام النساء: 1/ 306، حلية الأولياء: 2/ 65.

الله. فقصت عليه الحولاء قصتها، فقال لها: «**اذهبي، اسمعي له وأطيعي**». قالت: أفعل يا رسول الله فما لي من الأجر؟ قال: «**ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً ووضعته تريد الإحسان إلا كتب الله لها حسنة ومحا عنها سيئة، ورفع لها درجة. وما من امرأة حملت من زوجها حين يحمل إلا كتب الله لها من الأجر مثل القائم ليله الصائم نهاره، الغازي في سبيل الله. وما من امرأة يأتيها طلق[1] إلا كتب الله لها بكل طلقة عتق نسمة، وبكل رضعة عتق رقبة، فإذا فطمت ولدها نادى مناد من السماء: أيتها المرأة كفيت بالعمل فيما مضى فاستأنفي العمل فيما بقي**». قالت عائشة: قد أعطى النساء خيراً كثيراً فما بالكم يا معشر الرجال؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «**ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له حسنة، وإن عانقها فعشر حسنات، وإن قبلها فعشرون حسنة، وإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها، فإذا قام ليغتسل لم يمر الماء على شعرة من جسده إلا يمحو عنه سيئة، ويعطى له درجة، ويعطي بغسله خيراً من الدنيا وما فيها، وإن الله عز وجل يتباهى به الملائكة يقول: انظروا إلى عبدي قام في ليلة باردة يغتسل من الجنابة يتيقن بأني ربه، اشهدوا أني غفرت له**»[2].

قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ هذا أمر إباحة مثل قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾[3] وشبهه، نزلت في رجل، من الأنصار يسمى صرمة بن أبي أنس[4]، هكذا قال الكلبي. وقال معاذ بن جبل: اسمه أبو صرمة. وقال عكرمة والأسدي: اسمه أبو قيس بن صرمة. وقال مقاتل صرمة بن إياس. وكانت قصته أنه ظل نهاره يعمل في أرض

---

(1) طلق: وجع الولادة.

(2) ذكره الثعلبي في تفسيره: خ، الورقة: 108.

(3) سورة المائدة: 5، الآية: 2.

(4) أبو قيس، صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي بن عامر. «صرمة» بكسر الصاد المهملة وسكون الراء وفتح الميم.
الإصابة: 3/ 41.

له وهو صائم، فلما أمسى قال لأهله: قدمي الطعام. فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً فأخذت تعمل له سخينة، وكان في ذلك الوقت من صلى العشاء أو نام حرم عليه الطعام والشراب والجماع، فلما فرغت من طبخ طعامه إذا به قد نام فأيقظته. فكره أن يعصي الله تعالى ورسوله، فأبى أن يأكل، وأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه، فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أجهده الصوم. فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يا أبا قيس ما لك طليحاً؟ قال: ظللت أمس في النخل نهاري كله أجر بالجرير حتى أمسيت. وفي بعض النسخ: أجز الجريد حتى أمسيت وأتيت أهلي، فأرادت امرأتي أن تطعمني شيئاً سخيناً فأبطأت علي فنمت فأيقظوني وقد حرم الطعام والشراب، فطويت وأصبحت وقد أجهدني الصوم. فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى[1]: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ أي كلوا في ليالي الصوم واشربوا فيها حتى يتبين لكم بياض النهار وضوؤه من سواد الليل وظلمته، كذا قال المفسرون. وقيل: معناه حتى يتبين لكم الفجر الأول من الثاني. قال الشاعر[2]:

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق ∴ والخيط الأسود جنح الليل مكتوم

وعن عدي بن حاتم[3] قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والصيام فقال: «**صل كذا وكذا، وصم كذا وكذا، فإذا غابت الشمس فكل**

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 50، ذكره الطبري في تفسيره: 3/ 246.
رواه البخاري في صحيحه من حديث البراء، مختصراً عن عبيد الله بن موسى: الفتح: 4/ 626، رقم: 1915، والترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 8/ 305، رقم: 4048، تفسير سورة البقرة.

(2) أمية بن أبي الصلت.

(3) أبو طريف، عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر، وقدم على أبي بكر في خلافته بصدقات قومه، وكان حسن الرأي سيداً شريفاً خطيباً مقدماً في قومه حاضر الجواب فاضلاً كريماً. شهد مع علي الجمل وصفين. توفي رحمه الله في الكوفة سنة سبع وستين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1057، الطبقات الكبرى: 6/ 22، البيان والتبيين: 2/ 15.

واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وصم ثلاثين يوماً إلا أن ترى الهلال قبل ذلك»، قال: فأخذت خيطين من خز أبيض وأسود وكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي، فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه، وقال: «**يا عدي إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل**»(1).

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ يعني المستطير الذي ينتشر ويأخذ في الأفق وهو الثاني، وهو الفجر الصادق الذي تحل فيه الصلاة ويحرم فيه الطعام على الصائم، وأما الفجر الأول وهو الذي يسطع في السماء مستطيلاً كذنب السرحان ولا ينتشر فذلك من الليل لا تحل فيه صلاة الفجر، ولا يحرم فيه الطعام على الصائم وهو الفجر الكاذب. وعن سمرة بن جندب(2) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يمنعنكم من السحور أذان بلال ولا الصبح المستطيل، ولكن الصبح المستطير في الأفق**»(3).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ قال عبد الله بن أبي أوفى(4): كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير وهو صائم، فلما غربت الشمس قال لرجل: «**انزل فاجدع لي ماء**». فقال: يا رسول الله لو أمسيت؟ قال: «**انزل فاجدع لي ماء**». فقال: يا رسول الله إن علينا نهاراً. فقال له الثالثة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: الفتح: 4/ 629، رقم: 1916.
رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 7/ 200.
رواه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 8/ 310، رقم: 4052، تفسير سورة البقرة.

(2) أبو عبد الرحمن، سمرة بن عمرو بن جندب: صحابي جليل من الحفاظ المكثرين من الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وروى عنه من الصحابة عمران بن حصين، ومن التابعين الحسن والشعبي. توفي سنة ثمان وخمسين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 653، الطبقات: 6/ 34، شذرات الذهب: 1/ 65، تاريخ بغداد: 1/ 185.

(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 7/ 205، وأحمد في المسند: 5/ 13، والدارقطني في سننه: 2/ 166.

(4) أبو معاوية، عبد الله بن علقمة بن أبي أوفى الخزاعي الأسلمي: آخر من توفي من الصحابة بالكوفة وأحد الذين بايعوا تحت الشجرة. شهد الحديبية وخيبر. توفي رحمه الله سنة سبع وثمانين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 870، الطبقات الكبرى: 4/ 301، الأعلام: 4/ 104.

فنزل فجدع له، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أقبل الليل من هٰهنا، وأدبر النهار من هٰهنا فقد أفطر الصائم**»[1]. وفي بعض الألفاظ: «**أكل أو لم يأكل**».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ أصل العكوف والاعتكاف: الثبات والإقامة، يقال: عكف بالمكان إذا أقام به. قال الله تعالى: ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾[2] أي يقيمون. قال الفرزدق يصف القدور:

ترى حولهن المعتفين كأنهم ∴ على صنم في الجاهلية عكَّف[3]

والاعتكاف: هو حبس النفس في المسجد على عبادة الله تعالى. واختلف العلماء في معنى المباشرة التي نهى المعتكف عنها؛ فقال قوم: هي المجامعة خاصة، معناه: ولا تجامعوهن ما دمتم معتكفين في المساجد. قاله ابن عباس وعطاء والضحاك والربيع. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت للرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم يغتسل ويرجع إلى المسجد، فنهوا أن يجامعوا نساءهم ليلاً أو نهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم[4]. وقال ابن زيد: المباشرة الجماع واللمس والقبلة وأنواع التلذذ[5]. والجماع مفسد للاعتكاف بالإجماع

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: الفتح: 4/ 709، رقم: 1955، باب متى يحل فطر الصائم، ومسلم في صحيحه بشرح النووي: 7/ 209.

(2) سورة الأعراف: 7، الآية: 138.

(3) يصف الفرزدق دور أهله الكرام الذين جاءهم المعتفون، أي المحتاجون الذين يطلبون الرزق، ويصفهم الشاعر بأنهم جياع قد ثبتوا في أماكنهم ينتظرون نضج الطعام، متلهفين في هدوء وخشوع كأنهم عباد. وقبله:

وقد علم الأقوام أن قدورنا ∴ ضوامن للأرزاق والريح زفزف

نعجل للضيفان في المحل بالقرى ∴ قدوراً بمعبوط تمد وتغرف

ديوانه: 561، النقائض: 563.

(4) تفسير الطبري: 3/ 541 ـ 542.

(5) نفسه: 3/ 543.

وأما المباشرة غير الجماع فعلى ضربين: ضرب يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند أكثر الفقهاء، وقال مالك يفسده. والضرب الثاني ما لا يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مباح كما جاء في خبر عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل إليها رأسه فترجِّله وهو معتكف[1]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من اعتكف عشراً في رمضان كان كحجتين وعمرتين**».

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي المجامعة في الاعتكاف معصية. وقيل: جميع ما في هذه الآية إلى آخرها أحكام الله فلا تقربوها، يعني المباشرة في الاعتكاف. وقيل: أحكام الله لا تقربوها بالخلاف ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ هذه الأحكام، فهكذا يبين للناس سائر أدلته على دينه وشرائعه. وقيل: سائر أوامره ونواهيه لكي تتقوا معاصيه. وحدود الله: قال السدي: شروط الله. وقال شهر بن حوشب: فرائض الله. وقال الضحاك: معصية الله. وأصل الحد في اللغة: المنع. وقيل للبواب: حداد. وقال الخليل بن أحمد: الحد الجامع المانع. ومنه حدود الدار والأرض، وهو ما يمنع غيرها أن يدخل فيها، وسمي الحديد حديداً لأنه يمتنع به من الأعداء، ويقال: حدت المرأة وأحدت إذا منعت نفسها من الزينة. فحدود الله هي: ما منع الله منها أو ما منع من مخالفتها والتعدي إلى غيرها.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي فلا تأتوها. يقال: قربت من الشيء أقربه وقربته وقربت منه ـ بضم الراء: إذا دنوت منه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ أي هكذا يبين الله آياته للناس لكي يتقوها وينجو من السخط والعذاب.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 4/ 808، رقم: 2029، باب لا يدخل المعتكف البيت إلا لحاجة.
رواه مسلم بشرح النووي: 3/ 208.
رواه النسائي في سننه: 1/ 158.
رواه الدارمي في سننه: 1/ 247.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿188﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ على وجهين: أحدهما أخذه على وجه الظلم بالغصب والخيانة وشهادة الزور واليمين الفاجرة؛ والثاني أخذه من جهات محظورة مع رضى صاحبه مثل القمار وأجرة الغناء، والملاهي، والنائحة، وثمن الخمر والخنزير والربا وأشباه ذلك... ومعنى الآية: ولا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل، أي من غير الوجه الذي أباحه الله تعالى. وأصل الباطل: الشيء الذاهب الزائل، يقال: بطل يبطل بطولاً وبطلاناً إذا ذهب.

قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي ولا تظهروا حجتكم للحكام بالباطل فيحكم الحاكم في الظاهر مع علم المحكوم له أنه غير مستحق في الباطل. وأصل الإدلاء: هو إرسال الدلو في البئر؛ يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها. قال الله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾[1]، ودلاها يدلوها إذا أخرجها، ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء ومنه قيل للمحتج بدعواه أدلى بحجته، لأن الحجة سبب وصوله إلى دعواه كالدلو سبب وصوله إلى الماء، واختلف العلماء في محل قوله: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾ فقال بعضهم: جزم بتكرير حرف النهي، أي لا تأكلوا ولا تدلوا، ولذلك هو في حرف أبي بإثبات «لا» وقيل: هو نصب على الظرف، كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله[2]

وقيل: نصب بإضمار «أن» الخفيفة. وقال الأخفش: نصب على الجواب بالواو[3].

قوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالظلم والجور وأنتم تعلمون، أنكم مبطلون في

---

(1) سورة يوسف: 12، الآية: 19.
(2) تقدمت نسبته.
(3) الأخفش، معاني القرآن: 1/ 253.

دعواكم. قال ابن عباس: هذا في الرجل، يكون عليه مال وليس فيه بينة فيجحد المال، ويخاصمهم فيه إلى الحكام، وهو يعرف أن الحق عليه ويعلم أنه أثم وأكل حراماً[1]. وقال مجاهد: معنى الآية لا تخاصم وأنت ظالم[2]. وقال الحسن: هو أن يكون للرجل على صاحبه حق، فإذا طالب به دعاه إلى الحاكم فيحلف له ويذهب بحقه، وقال الكلبي: هو أن يقيم شهادة الزور وقال شريح[3] لبعض الخصوم: إني أقضي لك وأنا أظنك ظالماً، ولا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرني من البينة، وإن قضائي لا يحل لك حراماً[4]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنما أنا بشر مثلكم ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بشيء من مال أخيه فإنما أقطع له قطعة من نار**»[5].

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿189﴾ ﴾.

قال أبو بكر الحداد: قوله عز وجل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل وثعلبة[6] بن غنم الأنصاريين

---

(1) تفسير الطبري: 3/ 550.

(2) نفسه.

(3) أبو مية، شريح بن الحارث بن قيس الكندي: من أشهر القضاة في صدر الإسلام. أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، وكان ثقة في الحديث مأموناً في القضاء ذا باع في اللغة والأدب. توفي سنة ثمان وسبعين هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 59، شذرات الذهب: 1/ 85، تهذيب التهذيب: 4/ 326.

(4) تفسير البغوي: 1/ 231 ـ 232.

(5) رواه البخاري في صحيحه: الفتح: 15/ 60، رقم: 7169، كتاب الأحكام، ومسلم في صحيحه بشرح النووي: 12/ 4.

(6) ثعلبة بن غنم الأوسي الأنصاري: شهد العقبة مع السبعين، وبعد أن أسلم أخذ يكسر أصنام بني سلمة هو ومعاذ بن جبل، شهد بدراً وأحداً والخندق واستشهد يومئذ.
الاستيعاب: 1/ 206، الطبقات الكبرى: 3/ 580.

سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزداد حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد عن الأهلة، وعن الحكمة في معناها[1]. وهي جمع هلال مثل: رداء وأردية. وسمي هلالاً لأنه حين يرى يهل الناس بذكر الله، أي يرفعون أصواتهم، كما يقال: أهلَّ القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي هي بيان المواقيت التي يحتاج الناس إليها في صومهم وفطرهم، وعدة نسائهم، وآجال ديونهم، ومدة إجاراتهم، وحيض الحائض، وعدة الحامل، وغير ذلك ـ أخبرهم الله تعالى عن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه واختلاف أحواله، فلهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حال واحد. وقوله: ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ أي وبيان وقت حجهم، ولو جعل القمر مدوراً كالشمس أبداً لم تعرف المواقيت ولا السنون ولا الشهور.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ الآية... قال المفسرون: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا داراً ولا بيتاً من بابه، فإن كان من أهل المدر، أي البيوت، نقب نقباً في ظهر بيته ويتخذ سلماً إليه: يدخل منه ويخرج ولا يدخل من الباب وإن كان من أهل الوبر: أي الخيام والفساطيط ـ خرج ودخل من خلف الخيمة والفسطاط، ولا يدخل من الباب ولا يخرج منه حتى يحل من إحرامه، ويرون ذلك براً، إلا أن يكون الرجل من الحمس، وهم: قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وجشم، وبنو عامر بن صعصعة، وبنو نصر بن معاوية. سموا حمساً لتشددهم في دينهم وعلى أنفسهم، لأنهم كانوا لا يستظلون أيام منى، ولا يسلأون السمن، ولا يأقطون الأقط. والحماسة: الشدة والصلابة، إلا أنهم كانوا مع ذلك يدخلون البيوت من أبوابها بخلاف الفريق الأول. فلما كان زمن الحديبية أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة،

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 52، السيوطي، أسباب النزول: 35، البغوي، معالم التنزيل: 1/ 232، الثعلبي، الكشف والبيان، خ، الورقة: 110.

فدخل بستاناً من بابه قد خرب وهو محرم، فاتبعه قطبة بن عامر السلمي[1] من غير الحمس، فدخل معه من الباب وهو محرم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**دخلت من الباب وأنت محرم من غير الحمس**». فقال: رأيتك يا رسول الله دخلت من الباب وأنت محرم، فدخلت على أثرك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا من الحمس**». فقال الرجل: إن كنت أحمسياً يا رسول الله فأنا أحمسي أيضاً، لأن ديننا واحد، رضيت بهديك وسنتك يا رسول الله. فأنزل الله هذه الآية[2]. وقال الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لا يستظلون بشيء، ولا يدخلون البيت كيلا يحول بينهم وبين السماء شيء ما داموا محرمين، حتى كان زمن الحديبية أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة، فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لم فعلت ذلك؟**» قال: لأني رأيتك يا رسول الله دخلت. فقال صلى الله عليه وسلم: «**إني أحمسي، والحمس لا يبالون بذلك**» فقال الأنصاري: وأنا أحمسي، يعني أنا على دينك وسنتك. فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ أي من خلفها إذ أحرمتم[3]. قرأ حمزة والكسائي وعاصم ونافع وابن عامر وابن كثير بكسر الباء من البيوت في جميع القرآن، وقرأ الباقون بضمها[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي ليس البر بأن تأتوا البيوت من خلفها إذا أحرمتم، ولكن البر من اتقى الشرك والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ أي ائتوا البيوت محرمين ومحلين.

---

(1) أبو زيد، قطبة بن عامر السلمي الأنصاري: أسلم مع الستة الذين هم أول من أسلم من الأنصار وشهد العقبتين، كما شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم. توفي في خلافة عثمان.
الاستيعاب: 3/ 1232، الطبقات الكبرى: 3/ 578.

(2) الواحدي، أسباب النزول: 52، السيوطي، أسباب النزول: 35، تفسير الطبري: 3/ 558.

(3) تفسير القرطبي: 2: 345، تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 111.

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1: 284.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه لكي تنجو من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنة. وقد روي عن بعضهم أنه كان يقول في هذه الآية: ليس البر أن تطلبوا المعروف من غير أهله، ولكن اطلبوه من أهله.

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أي: قاتلوا في دين الله وطاعته الذي يقاتلونكم. قال الربيع وعبد الرحمن بن زيد: هذه أول آية نزلت في القتال، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خرجوا في العام الذي أرادوا فيه العمرة، فنزلوا بالحديبية قريباً من مكة. والحديبية اسم البئر فسمي ذلك الموضع باسم البئر، فصده المشركون عن البيت. فأقام بالحديبية شهراً ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه ذلك، على أن يخلوا له مكة من العام القابل ثلاثة أيام، فيطوف وينحر الهدي، ويفعل ما يشاء. وصالحوه على أن لا يكون بينهم وبينه قتال إلى عشر سنين. فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فلما كان العام المقبل تجهز لعمرة القضاء، وكانوا يخافون ألا تفي قريش بذلك، وكانوا يكرهون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم، فأنزل الله هذه الآية[1]، ومعناها: وقاتلوا في طاعة الله الذين يبدؤونكم بالقتال ولا تعتدوا، أي لا تنقضوا العهد بالبداية بقتالهم قبل تقديم الدعوة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي المتجاوزين عن الحدود، أي لا يرضى عملهم. فلما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[2] فنسخت هذه الآية، وأمر بالقتال مع المشركين كافة. وقال بعضهم: هذه الآية محكمة؛ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال ولم

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 53، السيوطي، أسباب النزول: 36، تفسير الطبري: 3/ 561.
(2) سورة التوبة: 9، الآية: 5.

ينسخ شيء من حكم هذه الآية. فعلى هذا القول معنى قوله: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ أي لا تقتلوا النساء والصبيان، والشيخ الكبير، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده عن قتالكم، فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم. وهذا قول ابن عباس ومجاهد. فمعنى الآية: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ أي الذين هم من أهل القتال دون النساء والولدان الذين لا يقاتلون، فعلى هذا القول الآية غير منسوخة. وقال يحيى بن عامر[1]: كتبت إلى عمر بن عبد العزيز أسأله عن قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ فكتب إلي أن ذلك في النساء والذرية والرهبان، ومن لم ينتصب للحرب منهم[2]. وقال الحسن: ولا تعتدوا، أي لا تأتوا من نهيتم عنه. وقال بعضهم: الاعتداء ترك قتالهم. وقال بعضهم: نزلت هذه الآية والقتال كان محظوراً قبل الهجرة كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[3]، ثم أمر الله تعالى بالقتال بعد الهجرة لمن قاتلهم بهذه الآية، ثم نزلت آية أخرى في الإذن بالقتال عامة لمن قاتلهم ولمن لم يقاتلهم، وهو قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾[4]. وعن سليمان بن بريدة[5] عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه في نفسه خاصة بتقوى الله عز وجل، ولمن تبعه من المسلمين خيراً وقال: «**اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً كبيراً**»[6].

---

(1) أبو عثمان، يحيى بن عامر بن يحيى الغساني: كان فصيحاً بليغاً ولاّه عمر بن عبد العزيز قضاء الموصل، فكان قاضياً عالماً بالفتيا له أحاديث، ثقة، توفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين هجرية.
النووي، تهذيب الأسماء واللغات: 2/ 150، تهذيب ابن حجر: 11/ 299.

(2) تفسير الطبري: 3/ 562.

(3) سورة النحل: 16، الآية: 125.

(4) سورة الحج: 22، الآية: 39.

(5) سليمان بن بريدة الأسلمي: روى عن أبيه، كان صحيح الحديث، ثقة مأمونا.
الطبقات الكبرى: 7/ 221.

(6) ذكره البغوي بسنده في: معالم التنزيل: 1/ 235.

قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي اقتلوا الذين يبدؤونكم بالقتال من أهل مكة حيث وجدتموهم، وأخرجوهم كما أخرجوكم من مكة.

قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي والشرك الذي هم فيه أعظم ذنباً من قتلكم إياهم في الحرم والأشهر الحرم والإحرام. هكذا قال عامة المفسرين. وقال الكسائي: الفتنة هٰهنا العذاب، وكانوا يعذبون من أسلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ أي: إذا بدأوكم بالقتال في غير الحرم ثم لجأوا إلى الحرم فكفوا عن قتالهم، ولا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم فيه، فإن بدأوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهم فيه. قرأ عيسى ابن عمر وطلحة بن مصرف، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وحمزة، والكسائي: ولا تقتلوهم ـ بغير ألف، من القتل على معنى: ولا تقتلوا بعضهم. تقول العرب: قتلنا بني تميم، وإنما قتلوا بعضهم. وقرأ الباقون كلها بالألف من القتال[1]. واختلفوا في حكم هذه الآية، فقال بعضهم: هي منسوخة؛ نهوا عن الابتداء بالقتال ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وهذا قول قتادة والربيع. وقال مقاتل: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم. ولما نزلت هذه الآية نسخها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ثم نسختها آية السيف التي في براءة، فهي ناسخة منسوخة. وقال آخرون: هذه الآية محكمة، ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم وهو قول

(1) مكي، الكشف: 1/ 285، تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 111.

مجاهد وأكثر المفسرين. وسمي الكفر فتنة لأنه يؤدي إلى الهلاك، كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك.

قوله تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ أي: فإن انتهوا عن القتال والكفر فإن الله غفور لما مضى من جهلهم، ولما سلف من كفرهم، رحيم بهم بعد توبتهم وإسلامهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي قاتلوا المشركين حتى لا يكون شرك، أي قاتلوهم حتى يسلموا، فليس يقبل من المشرك الوثني جزية ولا يرضى منهم إلا بالإسلام، وليسوا كأهل الكتاب الذين تؤخذ منهم الجزية، والحكمة في ذلك أن مع أهل الكتاب كتباً منزلة فيها الحق وإن كانوا قد أهملوها فأمهلهم الله بحرمة تلك الكتب من القتل، وأمر بإذلالهم بالجزية، ولينظروا في كتبهم وليتدبروا فيقفوا على الحق منها فيتبعوه. وأما أهل الأوثان فليس لهم كتب ترشدهم إلى الحق، وكان إمهالهم زائداً في شركهم، فأبى الله تعالى أن يرضى منهم إلا بالإسلام أو القتل.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي وتكون الطاعة والعبادة لله وحده، وأن لا يعبدوا دونه شيئاً.

قوله تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: فإن انتهوا عن القتال والكفر فلا عدوان، أي فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم والشهر الحرام ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. قال قتادة وعكرمة: في هذه الآية الظالم: الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله. وإنما سمي الكافر ظالماً لوضعه العبادة في غير موضعها. وقيل: معناه فلا عدوان إلا على الذين يبدؤون بالقتال. ومن الدليل على أن هذه الآية غير ناسخة للأولى، لأنها معها في خطاب واحد، ولا يصح النسخ إلا بعد التمكن من الفعل. قال ابن عباس: فسار النبي صلى الله عليه وسلم، فأخلى له أهل مكة الحرم ثلاثة أيام، فدخل هو وأصحابه وطافوا ونحروا الهدي، وأقاموا بمكة حتى قضوا حاجتهم من البيت، ثم رجعوا. فأنزل الله قوله عز وجل: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي الشهر الذي

دخلت فيه مكة وهو ذو العقدة، واعتمرت فيه أنت وأصحابك وقضيتم من مكة فيه وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام، وهو ذو القعدة أيضاً، الذي صدوك فيه عن البيت أنت وأصحابك، ومنعوكم من مرادكم سنة ست[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ﴾ أي اقتصصت لكم منهم في الشهر الحرام في ذي القعدة، كما صدوكم في ذي القعدة مراغمة. والحرمات جمع حرمة، كالظلمات جمع ظلمة، والحجرات جمع حجرة. والحرمات[2]: ما يجب حفظه وترك انتهاكه، وإنما جمع الحرمات، لأنه أراد الشهر الحرام وحرمة الإحرام. والقصاص: المساواة، وهو أن يفعل بالفاعل كما فعل.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ﴾ أي: فمن اعتدى عليكم بالقتال في الحرم فكافئوه وقاتلوه كمثل ما فعل. وسمي الجزاء اعتداء على مقابلة اللفظ.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي اتقوا الله في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصر والمعونة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿195﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿196﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾. في هذه الآية نهي عن البخل، معناه: تصدقوا يا أهل الميسرة ولا تمسكوا عن الإنفاق في سبيل الله، فإن البخل والإمساك عن ذلك هو الهلاك. وهذا قول حذيفة

---

(1) السيرة النبوية، لابن هشام: 4/ 370.
(2) في النسخة (ف): والحرمة.

والحسن وعكرمة وعطاء والضحاك[1]. وقال ابن عباس في هذه الآية: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم واحد، ولا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً[2]. وقال السدي: أنفق في سبيل الله ولو عقالاً[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ معناه: ولا تلقوا أنفسكم. فعبر بالبعض عن الكل، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[4] و﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[5]، وإنما حذف ذكر النفس هنا، لأن في الباء دليلاً عليه، والباء زائدة كقوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾، والعرب لا تقول: ألقى بيده، إلا في الشر. والإلقاء في التهلكة فمعناه: لا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة في الجهاد فتهلكوا. وقيل: هي الإسراف في الإنفاق حتى لا يبقى له شيء يأكله فيتلف. وقيل: هو أن يخرج بين الصفين فيستثقل من غير قصد نكاية العدو. وقيل: معنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي لا تقل ليس عندي شيء. وقال الحسن: إنهم كانوا يسافرون للغزو ولا ينفقون من أموالهم، فأنزل الله هذه الآية[6]. وقال مقاتل: لما أمر الله بالإنفاق قال رجال: أمرنا بالنفقة في سبيل الله، فإن أنفقنا أموالنا بقينا فقراء ذوي مسكنة. فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ يعني: أنفقوا ولا تخشوا الفقر فإني رازقكم ومخلف[7] عليكم. وعن أبي الدرداء[8] وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وجابر، وأبي

(1) تفسير البغوي: 1/ 238، تفسير الطبري: 3/ 583 وما بعدها.
(2) المصدران السابقان.
(3) تفسير الطبري: 3/ 586.
(4) سورة الحج: 22، الآية: 10.
(5) سورة الشورى: 42، الآية: 30.
(6) تفسير الطبري: 3/ 586.
(7) معالم التنزيل: 3/ 586.
(8) أبو الدرداء عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي: صحابي من الحكماء الفرسان القضاة، أحد الذين حفظوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. كان تاجراً ثم انقطع إلى العلم والعبادة ولاّه معاوية قضاء دمشق. توفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين هـ.
الاستيعاب: 4/ 1646، تذكرة الحفاظ: 1/ 24، حلية الأولياء: 1/ 208.

أمامة[1] والحسن بن علي بن أبي طالب[2] وعمران بن حصين[3] كلهم حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته، فله بكل درهم سبعمائة درهم، ومن غزا بنفسه فأنفق فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم**». ثم تلا هذه الآية[4]: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ وعن عكرمة أنه قال: معنى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ وقال زيد بن أسلم[5]: إن رجالاً كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير نفقة، فأما أن يقطع بهم وإما أن يكونوا عيالاً ووبالاً، فأمر الله بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، فإذا لم يكن عندك ما تنفق فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقي بيدك إلى التهلكة، فتهلك من الجوع والعطش أو من المشي[6]. والتهلكة: مصدر بمعنى الإهلاك، وهو تفعلة من الهلاك، ولم يجىء في كلام العرب مصدر على تفعلة ـ بضم العين ـ إلا هذا. وقال بعضهم: التهلكة كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك.

---

(1) أبو أمامة، صدي، بضم الصاد وفتح الدال وتشديد الياء، بن عجلان الباهلي: صحابي جليل، كان مع علي في صفين، سكن الشام وهو آخر من مات من الصحابة به. توفي سنة ست وثمانين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 736، شذرات الذهب: 1/ 96، الأعلام: 3/ 203.

(2) أبو محمد، الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء. ولد سنة ثلاث من الهجرة، وكان حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه إلى ترك الدنيا والملك رغبة فيما عند الله وإصلاح ذات البين بين المسلمين. توفي رحمه الله سنة تسع وأربعين هجرية.
الاستيعاب: 1/ 383، وفيات الأعيان: 2/ 65، تاريخ بغداد: 1/ 138.

(3) أبو نجيد، عمران بن حصين الخزاعي: صحابي جليل، له عدة أحاديث تولى قضاء البصرة، روى عنه الحسن وابن سيرين والشعبي وغيرهم. توفي رحمه الله سنة اثنتين وخمسين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1208، الطبقات الكبرى: 4/ 267، صفة الصفوة: 1/ 68.

(4) الكشف والبيان: خ، الوقة: 113.

(5) أبو عبد الله، زيد بن أسلم العدوي: فقيه مفسر، من أهل المدينة روى عن ابن عمر وأنس وغيرهما، وعنه أخذ الإمام مالك والسفيانان وغيرهم، ثقة، كثير الحديث. له حلقة في المسجد النبوي وتفسير يرويه عنه ابنه عبدالرحمن. توفي رحمه الله سنة ست وثلاثين هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 132، الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 176، تهذيب التهذيب: 3/ 395.

(6) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 239.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي أحسنوا في النفقة والإفضال على المحتاج. وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: التهلكة عذاب الله. فمعنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي لا تتركوا الجهاد فتعذَّبوا، دليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من مات ولم يغز ولم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق**»[2]. وقال ابن سيرين: الإلقاء في التهلكة هو القنوط من رحمة الله[3]. وقال أبو قلابة[4]: هو الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي. فنهاهم الله عز وجل عن ذلك[5]. وسئل بعضهم عن الإلقاء باليد في التهلكة: أهو الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف بالسيف؟ قال: لا، ولكنه الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت لا توبة لي. وقال الفضيل بن عياض في هذه الآية ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ بإساءة الظن بالله، فأحسنوا الظن بالله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الظن بالله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك. وقيل: تمام العمرة إلى البيت، وتمام الحج إلى آخر الحج كله. وقيل: إتمامهما أن تكون النفقة حلالاً، وينتهي عن جميع ما نهى الله، ويأتي بجميع ما شرع الله من المشاعر والمواقف. وقيل: أتموا الحج والعمرة من المواقيت.

---

(1) سورة التوبة: 9، الآية: 39.

(2) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 13/ 56 «من مات ولم يغز»، وأبو داود في سننه: عون المعبود: 7/ 181، رقم: 2485، باب كراهية ترك الغزو، والنسائي في سننه: 6/ 8، باب التشديد في ترك الجهاد.

(3) معالم التنزيل: 1/ 239.

(4) أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري: أحد التابعين الأعلام روى عن سمرة بن جندب وأنس بن مالك وغيرهما. وعنه حدث أيوب السختياني وخالد الحذاء وغيرهما، طلب للقضاء ففر للشام. توفي رحمه الله سنة سبع ومائة هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 94.

(5) تفسير البغوي: 1/ 239.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ أي إن منعتم من الحرم بعدما أحرمتم بحج أو عمرة فأردتم الإحلال فعليكم بما تيسر من الهدي. قال ابن عباس: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأدناه شاة، يبعث المحصر بها إلى مكة، ويواعدهم اليوم الذي يذبحونه عنه، فإذا ذبح عنه حل ورجع إلى أهله، ثم يقضي ما كان أحرم به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ أي لا يحلق أحدكم رأسه، ولا يحل من الإحرام حتى يبلغ الهدي الحرم، حتى يعلم أن هديه قد ذبح عنه.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ أي من كان مريضاً من المحرمين محصرين أو غير محصرين فلم يستطع الإقامة على شروط الإحرام، فعجل وفعل شيئاً مما يفعله الحلال قبل أن ينحر عنه الهدي ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ أي أو كان في رأسه قمل يؤذيه لا يستطيع أن يصبر عليه فحلق رأسه، فعليه فداء ما صنع: صيام ثلاثة أيام، أو صدقة على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من بر، أو صاع من تمر، أو صاع من شعير، أو شاة يذبحها في الحرم. روي عن كعب بن عجرة[1] أنه قال: نزلت هذه الآية فيّ، مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال لي: «**أيؤذيك هوام رأسك؟**» قلت: نعم، قال: «**احلق رأسك، وأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة، أو صم ثلاثة أيام، أو انسك بنسيكة**»[2].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ أي فإذا

---

(1) أبو محمد، كعب بن عجرة بن أمية البلوي: صحابي جليل نزلت فيه آية الفدية في الحج. نزل الكوفة، وتوفي بالمدينة رحمه الله سنة ثلاث وخمسين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1321.

(2) الواحدي، أسباب النزول: 55.
رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 8/ 119، والترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 8/ 315، رقم: 5057.

أمنتم من العدو وبرئتم من المرض فاقضوا ما كنتم حرمتم به قبل الإحصار من حج أو عمرة.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ أي من بدأ بالعمرة في أشهر الحج وأقام بمكة في عامه للحج فحج من غير أن يرجع إلى أهله، فعليه ما تيسر من الهدي.

قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج يصومها قبل يوم النحر متتابعة أو متفرقة، وصيام سبعة أيام إذا رجع إلى أهله. ويقال: إذا رجع من منى، ويقال: إذا رجع إلى ما كان عليه، أي فرغ من أمر الحج.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أي كاملة للثواب، وقيل: كاملة للهدي.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي ذلك التمتع والهدي لمن لم يكن أهله حاضري مكة.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي اتقوا الله في جميع ما أمرتم به ونهيتم عنه. وقد اختلف السلف في وجوب العمرة، فروي عن ابن مسعود والشعبي وإبراهيم النخعي، وابن عمر، ومجاهد: أنها واجبة، وبه قال الشافعي. ولا دلالة في هذه الآية على الوجوب، لأن لفظ الإتمام يقتضي نفي النقصان عنها إذا فعلت، لأن ضد التمام هو النقصان، وقرىء: والعمرة لله ـ بالرفع على معنى الابتداء، ومن نصب العمرة احتمل أن يكون للابتداء لكن نصبها اتباعاً للحج. كذا قال الزجاج[1].

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ وذلك فإن أهل الجاهلية كانوا يشركون في إحرامهم. كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فأمر الله تعالى بإخلاص القول والعمل لله تعالى. وأما لفظ الإحصار، فقد ذكر الكسائي وأكثر أهل اللغة أن الإحصار هو: أن

---

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 266.

يكون بمرض أو عدو. والحصر: أن يكون بحبس عدو، يقال: أحصره المرض والعذر فهو محصر، وحصره العدو فهو محصور، وهذا على مذهبنا مستمر. وقال الفراء: لا فرق بين الحصر والإحصار، وهما شريكان في المعنى[1]. وهذا قريب من مذهب الشافعي، فإن عنده لا يكون المريض محصراً، ولا يكون الإحصار إلا بالعدو، فأما المريض فلا يتحلل بالهدي إن لم يقدر على الذهاب. وأنكر المبرد[2] والزجاج على الفراء وقالا: إن الحصر والإحصار مختلفان في المعنى، ألا ترى أنك تقول: حبست الرجل إذا جعلته في الحبس، واحتسبته إذا عرضته للحبس[3]. والهدي في اللغة: اسم لما يهدى إلى البيت، وهو جمع هدية كما يقال: حذي وحذية. وعن عائشة وابن عمر أنهما قالا: إن الهدي إنما يكون بقرة أو بدنة. وفائدة قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ على هذا القول: التخيير بين أعيان الإبل والبقر، ولا يجوز من كل شيء إلا الثني فصاعداً إلا الجذع من الضأن فإنه يجزىء على ما ورد في الأضحية، وهو ما مضى له ستة أشهر. والثني البالغ من كل شيء، وهو عند الفقهاء في الغنم ما له سنة، وفي البقر ما له سنتان، وفي الإبل ما له خمس سنين. واختلفوا في المحل المذكور في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ فقال ابن مسعود وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد: محله منحره وهو الحرم. وقال مالك والشافعي: محله الموضع الذي أحصر فيه. فيكون معنى ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ أي ينحر الهدي فيحل أكله. فظاهر الآية يقتضي أن يبلغ الهدي بعد الإحصار مبلغاً لم يكن بالغاً قبل ذلك، ولو كان موضع الإحصار محلاً للهدي لكان بالغاً محله لوقوع الإحصار، وأدى ذلك إلى بطلان الغاية المذكورة في الآية. وأما قوله في شأن

---

(1) الفراء، معاني القرآن: 1/ 117 ـ 118.

(2) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدي البصري، إمام العربية ببغداد في زمانه. أخذ عن المازني وأبي حاتم السجستاني. روى عنه نفطويه والصولي، وكان فصيحاً بليغاً ثقة إخبارياً، صاحب نوادر وطرافة، له: «معاني القرآن»، و«الكامل» و«المقتضب». توفي سنة خمس وثمانين ومائتين هجرية.
بغية الوعاة: 1/ 269، وفيات الأعيان: 1/ 495.

(3) الزجاج، معاني القرآن: 1/ 267.

الحديبية: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[1] فهو حجة في أن المحل هو الحرم وليس في تلك الآية بيان موضع الذبح، إن كان في الحل أو الحرم. فيحتمل أن الهدي كان ممنوعاً عن الحرم، ثم لما وقع الصلح أطلقوا الهدي حتى ذبح في الحرم. وذهب أبو يوسف[2] ومحمد[3] إلى أن هدي المحصر بالحج مؤقت بيوم النحر وليس في هذه الآية أن المراد بالمحل الزمان، لأن قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ عائد إلى الحج والعمرة المذكورين في أول هذه الآية، ولا خلاف أن هدي المحصر بالعمرة غير مؤقت بيوم النحر. وفي ظاهر قوله: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ دليل على أن المحصر إذا لم يجد الهدي لا يحل حتى يجد الهدي فيذبح عنه. وقال عطاء: يصوم عشرة أيام ويحل كالمتمتع إذا لم يجد هدياً. وإذا لم يصم الثلاثة الأيام قبل يوم النحر، أعني المتمتع والقارن، فقد اختلفوا في ذلك، فقال عمر وابن عباس وابن جبير: لا يجزيه إلا الهدي ولا يحل إلا به، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. وقال ابن عمر وعائشة: يصوم أيام منى، وهو قول مالك. وقال علي كرم الله وجهه: يصوم بعد أيام التشريق، وهو قول الشافعي، والفائدة في قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أنه كان يجوز أن يتوهم أن البدل لا يلحق بالمبدل في الثواب، فبين الله تعالى أنه في الكمال بمنزلة المبدل أن لو فعله، ويقال: إن الواو قد جاءت في القرآن بمعنى أو التي هي للتخيير كما في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ

---

(1) سورة الفتح: 48، الآية: 25 .

(2) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم البغدادي: كان حافظاً للحديث أخذه عن الأعمش والمغيرة وغيرهما، ثم لزم أبا حنيفة وتفقه عليه، وغلب عليه الرأي، تولّى قضاء بغداد، ولقب قاضي القضاة. من مؤلفاته: كتاب الخراج، وكتاب الأمالي في الفقه. توفي رحمه الله في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة.
الفوائد البهية في تراجم الحنفية: 225، الطبقات الكبرى: 7/ 330، تذكرة الحفاظ: 1/ 292.

(3) أبو عبد الله، محمد بن الحسن الشيباني: إمام في الفقه والأصول، سمع من أبي حنيفة، وساهم في نشر المذهب الحنفي. ولد بواسط ونشأ بالكوفة، وانتقل إلى بغداد فولاّه الرشيد القضاء. له مؤلفات في الفقه والأصول منها: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» و«السير» و«الأمالي». توفي رحمه الله بالري سنة تسع وثمانين ومائة هجرية.
الفوائد البهية: 163، الشيرازي، طبقات الفقهاء: 135، تاريخ بغداد: 2/ 194.

﴿وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[1] فربما يتوهم أن هذا مثال ذلك، فأكد الله صوم العشرة كلها بقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ لإزالة هذا الإشكال.

فصل: واختلفوا في قوله تعالى: ﴿حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فقال عطاء ومكحول[2]: هم كل من دون المواقيت إلى مكة، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، إلا أن أبا حنيفة وأصحابه يقولون: أهل المواقيت بمنزلة من دونها لأنهم كلهم في حكم أهل مكة، يجوز لهم دخولها بغير إحرام. وقال ابن عباس ومجاهد: هم أهل الحرم. وقال الحسن وطاوس ونافع: هم أهل مكة. وقال الشافعي: هم من كان داره دون ليلتين من مكة. وذلك مقدار أقرب المواقيت إلى مكة. وظاهر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يقتضي الإشارة إلى الهدي والمتعة جميعاً لاتباع المتعة والقران لأهل المواقيت ومن دونها إلى مكة. وذهب الشافعي إلى أن قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الهدي دون المتعة والقران، فيجوز عنده المتعة والقران لأهل مكة، لكن لا هدي عليهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ (197) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (199)﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ في هذه الآية حذف المبتدأ تقديره: مدة الحج أشهر معلومات. ويقال: الحج في أشهر معلومات، ومثلها: ﴿غُدُوُّهَا

---

(1) سورة النساء: 4، الآية: 3.

(2) أبو عبد الله، مكحول الدمشقي. روى عن أنس بن مالك وأبي أمامة وثوبان. وعنه روى الزهري وأبو حنيفة وحميد الطويل وكثيرون غيرهم. توفي رحمه الله سنة اثنتي عشرة ومائة هـ.
تذكرة الحفاظ: 1/ 107، السيوطي، طبقات الحفاظ: 42.

شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾[1] أي مدة غدوها ومدة رواحها. واختلفوا في هذه الأشهر، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: إنها شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة. وأما من قال إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة، فليس باختلاف، لأن المراد بعض ذي الحجة، لأن الحج كله لا محالة في بعض هذه الأشهر لا في جميعها. ويجوز إضافته إلى جميع هذه الأشهر وإن كان هو في بعضها. ألا ترى أنك تقول: لقيت فلاناً سنة كذا، وأقمت يوم كذا تعني بعض المدة.

قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ أي من أوجب فيهن الحج بالتلبية أو ما يقوم مقامها من ذكر أو سوق الهدي فلا يرفث ولا يفسق، وهذا لفظ خبر بمعنى النهي، كما أن قوله: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾[2] و﴿يُرۡضِعۡنَ﴾[3] خبران لفظاً وأمران معنى. والرفث: قال ابن عباس: هو مراجعة النساء بذكر الجماع. والفسق: قال ابن عمر: هو ما نهى الله عنه في الإحرام، واختار بعضهم هذا القول، وقال: لو كان المراد به جميع المعاصي لكان لا يخص بالنهي عنها حالة الإحرام. وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين: المراد بها جميع المعاصي. وفائدة تخصيص حالته هذه بالنهي تعظيم حرمة هذه العبادة، كما يقال: لا تغتب في صومك. وكما قال ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن جهل عليه فليقل إني صائم**»[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ قال بعضهم: الجدال أن تجادل صاحبك حتى تغضبه أو يغضبك. وقيل: كانت قريش تقف بالمزدلفة، وكانت اليمن وربيعة تقف بعرفة خارج الحرم، وكان كل فريق منهم يجادل صاحبه في الموقف، فنزلت هذه الآية[5].

---

(1) سورة سبأ: 34، الآية: 12.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 228.
(3) سورة البقرة: 2، الآية: 233.
(4) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 4/ 612، رقم: 1904، كتاب الصوم، رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 8/ 28، باب ما يقول الصائم إذا شوتم.
(5) معالم التنزيل: 1/ 251 ـ 252.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ أي ما تفعلوا من أسباب الحج وترك الرفث والفسوق والجدال يعلمه الله أن يقبله منكم فيجزيكم عليه والله تعالى عالم من دون أن تفعلوا ولكن المراد به يعلمه الله مفعولاً، وكان من قبل يعلمه غير مفعول، وأراد تعالى بهذا الحث على فعل الخير ودل به على العدل إذ بين أنه لا يجازي العبد على ما يعلم منه وإنما يجازيه على ما يقع منه.

قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ أي تزودوا في سفر الحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسألة. نزلت في قوم كانوا يخرجون بأهاليهم بغير زاد ويتكلون على الناس ويسمون أنفسهم المتوكلة، يقولون: نحج بيت ربنا والله رازقنا وقيل: نزلت في قوم يتركون أزوادهم ويصيبون في حجهم من أهل الطريق ظلماً، فبين الله تعالى أن الزاد: هو أن تتقوا ما لا يحل لا أن تلقوا أزوادكم وتصيروا كلاً على الناس. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: وتزودوا من الطاعات واتقوني يا أولي الألباب فإن خير الزاد التقوى. ولا يمتنع أن يكون المراد به زاد الدنيا وزاد الآخرة، كأن الله تعالى حض على الزادين جميعاً. أمر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام، ولسفر الآخرة بالتقوى، فإن النجاة من هلكات سفر الدنيا بالزاد ومن سفر الآخرة بالعمل الصالح[1]. قال الشاعر[2]:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ∴ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثله ∴ وأنك لم ترصد كما كان أرصدا[3]

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 57، تفسير الطبري: 2/ 411.

(2) هو الأعشى ميمون بن قيس. تقدمت ترجمته.

(3) هذان البيتان من الطويل، من قصيدة تبلغ أربعة وعشرين بيتاً يزعمون بأن الأعشى مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم. والروايات تحكي بأن الأعشى لم يعتنق الإسلام، وأنه أراده وصدّته قريش عن رغبته، فمات قبل أن يحقق رغبته.
ويظهر في القصيدة التأثر بالقرآن الكريم في أكثر نصوصها، حتى كأن الأعشى اعتنق الإسلام وأتقن تعاليمه.

واختلف العلماء في جواز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج. فروى عن ابن عباس وجابر وعطاء ومجاهد وعكرمة أنهم قالوا: لا يحرم الرجل بالحج قبل أشهر الحج. وقال عطاء: من فعل ذلك فليجعلها عمرة. وقال الشافعي: تكون عمرة. وعن إبراهيم النخعي: جواز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، ومالك والليث[1] والثوري، وحجتهم قوله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[2] وهذا عموم في كون الأهلة كلها وقتاً للحج. ومعلوم أن الأهلة ليست بميقات لأفعال الحج فوجب أن يكون حكم ذلك اللفظ مستعملاً في إحرام الحج. وأما قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ فيحتمل أنه توقيت لأفعال الحج، فإن من قدم مكة قبل أشهر الحج محرماً وطاف وسعى لم يكن ذلك السعي معتداً به من الحج. وذهب بعض أصحابنا إلى أن قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ توقيت لاستحباب الإحرام، لأنه إذا قدم الإحرام على شوال امتد مكثه في الإحرام واضطر إلى شيء من محرمات الإحرام.

فصل: والنصب في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ على التنزيه، ويقرأ بالرفع والتنوين، وكلا الوجهين جائز في كلام العرب. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فأكثر القراء على نصبه، ولم ينقل فيه الرفع والتنوين إلا في رواية شاذة[3]. ومن رفع الرفث والفسوق جعل ما بعده كلاماً مبتدأ.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ روي

= والمعنى: يقول الشاعر: إذا أنت لم تتزود من دنياك بالعمل الصالح، ولقيت بعد الموت من تزود. ندمت على ما فرط منك، ووددت لو أنك تزودت كما تزود، وأخذت عدتك للذي أعد. (ديوان الأعشى، النص: 17، السيرة النبوة، لابن هشام: 1/ 387، شرح شواهد الكشاف: 4/ 368، ابن كثير، البداية والنهاية: 3/ 102).

(1) أبو الحارث، الليث بن سعد الفهمي: إمام أهل مصر في عصره، فقيه محدث ثقة، أصله من خراسان. توفي رحمه الله بالقاهرة سنة خمس وستين ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 7/ 517، تذكرة الحفاظ: 1/ 224، وفيات الأعيان: 4/ 127.

(2) سورة البقرة: 2، الآية: 189.

(3) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 118.

عن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأله فقال: إني لأكري إبلي إلى مكة أفيجزىء عن حجي؟ فقال: أو لست تلبي، وتقف بعرفات، وترمي الجمار؟ قال: بلى. قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ما تسألني عنه، فلم يجبه حتى أنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فقال ﷺ: «**أنتم حجاج**»[1]. ومعنى الآية: ليس عليكم جناح أن تطلبوا رزقاً في التجارة في أيام الحج. وكان ابن عباس يقرؤها: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا كان يوم عرفة غفر الله للحاج الخالص، وإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجار، وإذا كان يوم منى غفر الله للجمالين، وإذا كان عند جمرة العقبة غفر الله للسؤَّال، ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن قال: لا إله إلا الله إلا غفر له**»[3].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ معناه: إذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله باللسان عند المشعر الحرام، وهو الجبل الذي يقف عليه الناس بالمزدلفة.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي اذكروه بالثناء والتوحيد والشكر ذكراً مثل هدايته إياكم، أي ذكراً يكون جزاء لهدايته.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي وإن كنتم من قبل هدايته إياكم لمن الضالين عن الهدى. وقيل: إن المراد بالذكر الأول في هذه الآية: صلاة المغرب والعشاء اللتين يجمع بينهما في وقت العشاء بالمزدلفة، والمراد بالذكر الثاني هو الذكر المفعول بالمزدلفة غداة الجمع في موقف المزدلفة. فعلى هذا يكون الذكر الأول غير الثاني. وقد تسمى الصلاة ذكراً على معنى أن الذكر ركن من أركانها. والإفاضة هي: الدفع بالكثرة، يقال:

---

(1) تفسير القرطبي: 2/ 414، تفسير الطبري: 4/ 164.
أخرجه الحاكم في المستدرك: 1/ 449.

(2) تفسير القرطبي: 2/ 413.

(3) ذكره القرطبي في تفسيره: 2/ 420.

أفاض القوم في الحديث إذا تدافعوا فيه وأكثروا التصرف. وأفاض الرجل إناءه: إذا صبه. وفاض الإناء: إذا انصب منه الماء للامتلاء. وأفاض البعير بجرته: إذا رمى بها متفرقة كثيرة. وعرفات جمع عرفة: وهي مكان واحد ذكرها بلفظ الجمع وأراد به جميع أجزائها. وسميت عرفات لارتفاعها من نشر الأرض. وقيل سميت بذلك: لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد التفاقد، ويقال: لأن جبريل عرفها إبراهيم عليه السلام ليقف عليها حين كان يعلِّمه أمر المناسك. فقال إبراهيم «عرفت»[1]. وقال بعضهم: سميت بذلك لأن الناس يعترفون في هذا اليوم على ذلك الموقف بذنوبهم. وقيل: هي مأخوذة من العرف وهو الطيب، قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[2] أي طيبها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿199﴾﴾ قال عامة المفسرين: كانت قريش وحلفاؤها ومن دان بدينها، وهم الحمس، لا يخرجون من الحرم إلى عرفات، وكانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وسكان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه فلسنا كسائر الناس. كانوا يتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، ويقول بعضهم لبعض: لا تعظموا إلا الحرم، فإنكم إن عظمتم غير الحرم تهاون الناس بحرمكم فقفوا بجمع. فإذا أفاض الناس من عرفات أفاضوا من المشعر وهو المزدلفة. فأمر الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى المزدلفة مع سائر الناس، فيكون المراد بالإفاضة في هذه الآية على هذا القول: الإفاضة من عرفات. وكان سائر الناس غير الحمس يقفون بعرفات، فأنزل الله هذه الآية، وأمر قريشاً وغيرهم من الحمس أن يقفوا بعرفة حيث يقف الناس ويدفعوا عنها معهم[3]. وإنما ذكر الناس وأمر قريشاً بالإفاضة من حيث أفاض الناس، لأن قريشاً ومن دان دينها كانوا قليلاً بالإضافة إلى سائر الناس. قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ على هذا التأويل راجع إلى أول الكلام، كأنه قال: فمن فرض فيهن

---

(1) تفسير الطبري: 4/ 173.
(2) سورة محمد: 46، الآية: 6.
(3) تفسير القرطبي: 2/ 428.

الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا قضيتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام. فيكون في الآية تقديم وتأخير. ويكون الأمر بالإفاضة عطفاً على الإحرام دون الإفاضة من عرفات، فكأنه قال: أحرموا كما أمركم الله ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس. وعلى هذا التأويل جمهور المفسرين. وقال الضحاك: معنى الآية: ثم أفيضوا من المزدلفة التي تفيض منها قريش. وإنما ذهب الضحاك إلى أن المراد الإفاضة في هذه الآية: الإفاضة من المزدلفة، لأن الله عطف على هذه الآية على الإفاضة من عرفات، فعلم أن المراد بهذه الإفاضة: الإفاضة من المزدلفة، إلا أن عامة المفسرين على الوجه الأول. والمراد بقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ هم العرب كلهم غير الحمس. وقال الكلبي: هم أهل اليمن. وقال الضحاك: الناس هنا إبراهيم عليه السلام وحده، لأنه كان الإمام المقتدى به فسماه الله تعالى ناسكاً، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[1] وقد يسمى الرجل الواحد باسم الناس كما قال تعالى: ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾[2] يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[3] يعني: نعيم بن مسعود الأشجعي[4] ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾[5] يعني أبا سفيان[6]. وإنما يقال هذا لمن هو يقتدى به أو يكون لسان قومه

(1) سورة النحل: 16، الآية: 120.

(2) سورة النساء: 4، الآية: 54.

(3) سورة آل عمران: 3، الآية: 173.

(4) نعيم بن مسعود الأشجعي: كان ذا مكانة عظيمة في قومه، وله حلفاء من يهود المدينة، ثم هداه الله إلى الإسلام أيام غزوة الأحزاب، فأسلم وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكلفه بعمل يكفر به ما ارتكب ضد المسلمين. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «الحرب خدعة خذِّل ما استطعت». وبعد ذلك حسن إسلامه وأصبح جندياً من جنود المسلمين المخلصين إلى أن توفاه الله في خلافة عثمان.
الاستيعاب: 4/ 1508، الطبقات الكبرى: 4/ 277، السيرة النبوية لابن هشام: 3/ 229.

(5) سورة آل عمران: 3، الآية: 173.

(6) أبو سفيان، صخر بن حرب بن أمية: صحابي، من سادات قريش في الجاهلية، أسلم عام الفتح وأبلى بلاء حسناً بعد إسلامه. شهد حنيناً والطائف. توفي رحمه الله بالمدينة سنة إحدى وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 714، الطبقات الكبرى: 4/ 49، الأعلام: 3/ 201.

وإمامهم. وقال الزهري: الناس هٰهنا آدم عليه السلام، ودليله قراءة سعيد بن جبير: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ بالياء[1]، يعني آدم، وقال: لأنه نسي ما عهد إليه. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: استغفروا الله هنالك من ذنوبكم. أي في مواطن الحج، فإن الدعاء في تلك المواطن جدير بالإجابة. وقال بعضهم: هذا خطاب للحمس أمرهم الله بالاستغفار من كان منهم في الجاهلية من مخالفة أمره بترك الوقوف بعرفات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب العباد إذا تابوا، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بعد التوبة. ويقال: معناه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للحجاج. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الحجاج والعمار وفد الله تعالى، إن دعوا أجابهم، وإن استغفروا غفر لهم**»[3]. وقال ﷺ: «**اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحجاج**»[4]. وقد اختلف العلماء في الوقوف بالمزدلفة، فذهب أكثرهم إلى أنه ليس بركن، على ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قدم ضعفة أهله بليل. وفي بعض الأخبار أنه قدم أغيلمة بني عبد المطلب بليل، وجعل يلطخهم بيده ويقول: «**أي بني لا ترموا جمرة العقبة إلا مصبحين**»[5]. فلو كان الوقوف بها فرضاً لما رخص في تركه للضعف كالوقوف بعرفة.

قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿200﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿201﴾

(1) تفسير القرطبي: 2/ 428.
(2) سورة طه: 20، الآية: 155.
(3) رواه المنذري في: الترغيب والترهيب: 3/ 9، رقم: 1627.
(4) نفسه، رقم: 1628.
(5) رواه النسائي في سننه: 5/ 220، باب النهي عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ﴾ أي إذا فرغتم من متعبداتكم فاذكروا الله عز وجل بالخير كذكركم آباءكم بل أشد ذكراً، وذلك أنهم كانوا يقفون بعد قضاء المناسك يوم النحر بين المسجد الذي بمنى وبين الجبل يتناشدون الأشعار ويتفاخرون بذكر فضائل آبائهم، فيقول أحدهم: يا رب إن عبدك فلان ـ يعني أباه ـ كان يفعل كذا وكذا من الخير. فأمرهم الله تعالى أن يذكروه، فهو الذي فعل ذلك الخير إلى آبائهم، وأن أياديه عندهم أكثر وأعظم من أيادي آبائهم عليهم. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد نزول هذه الآية: «**إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، إن الناس من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**». ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[1] الآية. وقال بعضهم: معناه اذكروا الله بالتوحيد كما تذكرون آباءكم بذلك، فإنكم لا ترضون أن تنسبوا إلى أبوين، فكذلك لا ترضون من أنفسكم باتخاذ إلهين. وعن عطاء والربيع والضحاك في قوله: ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ هو كقول الصغير أول ما يفقه الكلام: أبه، أبه: أي استغيثوا بالله وافزعوا إليه في جميع أموركم كما يفزع الصغير إلى أبيه في جميع أموره ويلهج بذكره[2]. وعن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ وقد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر أباه؟ فقال ابن عباس: ليس كذلك، ولكن أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما[3]. وأما وجه نصب «أشد» فقال الأخفش: اذكروه أشد ذكراً. وقال الزجاج: هو في محل الخفض ولكنه لا ينصرف لأنه صفة على وزن أفعل، ونصب «ذكراً» على التمييز[4].

---

(1) سورة الحجرات: 49، الآية: 13.
(2) تفسير الطبري: 4/ 198.
(3) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 122.
(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 274.

قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ نزلت في مشركي قريش كانوا يقولون في دعائهم في الحج: اللهم ارزقنا إبلاً وبقراً وغنماً وعبيداً وإماء وأموالاً، ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة والمغفرة، كانوا لا يرجون إلا نعيم الدنيا ولا يخافون البعث والنشور. فبين الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي من نصيب ولا ثواب. والمعنى: من يطلب بحجه أمور الدنيا لا يريد بذلك ثواب الله تعالى فلا نصيب له في ثواب الآخرة. وقال أنس بن مالك: كانوا يطوفون بالبيت عراة فيدعون ويقولون: اللهم اسقنا المطر، واعطنا على عدونا الظفر[1]. وقال قتادة: هذا العبد نوى الدنيا لها أنفق، ولها عمل، ولها نصب، فهي همه وسؤله وطلبه[2]. ثم بين الله تعالى دعاء المؤمنين بقوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ اختلفوا في معنى الحسنتين، فقال علي كرم الله وجهه: ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي امرأة صالحة، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الحور العين، ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ المرأة السوء. وقال الحسن: معناه آتنا في الدنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة الجنة. وقال السدي: معناه آتنا في الدنيا رزقاً حلالاً واسعاً وعملاً صالحاً وفي الآخرة مغفرة وثواباً[3]. وقال عطية[4]: معناه آتنا في الدنيا حسنة العلم والعمل به، وفي الآخرة تيسير الحساب ودخول الجنة[5]. وقال مجاهد: معنى الحسنة النعمة، فكأنهم سألوا الله نعمة الدنيا والآخرة، وأن يقيهم عذاب النار. وقيل: معناه آتنا في الدنيا التوفيق والعصمة وفي الآخرة النجاة والرحمة. وقيل: معناه آتنا في الدنيا أولاداً أبراراً وفي الآخرة مرافقة الأنبياء. وقيل: معناه آتنا في الدنيا الدين واليقين وفي الآخرة اللقاء والرضا. وقيل: معناه آتنا في الدنيا الثبات على

---

(1) تفسير الطبري: 4/ 202.
(2) نفس المرجع السابق.
(3) تفسير البغوي: 1/ 258.
(4) أبو الحسن، عطية بن سعد بن جنادة العوفي: من رجال الحديث كان يعد من شيعة أهل الكوفة، وتوفي بها سنة إحدى عشرة ومائة.
الطبقات الكبرى: 6/ 212، تهذيب التهذيب: 7/ 224.
(5) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 122.

الإيمان وفي الآخرة السلامة والرضوان. وقيل: معناه آتنا في الدنيا الإخلاص وفي الآخرة الخلاص. وقيل: معناه آتنا في الدنيا حلاوة الطاعة وفي الآخرة لذة الرؤية. وقال قتادة: معناه آتنا في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية، دليل ذلك ما روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضاً قد أضنى ونحل جسمه حتى صار كالفرخ المنتوف، فقال له النبي ﷺ: «**هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأل الله شيئاً**»؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال: «**سبحان الله! إنك لا تستطيعه ولا تطيقه، إنك ضعيف ولا تستطيع أن تقوم بعذاب الله. هلا قلت:** ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿200﴾﴾» فدعا الرجل بذلك فشفاه الله عز وجل وأبرأه من مرضه[1]. وقال سهل بن عبد الله[2]: معنى الآية ربنا آتنا في الدنيا السنة وفي الآخرة الجنة[3]. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: عند الركن اليماني ملك قائم منذ خلق الله السماوات والأرض يقول آمين، فإذا مررتم به فقولوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. وقال عوف في هذه الآية: من آتاه الله الإسلام والقرآن ومالاً وولداً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. روى أن قوماً قالوا لأنس بن مالك ادع لنا فقال: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فقالوا: زدنا، فأعادها، فقالوا: زدنا. فأعادها. فقالوا: زدنا. فقال: ما تريدون؟ قد سألت الله لكم خير الدنيا والآخرة. قال أنس: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها، يقول: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[4].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 17/ 13، كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، وأحمد في المسند: 3/ 107، رقم: 12074.

(2) أبو محمد، سهل بن عبد الله بن يونس التستري: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص، له كتاب في التفسير مختصر، وكتاب «رقائق المحبين». توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين هجرية.
طبقات الصوفية: 206، حلية الأولياء: 1/ 189، وفيات الأعيان: 1/ 218.

(3) تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 123.

(4) نفس المرجع السابق.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿202﴾﴾ معناه: إن الذين يسألون الله تعالى الدنيا والآخرة لهم حظ ونصيب من الثواب والخير والجزاء اكتسبوه في حجهم. وفي هذا بيان استجابة دعائهم على القطع. وعن ابن عباس في هذه الآية: أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبي مات ولم يحج، أفأحج عنه؟ قال: «**أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أما كان ذلك يجزي**»؟ قال: نعم. قال: «**فدين الله أحق أن يقضى**». قال: فهل لي من أجر[1]؟ فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾. يعني من حج عن ميت كان الأجر بينه وبين الميت. وقال سعيد بن جبير: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني أكريت دابتي واشترطت عليهم أن أحج فهل يجزيني ذلك؟ فقال: أنت من الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني إذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد، ولا وعي صدر، ولا روية ولا فكر. وقال الحسن: أسرع من لمح البصر. وفي الخبر: إن الله تعالى يحاسب العباد في قدر حلب شاة، وإن محاسبة الله تعالى ليست كمحاسبة الناس بعضهم لبعض، يحاسبهم جميعاً في لحظة واحدة يظن كل واحد أنه يحاسبه خاصة لا يشغله شيء عن شيء. ومعنى الحساب: تعريف الله تعالى عباده مقادير الجزاء[2] على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه، فدل عليه قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾[3]. وقيل: معنى ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: أي سريع المجازاة. وفيه إخبار عن سرعة فناء الدنيا وقيام الساعة.

قوله تعالى:

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿203﴾﴾.

---

(1) رواه النسائي في سننه: 5/ 89، باب تشبيه قضاء الحج بقضاء الدين.
(2) في النسخة (ف): الخير.
(3) سورة المجادلة: 58، الآية: 6.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي يعني اذكروا الله بالتكبير أدبار الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة، وغيرها من الأوقات. واختلفوا في الأيام المعدودات، فروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والنخعي أن الأيام المعدودات: أيام التشريق، والأيام المعلومات: أيام العشر من ذي الحجة. وهكذا روي عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد. وروي أيضاً عن ابن عباس أن الأيام المعدودات: أيام العشر، والأيام المعلومات: أيام النحر. ولا شك أن في هذه الرواية غلطاً وهي خلاف الكتاب، لأن الله تعالى عقب الأيام المعدودات بقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث، وعن أبي يوسف أن المعلومات: أيام النحر، والمعدودات: أيام التشريق. قال هذا القول استدلالاً من الآيتين لأن الله تعالى قال في ذكر الأيام المعلومات: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾[1]، وقال في هذه الآية: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾. فيوم النحر على هذه الرواية من المعلومات دون المعدودات، وآخر أيام التشريق من المعدودات دون المعلومات، واليوم الثاني والثالث من أيام النحر من المعلومات والمعدودات جميعاً. والجواب عن استدلال أبي يوسف من الآيتين، أن لفظ المعلومات يقتضي الشهرة، ولفظ المعدودات يقتضي تقليل العدد كما في قوله تعالى: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[2] فاقتضى الظاهر أن المعدودات أقل من المعلومات. ويحتمل أن يكون معنى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾[3] لما رزقهم الله، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[4] أي لما هداكم، فكأن الله تعالى أراد بالمعلومات أيام العشر، لأن فيها يوم النحر وفيه الذبح، ويكون ذلك اليوم بتكرار شيئين عليه أياماً. وأما الذكر المذكور في هذه الآية فهو الذكر عند رمي الجمار في أيام التشريق. وقال

---

(1) سورة الحج: 22، الآية: 28.
(2) سورة يوسف: 12، الآية: 20.
(3) سورة الحج: 22، الآية: 28.
(4) سورة البقرة: 2، الآية: 185.

بعضهم: هو التكبير في أدبار الصلوات، في هذه الأيام يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق عند جماعة من الفقهاء[1]. والتأويل الأول أصح وأقرب إلى ظاهر القرآن، لأن الله عقب الذكر في هذه الآية بقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، أي من تعجل الرجوع إلى أهله فلا إثم عليه في ترك الرمي في اليوم الثالث، ومن تأخر إلى آخر النفر وأقام هناك في اليوم الثالث ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي لمن اتقى الإثم والفسوق والتفريط في حقوق الحج كلها، وأما من لم يتق فغير موعود له الثواب. وقال ابن عمر، وابن عباس، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والنخعي، والسدي: معنى الآية فمن تعجل في يومين من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني فلا إثم عليه في تعجيله، ومن تأخر عن النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق إلى اليوم الثالث حتى ينفر في الثالث فلا إثم عليه في التأخير، فإن لم ينفر في اليوم الثاني وأقام حتى تغرب الشمس فليقم إلى الغد من اليوم الثالث فيرمي الجمار ثم ينفر مع الناس[2]. وقال بعضهم: معنى الآية فمن تعجل في يومين فهو مغفور له لا إثم عليه ولا ذنب، ومن تأخر فكذلك، وهو قول علي بن أبي طالب، وأبي الدرداء، وابن مسعود، والشعبي. قال معاوية بن قرة[3]: خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[4]. وقال إسحاق بن يحيى[5]: سألت مجاهداً عن ذلك

---

(1) تفسير الطبري: 4/ 216 ـ 217.

(2) تفسير الطبري: 4/ 216 ـ 217.

(3) أبو إياس، معاوية بن قرة البصري: كان ثقة، له أحاديث، روى عن أبيه وعبد الله بن مغفل وغيرهما. وعنه ابن إياس وثابت البناني وغيرهما. توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 7/ 221، تهذيب التهذيب: 10/ 216.

(4) تفسير الطبري: 4/ 218 وما بعدها.

(5) إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، روى عن المسيب بن رافع، وحدث عنه ابن المبارك وغيره.
ميزان الاعتدال: 1/ 204.

فقال: معناه فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه إلى قابل، ومن تأخر فلا إثم عليه إلى قابل[1].

قوله تعالى: ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ قال الكلبي: معناه لمن اتقى قتل الصيد، فإنه لا يحل له أن يقتل صيداً حتى يخلف أيام التشريق. وقال قتادة: معناه لمن اتقى أن يصيب في حجته شيئاً مما نهى الله عنه. وقال أبو العالية: معناه فلا إثم عليه لمن اتقى الله فيما بقي من عمره. وكان ابن مسعود يقول: إنما جعل مغفرة الذنوب لمن اتقى الله في حجه. قال ابن جريج: وهي في مصحف عبد الله: فلا إثم عليه لمن اتقى الله. وعن ابن عباس: معناه لمن اتقى عبادة الأوثان ومعاصي الله[2]. فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ومعلوم أن من تأخر فإنما تأخر لإقامة واجب فلا يليق بحاله أن يقال: فلا إثم عليه، بل يليق أن يقال: ومن تأخر كان أعظم لأجره. قيل هذا على مزاوجة الكلام. وقيل: إن رمي الجمار لا يجوز أن يكون تطوعاً، إذ المشتغل به يكون عابثاً، فلما قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليوم الثالث تطوعاً، لأن هذا تخيير بين فعله وتركه، فقال تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ليبين أن هذا واجب، خير بين فعله وتركه.

فصل: والأيام المسماة في الحج ستة أيام: يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم القر، ويوم النفر، ويوم الصدر. سمي يوم التروية لأن جبريل قال لإبراهيم عليه السلام فيه احمل ريك من الماء؛ وأما عرفة فقد ذكرنا لم سمي به؛ ويوم النحر معلوم؛ ويوم القر لاستقرار الناس بمنى؛ ويوم النفر لأنهم ينفرون من منى إلى مكة؛ ويوم الصدر يصدرون إلى أهاليهم. ورمي الجمار مشروع في يوم القر والنفر والصدر، وهي أيام التشريق.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ هذا أمر لهم بالتقوى

---

(1) تفسير الطبري: 4/ 220.
(2) تفسير القرطبي: 3/ 14، تفسير البغوي: 1/ 262.

في مستقبل أعمارهم، أي لا تتكلوا على ما أسلفتم من أعمال البر ولكن زيدوا في الطاعة في باقي العمر. وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم، إذ الحشر إنما يكون للمجازاة. ومن تصور أنه لا بد من حشر ومحاسبة ومساءلة، ولا بد من أحد أمرين إما الجنة وإما النار يدعوه ذلك إلى التقوّي والتشديد. والحشر في اللغة: هو الجمع للناس من كل ناحية. والمحشر هو: المجمع، فيكون معنى الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي تجمعون.

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿204﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿205﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿206﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿207﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿204﴾﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق[1]، كان حسن المنظر حلو الكلام فاجر السريرة حلافاً شديد الخصومة في الباطل، وكان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر له الحسن، ويحلف بالله أنه يحبه ويتبعه على دينه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه، وكان يدنيه من مجلسه، فأظهره الله تعالى على نفاقه[2] ومعنى الآية: ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه، أي تفرح بإظهاره الإيمان وتسر بقوله، ويشهد

(1) أبو ثعلبة، الأخنس بن شريق الثقفي: كان حليفاً لبني زهرة مطاعاً فيهم، رجع ببني زهرة عن غزوة بدر لأنهم خرجوا لنجدة العير وقد نجت فسمي الأخنس. أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم، وتوفي في خلافة عمر.
أسد الغابة: 1/ 50، سيرة ابن هشام: 2/ 619.

(2) تفسير الطبري: 4/ 229، أسباب النزول، للواحدي: 59.

الله على ما في قلبه، أي ويقول: والله شهيد على ما في قلبي كما هو على لساني من الإيمان. وقوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ أي شديد الخصومة والجدل بالباطل. والألد مأخوذ من لدتي العنق وهما صفحتاه، وتأويله أنه خصم في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة من يمين أو شمال غلب في ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي إذا أعرض الأخنس عنك يا محمد وفارقك أسرع مشياً في الأرض ليعصي فيها ويضر بالمؤمنين وليهلك ما قدر عليه من زرع ونسل ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي لا يرضى المعاصي. روي أن الأخنس خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم، فمر بزرع فأحرقه، وبحمار فعقره. فنزلت هذه الآية بما فيها من الوعيد فحسبه جهنم، وصارت عامة في جميع المفسدين[1]. وقيل: معنى الآية ليفسد فيها، أي ليوقع الفتنة بين الناس فيشتغلوا عن الزراعة وعن أعمالهم، فيكون في ذلك هلاك الحرث والنسل. وقيل: يخيف الناس حتى يهربوا من شره فتخرب الضياع وينقطع نسل الناس والدواب. وفي معنى هذه الآية تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق، وأمرنا بالاحتياط في أمر الدين والدنيا حتى لا يقتصر على ظاهر أمر الإنسان خصوصاً فيمن هو ألد الخصام، ومن ظهرت منه دلائل الريبة. ولهذا قالوا: إن علينا استبراء حال من نراه في الظاهر أهلاً للقضاء والشهادة والفتيا والأمانة، وأن لا يقبل منهم ظاهرهم حتى يسأل عنهم ويبحث عن أمرهم، إذ قد حذر الله تعالى أمثالهم في توليهم على أمور المسلمين. ألا ترى أنه عقَّبه بقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ فيحتمل أن يكون المراد بالتولي: أن يتولى أمراً من أمور المسلمين فأعلم الله بهذه الآية أنه لا يجوز الاقتصار على الظاهر دون الاحتياط والاستبراء.

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 263، الواحدي، أسباب النزول: 59.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ أي إذا قيل لهذا المنافق احذر عقوبة الله ولا تفسد أخذته المنعة والحمية والأنفة بسبب الإثم الذي فيه، والكفر الذي في قلبه، يعني أنه تكبر وقال: أمثلي من يقال له: اتق الله؟ ويقال: حملته العزة فعل ما يوجب الإثم.

قوله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ أي: كفاه النار في الآخرة عقوبة ونكالاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي لبئس القرار النار. والمهاد: الفراش الوطيء للنوم كما يمهد للطفل، فلما كان المعذب يلقى في نار جهنم جعل ذلك مهاداً له، على معنى أن جهنم للكافر مكان المهاد للمؤمن في الجنة. ويحكى أن يهودياً كانت له حاجة إلى هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه زماناً لم تقض حاجته، فوقف يوماً على الباب فلما خرج هارون سعى بين يديه، فقال له: اتق الله يا أمير المؤمنين. فنزل هارون عن دابته وخرّ ساجداً، فلما رفع رأسه أمر بحاجته فقضيت، فقيل له: يا أمير المؤمنين نزلت عن دابتك لقول يهودي. قال: لا، ولكن ذكرت قول الله[1]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في صهيب بن سنان[2]، وعمار بن ياسر، وأمه سمية[3]،

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 19.

(2) أبو يحيى، صهيب بن سنان بن مالك النمري: صحابي من السابقين إلى الإسلام، كان يشتغل بالتجارة فربح مالاً وفيراً، وعندما أراد الهجرة فاعترضه المشركون تنازل لهم عن ماله وهاجر، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وله في كتب السنة أحاديث كثيرة. توفي رحمه الله سنة ثمان وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 726، الطبقات الكبرى: 3/ 226، حلية الأولياء: 1/ 151، صفة الصفوة: 1/ 430.

(3) سمية، أم عمار بن ياسر: كانت أمة لأبي حذيفة، ثم تزوجت ياسر بن عامر بن مالك فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة، وكانت ممن عذب في الله فصبرت على الأذى حتى استشهدت حين طعنها أبو جهل بحربته.
الاستيعاب: 4/ 1864.

وأبيه ياسر[1]، وبلال[2]، وخباب بن الأرت[3] وغيرهم ـ أخذهم المشركون في طريق مكة فعذبوهم؛ فأما صهيب فقال لهم: أنا شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أو من عدوكم أعطيكم جميع مالي ومتاعي وذروني وديني أشتريه منكم بمالي ففعلوا فأعطاهم ماله وتوجه إلى المدينة. فلما دخل المدينة لقيه أبو بكر فقال: ربح البيع يا صهيب. قال: وبيعك فلا يخسر. وما ذاك يا أبا بكر؟ فأخبره بما أنزل فيه[4] وهو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾. وأما سمية وياسر فقتلا وكانا أول قتيلين قتلا من المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكة: «**اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**». وأما الآخرون فإنهم أعطوا على العذاب بعض ما أراد المشركون من كلمة الكفر وسب الإسلام، فكانت قلوبهم مطمئنة بالإيمان فتركوا وقدموا المدينة وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[5]. ومعنى قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ على هذا التأويل الذي ذكرناه، أي ومن الناس من يشري نفسه ودينه بماله. وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا في هذه الآية: هو الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن

---

(1) أبو عمار، ياسر بن عامر بن مالك العنسي: قدم من اليمن، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، واعتنق الإسلام هو وأسرته في بداية ظهوره، فكان من السابقين الأولين، الذين كان يمر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: «صبراً آل ياسر».
الاستيعاب: 4/ 1588.

(2) أبو عبد الله، بلال بن رباح الحبشي: من السابقين الأولين في الإسلام، كان مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وخازنه على بيت ماله. شهد مع الرسول المشاهد كلها. روى له البخاري ومسلم وغيرهما. توفي رحمه الله سنة عشرين هجرية.
الاستيعاب: 1/ 178، أسد الغابة: 1/ 243، الطبقات الكبرى: 3/ 232.

(3) أبو عبد الله، خباب بن الأرت التميمي: صحابي جليل من السابقين في الإسلام، كان يعمل السيوف في مكة. وعندما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه، فصبر ثم هاجر إلى المدينة وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، ثم نزل الكوفة وتوفي بها سنة سبع وثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 437، الطبقات الكبرى: 3/ 164، شذرات الذهب: 1/ 47.

(4) الواحدي، أسباب النزول: 59.

(5) سورة النحل: 16، الآية: 106.

المنكر فيقتل عليه[1]. فعلى هذا معنى قوله: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أي يبيع نفسه، أي يبذلها في الجهاد في سبيل الله، وهذا من أسماء الأضداد.

قال الشاعر[2] في شريت بمعنى بعت:

وشريت برداً ليتني ∴ من بعد برد كنت هامه[3]

أي: هلكت.

قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ نصب على أنه مفعول له كأنه قال: لابتغاء مرضات الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي: رحيم بهم يرغبهم في الخير ويثيبهم عليه رأفة بهم، ويقال إنه لرأفته بهم ورحمته أمرهم ببيع أنفسهم لكي ينالوا من كريم ثوابه ما هو خير لهم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿208﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿209﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿210﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فيمن أسلم من أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم عظموا السبت وكرهوا لحوم الإبل وألبانها، واتقوا أشياء

---

(1) تفسير الطبري: 4/ 250، الواحدي، أسباب النزول: 60.

(2) أبو عثمان، يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية المجيدين. روهن على سقاء لبن فشربه لذلك لقب مفرغاً. توفي سنة تسع وستين هجرية. الشعر والشعراء: 276، البيان والتبيين: 2/ 36 الخزانة: 4/ 335.

(3) هذا البيت من مجزوء الكامل، من قصيدة ليزيد بن مفرغ قالها حين كان بخراسان مع عباد بن زياد، فاضطر لبيع غلامه «برداً» وجاريته «الأراكة»، وكان يزيد قد أحسن تربيتهما وأحبهما حباً شديداً حتى أثر عليه بيعهما، فأخذ يقول هذا الشعر وتمنى لنفسه الموت. (سيرة ابن هشام: 3/ 175 ـ الزجاج، معاني القرآن: 1/ 278، شواهد الكشاف: 4/ 519).

كانوا يتقونها قبل أن يسلموا، وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل. فأنزل الله هذه الآية، وأمرهم أن يدخلوا في جميع شرائع محمد صلى الله عليه وسلم[1]. ومعناها: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة أي في الإسلام. وقال مجاهد: في أحكام الدين وأعماله. وأصله من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل للصلح سلم. وقال حذيفة في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والعمرة سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم. وقد خاب من لا سهم له[2]. وقال الحسن رضي الله عنه: معنى الآية يا أيها الذين آمنوا تكلموا بكلمة الإيمان، أي أقيموا على الإيمان. حث الله تعالى بهذه الآية جميع المؤمنين على الإسلام والطاعة كفعل من يشري نفسه. ألا تراه بعد ذلك قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي لا تفعلوا ألد الخصام، وقيل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي لا تقتفوا آثاره، لأن ترككم شيئاً من شرائع الإسلام اتِّباع للشيطان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي إنه عدو لكم ظاهر العداوة. فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وهو لم يبد لنا شخصه؟ قيل: قد كان أبدأ العداوة لأبينا آدم عليه السلام حين امتنع من السجود له، وقال: أنا خير منه، فكان إبداؤه وإظهاره العداوة لأبينا آدم إبداء وإظهاراً لنا.

قوله تعالى: ﴿كَافَّةً﴾ أي جميعاً، مأخوذ من كففت الثوب أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض. ومعنى كافة في اللغة: مشتق من كفَّ الشيء يكفه أي يمنعه. وسميت الراحة مع الأصابع كفاً لأنها يكف بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف، أي كف بصره عن النظر. ومنه قيل لحاشية القميص كفة، لأنها تمنع من أن ينشر وكل مستطيل فحرفه كفة ـ بالضم ـ وكل مستدير فحرفه كفة ـ

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 60..

(2) تفسير القرطبي في تفسيره: 3/ 23 بنصه.
رواه المنذري في: الترغيب والترهيب: 2/ 100، رقم: 1076.

بالكسر ـ نحو كفة الميزان. واختلف القراء في السلم، فقرأ ابن عباس والأعمش: السلم ـ بكسر السين هنا، وفي الأنفال وسورة محمد وقرأ أهل الحجاز والكسائي بالفتح. وقرأ حمزة وخلف في الأنفال بالفتح. وسائرها بالكسر. وقرأ الباقون هنا بالكسر والباقي بالفتح. وهما لغتان[1].

قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿209﴾﴾ أي إن عدلتم عن الطريق المستقيم بالخروج عن طاعة الله إلى المعصية. فقال ابن عباس: معناه فإن ملتم إلى أول شريعتكم من تحريم لحوم الإبل والسبت من بعدما جاءتكم البينات، أي الدلالات والحجج، يعني محمداً النبي صلى الله عليه وسلم وشرائعه ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي غالب بالنقمة لا يعجزه شيء من ذلك. وقوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ أي محكم في الفعل حكيم في أمره. ويقال: عالم ذو حكمة فيما شرع لكم من دينه. وقال ابن حبان: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ أي: فإن أخطأتم. وقال السدي: فإن ضللتم. وقال ابن عباس: يعني الشرك[2]. وقرأ أبو السمال العدوي: إن زللتم ـ بكسر اللام[3]. وفي هذه الآية تشبيه العصيان بزلة القدم.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ افترق الناس في تفسير هذه الآية على أربعة أقوال: فرقة منهم يتأولونها على ظاهرها ويصفون الله بالإتيان الذي هو زوال من مكان إلى مكان، وهذا القول غير مرضي تعالى الله عنه؛ وفرقة يفسرون الإتيان تفسيراً مجملاً لا يعدون ظاهر اللفظ يقولون: يأتي كيف شاء بلا كيف. وهذا القول أيضاً غير مرض؛ وأما الفرقتان الأخريان من أهل السنة والجماعة فإحداهما لا يفسرون هذه الآية، ويقولون: نؤمن بظاهرها ونسكت عن الخوض في معناها لما فيه من الاشتباه والتشبيه. وقال الكلبي: هذا من المكتوم الذي لا يفسر. وقال ابن عباس: نؤمن بها ولا نفسرها كما قال تعالى في المتشابهات: ﴿وَمَا

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 287، تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 128.
(2) تراجع هذه الأقوال في: تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 128.
(3) ابن جني، المحتسب: 1/ 122.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وأما الفرقة الرابعة: فيفسرونها ويردون مثل هذه المتشابهات إلى الآيات المحكمات، ويقولون معناها: ما ينظر الكفار بعد قيام الحجة عليهم إلا أن يأتيهم أمر الله وهو الحساب أو أن يأتيهم عذاب الله، لأن الإتيان لفظ مشتبه يحتمل حقيقة الإتيان ويحتمل إتيان الأمر. وقد قامت الدلالة على أن الله تعالى لا يجوز عليه الإتيان والمجيء والانتقال والزوال. لأن ذلك من صفات الأجسام والمحدثين، والله تعالى منزه عن ذلك. قال علي رضي الله عنه: من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد ألحد، لأنه لو كان من شيء لكان محدثاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان على شيء لكان محمولاً. وإذا كان لفظ الإتيان مشتبهاً وجب رده إلى المحكم، نحو قوله تعالى في سورة النحل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[2] وقال بعضهم: معناه: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة، فتكون «في» بمعنى «الباء»، فعلى هذا التأويل زال الإشكال وسهل الأمر. وأما ذكر الظلة في الآية فلأن الهول إذا بدأ من الظلة المظلمة من السحاب كان أعظم وأشد يدل عليه قوله تعالى في قصة شعيب: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]. قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قرأ أبو جعفر بخفض الملائكة عطفاً على الغمام[4]، أي: وظلل من الملائكة، أي جماعة من الملائكة وسماهم الله ظللاً لأن الملائكة لا تسير بالأقدام ولكنها تطير بالأجنحة كما يطير الطير. ومن قرأ «والملائكة» ـ بالرفع فهي قراءة الجمهور والإجماع، تقديره: وتأتيهم الملائكة في ظلل، يدل عليه قراءة أبي وعبد الله: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام. والغمام: هو السحاب الرقيق الأبيض، سمي بذلك لأنه يغم، أي يستر.

(1) سورة آل عمران: 3، الآية: 7.
(2) الآية: 33.
(3) سورة الشعراء: 26، الآية: 189.
(4) تفسير القرطبي: 3/ 25.

قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي أمضي الحكم بإنزال الفريقين منازلهم من الجنة والنار.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي عواقب الأمور ومصير الخلائق إلى الله تعالى. ومن قرأ برفع التاء فعلى ما لم يسم فاعله، ومن قرأ بنصب التاء فمعناه: وإلى الله تصير الأمور، ومن قرأ بالياء فلأن تأنيث الأمور غير حقيقي[1].

قوله تعالى:

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿211﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿212﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ أي سل يا محمد يهود المدينة كم أعطيناهم، أي كم أعطينا أسلافهم وآباءهم من علامة واضحة مثل: العصا واليد البيضاء وفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى... وغير ذلك مما كان في وقت موسى عليه السلام من المعجزات، كما آتيناك من المعجزات فلم يؤمن أولئك كما لم يؤمن هؤلاء الكفار. وهذا سؤال تقريع وإنكار للكفار وتقرير لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، لا سؤال استفهام، لأنه ﷺ كان لا يحتاج إلى السؤال. والمعنى: كما أن هؤلاء لم يؤمنوا بالآيات البينات التي أعطيتها فلا تغتم وسل بني إسرائيل، أي انظر في آيات بني إسرائيل كم أعطيناهم من علامة واضحة في زمن موسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي من يغير حجة الله الدالة على أمر نبيه ﷺ من بعدما جاءته، أي يغير حجة الله بأن يجحدها أو يصرفها عن وجهها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي شديد التعذيب لمن استحقه. وسمى الله تعالى الحجج نعمة لأنها من أعظم النعم على الناس في أمر الدين.

---

(1) أبو علي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع: 2/ 231.

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ نزلت هذه الآية في مشركي العرب: أبي جهل وأصحابه كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال، ويكذبون بالمعاد، ويسخرون من المؤمنين الذين يرفضون الدنيا ويقبلون على الطاعة والعبادة، ويقولون: لو كان محمد نبياً لاتبعه أشرافنا، والله ما يتبعه إلا الفقراء[(1)] مثل: ابن مسعود وعمار وصهيب وسالم وأبي عبيدة بن الجراح[(2)]، وبلال، وخباب، وعامر بن فهيرة[(3)] ـ وغيرهم. هكذا قال الكلبي. وقال مقاتل: نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه، وكانوا يتنعمون في الدنيا بما بسط الله لهم فيها من الخير ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد صلى الله عليه وسلم أنه يغلب بهم، وكانوا يعيرونهم بقلة ذات أيديهم[(4)]. وقال عطاء: نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم من بني قريظة والنضير، وسخروا من فقراء المهاجرين، فوعدهم الله تعالى أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال أسهل شيء وأيسره[(5)]. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من استذل مؤمناً أو مؤمنة أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله تعالى يوم القيامة ثم يفضحه، ومن بهت مؤمناً أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله عز وجل على تل من نار حتى يخرج ما قاله فيه. وإن المؤمن أعظم عند الله من ملك مقرب، وليس شيء أحب إلى الله تعالى من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة، وإن المؤمن يعرف في السماء كما**

---

(1) تفسير البغوي: 1/ 271، تفسير القرطبي: 3/ 29.

(2) أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي الجليل، أحد السابقين إلى الإسلام والمبشرين بالجنة، وأمين هذه الأمة. توفي رحمه الله سنة ثماني عشرة هجرية.
الاستيعاب: 2/ 1792، الطبقات الكبرى: 3/ 409، حلية الأولياء: 1/ 110.

(3) أبو عمرو، عامر بن فهيرة. أسلم قبل أن يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً، واستشهد يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة.
الاستيعاب: 2/ 796، الطبقات الكبرى: 3/ 230.

(4) معالم التنزيل: 1/ 271.

(5) نفسه.

يعرف الرجل أهله وولده»[1]. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا تحتقرن أحداً من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير[2]. وقال يحيى بن معاذ: بئس القوم قوم إذا استغنى المؤمن بينهم حسدوه، وإن افتقر بينهم استذلوه[3].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: فوقهم في الدرجة، يعني الذين اتقوا الشرك والفواحش والكبائر فوق الكفار يوم القيامة في الجنة يكون المؤمنون في عليين والكفار في الجحيم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال ابن عباس: يعني كثيراً بغير مقدار، أي يرزق رزقاً كثيراً لا يعرف حسابه. وقال الضحاك: يعني بغير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة. وقيل: معناه أن الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق لأنه لا شريك له فيمانعه ولا قسيم فينازعه، ولا يقال له: لم أعطيت هذا أو حرمت هذا؟ ولا لم أعطيت هذا أكثر من هذا؟ لأنه عز وجل لا يسأل عما يفعل. وقيل: معناه يعطي من غير أن يخاف نفاد خزائنه فلا يحتاج إلى حساب ما يخرج منها، إذ كان الحساب من المعطي إنما يكون ليعلم قدر العطاء لئلا يتجاوز في إعطائه إلى ما يجحف به، وهو لا يحتاج إلى حساب لأنه عالم غني لا يخاف نفاد خزائنه لأنها بين الكاف والنون. وقيل: معناه والله يرزق من يشاء، أي من الكفار وغيرهم بغير حساب، أي بغير مقدار لا يعرف حسابه. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله عز وجل: لولا أن يجزع عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حرير ولصببت الدنيا عليه صبًّا**». ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[4] إلى آخر الآية. وقال ﷺ: «**لو أن الدنيا تزن عند الله**

---

(1) ذكره القرطبي في تفسيره: 3/ 29 بنصه.
(2) ذكره الثعلبي في تفسيره، الورقة: 130.
(3) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 130.
(4) سورة الزخرف: 43، الآية: 33.

جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[1]. وعن قطرب في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ أي وإن الله يعطي العدد المتناهي لا من عدد أكثر منه كما يفعله العباد، ولكن يعطي المتناهي من غير المتناهي. فإن قيل: أليس الله تعالى قال في آية أخرى: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾[2] فكيف قال في هذه الآية بغير حساب؟ قيل: العطاء من جهة الله تعالى على ضربين: أحدهما ثواباً، والآخر تفضلاً، فما كان ثواباً كان له حساب لأنه يكون على قدر الاستحقاق بالعمل، وأما التفضل فلا يكون له حساب كما قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾[3] والمراد بقوله: ﴿عَطَآءً حِسَابٗا﴾ الثواب دون التفضل. والمراد بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ التفضل، فإن قيل: كيف قال بغير حساب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**حلالها حساب، وحرامها عقاب؟**» قيل: روي عن عائشة رضي الله عنها في معنى الحساب في المؤمنين العرض ومن نوقش الحساب عذب. فإن قيل: من الذي زين للذين كفروا الحياة الدنيا؟ قيل: ذهب بعض المفسرين إلى أن الذي زينها لهم هو إبليس، كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[4] وعن الحسن أنه قال: زينها لهم والله الشيطان، فلا أحد أذم للدنيا ممن خلقها. قال الله تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[6] وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى هو الذي زينها لهم، إذ خلق فيها الأشياء المعجبة وركب الشهوات في قلوب العباد، فنظر الذين كفروا إلى الدنيا بأكثر من مقدارها، فاغتروا بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾[7]

---

(1) رواه البغوي في سننه: شرح السنة: 14/ 229، رقم: 4027.
(2) سورة النبأ: 78، الآية: 36.
(3) سورة فاطر: 35، الآية: 30.
(4) سورة الأنفال: 8، الآية: 48.
(5) سورة النساء: 4، الآية: 77.
(6) سورة الحديد: 57، الآية: 20.
(7) سورة الكهف: 18، الآية: 7.

قالوا: وإنما فعل الله ذلك لأن التكليف لا يتم إلا مع الشهوة، فإن الإنسان لا يجوز أن يكلف إلا بأن يدعى إلى ما تنفر عنه نفسه، أو بأن يزجر عما تتوق نفسه إليه، وهو معنى قوله عليه السلام: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»[1]. قرأ مجاهد وحميد[2] ﴿زَيَّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بفتح الزاي على معنى زينها الله عز وجل لهم[3].

قوله تعالى:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال ابن عباس: معناه كان الناس أهل ملة كفاراً كلهم في ابتداء عهد نوح عليه السلام وكذلك في عهد إبراهيم. يعني أن أمم الأنبياء عليهم السلام الذين بعث إليهم الأنبياء كانت كفاراً، كما كانت هذه الأمة واحدة. وجائز أن يقال: كانت أمة واحدة على الكفر، وإن كان فيهم مسلمون، إذ كان المسلمون قليلين مقهورين في بقية الأمة لانصراف اسم الأمة إلى الأعم الأكثر[4]. وقال قتادة والضحاك: كان الناس أمة واحدة على الحق أي كانوا مؤمنين في زمن آدم عليه السلام، وبعد وفاته إلى مبعث نوح عليه السلام، وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح عليه السلام، فبعث الله إليهم نوحاً وكان

---

(1) رواه الدارمي في سننه، من حديث أنس: 2/ 339، باب حفت الجنة بالمكاره.

(2) أبو صفوان، حميد بن قيس الأعرج المكي: قارىء ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر، وروى عنه القراءة سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء. توفي رحمه الله سنة ثلاثين ومائة هـ.
غاية النهاية: 1/ 265.

(3) تفسير القرطبي: 3/ 28.

(4) تفسير الطبري: 4/ 275، تفسير القرطبي: 2/ 31.

أول نبي ثم بعث بعده النبيون[1]. وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح عليه السلام، كانوا كلهم مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح فبعث الله إليهم نبيه هوداً عليه السلام[2].

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي مبشرين بالجنة لمن أطاع الله تعالى، ومنذرين بالنار والسخط لمن عصاه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي وأنزل عليهم الكتاب، إذ الأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا منذرين حتى ينزل الكتاب معهم. وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالعدل.

قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي ليقضي الكتاب بينهم بالحكمة. وأضاف الحكم إلى الكتاب، وإن كان الله تعالى هو الذي يحكم على جهة التفخيم لأمر الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي من أمر الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: ولم يختلف في أمر الدين وبعث النبيين إلا الذين أعطوا الكتاب من بعدما جاءتهم الدلالات الواضحات من الله تعالى. وقوله: ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ نصب على أنه مفعول له، أي لم يختلفوا إلا للبغي والحسد والتفريق، وذلك أن أهل الكتاب كانوا علموا حقيقة أمر النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل مبعثه، فلما بعثه الله تعالى كفروا به إلا قليلاً منهم.

قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي فأرشد الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق الذي اختلف فيه أهل الزيغ بإذنه، أي بتوفيقه وقضائه وعلمه.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي والله يوفق لمعرفته

---

(1) المصدران السابقان.
(2) تفسير القرطبي: 2/ 31.

من يشاء ممن كان أهلاً لذلك إلى طريق واضح يرضاه الله تعالى، والأمة في اللغة على وجوه منها: الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾[1] وقوله: ﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾[2] أي جماعات وقرون، ومنها أتباع الأنبياء عليهم السلام كما تقول: نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها الدين والملة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[3] ومنها الحين والزمان كقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[4]، ومنها الرجل القدوة للناس في الخير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[5]، ويسمى الإمام أمة أيضاً، لأنه يجمع خصال الخير، ومنها الرجل المنفرد بدين على حدة لا يشركه فيه غيره، قال ﷺ: «**يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده**»[6]. وكان قد أسلم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بمكة يومئذ مؤمن غيره، ثم تابعه بعد ذلك ورقة بن نوفل، وعاش ورقة إلى وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها القامة، يقال: فلان حسن الأمة أي القامة، والإمة ـ بالكسر ـ النعمة، يقال: فلان ذو إمة، أي ذو نعمة، وأما الكتب المنزلة قبل القرآن فقد روي أن الله تعالى أنزل على شيت خمسين صحيفة، وكان يعمل بها هو ومن بعده إلى زمن إدريس، ثم أنزل الله على إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة، وكان يعمل بها إلى زمن إبراهيم، ثم أنزل الله على إبراهيم عشر صحائف، وكان يعمل بها إلى زمن موسى، ثم أنزل الله على موسى عليه السلام عشر صحائف قبل التوراة، وكان يعمل بها موسى ومن معه إلى غرق فرعون، ثم أنزل الله تعالى التوراة، فكان يعمل بها إلى زمن داود، ثم أنزل

---

(1) سورة القصص: 28، الآية: 23.
(2) سورة الأعراف: 7، الآية: 38.
(3) سورة الزخرف: 43، الآية: 22 ـ 23.
(4) سورة يوسف: 12، الآية: 45.
(5) سورة النحل: 16، الآية: 120.
(6) ذكره القرطبي في تفسيره: 3/ 31.

الله تعالى الزبور على داود عليه السلام، فكان يعمل بها إلى زمن عيسى عليه السلام، ثم أنزل الله الإنجيل، فكان يعمل بها إلى بعث محمد ﷺ، ثم أنزل الله الفرقان ناسخاً لما قبله من الكتب.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿214﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ أي أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ولم تصبكم صفة الذين مضوا من قبلكم، أي لم تبتلوا كما ابتلى الذين من قبلكم مستهم البأساء أي الشدة، وهي القتل، والضراء وهو البلاء، والفقر، والمرض. وقيل: البأساء نقيض النعماء، والضراء نقيض السراء.

قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: حركوا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا أي جاهدوا حتى قال كل رسول بعث إلى أمة متى فتح الله؟ يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يعني ألا إن نصر الله لك ولأمتك يا محمد قريب عاجل كما نصرت الرسل قبلك. والمثل قد يذكر بمعنى الصفة كما قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾[1] أي صفة الجنة. وذهب السدي إلى أن هذه الآية نزلت بالمدينة يوم الخندق حين اشتدت مخافة المؤمنين من العدو[2]... ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى قال فيما تقدم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ثم قال: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وكان المسلمون اتكلوا على مجرد اهتدائهم فبين الله في هذه الآية أنه لا يجوز الاتكال على مجرد الإيمان من غير مكابدة ما قاساه السلف من المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا

---

(1) سورة الرعد: 13، الآية: 34، سورة محمد: 47، الآية: 15.
(2) الواحدي، أسباب النزول: 60.

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿2﴾﴾[1]. وأما القراءة في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ من نصب «يقول» فعلى الأصل، لأن «حتى» تنصب الفعل، ومن قرأ بالرفع أدخل «حتى» على جملة ما بعده لا على الفعل خاصة كأنه قال: حتى الرسول يقول. فلا يظهر عمل «حتى». قال الشاعر[2]:

فيا عجباً حتى كليب تسبني ∴ كأن أباها نهشل أو مجاشع[3]

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿215﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿216﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ الآية. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية جواباً عن سؤال عمرو[4] بن الجموح الأنصاري لما حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدقة ورغب فيها الناس، وذلك قبل نزول الفرائض، فقال عمرو: يا رسول الله بماذا نتصدق؟ وعلى من نتصدق؟ فأنزل الله هذه الآية[5]، ومعناها: يسألونك عن شيء يتصدقون؟ فقل لهم: ما تصدقتم به من مال فعلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والضعيف النازل بكم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي: وما تفعلوا من

---

(1) سورة العنكبوت: 29، الآية: 2.

(2) هو الفرزدق. تقدمت ترجمته.

(3) هذا البيت من الطويل من شعر الفرزدق، من قصيدة وردت في ديوانه: 1/ 419 بعنوان: «أولئك آبائي»، تتكون من ثمانية وثلاثين بيتاً، هجا بها الشاعر كليب بن يربوع رهط جرير بن عطية وجعلهم من الضعة بحيث لا يسبون مثله لشرفه.
(شرح شواهد المغني: 3/ 120، كتاب سيبويه: 1/ 413).

(4) عمرو بن الجموح الأنصاري السلمي: صحابي جليل شهد العقبة وبدراً، واستشهد يوم أحد ودفن مع عبد الله بن حزام في قبر واحد، وكانا صهرين، كان ابن الجموح أعرج فقيل له في ذلك اليوم ما عليك من حرج، قال: إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.
الاستيعاب: 3/ 1168، سيرة ابن هشام: 3/ 90.

(5) الواحدي، أسباب النزول: 60.

خير من وجوه البر فإن الله به عليم يحصيه ويجازيكم عليه لا يضيع عنده عمل عامل. فإن قيل: كيف تطابق في هذه الآية الجواب مع السؤال؟ هذا السؤال إنما وقع عن المنفق والجواب إنما وقع في المنفق عليه. قيل: إن الجواب مطابق لهذا السؤال، لأن قوله: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ يتناول القليل والكثير لشمول اسم الخير، فكأن الجواب صدر عن القليل والكثير مع بيان من تصرف إليه النفقة، لأن المسؤول إذا كان حكيماً يعلم ما يحتاج إليه السائل أجاب عن كل ما يحتاج إليه. كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ماء البحر فقال: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[1]. وإنما قال ذلك لأنه علم أنهم لما جهلوا حكم ماء البحر فإنهم أشد جهلاً بحكم ما فيه من المأكول، كذلك هؤلاء لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفق عليهم أكثر فلهذا ذكر الله تعالى المنفق عليهم مع ذكر المنفق. واختلفوا في هذه النفقة المذكورة هل هي واجبة أم لا؟ قال الحسن: المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة فيه كالوالدين والمولودين، ووضع الزكاة فيمن يجوز وضعها فيهم. وقال السدي: هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، والصحيح أنها ثابتة الحكم عامة في الفرض والتطوع، لأن الآية متى أمكن استعمالها لم يجز الحكم بنسخها. ويحتمل أن يكون المراد بها النفقة على الوالدين والأقربين إذا كانوا محتاجين.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس: لما كتب الله الجهاد على المسلمين شق عليهم ذلك، وكرهته نفوسهم وقبلته قلوبهم. وأحب الله تعالى أن يطيب نفوسهم بهذه الآية. وقيل في وجه اتصالها بما قبلها: إن فيما قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي لا تشق على البدن. وفي هذه الآية ذكر ما لا شيء في التعبد أشق منه وهو القتال. ومعنى الآية: فرض عليكم القتال وهو شاق عليكم. وأراد بالكراهة كراهة الطبع لا عدم الرضا بالأمر. وهذا كما يكره الإنسان الصوم في الصيف من جهة الطبع وهو مع ذلك يحبه ويرضاه من حيث إن الله أمر به.

---

(1) رواه أبو داود في سننه: 1/ 152، رقم: 83، باب الوضوء بماء البحر، والبيهقي في السنن الكبرى: 1/ 4، كتاب الطهارة.

قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ أي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم لما فيه من نصر دين الله تعالى، وقمع أعداء الله، والفوز بالغنيمة مع عظم المثوبة، وإدراك محل الشهداء. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ أي لعلكم تحبون القعود عن الجهاد وهو شر لكم، تحرمون الفتح والغنيمة والشهادة، ويتسلط عليكم العدو.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك، فبادروا إلى ما أمرتم به، إذ ليس كل ما تشتهون خيراً، ولا كل ما تحذرون شراً. وفي الآية دلالة على فرض القتال، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾(1) وأراد به فرض الصيام. ثم لا يخلوا القتال المذكور في هذه الآية أن يرجع إلى معهود قد عرفه المخاطبون، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾(2) وقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾(3). وتكون هذه الآية تأكيداً لذلك القتال المعهود الذي علم حكمه، أو يكون القتال في هذه الآية راجعاً إلى جنس القتال، فتكون هذه الآية مجملة مفتقرة إلى البيان، لأن من المعلوم أن الله تعالى لم يأمر بالقتال للناس كلهم، فلا يصح اعتقاد العموم فيه، فكان بيان هذا المجمل بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾(4)، وقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾(5).

قوله تعالى:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿217﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

(1) سورة البقرة: 2، الآية: 183.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 190.
(3) نفس السورة، الآية: 191.
(4) سورة التوبة: 9، الآية: 29.
(5) سورة التوبة: 9، الآية: 5.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾. قال ابن عباس في سبب نزول هذه الآية: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن عمته عبد الله بن جحش[1] قبل بدر، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين[2] وهو أميرهم، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً، وقال له: «**إذا نزلت منزلتين[3] فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به ولا تستكره أحداً من أصحابك على السير معك**». فسار عبد الله حتى بلغ منزلتين ثم فتح الكتاب فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فسر على بركة الله بمن اتبعك من أصحابك حتى تنزل ببطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منهم بخبر. والسلام**». فقال عبد الله: سمعاً وطاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانطلق القوم معه حتى وصلوا بطن نخلة بين مكة والطائف، فنزلوا هناك، فبينما هم كذلك إذ مر بهم «عمرو بن الحضرمي» في عير لقريش في أول يوم من رجب، والمؤمنون يظنون أنه آخر يوم من جمادى الأخرى، فأمر عبد الله أن يحلقوا رأس «عكاشة» ليشرف على المشركين فيظنوا أنهم عمار فيأمنوا، ففعل ذلك وأمنه المشركون وقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم منهم. ورمى واقد[4] بن عبد الله عمرو بن الحضرمي فقتله، واستأسروا بعض

(1) أبو محمد، عبد الله بن جحش بن يعمر الأسدي: صحابي جليل، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وكان من أمراء السرايا، وهو أخو زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم. توفي رحمه الله سنة ثلاث من الهجرة.
الاستيعاب: 3/ 377، الطبقات الكبرى: 3/ 89، الأعلام: 4/ 76.

(2) وهم: أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محيصن، وعتبة بن غزوان، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله التميمي، وخالد بن بكر الليثي، وسهل بن البيضاء الفهري.

(3) أي سرت يومين، كما في بعض الروايات.

(4) واقد بن عبد الله التميمي: أسلم قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتبر أول قاتل من المسلمين في الإسلام، وابن الحضرمي أول مقتول. توفي رحمه الله في خلافة عمر.
الاستيعاب: 4/ 1550، الطبقات الكبرى: 3/ 390.

المشركين[1]، وهرب بعضهم إلى مكة[2]، واستاق المسلمون العير، فعيرهم المشركون بذلك فقالوا استحل محمد الشهر الحرام؛ شهراً يأمن فيه الخائف وتنصل فيه الأسنة. ووقف النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الغنيمة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]. ويقال: لما أمر الله تعالى المسلمين بالقتال، ظنوا عموم الأمر في جميع الشهور، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرفوا، فنزلت هذه الآية. والقول الأول أقرب إلى ظاهر القرآن. ومعنى الآية: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، لأن قوله: ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال عن الشهر الحرام.

قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي القتال في الشهر الحرام عظيم الذنب عند الله تعالى. ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي منع الناس عن الكعبة أن يأتوها ويطوفوا بها، ﴿وَكُفْرٌ بِهِۦ﴾ أي وكفر بالله تعالى. ويقال بالحج، وكفر بالمسجد الحرام. وقيل: فيه تقديم وتأخيره، تقديره: وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وكفر بالله، وإخراج أهل المسجد الحرام منه أعظم عقوبة عند الله من القتال في الشهر الحرام، أي الكفر مع الإجرام أولى بالعقاب ممن قتل مشركاً في الشهر الحرام كما قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي الشرك بالله أعظم عقوبة وإثماً من القتال. ومعنى كفرهم بالمسجد الحرام أن الله جعل المسجد الحرام للمؤمنين ولعبادتهم إياه فيه، فلما جعله الكفار لأوثانهم ومنعوا المسلمين منه، كان ذلك كفراً منهم بالمسجد الحرام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ معناه: لا يزال أهل مكة يقاتلونكم أيها المسلمون حتى يصرفوكم عن دينكم الإسلام إلى دينهم الكفر إن قدروا على ذلك. ثم حذر الله المؤمنين ليثبتوا على الإسلام. قال عز وجل: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ

---

(1) وهما: عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة.

(2) نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي.

(3) الواحدي، أسباب النزول: 61، تفسير الطبري: 4/ 302، ابن كثير، البداية والنهاية: 3/ 248، سيرة ابن هشام: 2/ 601.

فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي من يرجع منكم عن دين الإسلام فيمت على كفره فأولئك بطلت[1] أعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي عملوها للآخرة، أي لا يبقى لعمل من أعمالهم ثواب يجازون به في الدارين، وأولئك أصحاب النار هم فيها مقيمون دائمون. والصد والصرف والمنع نظائر، يقال: صد يصد صداً إذا صرف غيره عن الشيء، وصد يصد صدوداً إذا أعرض بنفسه. ومن قرأ: يرتدد بدالين فهو لغة أهل الحجاز، أظهروا التضعيف حذراً من التقاء الساكنين. ومن قرأ: يرتد ـ بالتشديد فهو لغة بني تميم أدغموا الحرفين من جنس واحد وحركوه إلى الفتحة[2].

قوله تعالى: ﴿فَيَمُتۡ﴾ جزم بالعطف على (يرتدد)، ولو كان جواباً لكان رفعاً. وأكثر الأمة على أن النهي عن القتال في الشهر الحرام منسوخ نسخته سورة براءة، وهو قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[3] الآية، لأنها نزلت بعد حظر القتال بالشهر الحرام. فإن قيل: إذا كان نفس الارتداد يحبط العمل حتى يبطل حجه الذي أداه، فأين فائدة قوله: ﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾؟ قيل: إنما ذكر الله تعالى في هذه الآية أمر الآخرة لا أمراً يرجع إلى إحباط عمله في الماضي، إذ المعلوم من حال المرتد أنه إذا عاد إلى الإسلام والتوبة والعمل الصالح ومات على ذلك أنه لا يعاقب في الآخرة. فلما جمع الله في هذه الآية بين إحباط عمله فيما يتصل بالدنيا والآخرة حتى يزول ثوابه إلى العقاب الدائم، لذلك شرط موته على الكفر. روي في التفسير أنه لما نزلت هذه الآية، قام عبد الله بن جحش وأصحابه فقالوا: يا رسول الله أنطمع من ربنا أن تكون لنا هذه غزوة في الجهاد؟ فنزل[4] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ

---

(1) في النسخة (ف): حبطت.
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 290.
(3) سورة التوبة: 9، الآية: 29.
(4) الواحدي، أسباب النزول: 61 وما بعدها، تفسير الطبري: 4/ 319.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿218﴾ معناه: إن الذين صدقوا وهاجروا من مكة إلى المدينة وجاهدوا في محاربة المشركين في طاعة الله تعالى، أهل هذه الصفة يعطون مغفرة الله وجنته، والله غفور لما كان منهم من القتال والأسر وأخذ الغنيمة في الشهر الحرام ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم حين رفع إثم ذلك عنهم. والمهاجرة: مفاعلة من الهجرة، وهي في هذا الموضع هجران الموطن والعشيرة في رضى الله تعالى. والهجر نقيض الوصل. وأطلق اللفظ في هذه الآية على المفاعلة، ويراد به ما ذكرناه، ونظيره المساعدة، وهي ضم الرجل ساعد أخيه للتقوية[1] والمعونة. وأما المجاهدة: فهي بذل الرجل الجهد من نفسه مع إخوانه. ويجوز أن يراد بذلك أن يبذل الجهد في قتال عدوه، وقد فعل العدو مثله فتصير مفاعلة. وإنما قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ لأن أحداً لا يعلم أنه صار إلى أن يبلغ في الطاعة كل مبلغ إلا بخبر الله تعالى أو بخبر النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يدري لعله قصَّر في شيء من الواجبات، وما يدري ما الذي يكون منه، ولما بينه وبين موته، ولا يعلم أحد من المسلمين بما يختم له. ختم الله لنا بالسعادة والشهادة.

قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿219﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿220﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ قال ابن عباس: كان المسلمون يشربون الخمر في بدء الإسلام وهي لهم حلال، وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي في اليوم والليلة وقت الصلاة: ألا من كان سكراناً فلا يحضر مع رسول

---

(1) في النسخة (ف): بالتقوية.

الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة تعظيماً للجماعة، وتوقيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن عمر جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بيِّن لنا أمر الخمر، فإنها مهلكة للمال، مذهبة للعقل؟ فنزلت هذه الآية[1]: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ وأما الميسر: فقد كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون جزوراً ثم يجعلون لكل واحد منهم سهماً، ثم يقترعون عليها، فمن خرج سهمه برىء من ثمنها وأخذ نصيبه من الجزور، وبقي آخرهم عليه ثمن الجزور كله ولا يذوق من لحمها شيئاً فيقسم أصحابه نصيبه، وربما كانوا يتصدقون بذلك على الفقراء. فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية. والميسر: هو القمار، يقال للقمار ميسر والمقامر المياسر. وقال مقاتل: سمي ميسراً لأنهم كانوا يقولون: يسر لنا ثمن الجزور، وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ويجزئونها أجزاء. قال ابن عمر: عشرة أجزاء. وقال الأصمعي: ثمانية وعشرين جزءاً ثم يستهمون عليها بعشرة أقداح ويقال لها الأزلام والأقلام لسبعة منها أنصباء وهي الفذ وله نصيب واحد، والتوأم وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة، والحلس وله أربعة. والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلى وله سبعة، وثلاثة منها تسمى الربابة[2]. وقال أبو ذؤيب[3]:

وكأنهن ربابة وكأنه ∴ يسر يفيض على القداح ويصدع[4]

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 64، البغوي، معالم التنزيل: 1/ 282.
(2) معالم التنزيل: 1/ 285، تفسير القرطبي: 3/ 58.
(3) أبو ذؤيب، خويلد بن خالد الهذلي: أشعر الهذليين، مخضرم حسن الإسلام، قال الشعر في أكثر أغراضه وأجودها الرثاء. توفي سنة سبع وعشرين هجرية.
(4) هذا البيت من الكامل، من شعر أبي ذؤيب، ومن مرثيته لأولاده الخمسة الذين ماتوا في الطاعون، وتعتبر من أوجع المراثي يقول مطلعها:
أمن المنون وريبها تتوجع ∴ والدهر ليس بمعتب من يجزع
يصف الشاعر الحمار الوحشي وأتنه بالضارب صاحب الميسر الذي يفرق القداح ويجمعها. والربابة ـ بكسر الراء ـ: الرقعة التي تجمع فيها قداح الميسر. واليسر: صاحب الميسر. (شرح أشعار الهذليين: 18، المفضليات، النص: 126، لسان العرب: ريب، صدع).

ويجعلون الربابة على يد واحد عدل عندهم، ويسمى المجيل والمفيض، ثم يجيلها ويخرج منها قدحاً باسم رجل منهم، فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج، فإن كان خرج له سهم من هذه الثلاثة التي لا أنصباء لها اختلفوا فيه، قال بعضهم: كان لا يأخذ شيئاً ويغرم ثمن الجزور كله، وقال بعضهم: لا يأخذ شيئاً ولا يغرم، ويكون ذلك القدح لغواً، فيعاد سهمه ثانياً فهؤلاء الياسرون، ثم يدفعون تلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منها شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعله منهم ويسمونه البرم. فهذا أصل القمار الذي كانت العرب تفعله، وإنما عنى الله تعالى بالميسر في هذه الآية أنواع القمار كلها. وقال طاوس ومجاهد وعطاء: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان الصغار بالخرز والكعاب. وعن علي رضي الله عنه قال: النرد والشطرنج من الميسر[1]. وقال القاسم[2] بن محمد: كل شيء ألهاك عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر. قال ابن عباس: فلما نزلت هذه الآية ترك بعض الناس الخمر، وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعضهم، وقالوا: نأخذ منفعتها ونترك إثمها. وكانوا على ذلك حتى أصاب رجل من الصحابة خمراً فانتشأ منها فحضرت الصلاة، فقام يصلي المغرب فقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[3] على غير وجهها، قال: أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد. فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[4]، فكانوا يشربونها قبل الصلاة، وكانوا يتناشدون الأشعار في شربها ويفتخرون، فقال عمر رضي الله عنه: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 52.

(2) أبو عبد الرحمن، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: كان إماماً فقيهاً ثقة ورعاً كثير الحديث. سمع عمته عائشة وابن عباس وغيرهما. وعنه ابنه عبد الرحمن والزهري وابن عوف وغيرهم. توفي رحمه الله سنة تسع ومائة هجرية.
تذكرة الحفاظ: 1/ 96، الشيرازي، طبقات الفقهاء: 39.

(3) سورة الكافرون.

(4) سورة النساء: 4، الآية: 43.

﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب[2]. فأمر رسول الله ﷺ بإراقة الخمر حتى أمر بكسر الدنان تغليظاً وتشديداً. ومعنى الآية: يسألونك يا محمد عن الخمر والميسر قل فيهما إثم عظيم، لأن الخمر توقع العداوة والبغضاء، وتحول بين الإنسان وبين عقله الذي يعرف به ما يجب عليه لخالقه والقمار يورث العداوة أيضاً، فإن المقمور إذا رأى غيره قد فاز بماله من غير منفعة رجعت إليه بغضه وعاداه. وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أي وزر عظيم من المشاتمة والمخاصمة وقول الفحش والزور وزوال العقل، والمنع من الصلاة، واستحلال مال الغير بغير حق. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً: قل فيهما إثم كثير ـ بالثاء، وقرأ الباقون بالباء[3]. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ولقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[4].

قوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فالمنفعة في الخمر: اللذة في شربها والتجارة فيها قبل التحريم. والمنفعة في الميسر: مصير الشيء الذي يصيبه من المال في القمار بلا كد ولا تعب. قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ قال المفسرون: إثم الخمر هو أن يشرب ويسكر فيؤذي الناس. وإثم الميسر: هو أن يقامر فيمنع الحق ويظلم. وقال الربيع: المنافع قبل التحريم والإثم بعد التحريم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ معناه: ويسألونك أي شيء يتصدقون به؟ قل الفضل وما سهل عليك إنفاقه. وهذا نزل جواباً عن قول عمرو بن الجموح: بماذا ننفق؟ وفي الآية المتقدمة[5] جواب عن قوله: على

---

(1) سورة المائدة: 5، الآية: 90 ـ 91.
(2) تفسير الطبري: 4/ 334.
(3) مكي، الكشف: 1/ 291.
(4) سورة النساء: 4، الآية: 2.
(5) وهي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾... (الآية: 215).

من نتصدق؟ واختلفوا في معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ فقال ابن عمر وقتادة وعطاء والسدي: هو ما فضل من المال عن العيال، وهي رواية عن ابن عباس. وقال الحسن: هو أن لا تفني مالك في النفقة ثم تقعد تسأل الناس. وقال مجاهد: هو ما كان عن ظهر غنى. وقال الضحاك: هو قدر الطاقة. وقال الربيع: العفو هو الطيب كأنه قال: أفضل مالك وأطيبه[1]. وأصل العفو في اللغة: الزيادة والكثرة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾[2] أي كثروا. وقال ﷺ: «**اعفوا اللحى**»[3]. والعفو أيضاً ما تأخذه وتعطيه سهلاً بلا تكلف من قولهم: خذ ما أعفاك، أي ما أتاك سهلاً من غير إكراه. ونظير هذه الآية من الأخبار ما روي أن رجلاً قال: يا رسول الله عندي دينار. قال: «**أنفقه على نفسك**». قال: عندي آخر. قال: «**أنفقه على أهلك**». قال: عندي آخر. قال: «**أنفقه على ولدك**». قال: عندي آخر. قال: «**أنفقه على والديك**». قال: عندي آخر. قال: «**أنفقه على فرسك**». قال: عندي آخر. قال: «**أنفقه على قرابتك**». قال: عندي آخر. قال: «**أنت أبصر به**»[4]. وعن جابر قال: أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المعادن، فقال: يا رسول الله خذ هذه صدقة، فوالله ما أصبحت أملك غيرها، فأعرض عنه فأتى من ركنه الأيمن، فقال له مثل ذلك، فأعرض عنه. ثم أتاه من ركنه الأيسر فقال له مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قال له مثل ذلك فقال مغضباً: «**هاتها**». فأخذها منه فحذفه بها حذفة لو أصابه بها لشجه أو عقره، ثم قال: «**يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به، ويجلس يتكفف الناس. أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وليبدأ أحدكم بمن يعول**». قال الكلبي: كان الرجل بعد نزول هذه الآية إن كان من أهل الزرع والنخل نظر إلى ما يكفيه وعياله سنة ويتصدق بما

---

(1) تراجع هذه الأقوال في: تفسير القرطبي: 3/ 61.

(2) سورة الأعراف: 7، الآية: 95.

(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 3/ 147، خصال الفطرة. والنسائي في سننه: 1/ 19، باب إحفاء الشارب وإعفاء اللحى.

(4) رواه أبو داود في سننه: 5/ 110، رقم: 1675، باب صلة الرحم. والنسائي في سننه: 5/ 47، باب الصدقة عن ظهر غنى.

فضل، وإن كان من أهل التجارة أمسك رأس ماله ومن الربح ما يتقوى به ويحتاج إليه ويتصدق بما فضل، وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك ويتصدق بسائره، وكانوا على ذلك إلى أن فرضت الزكاة مقدرة معلومة[1]. واختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ فقرأ الحسن وقتادة وأبو عمرو: قل العفو ـ رفعاً على معنى الذين ينفقونه هو العفو، أو على معنى: قل هو العفو ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2]. وقرأ الباقون: «العفو» بالنصب[3] على معنى: قل أنفقوا العفو، ودليله قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾[4].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ أي مثل هذا البين يبين الله لكم أوامره ونواهيه ودلائله في الدين لعلكم تتفكرون في الدنيا أنها دار فناء وبلاء لا يبقى منها إلا العمل الصالح، وفي أمر الآخرة فإنها دار جزاء وبقاء لا ينفع فيها إلا ساق تقوى الله عز وجل. وقال المفضل: معناه كذلك يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، فتحسبون من أموالكم ما يصلحكم في معايش الدنيا، وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى[5]. وقال بعضهم: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها، فتزهدوا فيها وفي إقبال الآخرة وبقائها، فترغبون فيها. وهذا القول قريب من الأول. قال الزجاج: إنما قال: كذلك يبين الله، وهو يخاطب الجماعة، فكان ينبغي أن يقول كذلكم، لأن الجماعة معناها القبيل، كأنه قال: كذلك أيها القبيل[6]. ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، لأن خطابه مشتمل على خطاب أمته كما

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 62.
(2) سورة النحل: 16، الآية: 24.
(3) تفسير القرطبي: 3/ 61.
(4) سورة النحل: 16، الآية: 30.
(5) تفسير القرطبي: 3/ 62.
(6) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 294.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[1]. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**تفكر ساعة خير من قيام ليلة**»[2].

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾. قال ابن عباس: لما نزل في أمر اليتامى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[4] أشفق المسلمون من مخالطتهم وكان كل من في حجره يتيم يجعل لليتيم بيتاً وطعاماً وخادماً على حدة، وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء، فشق ذلك عليهم. فجاء عبد الله بن رواحة[5] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله تعالى أنزل في أمر اليتامى ما أنزل من الشدة، أفيصلح لنا يا رسول الله أن نخالطهم نستعير منهم الخادم والدابة ونشرب من لبن شاتهم؟ فأنزل الله هذه الآية[6]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ عن مخالطة اليتامى قل إصلاح لأموالهم خير الأشياء، إذ هو خير من الإنفاق عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي وإن تشاركوهم وتخلطوا أموالهم بأموالكم في نفقاتكم ومطاعمكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم، فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأمورهم، ويكافئوكم على ما يصيبون من أموالكم فهم إخوانكم في الدين. وقرأ طاوس: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ يعني الإصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض منهم خير وأعظم أجراً. قرأ أبو

---

(1) سورة الطلاق: 65، الآية: الأولى.

(2) رواه البيهقي: شعب الإيمان: 1/ 135، باب في الإيمان بالله.

(3) سورة الأنعام: 6، 152، سورة الإسراء: 17، الآية: 34.

(4) سورة النساء: 4، الآية: 10.

(5) أبو محمد، عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل من الأمراء الشعراء الراجزين. شهد العقبتين، كما شهد بدراً وأحداً وغيرها من المشاهد، كان أميراً في موقعة مؤتة سنة ثمان فاستشهد فيها.
الاستيعاب: 3/ 1868، الطبقات الكبرى: 3/ 525، تهذيب الأسماء: 1/ 265.

(6) الواحدي، أسباب النزول: 64، تفسير القرطبي: 3/ 62 ـ 63.

مجلز[1]: فإخوانكم ـ بالنصب، فخالطوا إخوانكم[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ أي يعلم من كان غرضه بالمخالطة إصلاح أموال اليتامى ومن يكون غرضه إفساد أمرهم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ أي لآثمكم في مخالطتهم وضيَّق عليكم. والعنت الإثم، وسمي الفجور عنتاً لما فيه من الإثم. وأصل العنت: الشدة والمشقة، يقال: عقبة عنوت، أي شاقة كؤود. وقال أبو عبيدة: معناه ولو شاء الله لأهلككم[3].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي منيع غالب لا يمانع فيما فعل من المساهل والمشاق، ذو حكمة فيما أمركم به في أمر اليتامى وغير ذلك. واسم اليتيم إذا أطلق انصرف إلى الصغير الذي لا أب له. والعرب تسمي المنفرد يتيماً، يقولون: الدرة اليتيمة يريدون بذلك أنها منفردة لا نظير لها. وفي الآية ضروب من الأحكام منها قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾ يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مدار ما يغلب على ظنه أن اليتيم يأكل قدر طعام نفسه بغالب الظن. ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء وجواز دفعه مضاربة إذا كان ذلك إصلاحاً، ويدل على أن لولي اليتيم أن يعاقد نفسه في ماله إذا كان فيه خير ظاهر لليتيم على ما قاله أبو حنيفة رحمه الله. ويدل على أن للوصي أيضاً أن يؤجر لليتيم من يعلمه الصناعات والتجارات، أو يستأجر من يعلمه ما له فيه إصلاح من أمر الدين والأدب، لأن كل ذلك من الصلاح.

---

(1) في النسخة (ف): أبو مخلد.
أبو مجلز، لاحق بن حميد السدوسي: كان ثقة، له أحاديث، سكن مرو وولي بيت المال بها، وتوفي رحمه الله في خلافة عمر بن عبد العزيز.
الطبقات الكبرى: 7/ 368، تهذيب التهذيب: 12/ 222.

(2) معاني القرآن للفراء: 1/ 141.

(3) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 73 بلفظه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ فيه دليل على أن للولي أن يزوج اليتيم ابنته، أو يزوج اليتيمة ابنه، أو يزوج اليتيمة لنفسه، فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلط أيضاً به. يقال: فلان خليط فلان إذا كان شريكاً له في المال. ويقال: قد اختلط فلان بفلان إذا صاهره. ولا يكون التزويج إلا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم، لأن الوصاية لا يستحق بها الولاية في النكاح.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿221﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾. قال عبد الله بن عباس ومقاتل: نزلت هذه الآية في مرثد بن أبي مرثد الغنوي[1]، وكان شجاعاً قوياً، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها «عناق»، وكانت خليلته في الجاهلية، فأتته وقالت له: يا مرثد، ألا تخلو؟ فقال: ويحك يا عناق! إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك. فقالت: هل لك أن تتزوج بي؟ فقال: نعم، لكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره ثم أتزوجك. فقالت: بي تتبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله. فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها، وقال: يا رسول الله أتحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله هذه الآية[2]، ومعناها: ولا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى. قال

---

(1) مرثد بن أبي مرثد الغنوي: شهد بدراً على فرس يقال له السبل، وشهد أحداً، واستشهد يوم الرجيع، وكان أميراً في هذه السرية، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/ 48.

(2) الواحدي، أسباب النزول: 65، تفسير القرطبي: 3/ 67.

المفضل: أصل النكاح الوطء، ثم كثر ذلك حتى قيل لعقد التزويج النكاح. فحرم الله نكاح المشركات عقداً ووطئاً ثم استثنى الحرائر الكتابيات فقال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ أي نكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة ولو أعجبتكم الحرة المشركة لحسنها وجمالها ومالها. نزلت في أمة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان يقال لها «خنساء» فقال لها حذيفة: يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى مع سوادك وذمامتك، وأنزل الله ذلك في كتابه فأعتقها حذيفة وتزوجها[2]. وقال السدي: نزلت في أمة سوداء لعبد الله بن رواحة، كان قد غضب عليها عبد الله فلطمها ثم فزع وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: «**وما هي يا عبد الله؟**» قال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وتصوم رمضان، وتحسن الوضوء فتصلي. فقال: «**هذه مؤمنة**». فقال عبد الله بن رواحة: والذي بعثك بالحق نبياً لأعتقنها ولأتزوجنها. ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا: أتنكح أمة؟ وقد عرضوا عليه حرة مشركة، وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رجاء إسلامهن. فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾أي لا تزوجوا المشركين مسلمة حتى يصدقوا بالله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ أي ولو أعجبكم الحر المشرك بماله وحسن حاله.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يعني المشركين والمشركات يدعون إلى عمل أهل النار.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي والله يدعو إلى أسباب الوصول إلى الجنة والمغفرة من مخالطة المؤمنين وغير ذلك بإذنه، أي

---

(1) سورة المائدة: 5، الآية: 5.
(2) تفسير القرطبي: 3/ 69.
(3) الواحدي، أسباب النزول: 65، تفسير القرطبي: 3/ 69 ـ 70.

بأمره وعلمه الذي علم أنه وصله لكم إليهما.

قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي يبين أمره ونهيه في التزوج وغيره للناس لعلهم يتعظون ويرغبون فيه أهل الديانة والأمانة. واعلم أن الظاهر أن اسم المشركات يتناول الوثنيات، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]. ففرق بينهما في اللفظ، وظاهر العطف يقتضي أن المعطوف غير المعطوف عليه، فعلى هذا لا يكون تزويج المسلمين بالكتابيات داخلاً في الآية، لكن استفيد جوازه لهم بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3]. وعن ابن عباس والحسن ومجاهد: أن هذه الآية عامة في جميع الكافرات الكتابيات منهن وغير الكتابيات، ثم نسخت منها الكتابيات بآية المائدة[4]. وعن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن نكاح اليهودية والنصرانية قال: إن الله حرم المشركات على المؤمنين. ولا أعلم شيئاً من الشرك أكبر من أن تقول ربها عيسى عليه السلام، وهو عبد من عباد الله[5]، والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم عدل في الإثم والجرم بالإشراك بالله. فإن قيل: في هذه الآية نهي عن نكاح المشركين بسبب دعاء أهل الشرك إلى النار، وهذه العلة تعم الكتابيات وغيرهن، فكيف أبيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعلة قائمة؟ قيل يحتمل أن يكون قوله﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ راجعاً إلى قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لا إلى قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾، لأن أولئك كناية عن الرجال دون النساء، ولا يجوز تزويج المسلمة من مشرك ولو كتابي.

---

(1) سورة البقرة: 2، الآية: 105.
(2) سورة البينة: 98، الآية: الأولى.
آية سورة البينة لم ترد في النسخة (ف).
(3) سورة المائدة: 5، الآية: 5.
(4) تفسير القرطبي: 3/ 67.
(5) رواه البخاري في صحيحه: 10/ 522، رقم: 5285، كتاب الطلاق.

قوله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (223)﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له: أبو الدحداح[1]، أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: كيف نصنع بالنساء إذا حضن، هل نقربهن أو لا؟ فنزلت هذه الآية. فلما نزلت الآية عمد المسلمون إلى النساء الحيَّض فأخرجوهن من البيوت كما كانت الأعاجم تفعل بنسائهم إذا حضن، وإذا فرغن واغتسلن ردوهن إلى البيوت، فقدم ناس من الأعراب المدينة فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل النساء عنهم، وقالوا: يا رسول الله إن البرد شديد والثياب قليلة وقد عزلنا النساء، فإن آثرناهن بالثياب هلك أهل البيت برداً، وإن آثرنا أهل البيت هلكت النساء الحيض، وليس كلنا نجد سعة فنوسع عليهم جميعاً. فقال صلى الله عليه وسلم: «**إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم تؤمروا أن تخرجوهن من البيوت**». وقرأ عليهم الآية. وقال بعضهم: كانت العرب في الجاهلة إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت ولم يجالسوها على فراش كفعل اليهود والمجوس. فسأل أبو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال: يا رسول الله كيف نصنع بالحيض؟ فأنزل الله هذه الآية[2]. ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه

---

(1) في النسخة (ف): أبو الدحداحة.
أبو الدحداح، ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم بن إياس: شهد أحداً وأبلى فيها بلاء حسناً، واستشهد يومها. وبعض الروايات تذكر بأنه توفي متأثراً بجرح انتفض عليه مرجع الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية سنة ست هجرية.
الاستيعاب: 1/ 203، أسد الغابة: 1/ 267.

(2) الواحدي، أسباب النزول: 67، تفسير القرطبي: 3/ 80.

أجرى فيما تقدم حديث نكاح من يحرم ومن يحل، فبين الله تعالى بعده حال التحليل والتحريم بهذه الآية. قال ابن عباس: ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قيضن كلهن في القرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[1] و: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم﴾[2] و: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[3] و: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[4] و: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[5]، و: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾[6]، و: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[7]، و: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[8]، و: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾[9]، و: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[10]، و: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[11]، و: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[12]، و: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾[13].

ومعنى الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ أي الدم مستقذر نجس. وقال الكلبي: الأذى ما يغم ويكره من كل شيء.

قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ أي اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي ولا تجامعوهن حتى ينقطع عنهن الدم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من وطيء**

---

(1) سورة البقرة: 2، الآية: 217.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 215.
(3) سورة البقرة: 2، الآية: 219.
(4) سورة البقرة: 2، الآية: 189.
(5) سورة البقرة: 2، الآية: 219.
(6) سورة البقرة: 2، الآية: 220.
(7) سورة البقرة: 2، الآية: 222.
(8) سورة الأعراف: 7، الآية: 187.
(9) سورة البقرة: 2، الآية: 186.
(10) سورة الأنفال: 8، الآية: 1.
(11) سورة الإسراء: 17، الآية: 85.
(12) سورة الكهف: 18، الآية: 83.
(13) سورة طه: 20، الآية: 105.

امرأته وهي حائض فقضي بينهما ولد فأصابه جذام فلا يلومن إلا نفسه، ومن احتجم يوم السبت أو الأربعاء فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه». فوطء النساء الحيَّض حرام بنص القرآن، فإن وطئها زوجها أثم ولزمته الكفارة. روي عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل جامع امرأته وهي حائض قال: «**فإن كان دماً عبيطاً فليتصدق بدينار، وإن كان صفرة فنصف دينار**»[(1)].

ولا بأس باستخدام الحائض وبمباشرة بدنها إذا كانت متزرة والاستمتاع بما فوق الإزار. قال مسروق: قلت لعائشة رضي الله عنها: ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً؟ قالت: كل شيء إلا الجماع. وروي عن عائشة رضي الله عنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعة في ثوب واحد، وأنها وثبت وثبة شديدة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لعلك نفست**»، يعني حضت؟ قالت: نعم. قال: «**شدي عليك إزارك وعودي إلى مضجعك**»[(2)].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما أنا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخميلة إذ حضت، فانسللت منها، وأخذت ثياب حيضتي. فقال صلى الله عليه وسلم: «**أنفست؟**» قلت: نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة[(3)]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد ونحن جنبان وكنت أغسل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في المسجد وأنا حائض[(4)]. وكان يأمرني إذا كنت حائضاً أن أتزر ثم يباشرني. وسئلت عائشة رضي الله عنها هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث؟ قالت: نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوني فآكل معه وأنا عارك[(5)]، وكان يأخذ المغرف فيضعه على فيه وأغترف به ثم أضعه فيأخذه فيشرب منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من

---

(1) رواه الدارمي في سننه: 1/ 225، باب من قال عليه كفارة.
والبيهقي في السنن الكبرى: 1/ 316، كتاب الحيض.
(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى: 1/ 311، كتاب الحيض.
(3) رواه مسلم في صحيحه: 3/ 206، باب الاضطجاع مع الحائض.
(4) رواه البيهقي في السنن الكبرى: 1/ 175، كتاب الطهارة.
(5) رواه البيهقي في السنن الكبرى: 1/ 311، كتاب الحيض.

المغرف، ويدعو بالشراب فيشرب، ثم آخذ القدح فأشرب منه ثم أضعه فيأخذه ويشرب منه ويضع فمن حيث وضعت فم من القدح[1]. فدلت هذه الأخبار[2] على أن المراد بالاعتزال من الحيض جماعهن، وذلك أن اليهود والمجوس كانوا يجتنبون الحيض في كل شيء، وكانت النصارى يجامعوهن ولا يبالون بالحيض فأمر الله تعالى بالاقتصاد بين هذين الأمرين، وخير الأمور أوسطها. قال أنس رضي الله عنه: لما أنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**افعلوا كل شيء إلا الجماع**»[3]. فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾. قرأ الأعمش وعاصم وحمزة والكسائي: يطهرن ـ بالتشديد، أي يغتلسن، يدل عليه قراءة عبد الله: حتى يتطهرن ـ بالتاء على الأصل، وقرأ الباقون: يطهرن مخففاً[4]، أي حتى يطهرن من حيضهن وينقطع الدم. واختلف الفقهاء في الحائض متى يحل وطئها؟ فقال أبو حنيفة وصاحباه: إذا طهرت لعشرة أيام جاز وطئها دون الغسل، وإن طهرت من قبل عشرة أيام لم يجز وطئها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة كامل. وقال مجاهد وطاوس وعطاء: إذا انقطع دمها وغسلت فرجها وتوضأت جاز وطئها[5]. وقال الشافعي: لا يحل وطئها إلا بشرطين: انقطاع الدم والاغتسال. فمن قرأ: يطهرن ـ بالتشديد، كان حجة للشافعي ومن تابعه، ومن خفف كان حجة للمجيزين وطئها قبل الغسل.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي فإذا اغتسلن فجامعوهن من

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 3/ 210، باب خدمة الحائض زوجها.
(2) في النسخة (ف): الآية.
(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 4/ 211.
وأبو داود في سننه: 1/ 439، رقم: 55.
(4) مكي، الكشف: 1/ 293، تفسير القرطبي: 3/ 88.
(5) تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 139.

حيث أمركم الله بتجنبه في الحيض وهو الفرج. قاله ابن عباس وقتادة والربيع. وقيل معناه: فأتوهن من قبل النكاح والجهات التي يحل فيها أن تقرب المرأة في الشريعة. وقال مجاهد: كانوا على استجازة إتيانهن في الأدبار في أيام الحيض، فأنزل الله هذه الآية، وحرم بها ما كانوا يفعلونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إتيان النساء في أعجازهن حرام**»[1]. وقال ابن كيسان: معناه لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات، وأتوهن وغشيانهن لكم حلال[2].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾. قال عطاء ومقاتل والكلبي: معناه أن الله يرضى عمل التوابين من الذنوب ومن إتيان النساء في أدبارهن في زمن الحيض، ويحب المتطهرين بالماء من الإحداث والحيض والنجاسات. وقال مجاهد: معناه إن الله يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين عن أدبار النساء أن يأتوها، وقال: من أتى امرأة في دبرها فليس من المتطهرين[3]. وقال بعضهم: معناه التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك. وقال سعيد بن جبير: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب. وعن عبد الرحيم معناه: إن الله يحب التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر، والتوابين من الأفعال، والمتطهرين من الأقوال وقيل التوابين من الأقوال والأفعال، والمتطهرين من العقود والضمائر. وقيل: التوابين من الآثام والمتطهرين من الأجرام. وقيل: التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب. والتوَّاب: هو الذي كلّما أذنب ذنباً تاب. والمحيض: مصدر، قال حاضت المرأة حيضاً ومحيضاً ومحاضاً، كل ذلك مصدر.

قوله عزّ وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ قال ابن عباس: كان اليهود يقولون: إنا لنجد في التوراة أن كل إتيان يؤتى النساء غير مستلقيات فإنه

---

(1) رواه الدارمي في سننه: 2/ 145، باب النهي عن إتيان النساء في إعجازهن.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 13.

(3) تفسير الطبري: 4/ 395 بنصه.

دنس عند الله، ومنه يكون الحول والخبل في الولد. فأكذبهم الله تعالى بهذه الآية. وعن جابر بن عبد الله قال: كان اليهود يقولون: من جامع امرأته مجبية من قفاها في قبلها كان ولدها أحول. فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «**كذبت اليهود**». فأنزل الله تعالى[1]: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾. وقال الحسن وقتادة ومقاتل والكلبي: تذاكر المهاجرون والأنصار واليهود إتيان النساء فقال المهاجرون: إنا نأتيهن باركات وقائمات ومستلقيات، ومن بين أيديهن ومن خلفهن بعد أن يكون المأتى واحداً وهو الفرج. فقال اليهود: ما أنتم إلا كالبهائم، لكنا نأتيهن على هيئة واحدة، وإنا نجد في التوراة أن كل إتيان يؤتى النساء غير مستلقيات فإنه دنس عن الله، ومنه يكون الحول والخبل. فذكر ذلك المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا رسول الله إنا كنا في جاهليتنا وبعدما أسلمنا نأتي النساء كيف شئنا، وإن اليهود عابت علينا ذلك وزعمت أنا كذا وكذا. فأكذب الله اليهود ورخص للمسلمين في ذلك[2] فقال: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾. وعن ابن عباس قال: كان هذا الحي من الأنصار مع أهل هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من شأن اليهود أن لا يأتوا النساء إلا على حرف واحد، وذلك أشد ما يكون على المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون بذلك منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات. فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها كذلك، فأنكرت عليه، فقالت: إنما كنا نؤتى على حرف واحد، فإن شئت فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني، حتى سرى أمرهم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ مقبلات ومدبرات ومستلقيات[3]. والمعنى: نساؤكم محرث لكم، أي مزدرع للولد. وقال الزجاج: معناه نساؤكم ذوات حرث لكم،

---

(1) تفسير الطبري: 4/ 395.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 140.

(3) تفسير الطبري: 4/ 409، معالم التنزيل: 1/ 295.

فبين كيف تحرثون للولد واللذة، أي فأتوا حرثكم كيف شئتم وحيث شئتم ومتى شئتم بعد أن يكون في موضع واحد وهو الفرج[1]. وقال أبو عبيدة: سميت المرأة حرثاً على وجه الكناية، فإنها للولد كالأرض للزرع[2]. وفي الآية دليل على تحريم الوطء في الدبر لأنه موضع الفرث لا موضع الحرث. وإنما قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ وهذا من لطيف كنايات القرآن. وقال أهل المعاني: معنى الآية: نساؤكم كحرث لكم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾[3] أي كنار. والعرب تسمي النساء حرثاً. قال الشاعر:

إذا أكل الجراد حروث قوم ∴ فحرثي همه أكل الجراد[4]

يريد امرأته. وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب[5]:

حبذا من هبة اللَّـ ∴ ـه لنا (؟) البنات[6]
هن للنسل وللزر ∴ ع وهن الشجرات
يجعل الله لنا فيـ ∴ ـما يشاء البركات
إنما الأرحام أرضو ∴ ن لنا مخترعات
فعلينا الزرع فيها ∴ وعلى الله النبات

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي كيف شئتم. وقال سعيد بن المسيب: هذا في العزل، أي إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا[7] ودليل هذا ما روي عن

---

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 298.
(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 73.
(3) سورة الكهف: 18، الآية: 96.
(4) ذكره الثعلبي في تفسيره، خ، الورقة: 141، عن المفضل.
(5) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني: إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ. أخذ عن الفراء وغيره. من مؤلفاته: «الفصيح» و«قواعد الشعر» و«معاني القرآن» و«مجالس ثعلب». توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين هـ.
طبقات الزبيدي: 155، تذكرة الحفاظ: 2/ 666، وفيات الأعيان: 1/ 102.
(6) ذكره الثعلبي في تفسيره، خ، الورقة: 141، تفسير القرطبي: 3/ 93.
(7) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 295.

عبد الله أنه قال: تستأمر الحرة في العزل، ولا تستأمر الأمة[1]. وقد وهم بعض الناس في تأويل هذه الآية وتعلق بظهرها، وجوز إتيان المرأة في دبرها، وهذا لا يصح، لأن قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ يقتضي إتيان المرأة في موضع الحرث وهو القبل، فإن الولد إنما يكون من إتيان المرأة في قبلها. والقول بجواز إتيان المرأة في دبرها باطل، والصحيح أنه حرام، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**»[2]. وعن عبد الله بن الحسن[3] عن أبيه أنه لقي سالم بن عبد الله[4] فقال له: ما حديث تحدث به نافع عن ابن عمر. قال: وما هو؟ قال: يزعم أن عبد الله بن عمر لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء في أدبارهن. قال: كذب العبد وأخطأ، وإنما قال عبد الله قال: يؤتون في فروجهن من أدبارهن[5]. والدليل على تحريم الوطء في الدبر قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يستحيي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن**»[6]. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا ينظر الله تعالى إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها**»[7]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ملعون من أتى امرأة في دبرها**». وقال صلى

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 295.

(2) رواه أبو داود في سننه: 6/ 198، رقم: 2148، باب في جامع النكاح، والمنذري في: الترغيب والترهيب: 4/ 327، رقم: 3519.

(3) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: كان ورعاً تقياً ذا فضل وعلم وتقى. توفي سنة خمس وأربعين ومائة.
الطبقات الكبرى: 5/ 385.

(4) أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: كان ثقة كثير الحديث، ورعاً. توفي سنة ست ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 149، صفة الصفوة: 2.

(5) ذكره البغوي في: معالم التنزيل: 1/ 296.

(6) رواه الدارمي في سننه: 1/ 260، باب من أتى امرأته في دبرها. والمنذري في: الترغيب والترهيب: 4/ 326، رقم: 3513.

(7) رواه الدارمي في سننه: 1/ 260، باب من أتى امرأته في دبرها، والمنذري في: الترغيب والترهيب: 4/ 326، رقم: 3511، والبيهقي في: شعب الإيمان: 4/ 355، رقم: 5376.

الله عليه وسلم: «**من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو أتى كاهناً فصدقه فيما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم**»[1].

قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ﴾ أي قدموا من العمل الصالح لآخرتكم. وقيل: معناه سموا الله عند الجماع. كما روي عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل: بسم الله اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإن قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان**»[2]. وقيل: معناه قدموا لأنفسكم النية الصالحة عند ذلك، أي أن ينوي ربما قضى الله لي ولداً يعبده. وقيل: معناه قدموا لأنفسكم التزويج بالعفائف ليكون الولد طاهراً صالحاً. وقيل: هو تقديم الإفراط. قال صلى الله عليه وسلم: «**من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم**». فقالوا: يا رسول الله واثنان؟ قال: «**واثنان**»[3]. فظننا أنه لو قيل له: وواحد؟ لقال: وواحد. وقال السدي والكلبي: يعني العمل الصالح، دليله سياق الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي اخشوه ولا تقربوهن في حال الحيض ولا على وجه لا يحل، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ يوم القيامة فيجزيكم بأعمالهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي المصدقين بالبعث والثواب بالجنة.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (224) لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ (225) لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ

(1) رواه الدارمي في سننه: 259، باب من أتى امرأته في دبرها، والمنذري في: الترغيب والترهيب: 4/ 328، رقم: 3518.
(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 12/ 486، رقم: 6388، كتاب الدعوات، وأبو داود في سننه: 6/ 197، رقم: 2147، باب: في جامع النكاح.
(3) رواه البخاري في صحيحه: 3/ 455، رقم: 1249، كتاب الجنائز.

﴿226﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿227﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾. نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه، حلف لا يدخل على ختنه بشير بن سعد الأنصاري(1)، ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه، وجعل يقول: حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل لي إلا أن أبر في يميني، فنزلت هذه الآية(2). فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه الآية، وقال: «**من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه**(3)**، افعلوا الخير ودعوا الشر**». فكفَّر ابن رواحة عن يمينه ورجع إلى الذي هو خير. ومعنى الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي لا تجعلوا اليمين بالله مانعة لكم من البر والتقوى، وهو أن يجعل الرجل اليمين معترضاً بينه وبين ما هو مندوب إليه وما هو مأمور به من البر والتقوى والإصلاح، يفعل ذلك للامتناع من الخبر، لأن المعترض بين الشيئين يمنع وصول أحدهما إلى الآخر. ومعنى ﴿أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ أي لا تبروا ولا تتقوا القطيعة ولا تصلحوا بين المتشاجرين كما قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ∴ ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي(4)

أراد بذلك: لا أبرح. وكان أبو العباس ينكر إضمار حرف النفي في هذه الآية، ويقول: هذا إنما يكون في صريح اليمين كقولك: والله أقوم، بمعنى لا أقوم، فأما في مثل هذا الموضع فلا يجوز حذف حرف النفي. قال: والصواب

---

(1) أبو النعمان، بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس الأنصاري: صحابي جليل، شهد العقبة مع السبعين، ثم بدراً وأحداً والمشاهد كلها، ويقال إنه أول من بايع أبا بكر يوم السقيفة من الأنصار. استشهد مع خالد بعين التمر في خلافة أبي بكر الصديق.
الاستيعاب: 1/ 172، الطبقات الكبرى: 3/ 531.

(2) الواحدي، أسباب النزول: 69.

(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 11/ 114.

(4) هذا البيت من البحر الطويل من قصيدة لامرىء القيس مطلعها:
ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي ∴ وهل يعمن من كان في العصر الخالي
ديوانه: 32، البغدادي، الخزانة: 10/ 43.

أن معناه: ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كراهة أن تبروا، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾(1). وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي لا تعترضوا باليمين بالله تعالى في كل حق وباطل، وهو نهي عن كثرة الحلف لما في ذلك من الجرأة على الله عز وجل، والابتذال لاسمه في كل حق وباطل. يقال: هذه عرضة لك، أي هذه لك تبذلها فيما تشاء. ومعنى ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ على هذا الإثبات، أي لا تحلفوا في كل شيء لأن تبروا إذا حلفتم وتتقوا المأثم فيها. ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره: أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس أولى. فعلى هذا يكون موضع «أن تبروا» رفعاً، وعلى التأويل الأول يكون نصباً، لأن معناه: لأن تبروا موضعه نصب بنزع الخافض. وقال مقاتل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف لا يصل ابنه عبد الرحمن(2) حتى يسلم(3). وقال ابن جريج: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف لا ينفق على مسطح(4) حين خاض في حديث الإفك(5). قال المفسرون: هذا في رجل حلف بالله أن لا يصل رحمه ولا يكلم قرابته ولا يتصدق ولا يصنع خيراً ولا يصلح بين اثنين. فأمره الله تعالى

---

(1) سورة النور: 24، الآية: 22.

(2) أبو عبد الله، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: كان من أشجع رجال قريش وأرماهم بسهم، شهد بدراً وأحداً مع قومه كافراً، ثم أسلم وحسن إسلامه في هدنة الحديبية، وحضر اليمامة مع خالد بن الوليد فأبلى بلاءً حسناً، وشهد الجمل مع أخته عائشة. توفي سنة ثلاث وخمسين هجرية.
الاستيعاب: 2/ 824.

(3) تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 141.

(4) أبو عباد، عوف بن أثاثة بن عباد القرشي. كان اسمه عوف، ولقب مسطح فغلب عليه. آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن المزين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم. توفي رحمه الله سنة أربع وثلاثين هـ.
الاستيعاب: 4/ 1472، الطبقات الكبرى: 3/ 53، سيرة ابن هشام: 2/ 678.

(5) تفسير الثعلبي، الورقة: 141، معالم التنزيل: 1/ 298.

أن يحنث في يمينه ويفعل ذلك الخير ويكفر عن يمينه.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لأيمانكم، عليم بما تقصدون باليمين عند الحلف.

قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾. اختلف العلماء في لغو اليمين المذكور في هذه الآية، فقال قوم: هو ما يسبق به اللسان على سرعة وعجلة ليصل به كلامه من غير عقد ولا قصد مثل قول الإنسان: لا والله، وبلى والله... ونحو ذلك، فهذا لا كفارة فيه، ولا إثم عليه وعلى هذا القول[1] عائشة رضي الله عنها والشعبي وعكرمة ومجاهد. وقال آخرون: لغو اليمين هو أن يحلف الإنسان على شيء يرى أنه صادق فيه، ثم يتبين له خلاف ذلك فهو خطأ منه غير عمد فلا إثم عليه ولا كفارة. وعلى هذا القول ابن عباس والزهري والحسن وإبراهيم النخعي وقتادة والربيع وزرارة بن أوفى[2] ومكحول والسدي[3]. وقال علي رضي الله عنه وطاوس: لغو اليمين في حالة الغضب والضجر من غير عقد ولا عزم. ومثله مروي عن ابن عباس، يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يمين في غضب**». وقال بعضهم: هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث فيها، بل يحنث في يمينه ويكفر، وبه قال سعيد بن جبير. وقال غيره: ليس عليه في ذلك كفارة. وقال مسروق في الرجل يحلف على المعصية: ليس عليه فيها كفارة، أنكفّر خطوات الشيطان؟ ومثله روى عكرمة عن ابن عباس. وقال الشعبي في الرجل يحلف على المعصية: كفارته أن يتوب منها. فكل يمين لا يحل له أن يفي بها فليس فيها كفارة، ولو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم على قوله، يدل عليه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من نذر فيما لا يملك فلا نذر**

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 99.

(2) أبو حاجب، زرارة بن أوفى الخرشي: كان ثقة، له أحاديث، تولى قضاء البصرة. توفي فجأة سنة ثلاث وسبعين في خلافة الوليد بن عبد الملك.
الطبقات الكبرى: 7/ 109.

(3) معالم التنزيل: 1/ 229.

عليه، ومن حلف على معصية فلا يمين عليه»[1]. وعن إبراهيم النخعي قال: لغو اليمين أن يصل الرجل كلامه بالحلف، كقوله: والله ليأكلن، والله ليشربن ونحوه، ولا يقصد بذلك اليمين ولا يريد حلفاً فليس عليه فيه كفارة[2]، يدل عليه ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بقوم ينتضلون ومعه رجل من أصحابه، فرمى رجل من القوم فقال: والله أصبت والله أخطأت. فقال الرجل الذي مع رسول الله: حنث الرجل يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: «**كل أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة**»[3]. وقالت عائشة رضي الله عنها: أيمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب[4]. وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الحالف على نفسه، كقوله: أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا، أخرجني الله من مالي إن لم آتك غداً[5].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي بما عزمتم وقصدتم وتعمدتم، لأن كسب القلب العقد والنية.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي غفور لمن تاب من اليمين الغموس، حليم عن الحالف إذ لم يعجل عليه بالعقوبة. وقيل: معناه والله غفور لمن حنث وكفَّر عن يمينه، حليم حين رخص لكم في الحنث ولم يعاقبكم على اليمين على ترك البر. واللغو في اللغة: الكلام الساقط الذي لا فائدة فيه ولا حكم له، يقال: ألغيت الشيء إذا طرحته. وقد يذكر اللغو ويراد به الكلام الفاحش القبيح. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[7].

---

(1) رواه أبو داود في سننه. 9/ 165، رقم: 3306، باب اليمين.
(2) تفسير الطبري: 4/ 443.
(3) ذكره الطبري في تفسيره: 4/ 44.
(4) تفسير الطبري: 4/ 443.
(5) نفسه: 4/ 444.
(6) سورة القصص: 28، الآية: 55.
(7) سورة الفرقان: 25، الآية: 72.

قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿226﴾﴾. قال ابن عباس: إن العرب في الجاهلية كان الرجل منهم يكره امرأته ويكره أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يطأها أبداً ولا يخلي سبيلها إضراراً بها، فتبقى معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة حتى يموت أحدهما. فأبطل الله ذلك من فعلهم، وجعل الأجل في هذا بعد هذا القول أربعة أشهر، إذا تمت هذه المدة ولم يفىء إليها بانت بتطليقه. وفي قراءة عبد الله: للذين آلوا من نسائهم، على لفظ الماضي. والإيلاء: الحلف، يقال: آلى يؤلي إيلاء، والاسم الألية، قال الشاعر:

على ألية وصيام شهر ∴ أمسك طائعاً إلا بكفي

وجمع الألية الألياء، قال الشاعر[1]:

قليل الألايا حافظ ليمينه ∴ إذا بدرت منه الألية برت[2]

والإيلاء في الشرع: هو الحلف على ترك الجماع الذي يكسب الطلاق بمضي المدة. ومعنى الآية: للذين يحلفون من نسائهم لا يقربوهن انتظار أربعة أشهر. والتربص: التوقف. وقال بعضهم: التربص: التصبر.

قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي فإن رجعوا عما حلفوا عليه فقرب الرجل امرأته أو كان عاجزاً عن الوطء ففاء بلسانه فإن الله غفور لذنب الإضرار بالامتناع عن الجماع، رحيم بهم إذ أرخص لهم القربان بالكفارة. وفي قراءة ابن مسعود: إن فاؤوا فيهن. واختلف العلماء فيما يكون مولياً به على وجوه: أحدها ما روي عن علي وابن عباس والحسن رضي الله عنهم أن الإيلاء: هو الامتناع من الجماع على جهة الغضب والإضرار بتأكيد اليمين،

---

(1) كثير عزة، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي: من شعراء الغزل، صاحب الديباجة الرقيقة، اشتهر باسم حبيبته. له ديوان شعر مطبوع. توفي سنة خمس ومائة هجرية.
الشعر والشعراء: 198، الأغاني: 8/ 25، خزانة الأدب: 2/ 281.

(2) يصف الشاعر ممدوحه بالعفة والتقى والابتعاد عن لغو اليمين.
ديوان كثير: 2/ 220، وفيه: «وإن سبقت»، اللسان: (ألا).

حتى لو كان له ولد رضيع يخشى إن قرب أمه أن تحمل فيضر ذلك بالولد، فحلف أن لا يقربها لم يكن مولياً. وقال النخعي وابن سيرين والشعبي: هو اليمين على أن لا يجامعها، سواء كان في الغضب أو في الرضاء. وبهذا القول قال علماؤنا رحمهم الله تعالى حتى قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: كل يمين في زوجة منعت جماع أربعة أشهر من غير حنث يلزمه أو تعيين إيلاء في أخرى فهو إيلاء. والقول الثالث: ما روي عن سعيد بن المسيب أن الإيلاء هو اليمين في الجماع وغير ذلك من الضرر حتى لو حلف لا يكلمها كان مولياً. والقول الرابع: قول عبد الله بن عمر: إنه إذا هجرها وهو إيلاء ولم يذكر الحلف[1]. والتربص: انتظار الشيء خيراً كان أو شراً يحل بك أو به، ولذلك سمي المحتكر متربصاً لانتظار غلاء السعر، قال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها ∴ تطلق يوماً أو يموت حليلها

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿227﴾﴾ أي وإن حققوا الطلاق بالإقامة على حكم اليمين إلى تمام أربعة أشهر، فإن الله سميع لإيلائهم، عليم بهم وبنيَّاتهم. والعزم في اللغة: هو العقد على فعل المستقبل، يقال: عزم على كذا إذا عقد قلبه عليه. والعزم الشرعي المذكور في هذه الآية على ثلاثة أوجه: قال ابن عباس: عزيمة الطلاق انقضاء الأربعة أشهر قبل أن يفيء من غير عذر، وهو قول ابن مسعود وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، قالوا: إنها تبين بعد هذه المدة بتطليقة. وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه، وعن علي وابن عمر وأبي الدرداء رضي الله عنهم مثل القول الأول، وروي عنهم أيضاً: أنه يوقف بعد مضي المدة، فإما أن يفيء وإما أن يطلق، وهذا قول عائشة، وبه قال مالك والشافعي، فإن امتنع عنهما فللشافعي قولان، أحدهما: يحبسه الحاكم ولا يجبره على أحد الأمرين، والثاني: يطلق عليه الحاكم. وقال ابن جبير وسالم والزهري وعطاء وطاوس: إذا مضت أربعة أشهر فهي تطليقة رجعية، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يقتضي أن عزيمة الطلاق

(1) تنظر هذه الأقوال في: تفسير القرطبي: 3/ 106 ـ 107، وتفسير الثعلبي، الورقة: 143.

مسموعة، ولا يكون ذلك إلا بقول من الزوج بعد الإيلاء؟ قلنا: هذا القول لا يصح، لأن الله تعالى لم يزل سميعاً ولا مسموع، وقد قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾﴾[1] وليس هناك قول.

قوله تعالى:

﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يطلق الرجل امرأته فإن كانت حبلى كان أحق برجعتها وإلا كانت أحق بنفسها، وكانت المرأة إذا أحبت الرجل قالت: أنا حبلى وليست حبلى ليراجعها، وإذا كرهته وهي حبلى قالت ليست بحبلى لكيلا يقدر على مراجعتها، فجعل الله تعالى عدة المطلقات ثلاث قروء، ونهى النساء عن كتمان ما في أرحامهن من الحيض والحبل[2]. ومعنى الآية: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾ أي ينتظرن بأنفسهن ماذا يصنع بهن أزواجهن من المراجعة أو ترك المراجعة. وقد اختلف السلف في القرء المذكور، قال أبو بكر وعمر وعثمان وابن عباس وابن مسعود وأبو موسى الأشعري هو الحيض، وقالوا: إن الزوج أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة، وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه. وقال ابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة: الأقراء هي الأطهار، وإذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها، وبه قال مالك والشافعي، وإنما اختلف السلف في هذه المسألة لأن القروء في اللغة: عبارة عن الحيض وعن الطهر وهو من أسماء الأضداد[3]. وقال أبو عبيدة: هو خروج من شيء إلى شيء، يقال: قرأ النجم إذا طلع،

---

(1) سورة البقرة: 2، الآية: 244.
(2) تفسير القرطبي: 3/ 112، تفسير الثعلبي، الورقة: 144.
(3) معالم التنزيل: 1/ 302، تفسير القرطبي: 3/ 113.

وقرأ إذا غاب، والمرأة تخرج من الحيض إلى الطهر ومن الطهر إلى الحيض[1]. قال الشاعر:

يا رب ذي ضغن علي فارض ∴ له قروء كقروء الحائض

وأراد بذلك الحيض، يعني أن عداوته تهيج في أوقات معلومة، كما أن المرأة تحيض في أوقات معلومة. وقال آخر[2]:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة ∴ تشد لأقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالاً وفي المجد رفعة ∴ لما ضاع فيها من قروء نسائكا[3]

وأراد بالقرء في هذا البيت الطهر، لأنه خرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فأضاع أقراءهن، أي أطهارهن. فلما اختلف السلف واختلفت اللغة في هذا الاسم ولم يجز حمله على الأمرين جميعاً، وجب حمله على حقيقته دون مجازه. واسم القرء حقيقة في الحيض مجاز في الطهر، لأن كل طهر لا يسمى قرءاً، وإنما الطهر الذي يكون بين الحيضتين يسمى بهذ الاسم لمجاورته الحيض. فلو كان هذا الاسم حقيقة في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال، لأن أسماء الحقائق لا تنتفي عن مسمياتها بحال، ووجدنا هذا الاسم ينتفي عن طهر الآيسة والصغيرة، وكان حمله على الحيض أولى من حمله على غيره. فإذا اختلفت الأمة في ذلك كان المرجع فيها إلى لغة النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(1) مجاز القرآن، أبو عبيدة: 1/ 74.

(2) الأعشى ميمون بن قيس، تقدمت ترجمته.

(3) هذان البيتان من بحر الطويل، من قصيدة تتألف من اثنين وثلاثين بيتاً، مدح بها الأعشى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة بكثرة غزواته، وقد ذكر فيها من فضائل هوذة ومآثره ما ذكر.
المعنى: جشم الأمر يجشمه جشماً وجشامة: تكلفه على جهد ومشقة.
والعزيمة والعزم: الجد، وعقد القلب على أمر لا بد فاعله.
والعزاء: حسن الصبر على فقد ما يفقد الإنسان.
يقول الشاعر لهوذة: كم من لذة طيبة صبرت نفسك عنها في سبيل تشييد ملكك بالغزو المتصل عاماً بعد عام.
(ديوانه، نص: 11، أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 74، الزجاج، معاني القرآن: 1/ 304، تفسير الطبري: 4/ 512).

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها**»[1]. وأراد بالأقراء الحيض. واتفقت الصحابة إلى أن عدة أم الولد بالحيض وكذلك الاستبراء بالحيض بالإجماع. وذهب الزجاج إلى أن القرء الجمع من قولهم: قرأت القرآن، أي لفظت به مجموعاً، ويقال قرأت الماء في الحوض، ويسمى الحوض مقرأة، قال: وإنما يجتمع الدم في البدن في الطهر فهو القروء، غير أن هذا الأمر لا يظهر في الحقيقة، لأن هذا من علم ما في الأرحام وقد خص الله تعالى نفسه بعلم ما في الأرحام، ولا يمتنع أن يجتمع الدم في حالة الحيض قطرة أو قطرتين كالعبرة ونحوها، إذ لو اجتمع جملة لدر دروراً لا ينقطع كالبول، وسائر المائعات المجتمعة[2]. والمطلقة قبل الدخول مخصوصة من هذه الآية بآية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[3]، وكذلك الحامل مخصوصة بآية أخرى. روي أن رجلاً من أشجع قال: يا رسول الله! طلقت امرأتي وهي حامل وقد ذهبت، وأنا أخاف أن تتطلق فتتزوج من بعدي فيكون ولدي له. فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ إلى آخر الآية[4]. فردت امرأة الأشجعي إلى الأشجعي، فقام معاذ بن جبل فقال: يا رسول الله أرأيت الكبيرة التي يئست من الحيض ما عدتها؟ فنزل: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾[5]، فقام آخر فقال: يا رسول الله أرأيت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم ما عدتها؟ فنزل: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾[6]، فقام آخر فقال: يا رسول الله والحوامل ما عدتهن؟ فنزل: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[7].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 1/ 348.
ومسلم في صحيحه بشرح النووي: 4/ 16
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 305.
(3) سورة الأحزاب: 33، الآية: 49.
(4) أسباب النزول، السيوطي: 47.
(5) سورة الطلاق: 65، الآية: 4.
(6) نفس المصدر السابق.
(7) نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ تخويفاً من الله تعالى للمعتدات كيلا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن من الحمل فيخبرن بانقضاء العدة، ثم يتزوجن فليزمن الولد غير أبيه، ولا يكتمن الحيض فيمتنعن عن الإخبار بانقضاء العدة ليستوجبن النفقة على أزواجهن. وفي هذه الآية دليل على أن قول المرأة مقبول[1] على أمر رحمها حتى لو قالت حضت، حرم على الزوج وطئها، وإذا قالت طهرت حل له وطئها، إذ لو لم يجب قبول قولها لم يكن لنهيها عن الكتمان معنى ولا فائدة. ولهذا إذا قال لامرأته: إذا حضت فأنت طالق، فقالت: حضت، طلقت، وكان قولها كالبينة في حق نفسها، لأنا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضاء عدتها وإباحة وطئها وحظره. وفرقوا بين هذا وبين سائر الشروط نحو قوله: إذا دخلت الدار، أو إن كلمت زيداً، فقالوا: لا يقبل قولها فيه إلا ببينة. فأما إذا علق عتق عبده بحيض زوجته، فقالت: حضت، لم تصدق لأن ذلك حكم في غيرها لا يخصها ولا يتعلق بها فهو كغيره من الشروط فلا تصدق.

قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ أي أزواجهن أحق بمراجعتهن في الأجل الذي أمرن أن يتربصن فيه إن أرادوا بمراجعتهن حسن الصحبة والمعاشرة دون الإضرار والعدوان.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي لهن على أزواجهن من الحق والحرمة وحسن المعاشرة مثل ما للأزواج عليهن من الحقوق بالمعروف. واسم المعروف عام في كل ما يعرف من إقامة الحق، وسمي بذلك لأن كل أحد يعرفه أنه حق.

قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي لهم زيادة فيما للنساء عليهم وهو الفضل بنفقتهن وقيامهم بما يصلحهن. والفضل في العقل والميراث، وأن يكون الرجل مسلطاً على تأديب المرأة إذا نشزت. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا يصح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صح ذلك لأمرت المرأة أن**

(1) في النسخة (ف): يقبل.

تسجد لزوجها من عظم حقه عليها. والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قروح تشخب بالقيح والصديد ثم لحسته ما أدت حقه»[(1)].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي ملك غالب يحكم بما أراد ويمتحن بما أحب فينتقم ممن عصاه، وهو ذو حكمة فيما يأمر من أمر الدين والدنيا، ولا يأمر شيئاً إلا لحكمة.

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾. قال عروة بن الزبير وقتادة في معنى هذه الآية: إن الطلاق الذي نملك فيه الرجعة مرتان فإنه بعد الطلقة الثالثة لا نملك الرجعة[(2)]. وفي الآية ما يدل على هذا، لأن الله تعالى عقَّبه بقوله: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾. وعن ابن عباس ومجاهد أن المراد بالآية بيان طلاق السنة[(3)]. وقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه: الأمر والندب. وفي لفظ المرتين دليل على أن التفريق سنة، لأن من طلق اثنتين معاً لا يقال طلقها مرتين، وليس في هذه الآية كيفية سنة التفريق، وقد فسره الله تعالى بقوله: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[(4)] وأراد بذلك تفريق الطلاق على أطهار العدة. ألا ترى أنه تعالى خاطب الرجال بإحصاء العدة، وذكر الرجعة في سياق الآية بقوله: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ

---

(1) رواه الترمذي في سننه: 4/ 323، رقم: 1169، باب في حق الزوج على المرأة، والدارمي في سننه: 1/ 341، باب النهي أن يسجد لأحد، والمنذري في: الترغيب والترهيب: 1/ 123، رقم: 2839.

(2) تفسير الطبري: 4/ 539 وما بعدها.

(3) نفسه: 4/ 543.

(4) سورة الطلاق: 65، الآية: الأولى.

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾[1]. وعلى هذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عمر حين طلق امرأته في حال الحيض: «**ما هكذا أمرك ربك، إنما أمرك أن تستقبل الطهر استقبالاً فتطلقها لكل قرء تطليقة فإنها العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء**»[2].

قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾ أي عليكم إمساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة إذا أردتم الرجعة: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ أي تتركوهن حتى ينقضي تمام الطهر ويكون أملك لأنفسهن. والإحسان: أن يوفى الزوج حقها في المهر ونفقة العدة، وأن لا يطول العدة عليها. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقيل له: أين التطليقة الثالثة؟ فقال: «**في قوله**: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾»[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي مالك[4]، وفي زوجها ثابت بن قيس[5]، كانت تبغضه بغضاً شديداً لا تقدر على النظر إليه، وكان يحبها حباً شديداً لا يقدر على أن يصبر عليها، وكان بينهما كلام، فأتت أباها فشكت إليه وقالت إنه يضربني ويسيء إليّ. فقال لها: ارجعي إلى زوجك. فأتته الثانية وبها أثر الضرب فشكت إليه، فقال لها: ارجعي إلى زوجك. فلما رأت أنه لا يشكيها ولا ينظر في أمرها، أتت إلى

---

(1) نفس السورة والآية.

(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 10/ 605، رقم: 5332، كتاب الطلاق.

(3) رواه الطبري في تفسيره: 4/ 545، رقم: 4793.

(4) جميلة بنت عبد الله بن أبي مالك، وأمها خولة بنت المنذر أسلمت جميلة وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم وشقيقها عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق.
الاستيعاب: 4/ 1802، الطبقات الكبرى: 8/ 284.

(5) أبو عبد الرحمن،ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي: صحابي جليل كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد. توفي رحمه الله في خلافة أبي بكر الصديق سنة إحدى عشرة هجرية.
الاستيعاب: 1/ 200، تهذيب التهذيب: 2/ 12، صفة الصفوة: 1/ 626، الإصابة: 1/ 195.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه وأرته أثر الضرب بها فقالت: يا رسول الله لا أنا ولا هو. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت، وقال: «**يا ثابت مالك ولأهلك؟**» قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما على الأرض شيء أحب إليّ منها غيرك، لكنها لا تطيعني. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما تقولين؟**» فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: ما كنت لأحدثك اليوم حديثاً ينزل عليك خلافه غداً، هو من أكرم الناس لزوجته لا أعيب عليه في دين ولا خلق، ولكني أبغضه لا أنا ولا هو. فقال ثابت: قد أعطيتها حديقة لي، قل لها فلتردها عليّ وأنا أخلي سبيلها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أتردين عليه حديقته وتملكين أمرك؟**» قالت: نعم وزيادة. فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ الآية، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أما الزيادة فلا**». ثم قال لثابت: «**خذ منها ما أعطيتها وخلِّ سبيلها**»[1]. ففعل، فكان ذلك أول خلع في الإسلام. ومعنى الآية: لا يحل لكم أن تأخذوا شيئاً مما أعطيتموهن من مهر ولا غيره ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾. قال أبو عبيدة: معناه يعلما ويوقنا حقيقة[2]، أي إلا أن يكون الأغلب عليهما ما ظهر منهما من أسباب التباعد والخوف من أن لا يقيما حدود الله. ومن قرأ: يخافا على فعل ما لم يسمَّ فاعله [وهي قراءة حمزة أي التأويل][3] كان المعنى: إلا أن يخافا عليهما ألا يقيما حدود الله وهو ما فرض الله تعالى للزوج على المرأة وللمرأة على الزوج. وقد يذكر الخوف في معنى العلم، كما قال أبو محجن الثقفي[4]:

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 10/ 496، رقم: 5273، كتاب الطلاق.

(2) مجاز القرآن، أبو عبيدة: 1/ 4.

(3) ما بين معقوفتين ساقط من غير بياض من النسخة (س) و(ف).
يراجع: الحجة في علل القراءات السبع، للفارسي: 2/ 250.

(4) أبو محجن، مالك بن حبيب الثقفي. أسلم مع ثقيف، وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من الشجعان الأبطال في الجاهلية والإسلام، وشاعراً مطبوعاً، عرف =

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ∴ تروِّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفننّي في الفلاة فإنني ∴ أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها[1]

وأما قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي علمتم بغالب ظنكم أن لا يكون بينهما صلاح ولا مقام على النكاح ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي لا حرج عليهما في الأخذ والإعطاء. ويقال: معناه لا حرج على الزوج أن يأخذ ما افتدت به المرأة نفسها مما أعطاها الزوج. قال الفراء: هذا كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾[2] وإنما يخرج ذلك من أحدهما[3]، كذلك في هذه الآية أراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ نفي الحرج على الزوج في الأخذ، وأما المرأة فهي مفتدية باختبارها ورضاها وإنما يباح للزوج أن يخلعها إذا كان النشوز من قبل المرأة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لو اختلعت بكل شيء لها لأخذته. وروي أن امرأة نشزت فرفعت إلى عمر رضي الله عنه، فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال، ثم دعا بها فقال رضي الله عنه: كيف وجدت مبيتك؟ فقالت: ما بت ليالي منذ كنت عنده أقر لعيني منهن. فقال عمر رضي الله عنه لزوجها: اخلعها ولو بقرطها[4].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ الآية، أي هذه الآيات المنزلة من الأوامر والنواهي فرائض الله وأحكامه فلا تعتدوها أي فلا تتجاوزها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي ومن يتجاوز أحكام الله ويترك ما أمر الله به ويعمل بما نهاه عنه

= بمعاقرة الخمر. اشترك في موقعة القادسية وأبلى فيها بلاءً حسناً، وترك شرب الخمر من ذلك اليوم. توفي رحمه الله سنة ثلاثين هجرية.
الاستيعاب: 4/ 1746، الأعلام: 5/ 76.

(1) هذان البيتان من بحر الطويل قالهما أبو محجن في وصف الخمر وشدة التعلق بها. في البيت الثاني شاهد للنحاة على تخفيف «أن» لوقوعها بعد الخوف بمعنى العلم واليقين، واسمها محذوف وجملة «لا أذوقها» خبر. (ديوانه: 48، معاني القرآن، للفراء: 1/ 265، محاضرات الراغب: 2/ 671).

(2) سورة الرحمن: 55، الآية: 22.

(3) الفراء، معاني القرآن: 1/ 147 بنصه تقريباً.

(4) رواه البيهقي في السنن الكبرى: 7/ 315، ابن حزم، المحلى: 10/ 240.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الضارون لأنفسهم بمعصيتهم. وإذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له أخذ شيء منها ديانة لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[1] واختلف السلف رضي الله عنهم في الخلع هل هو طلاق أو فسخ؟ فذهب بعضهم: إلى أنه فسخ، وهي رواية عن ابن عباس، واستدلوا بظاهر هذه الآية فقالوا: إن الله ذكر الطلاق الثالث بعد هذا بقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ فلو كان الخلع طلاقاً لجعل الطلاق أكثر من ثلاث. وأكثر فقهاء الأمصار قالوا: الخلع طلاق وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود والحسن وإبراهيم النخعي وغيرهم[2]. وليس في ظاهر هذه الآية دليل أن الخلع فسخ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ﴾ حكم مبتدأ إذ الواو للاستئناف إلا أن يقوم دليل الجمع، فكأن الله تعالى ذكر في أول هذه الآية حكم الطلاقين بغير بدل وخيِّر الزوج بين أن يراجعها في العدة أو يتركها حتى تنقضي عدتها، ثم استأنف ببيان حكم الطلاقين إذا كانا على وجه الخلع، وأبان عن موضع الحظر والإباحة فيهما، ثم ذكر حكم الطلقة الثالثة بالآية التي بعد هذه الآية، وهذا ما يستدل به على أن المختلعة يلحقها الطلاق، لأن عامة الفقهاء اتفقوا على أن تقدير الآية وترتيب أحكامها على ما وصفناه، فحصلت التطليقة الثالثة بعد الخلع.

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ أي فإن طلقها الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد الثالثة حتى تتزوج زوجاً غير الزوج الأول، ويدخل بها ويطلقها، إذ لا خلاف بين أهل العلم أن دخول الزوج الثاني بها شرط في إباحتها للأول إلا ما روي عن سعيد بن المسيب رواية

---

(1) سورة النساء: 4، الآية: 20.

(2) معالم التنزيل: 1/ 310.

شاذة، أنه لم يجعله شرطاً ولم يتابعه أحد على ذلك، وإنما جعل دخول الزوج الثاني بها شرطاً لمفهوم الآية وورود السنة، أما مفهوم الآية فلأن الله تعالى قال: ﴿تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ والنكاح هو الوطء في الحقيقة، وذكر الزوج يفيد العقد استحالة أن يكون زوجاً من غير عقد، فكأن قوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ كناية مفهمة مغنية عن التصريح[1]. وأما السّنة فما روي أن رفاعة القرظي[2] طلق امرأته[3] ثلاثاً فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير[4]، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال صلى الله عليه وسلم: «**هل جامعك عبدالرحمن؟**» فقالت: ما الذي معه إلا كهدبة ثوبي هذا، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أفتريدين أن ترجعي إلى زوجك الأول؟**» قالت: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: «**لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته**»[5]. فندمت على مقالتها، فقالت: يا رسول الله قد أضاق بي. فقال صلى الله عليه وسلم: «**لا أصدقك الآن**».

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ أي فإن طلقها الزوج الثاني بعدما دخل بها فلا حرج على المرأة والزوج الأول أن يتراجعا بأن يتزوجها مرة أخرى بعد انقضاء العدة. وقوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ أي إن علما بغالب ظنهما أنهما يقيمان حدود الله فيما بينهما لأنهما قد افترقا ورأى الزوج وحدته ورأت المرأة غربتها ووحشتها. والحكمة في شرط دخول الزوج الثاني بها: أن الطلاق لما كان من أبغض المباحات إلى

---

(1) أحكام القرآن، ابن العربي: 1/ 198. تح. البجاوي.

(2) رفاعة بن سموأل القرظي: من بني قريظة، روي أنه أحد الذين نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾. (الآية: 51 من سورة القصص).
الاستيعاب: 2/ 500.

(3) تميمة بنت وهب القرظية.
الطبقات الكبرى: 8/ 335.

(4) عبد الرحمن بن الزبير القرظي: تزوج تميمة فاعترض عنها فلم يستطع أن ينكحها ففارقها.
الاستيعاب: 2/ 833.

(5) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 10/ 582، رقم: 5317، كتاب الطلاق، ومسلم في صحيحه بشرح النووي: 1/ 2.

الله تعالى على ما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»[1]، شرط الله في حرمة الطلقة الثالثة ما يكبر على الأزواج من غشيان الغير تلك المرأة حتى لا يعجلوا بالطلاق عند الغضب ولا يطلقوا إلا على وجه السنة.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي هذه التي ذكرت أحكام الله وفرائضه يبينها في القرآن لقوم يعلمون أوامر الله تعالى، وإن ما يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص العلماء في هذه الآية لأنهم هم الذين يحفظون أوامر الله تعالى وأحكامه، وينتفعون بها. وقيل: خصهم الله بالذكر على جهة النباهة كما خص جبريل وميكائيل من بين الملائكة على جهة النباهة لهما.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿231﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ﴾. نزلت في ثابت بن يسار الأنصاري طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة وكادت تبين منه، راجعها ثم طلقها، ففعل بها مثل ذلك حتى مضت لها سبعة أشهر مضاراً لها بذلك، وكان الرجل إذا أراد أن يضار امرأته طلقها ثم تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها ثم طلقها فتطول عليها العدة، فهذا هو الضرار. فأنزل الله تعالى هذه الآية[2]. ومعنى الآية: وإذا طلقتم النساء تطليقة أو تطليقتين فبلغن أجلهن، أي قاربن وقت انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أو احبسوهن بالرجعة على أحسن الصحبة لا لتطويل العدة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ﴾ أي اتركوهن بمعروف حتى

---

(1) رواه أبو داود في سننه: 6/ 227، رقم: 2164، باب كراهة الطلاق.

(2) السيوطي، أسباب النزول: 49، تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 148.

ينقضي تمام أجلهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي لا تحبسوهن في العدة إضراراً لتعتدوا عليهن، أي تظلموهن.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أي من يفعل ذلك الاعتداء فقد عرض نفسه لعذاب الله بإتيان ما نهى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ملعون من ضار مسلماً أو ماكره**»[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أي لا تتركوا ما حد الله لكم من أمر الطلاق وغيره فتكونوا مقصرين لاعبين. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كان الرجل يطلق امرأته أو يعتق عبده ثم يقول: إنما كنت لاعباً. فيرجع في العتق والنكاح، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: «**من طلق لاعباً أو أعتق لاعباً فقد جاز عليه**»، أي نفذ عليه. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والعتاق والنكاح**». وفي بعض الروايات: «**الطلاق والنكاح والرجعة**»[3]. وروي في الخبر: «**خمس جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والعتاق والرجعة والنكاح والنذر**». وعن أبي موسى الأشعري[4] قال: غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأشعريين فأتيته فقلت: يا رسول الله، غضبت على الأشعريين؟ قال: «**يقول أحدكم لامرأته قد طلقتك، ثم يقول قد راجعتك. ليس هذا طلاق المسلمين. طلقوا المرأة قبل طهرها**». وقال الكلبي: معنى الآية: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أي أمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بإحسان.

---

(1) رواه الثعلبي بسنده في تفسيره، ورقة 148 من حديث أبي بكر الصديق.

(2) السيوطي، أسباب النزول: 49، الثعلبي في المصدر السابق.

(3) رواه الترمذي في سننه: 4/ 362، باب في الجد والهزل في الطلاق.
ورواه أبو داود في سننه: 6/ 262، باب في الطلاق على الهزل.

(4) أبو موسى، عبد الله بن قيس الأشعري: صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضيهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم، وهاجر إلى الحبشة، ثم استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة، ففتح أصبهان والأهواز، وولاه عثمان على الكوفة. توفي سنة اثنتين وخمسين هـ.
الاستيعاب: 4/ 1762، الطبقات الكبرى: 4/ 105، حلية الأولياء: 1/ 256.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ أي احفظوا منة الله عليكم في أمر الدين. وقيل: اذكروا نعمة الله عليكم بالإيمان وما أنزل عليكم من الكتاب، يعني القرآن، والحكمة يعني مواعظ القرآن والحدود والأحكام. وقيل الحكمة: هي فقه الحلال والحرام. وقوله: ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ أي ينهاكم عن الأضرار وسائر المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿231﴾﴾ أي اخشوه فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالكم من العدل والجور ﴿عَلِيمٌ ﴿231﴾﴾ أي عالم يجازيكم على الخير والشر. ومن الناس من يحتج بقوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ في إيجاب الفرقة بين المعسر العاجز عن النفقة وبين امرأته، لأن الله خيركم بين أحد شيئين، فإذا عجز عن أحدهما تعين عليه الثاني. قلت: هذا الاحتجاج بعيد من الآية، لأن العاجز عن نفقة المرأة ممسك بالمعروف، إذ لم يكلف الإنفاق في هذه الحالة. قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾(1)، وغير جائز أن يقال للمعسر غير ممسك بالمعروف، إذ ترك الإمساك بالمعروف ذم، والعاجز غير مذموم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿232﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾. قال الحسن وقتادة: نزلت هذه الآية في معقل بن يسار(2)

---

(1) سورة الطلاق: 65، الآية: 7.

(2) أبو عبد الله، معقل بن يسار المزني: صحابي جليل، شهد بيعة الرضوان، ثم سكن البصرة، وروى عنه جماعة منهم أبو عثمان النهدي. توفي رحمه الله في خلافة معاوية.
الاستيعاب: 3/ 1432، الطبقات الكبرى: 7/ 10.

كانت أخته جميلة[1]، تحت أبي البداح[2] طلقها تطليقة واحدة ثم تركها حتى انقضت عدتها، ثم ندم على طلاقه إياها، فخطبها فرضيت المرأة بذلك وأحبت أن تراجعه وأبى أخوها معقل وقال لها: إني اخترته على أشراف قومي وطلقك ثم تريدين أن تراجعيه، وجهي من وجهك حرام أبداً إن تزوجته. فأنزل الله هذه الآية ينهى معقلاً عما صنع[3]. وروي أن أبا البداح لما طلقها وتركها حتى انقضت عدتها، جاء يخطبها وأراد مراجعتها، وكانت المرأة تحب مراجعته، قال له أخوها: أفرشتك كريمتي وآثرتك على قومي وطلقتها ولم تراجعها حتى انقضت عدتها، ثم جئت تخطبها والله لا أنكحها أبداً. فأنزل الله هذه الآية، ومعناها: وإذا طلقتم النساء واحدة أو اثنتين فبلغن أجلهن يعني انقضت عدتهن، وأراد ببلوغ الأجل في هذه الآية حقيقة البلوغ بإنقضاء العدة ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ أي لا تمنعوهن أن ينكحن أزواجهن، يعني الذين كانوا أزواجاً لهن من قبل. وقوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ أي إذا تراضوا بنكاح جديد ومهر وشهود وما لا يكون مستنكراً في عقل ولا عادة ولا خلق.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾ أي ذلك الذي ذكر من النهي عن العضل يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله ويؤمن بالبعث.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ أي لا تمنعوها خيراً لكم وأفضل وأدخل في التزكية من المنع لهن وأطهر من الذنب وأبعد من الريبة، لأنه إذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما.

---

(1) جميلة بنت يسار هي التي عضلها أخوها.
الاستيعاب: 4/ 1801.

(2) أبو البداح بن عاصم بن عدي الأنصاري. اختلف في صحبته، وقد صحح أبو عمر يوسف بن عبد الرحمن صحبته وقال: الأكثر يذكرونه في الصحابة، وهو الذي توفي عن سبيعة الأسلمية، ثم خطبها أبو السنابل بن بعكك.
الاستيعاب: 4/ 1608، الطبقات الكبرى: 5/ 26.

(3) الواحدي، أسباب النزول: 70 وما بعدها، تفسير القرطبي: 3/ 158.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي والله يعلم حب واحد منهما لصاحبه وأنتم لا تعلمون ذلك. وقيل: معناه والله يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والآجل، ويعلم ما يزكيكم مما يرديكم وأنتم لا تعلمون ذلك. فلما نزلت هذه الآية، دعا النبي صلى الله عليه وسلم معقلاً فقرأ الآية عليه وقال: «**إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تمنع أختك من أبي البداح**». فقال: إني أؤمن بالله واليوم الآخر وأشهدك أني قد أنكحته. وكفَّر عن يمينه[1]. والعضل في اللغة له معنيان: أحدهما: المنع، يقال: عضل الرجل المرأة يعضِلها ويعضُلها إذا منعها عن الأزواج ظلماً. وأعضل الداء الأطباء إذا أعياهم عن معالجته. ويقال: داء عضال ومسألة معضلة، والآخر: التضييق، يقال عضل الفضاء بالجيش إذا ضاق بهم، وعضلت المرأة بولدها إذا عسر خروجه. وفي الآية دليل على جواز نكاح المرأة على نفسها إذا عقدت بغير ولي، لأن الله تعالى أضاف العقد إليها ونهى الولي عن عضلها إذا تراضى الزوجان بالمعروف، ويدل على ذلك قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾[2] وقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿233﴾﴾.

قال أبو بكر الحداد:

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ أي المطلقات اللائي لهن أولاد من أزواجهن المطلقين الذين ولدنهم قبل

---

(1) ذكره القرطبي في تفسيره: 3/ 158.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 230.
(3) سورة البقرة: 2، الآية: 234.

الطلاق أو بعده. وقوله: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه: الأمر، كأنه قال: لترضع الوالدات أولادهن كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾[1] يدل على ذلك أنه لو كان قوله: ﴿يُرْضِعْنَ﴾ خبراً لما وجد مخبره على خلاف ما أخبر الله به، فلما كان من الوالدات من لا ترضع علم أنه لم يرد به الخبر، فكان هذا محمولاً في حال قيام النكاح على الأوامر الواجبة من طريق الدين لا من جهة الحكم، فإنها إذا امتنعت من الإرضاع لم يكن للزوج أن يجبرها على ذلك من حيث الحكم، وإن أرضعت لم تستحق نفقة الإرضاع[2] مع بقاء الزوجية، ولا يجتمع لها نفقتان. وفي الآية إثبات حق الرضاع للأم وبيان مدة الرضاع المستحق على الوالد، فإن الوالد لو امتنع من الإرضاع في الحولين أجبر عليه، كما قال تعالى في آية المطلقات: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، وقال: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾[3]، فإن قيل: كيف قال الله تعالى حولين كاملين، والحولان لا يكونان إلا كاملين؟ قيل: لإزالة الإيهام، فإن الإنسان قد يقول: أقمت عند فلان سنتين إذا كان قريباً من سنتين، وسرت شهراً إذا كان قريباً من شهر. فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان: أربعة وعشرون شهراً من يوم يولد إلى أن يفطم.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ أي لمن أراد من الآباء أن يتم الرضاعة المفروضة عليه، أي هذا منتهى الرضاعة، وليس فيما دون ذلك وقت محدود، وإنما هو على مقدار إصلاح الصبي وما يعيش به. قرأ أبو رجاء: الرضاعة ـ بكسر الراء. قال الخليل: وهما لغتان مثل: الوِكالة والوَكالة، والدِلالة والدَلالة. وقرأ مجاهد: لمن أراد أن يتم الرضعة، وهي فعلة كالمرة الواحدة. وقرأ عكرمة: لمن أراد أن يتم الرضاعة ـ بياء مفتوحة ورفع الرضاعة على الفاعل وقرأ ابن عباس: لمن أراد أن يكمل الرضاعة[4].

---

(1) سورة البقرة: 2، الآية: 228.
(2) في النسخة (ف): الرضاع.
(3) سورة الطلاق: 56، الآية: 6.
(4) تفسير القرطبي: 3/ 162، تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 149.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ معناه: وعلى الأب نفقتهن وكسوتهن كما يعرف أنه العدل يكون ذلك أجرة لهن على الرضاع إذا كان رضاع الولد بعد الفراق.

قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ أي لا يجبر الأب على النفقة والكسوة إلا بمقدار طاقته. والتكليف: هو الإلزام. وقال الضحاك: هذا في المطلقات دون الزوجات، لأن الله تعالى قابل هذه النفقة بالإرضاع، ونفقة الزوجة لا تجب بالإرضاع وإنما تجب بسبب الزوجية.

قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وسلام برفع الراء المشددة على الخبر منسوقاً على قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾. وأصله: لا تضارر، فأدغمت الراء في الراء. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: لا تضار مشددة منصوبة على النهي، وأصله: لا تضارر فأدغمت الراء في الراء وحركت إلى أخف الحركات وهو النصب، ويدل عليه قراءة عمر[1]: لا تضارر، على إظهار التضعيف[2]. ومعنى الآية: لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه وألفها الطفل ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ﴾ أي لا تلقيه هي إلى أبيه بعد أن عرفها الولد لتضارر الأب بذلك. وقيل معناه: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ فتكره على إرضاعه إذا قبل من غيرها، وكرهت هي إرضاعه، لأن ذلك ليس بواجب عليها ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ﴾ فيحمل على أن تعطى الأم إذا لم يرضع الولد إلا منها أكثر مما يجب لها عليه، وهذان القولان على مذهب الفعل المجهول على معنى أن يفعل ذلك بهما، والوالدة والمولود له مفعولان. وأصل الكلمة: تضارر ـ بفتح الراء الأولى، ويحتمل أن يكون الفعل لهما ويكون على مذهب من قد سمي فاعله، والمعنى: لا تضارر والدة بولدها فتأبى أن ترضع ولدها لتشق على أبيه، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ﴾ أي ولا يضار الأب أم الصبي فيمنعها

---

(1) أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، روي أنه قرأ «لا تضارر» براءين الأولى مفتوحة. (تفسير القرطبي: 3/ 167).

(2) مكي، الكشف: 1/ 296، تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 150.

من إرضاعه وينزعه منها، وهذا المذهب أصله لا تضارر ـ بكسر الراء الأولى. وجعل الزجاج قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ بالنصب نهياً للوالدة عن الإضرار بالولد[1]. وقوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ نهياً للوالد عن الإضرار بولده، ومعنى ذلك: لا تترك الوالدة إرضاع ولدها غيظاً على أبيه فتضر بالولد، لأن الوالدة أشفق بولدها من الأجنبية، ولا يأخذ الأب الولد من أمه قصداً إلى الإضرار بها فيضر بولدها[2] ولا يمنعها الأجرة فيضر بولده.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، يعني وعلى وارث الولد إذا لم يكن له أب مثل ما على الأب من النفقة والكسوة وترك الإضرار. قال عمر والحسن: إنه على العصبات دون أصحاب الفرائض. وقال قتادة: إنه على الوارث من العصبات وأصحاب الفرائض جميعاً على كل واحد منهم بمقدار نصيبه من الميراث، إلا أنه لم يشترط أن يكون الوارث ذا رحم محرم من الولد[3]. وقد شرط أصحابنا ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي إن أراد الأبوان فطام الولد من اللبن دون الحولين بتراضيهما ومشاورتهما فلا إثم عليهما في ذلك. وعن ابن عباس معناه: إن أرادا فصالاً قبل الحولين أو بعدهما بتراضيهما فلا جناح عليهما، فإن تشاقا رجعا إلى الحولين[4]. وإنما سمي الفطام فصالاً لانفصال المولود من الاغتذاء بثدي أمه.. إلى غير ذلك من الأقوات. وأصل الفصل: القطع والتفريق.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي وإن أردتم، يعني الآباء والأمهات، أن تسترضعوا أولادكم غير الوالدة فلا إثم عليكم إذا سلمتم من الأجرة ما تراضيتم به ولهذا قالوا: إن الأم

---

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 313.
(2) في النسخة (ف): بولده.
(3) تفسير البغوي، معالم التنزيل: 1/ 317 ـ 318.
(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 139.

إذا لم تختر أن ترضع الولد بعد الطلاق واختارت أن يكون الولد عندها أمر الزوج أن يستأجر ظئراً لترضعه في بيت أم الرضيع.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿233﴾﴾ أي اتقوا الله في الضرار ومخالفة أمر الله، واعلموا أن الله بما تعملون من العدل والجور في أولادكم ونسائكم بصير عالم يجزيكم به. وأما تأويل ذكر الحولين في مدة الرضاع فهو محمول على قول أبي حنيفة على بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع. فأما أكثر مدة الرضاع وثبوت حكم الحرمة فثلاثون شهراً على مذهبه. وعن ابن عباس أنه كان يقول في قوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾(1) بيان أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع، لأن الله تعالى قال في آية أخرى ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾(2) وكان يقول: إذا كان الحمل ستة أشهر كانت مدة الرضاع سنتين، وإن كان الحمل تسعة أشهر كان الرضاع سنة وتسعة أشهر، وعلى هذا مهما زاد في الحمل شهراً نقص بإزائه من الرضاع، وهذا ما يقتضي أن الحمل إذا بلغ سنتين أن المرأة لا ترضع ولدها إلا ستة أشهر(3). وكان أبو حنيفة يحمل قوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ على ذكر الحمل على الأيدي مع بيان مدة أكثر الرضاع.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿234﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ معناه: أن الذين يموتون منكم ويتركون نساءهم من بعدهم ينتظرون في عدتهن مضي أربعة أشهر وعشراً لا يتزوجن ولا يتزين في هذه المدة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي إذا انقضت عدتهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

---

(1) سورة الأحقاف: 46، الآية: 15.
(2) سورة لقمان: 31، الآية: 14.
(3) تفسير القرطبي: 3/ 163.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾، أي لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضاء المدة ليتزين زينة لا ننكر مثلها ويتزوجن من الكفاء ويفعلن كل معروف.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي بما تعملون من الخير والشر، عالم بما يجزيكم به. فإن قيل: الذين اسم موصول، ويتوفون ويذرون من صلته وجملته مبتدأ، ويتربصن فعل الأزواج لا فعل الذين، ولا فيه ضمير عائد إلى الذين فيبقى المبتدأ والخبر، والمبتدأ لا يخلو من خبر اسماً كان أو فعلاً، وليس من ذلك ههنا شيء؟ قيل: قال أبو العباس السراج[1]: في الآية ضمير تقديره أزواجهم يتربصن لأن الفعل يدل على الفاعل. وقال الأخفش: تقديره: يتربصن من بعدهم أربعة أشهر حتى يكون الضمير عائداً إلى الذين[2]. وذكر الزجاج أن النون في قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ قائم مقام الأزواج كناية عنها لا محالة فصار كالتصريح، وهكذا كما يقال: الذي يموت ويخلف ابنتين يرثان الثلثين، معناه: ترث ابنتاه الثلثين[3].

قوله تعالى: ﴿وَعَشْرًاۖ﴾ ظاهر لفظ العشر يتناول الليالي ترى أنه يقال للأيام: عشرة أيام، وإنما غلب لفظ التأنيث في الآية فقيل: عشراً، لأن العرب تقدم الليل على النهار ويعدون أول كل شهر من الليلة، ألا تراهم يصلون التراويح إذا رأوا الهلال ويدعونها إذا رأوا هلال شوال. ومن عادتهم إذا ذكروا أحد العددين على سبيل الجمع أرادوا مثله من العدد الآخر، كما قال تعالى في قصة زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ﴾[4]، وقال

---

(1) أبو العباس، محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران السراج الثقفي مقرىء حافظ للحديث، ثقة شيخ خراسان روى القراءة عن حميد بن الري، وسمع إسحاق بن راهويه. قرأ عليه أبو بكر النقاش. من مؤلفاته: «المسند» في أربعة عشر جزءاً، و«التاريخ». توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة هجرية. غاية النهاية: 2/ 97، طبقات الشافعية: 2/ 130، تاريخ بغداد: 1/ 248.

(2) الأخفش، معاني القرآن: 1/ 373.

(3) الزجاج، معاني القرآن: 1/ 315.

(4) سورة آل عمران: 3، الآية: 41.

في موضع آخر: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾[1] والقصة واحدة فعبر تارة بالأيام عن الليالي، وتارة بالليالي عن الأيام. ويقال: الحكمة في تقدير عدة الوفاة بأربعة أشهر وعشراً ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوماً علقة، ثم أربعين يوماً مضغة، ثم ينفخ فيه الروح في عشرة أيام فيكتب أجله ورزقه وأنه شقي أو سعيد[2]. فيجوز أن الله تعالى قدر هذه المدة للوفاة ليظهر أنها حامل أو حائل. واختلفوا في عدة الحامل فقال عمر بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم: إن الحامل تخرج من هذه العدة إذا وضعت حملها، وإن كان زوجها على السرير حتى قال ابن مسعود: من شاء باهلته إن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾[3] نزل بعد قوله: ﴿أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾. وقال علي: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي بأبعد الأجلين. وعن عمرو بن شعيب[4] عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ في المطلقة والمتوفى عنها زوجها؟ قال صلى الله عليه وسلم: «**فيهما جميعاً**». كذا في تفسير عبد الصمد[5]. روي أن سبيعة بن الحارث[6] وضعت حملها بعد وفاة زوجها بأيام، فأرادت أن تتزوج فمر بها أبو السنابل

---

(1) سورة مريم: 19، الآية: 10.

(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 6/ 447، رقم: 3208، كتاب بدء الخلق، ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 16/ 190.

(3) سورة الطلاق: 65، الآية: 4.

(4) أبو إبراهيم، عمرو بن شعيب بن محمد السهمي: ثقة من رجال الحديث، كان يسكن مكة. وتوفي رحمه الله بالطائف سنة ثماني عشرة ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 333، ميزان الاعتدال: 2/ 289، تهذيب التهذيب: 8/ 48.

(5) أبو الفتح، عبد الصمد بن القاضي محمود بن يونس الغزنوي الفقيه الحنفي. من مؤلفاته: «تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء» وهو تفسير كبير في ثلاثة مجلدات.
كشف الظنون: 2/ 453، هدية العارفين: 1/ 574.

(6) سبيعة بنت الحارث الأسلمية: كانت متزوجة سعد بن خولة فتوفي عنها وهي حامل، وعندما ولدت سبيعة بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة أمرها الرسول صلى الله عليه وسلم أن تتزوج.
الطبقات الكبرى: 8/ 224.

فقال: أتريدين أن تتزوجي؟ قالت: نعم. قال: كلا، إنه آخر الأجلين. فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له، فقال صلى الله عليه وسلم: «**كذب أبو السنابل**[1]**، إذا أتاك من يريد ذلك فأعلميني**»[2]. وجميع أهل التفسير على أن هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[3]، وإن كانت هذه الآية متقدمة على تلك الآية في التلاوة. وأجمع الفقهاء إلا أبا بكر الأصم[4] أن أربعة أشهر وعشرا عدة الحرة دون الأمة، وأن عدة الأمة تنقضي بشهرين وخمسة أيام. وكان أبو بكر الأصم يقول: إن عدتهما جميعاً تنقضي بأربعة أشهر وعشراً، فإن ولد الأمة إنما تنفخ فيه الروح في الوقت الذي ينفخ فيه الروح في ولد الحرة[5]. والجواب عن هذا أن يقال: إن خبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أخبار الآحاد لا يوجب حقيقة العلم. ولما أجمعوا على أن الرق ينصف عدة الإقراء وعدة الشهور في الآيسة والصغيرة، وكذلك وجب أن تنتصف عدة الوفاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿235﴾﴾.

---

(1) أبو السنابل، حبة بن بعكك القرشي العامري، اشتهر بكنيته: من مسلمي الفتح، كان شاعراً، خطب سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد وفاة زوجها سعد بن خولة. توفي رحمه الله بمكة.
الاستيعاب: 1/ 312، الطبقات الكبرى: 5/ 449.

(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 10/ 588، رقم: 5318، كتاب الطلاق، رواه أبو داود في سننه: عون المعبود: 6/ 416، رقم: 2289، باب في عدة الحامل.

(3) سورة البقرة: 2، الآية: 240.

(4) أبو بكر، عبد الرحمن بن كيسان الأصم: فقيه مفسر، كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم. من مؤلفاته: «تفسير» ومناظرات مع أبي الهذيل العلاف. توفي سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية.
الداودي، طبقات المفسرين: 269، الأعلام: 4/ 323.

(5) تفسير القرطبي: 3/ 183.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية. قال ابن عباس: التعريض: هو أن يقول الرجل للمعتدة إني أريد النكاح وأحب امرأة من صفاتها كذا وكذا، فيصفها بالصفة التي هي عليها حتى تعلم رغبته فيها. وقيل: هو أن يقول لها إنك لتعجبينني وأرجو أن يجمع الله بيني وبينك، أو يقول يا ليت لي مثلك، وإن قضى الله لي أمراً كان. ومعنى الآية: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ اللواتي هن في عدة موت أو طلاق بائن أو ثلاث.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ معناه: أو أضمرتم في قلوبكم العزم على النكاح.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾، أي علم الله أنكم ستذكرونهن في العدة لرغبتكم فيهن وخوفكم سبق غيركم إليهن ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ أي لا تواعدها أيها الخاطب في السر ولا تواثقها أي أن لا تتزوج غيرك. وقيل: لا تواعدها في السر تصريحاً. وقيل: المراد بالسر الجماع لأنه لا يكون إلا في السر كأنه قال: لا ينعت الخاطب نفسه لها ليرغبها في نفسه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي إلا أن تعرضوا بالخطبة كناية من غير إفصاح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ أي لا تعزموا على عقدة النكاح، حذف «على» للتخفيف، كما يقال: ضربت فلاناً ظهره وبطنه، أي على ظهره وعلى بطنه. ومعنى ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: أي حتى يبلغ فرض المطلقات أجله أي حتى تنقضي العدة فإن العدة فرض القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ أي يعلم ما في قلوبكم من الوفاء وغير ذلك فاحذروا أن تخالفوه فيما أمركم به ونهاكم عنه.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿235﴾﴾ أي غفور لمخالفتكم إن تبتم حليم، أي لم يعجل عليكم بالعقوبة. والتعريض في اللغة: هو الإيماء والتلويح

والدلالة على الشيء من غير كشف ولا تبيين، نحو أن يقول الرجل لغيره: ما أقبح البخل! يعرضه لذلك. والخطبة ـ بكسر الخاء: هي الكلام الذي يستدعى به إلى النكاح، والخطبة ـ بالضم: هو الكلام المؤلف إما لموعظة أو دعاء إلى شيء. والكناية هي الدلالة على الشيء مع العدول عن الاسم الأخص إلى لفظ آخر يدل عليه نحو أن يكنى عن زيد فيقول لغيره: ما أبخل صديقك، وما أبخل الذي كنا عنده! والإكنان: هو الستر، يقول في كل شيء سترته أكننته، وفيما تصونه كننته. قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿49﴾﴾[1] أي مصون.

قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿236﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿237﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾، أي لا حرج عليكم إن طلقتم النساء ما لم تجامعوهن أو تسموا لهن مهرا، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي متعوا اللائي طلقتموهن قبل المسيس، والفرض على الغني بمقدار غناه، وعلى الفقير بمقدار طاقته.

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي ما تعرفون أنه القصد وقدر الإمكان حقاً على المحسنين، أي واجباً على المؤمنين. انتصب «متاعاً» على المصدر من قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ ونصب «حقاً» على الحال. وفي الآية دلالة على جواز النكاح بغير تسمية المهر، لأن الله تعالى حكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية، والطلاق لا يصح إلا في نكاح صحيح. ومعنى ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة، وقد يكون بمعنى

---

(1) سورة الصافات: 37، الآية: 49.

الواو، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿24﴾﴾[1]، وكذلك قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾[2]، والمعنى: وجاء أحد منكم من الغائط، وأعلى المتعة: خادم وثياب وورق، وأدناه: خمار ودرع وملحفة. ولا يجاوز بالمتعة نصف مهر المثل بغير رضى الزوج. وقد اختلف السلف في أن هذه المتعة هل يجبر الزوج عليها أو لا؟ قال شريح: إن القاضي يأمر الزوج بها من غير أن يجبره عليها. وكان شريح قول للزوج: إن كنت من المتقين أو من المحسنين فمتِّعها[3]. وأما عندنا: فإن القاضي يجبر الزوج على المتعة للمرأة التي طلقها قبل المسيس والفرض، لأن الله تعالى قال: ﴿حَقًّا﴾ وليس في ألفاظ الإيجاب آكد من قولهم: حقاً عليه. وفي قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بيان أنها من شروط الإسلام، وعلى كل أحد أن يكون محسناً كما قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[4] وهو هدى للناس كلهم. وقيل: إنما خص المحسنين بالذكر تشريفاً لهم، لأنه لا يجب على غيرهم فوصف المؤمنين بالإحسان، لأن الإحسان أكبر أخلاقهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ معناه: وإن طلقتموهن من قبل أن تجامعوهن وقد سميتم لهن مهراً فعليكم نصف ما سميتم من المهر إلا أن يتركن ما وجب لهن من الصداق، بأن تقول إحداهن: ما مسني ولا قربني فأدع له المهر.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾. ذهب أكثر المفسرين إلى أن الذي بيده عقد النكاح هو الزوج، وعفوه: أن يترك لها جميع الصداق ولا يرجع عليها بشيء منه إذا كان قد أعطاها مهرها، وإن لم يكن أعطاها فعفوه أن يتفضل عليها بأن يتم لها جميع مهرها. وقد يكون الصداق عبداً بعينه، أو عرضاً بعينه لا يمكن تمليكه بالإسقاط والإبراء من واحد من الجانبين، فيكون

---

(1) سورة الإنسان: 76، الآية: 24.
(2) سورة النساء: 4، الآية: 43، سورة المائدة: 5، الآية: 6.
(3) البغوي، معالم التنزيل: 326.
(4) سورة البقرة: 2، الآية: 2.

معنى العفو في ذلك الفضل. وفي الآية ما دل على ذلك وهو قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾. وإنما ندب الزوج إلى تتميم الصداق لأنه إذا تزوجها ثم طلقها فقد فعل ما يشينها فكان الأفضل أن يعطيها مهرها. وذهب بعضهم إلى أن الذي بيده عقدة النكاح هو ولي المرأة، حتى قال مالك: لأبي البكر أن يسقط نصف الصداق على الزوج بعد الطلاق قبل الدخول. والصحيح هو القول الأول، لأن قوله: ﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ يقتضي عقدة موجودة، والزوج هو الذي يملك استدامة النكاح وحله، وهو الذي يملك العقد على نفسه من غير ولي يحتاج إليه، وتكون عقدة النكاح على الحقيقة بيد الزوج، وأما وليّ المرأة فلا يملك العقد عليها إلا برضاها، ولا يملك إسقاط سائر حقوقها.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ندب الله كل فريق من الزوج والمرأة إلى العفو، كأنه قال: أيهما عفا عن صاحبه فقد أخذ بالفضل. وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي قرب إلى أن يتّقي أحدهما ظلم صاحبه، فإن من ترك حقه كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له، ومن بذل الفضل كان أقرب إلى بذل الفرض.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا تتركوا الإحسان والإنسانية فيما بينكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي بما تعملون من الفضل والإحسان، بصير عالم يجزيكم به. ونسيان الفضل هو: الاستقصاء في استيفاء الحق على الكمال حتى لا يترك شيئاً من حقه على صاحبه. وظاهر هذه الآية يقتضي أن الزوج إذا كان سمى لها مهراً بعد عقد النكاح ثم طلقها أن المسمى يتنصف. وإليه ذهب مالك والشافعي. وهو قول أبي يوسف الأول، ثم رجع إلى قول أبي حنيفة محمد، فكأن المراد بهذه الآية على قولهم أن يكون الفرض في نفس العقد، لأن التسمية بعد تمام عقد النكاح تقدير لمهر المثل أو بدل عنه فتسقط بالطلاق قبل الدخول، فتجب المتعة، وقد ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن المراد بقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ نفس المسيس أو ما يقوم مقامه. فإنه إذا خلا بها خلوة صحيحة نحو أن لا يكون أحدهما محرماً ولا مريضاً ولا صائماً صوم فرض، ولا تكون المرأة حائضاً ولا رتقاء، ثم طلقها وجب لها

المهر كله وإن لم يدخل بها، كما روي عن زرارة بن أوفى أنه قال: أجمع الخلفاء الراشدون المهديون أن من أغلق على امرأته باباً وأرخى لها ستراً ثم طلقها وجب لها الصداق كاملاً وعليها العدة. وفرق عمر رضي الله عنه بين العنين وامرأته وأوجب عليه المهر وقال: ما ذنبهن إذا جاء العجز من قبلكم؟[1].

قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿238﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿239﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿240﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿241﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿242﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أي واظبوا وداوموا على الصلوات المفروضة في مواقيتها وشروطها. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ اختلفوا فيها، فعن علي وابن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله، والحسن، والنخعي، وقتادة، وأبي أيوب[2]، والضحاك، والكلبي، ومقاتل: أنها صلاة العصر، يدل عليه ما روى سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: الصلاة الوسطى هي العصر[3]. وفي بعض الأخبار: هي التي فرط فيها سليمان. وعن هشام بن عروة[4] عن أبيه قال: كان في مصحف عائشة رضي

---

(1) تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 154.

(2) أبو أيوب، سليمان بن يسار مولى ميمونة أم المؤمنين: أحد فقهاء المدينة المشهورين، كان سعيد بن المسيب إذا أتاه مستفت يقول له: اذهب إلى سليمان فإنه أعلم من بقي اليوم. كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث. وتوفي رحمه الله سنة تسع ومائة هـ.
الطبقات الكبرى: 5/ 132، تذكرة الحفاظ: 1/ 91، تهذيب التهذيب: 4/ 228.

(3) رواه البيهقي في السنن الكبرى: 1/ 460، كتاب الصلاة.
وابن خزيمة في صحيحه: 2/ 290، رقم: 1338.

(4) أبو المنذر، هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي: تابعي من أئمة الحديث، من علماء المدينة، كان ثقة كثير الحديث، روى عن أبيه. توفي سنة ست وأربعين ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 375، ميزان الاعتدال: 3/ 255، مرآة الجنان: 1/ 302.

الله عنها: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين[1]. وهكذا كان يقرؤها أبي بن كعب. وعن [أبي] يونس[2] رضي الله عنه مولى عائشة قال: أمرتني عائشة رضي الله عنها أن أكتب لها مصحفاً فقالت: إذا بلغت ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ فآذني. فلما بلغت أعلمتها، فأملت عليّ: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر[3]. وروى نافع عن حفصة[4] زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت لكاتب[5] مصحفها: إذا بلغت ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما بلغ إلى ذلك أخبرها، فقالت له: اكتب، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر**»[6]. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الخندق: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً**». وقال علي رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً**»[7].

---

(1) ذكره القرطبي في تفسيره: 5/ 175.

(2) أبو يونس، مولى عائشة أم المؤمنين، روي عن عائشة، وروي عنه القعقاع بن حكيم وغيره. الطبقات الكبرى: 5/ 227.

(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 129.

(4) حفصة بنت عمر بن الخطاب: إحدى أمهات المؤمنين، ولدت بمكة وتزوجها خنيس السهمي، وبعد أن ظهر الإسلام أسلمت وهاجرت مع زوجها، وبعد وفاته تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم. توفيت بالمدينة سنة خمس وأربعين هجرية.
الاستيعاب: 4/ 1811، الإصابة: 4/ 273، رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 8/ 81، حلية الأولياء: 2/ 50.

(5) عمرو بن رافع مولى عمر بن الخطاب، كان يكتب المصاحف لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم.
الاستيعاب: 3/ 1175، رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 299.

(6) رواه البيهقي في السنن الكبرى: 1/ 462، كتاب الصلاة.

(7) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 8/ 164، رقم: 411، كتاب المغازي، ومسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 127، باب دليل من قال الصلاة الوسطى صلاة العصر، والبيهقي في السنن الكبرى: 1/ 459، كتاب الصلاة، والدارمي في سننه: 1/ 268، باب في الصلاة الوسطى.

ثم صلاها بعد العشاءين. وروي أن رجلاً قال في مجلس عمر بن عبد العزيز بن مروان: أرسلني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأنا غلام صغير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله عن الصلاة الوسطى، فأخذ بأصبعي الصغيرة وقال: «**هذه الفجر**»، وقبض التي تليها وقال: «**هذه الظهر**»، ثم قبض الإبهام وقال: «**هذه المغرب**»، ثم قبض التي تليها وقال: «**هذه العشاء**»، ثم قال لي: «**أي أصابعك بقيت؟**» قلت: الوسطى. قال: «**وأي الصلاة بقيت؟**» قلت: العصر. قال: «**هي العصر**»[1]. قالوا: وإنما كانت العصر هي الوسطى لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار، وإنما خصصها بالذكر لأنها تقع في وقت اشتغال الناس بأمور البيت، فخصصها بالذكر للحث عليها. روى بريدة[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بكروا بالعصر في يوم الغيم[3]، فإنه من ترك صلاة العصر فقط حبط عمله**»[4]. وروى نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله**»[5]. وقال قبيصة بن ذؤيب[6]: هي صلاة المغرب لأنها أوسط صلاة أوجبت على

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره: 5/ 176.

(2) في النسخة (ف): أبو بردة.
هو أبن عبد الله، بريدة بن الحصيب الأسلمي: أسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة، ثم هاجر وأقام في المدينة إلى أن توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل إلى البصرة ومنها إلى خراسان، وتوفي بمرو في خلافة يزيد بن معاوية.
الاستيعاب: 1/ 185، رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 4/ 182، أسد الغابة: 1/ 269.

(3) خص يوم الغيم بذلك، لأنه مظنة التأخير، إما لمتنطع يحتاط لدخول الوقت، فيبالغ في التأخير حتى يخرج الوقت، أو المتشاغل بأمر آخر فيظن بقاء الوقت فيسترسل في شغله إلى أن يخرج الوقت.

(4) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 2/ 219، رقم: 553، كتاب مواقيت الصلاة، والبيهقي في سننه: 1/ 444، كتاب الصلاة.

(5) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 2/ 217د رقم: 552، كتاب مواقيت الصلاة، ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 125، باب استحباب التكبير بالعصر.

(6) أبو إسحاق قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، تابعي ثقة من علماء هذه الأمة وفقهائها المشهورين، كثير الحديث سمع من عثمان بن عفان، ثم سكن الشام وأصبح ذا مكانة عالية عند عبد الملك بن مروان، توفي سنة ست وثمانين هجرية، رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 176، الأعلام: 5/ 189.

الناس. وقيل: لأنها وسط في عدد الركعات، لأنها بين الثنتين والأربع، ولا تقصر في السفر، وهي وتر النهار، وإنما خصها بالذكر لأنها أول صلاة الليل الذي يرغب الناس عن الصلاة فيه[1]. روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم، فتح الله بها صلاة الليل، وختم بها صلاة النهار، فمن صلاها وصلى ركعتين بعدها بنى الله له قصراً في الجنة، ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة**»، أو قال: «**أربعين سنة**»[2]. وحكى الشيخ الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان[3] إنها صلاة العشاء، لأنها بين صلاتين لا يقصران[4]. روى ابن عمر رضي الله عنه عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة**»[5]. وقال جابر بن عبد الله: هي صلاة الفجر لأنها تقع بين الظلاة والضياء. وقال زيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وأسامة، وعائشة رضي الله عنها: إنها صلاة الظهر، لأنها تقع في وسط النهار، وإنما خصها ـ بالذكر لأنها أول صلاة فرضت على الناس. روى زيد بن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر وكانت أثقل الصلوات على أصحابه فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس يكونون في قائلتهم وتجاراتهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «**لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم**»[6]. فنزل قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره: 5/ 214.

(2) رواه الثعلبي في تفسيره بسنده، خ، الورقة: 157.

(3) أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري، الفقيه الشافعي، مفتي نيسابور وابن مفتيها، كان فقيهاً أديباً متكلماً. من مؤلفاته: «الفوائد». توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.
طبقات السبكي: 3/ 169، الأعلام: 3/ 143.

(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 158.

(5) رواه ابن خزيمة في صحيحه: 21/ 365، رقم: 1473.

(6) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 153.

﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾. وقال علي رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا زالت الشمس يسبِّح كل شيء لربنا**»، فأمر الله بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى تصلي الظهر، ويستجاب فيها الدعاء، ولأنها أول صلاة يوجه فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الكعبة، وهي التي ترفع جميع الصلوات والجماعات لأجلها يوم الجمعة. وقال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس ولا نعرفها بعينها. وسئل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى، فقال للسائل(1): إذا أنت علمتها أكنت محافظاً عليها ومضيعاً سائرهن؟ قال: لا. قال: فإنك إن حافظت عليهن فقد حافظت عليها(2). وبه يقول أبو بكر الوراق، قال: لو شاء الله لعيّنها، ولكنه سبحانه أراد تنبيه الخلق على أداء جميع الصلوات فأخفاها في جملة الصلوات ليحافظوا على جميعها رجاء الوسطى، كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان، وأخفى اسمه الأعظم في جميع الأسماء، وأخفى ساعة الإجابة في ساعات الجمعة حكمة منه في فعله ورحمة لخلقه.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ أي طائعين، وبه قال الشعبي، وعطاء، والحسن، وابن جبير، وقتادة، وطاوس، وعطية، ورواه عكرمة عن ابن عباس. قال الضحاك ومقاتل والكلبي: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين، فقوموا أنتم في صلاتكم مطيعين(3). دليل هذا التأويل ما روى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كل قنوت في القرآن فهو الطاعة**». وقال عبد الله بن مسعود: معناه وقوموا لله ساكتين. كما روي عن زيد بن أرقم(4) قال: كنا نتكلم في الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه

---

(1) السائل هو: أبو طعمة، نسير بن ذعلوق الثوري: تابعي ثقة، اشتهر بالرواية عن الربيع بن خثيم. رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 6/ 314.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 158.

(3) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 331.

(4) أبو عمر، زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل، أول مشاهده المريسيع، ثم نزل الكوفة وشهد مع علي صفين، وكان من خاصة أصحابه، روى عنه جماعة منهم أبو إسحاق السبيعي ومحمد بن كعب القرظي. توفي رحمه الله سنة ثمان وستين هجرية. الاستيعاب: 2/ 535، رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 6/ 96.

وسلم، ويكلم أحدنا من إلى جانبه، ويدخل الرجل فيسلم فيردون عليه السلام ويسألهم كم صليتم؟ فيردون كم صلاة، ويجيء خادم الرجل وهو في الصلاة فيكلمه بحاجته كفعل أهل الكتاب، وكنا كذلك إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام[1]. وقال مجاهد: معناه وقوموا لله خاشعين، فنهوا عن العبث والالتفات في الصلاة. وقيل: معناه مطيلين القيام كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾[2]. ويدل عليه أيضاً حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**»[3]. وقيل: معناه وقوموا لله مصلين، دليله قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[4] أي مصلٍّ. وقال صلى الله عليه وسلم: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم**»[5]، أي المصلي الصائم. وقال ابن عباس: معناه وقوموا لله داعين، والقنوت هو الدعاء في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي إذا خفتم من العدو فلم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين حق الصلاة فصلوا قياماً على أرجلكم، وحيث ما توجهتم بالإيماء إذا لم يمكنكم استقبال القبلة وإقامة الركوع والسجود، أو ركبانا على دوابكم إذا لم تستطيعوا النزول فصلوا ركباناً حيث ما توجهت بكم، لا عذر لكم في ترك الصلاة حالة الخوف. وانتصب «رجالاً» على الحال. وكان الحسن يقول: فرجالاً، أي قائمين خاشعين. وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنهم لا يصلون وهم يقاتلون أو يمشون، لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فاته يوم الخندق أربع[6] صلوات فقضاهن على الترتيب، فلولا أن الاشتغال بالقتال يفسدها لما ترك الإيماء بها حال القيام.

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 314، تفسير البغوي: 1/ 331.
رواه النسائي في سننه: 3/ 16، باب الكلام في الصلاة.

(2) سورة آل عمران: 3، الآية: 43.

(3) رواه ابن خزيمة في صحيحه: 2/ 186، رقم: 1155.

(4) سورة الزمر: 39، الآية: 9.

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 4/ 9، رقم: 4218، باب في الجهاد.

(6) في النسخة (ف): ثلاث.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ أي إذا أمنتم من الخوف فصلوا لله تعالى كما أمركم قانتين مؤدين حقوق الصلاة وشرائطها. وقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ معناه: ما لم تكونوا تعلمون قبل التعليم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ﴾. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل نزول آية المواريث وقبل استقرار العدة، وكانت في ابتداء الإسلام إذا احتضر زوجها أوصى لها في ماله بنفقة سنة من طعامها وشرابها وكسوتها وسكناها، وكان ذلك، حظها من الميراث من مال زوجها، فإن كانت من أهل المدر سكنت بيت زوجها حتى تبني بيتاً، وإن كانت من أهل الوبر سكنت بيت زوجها حتى تغزل بيتاً فتحول إليه، فإن خرجت من بيت زوجها أو تزوجت فلا نفقة لها ولا سكنى، ثم نسخت الوصية بآية المواريث، وبقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا وصية لوارث**»[1]. ونسخ حكم الحول باعتبار أربعة أشهر وعشراً عدة الوفاة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾[2]. ومعنى الآية: والذين يتوفون منكم ويذرون نساء، أي ويتركون نساء من بعدهم فعليهم وصية لأزواجهم. ويقال: كتب عليهم وصية وكانت هذه الوصية واجبة من الله تعالى لنسائهم أوصى الميت أو لم يوص كما قال تعالى في آية المواريث: ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾. قرأ الحسن وأبو عمرو وابن عامر والأصم والأعمش وحمزة وحفص: وصية ـ بالنصب على معنى فليوصوا وصية. وقرأ الباقون بالرفع على معنى لأزواجهم وصية، أو كتب عليهم وصية[3]. قوله: ﴿مَّتَٰعًا﴾ نصب على المصدر، أي متعوهن متاعاً. وقيل: جعل

---

(1) رواه الترمذي في سننه: عارضه الأحوذي: 8/ 275، باب لا وصية لوارث، وأبو داود في سننه بشرح الخطابي: 3/ 290، باب الوصية للوارث.

(2) ذكره النسائي في سننه: 6/ 172، باب نسخ متاع المتوفى عنها بما فرض لها من الميراث، وأبو داود في سننه: 6/ 399، رقم: 2281، باب نسخ متاع المتوفى عنها زوجها.

(3) مكي، الكشف: 1/ 299، تفسير القرطبي: 3/ 227 ـ 228.

الله ذلك لهم متاعاً. وقيل: نصب على الحال. وقوله: ﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ أي متعوهن بالنفقة والسكنى والكسوة وما تحتاج إليه حولاً كاملاً. قوله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي لا تخرجوهن من بيوت أزواجهن. وإنما انتصب «غير» لأنه صفة للمتاع، وقيل: على الحال، وقيل بنزع الخافض أي من غير إخراج، وقيل: على معنى لا إخراجاً كما يقال: أتيتك غير رغبة إليك.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ أي فإن خرجن من قبل أنفسهن قبل مضي الحول من غير إخراج الورثة فلا جناح عليكم يا أولياء الميت فيما فعلن في أنفسهن من التشوف والتزين والتزوج بالمعروف إذا لم تكن المرأة حبلى من الميت. وقيل: معناه فإن خرجن بعد انقضاء عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن. وفي معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النساء وجهان أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة إذا خرجن قبل تمام الحول، والثاني: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها حولاً في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله في ذلك، إلى أن نسخت بأربعة أشهر وعشراً، لأن ذلك لو كان واجباً عليها لكان واجباً على أولياء الزوج منعها من ذلك.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ يتضمن معنيين: أحدهما وجوب السكنى في مال الزوج وقد نسخ ذلك، والثاني: حظر الخروج والإخراج، وهو لزوم اللبث في البيت إلى انقضاء عدتها أربعة أشهر وعشراً، وذلك باق لم ينسخ ولا يجوز لها أن تبيت بالليالي في غير منزلها، ولا يجوز لها أن تتزين، لأن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها، أفنكحلها؟ فرخص لها، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «**كانت إحداكن تجلس في أحلاس بيتها حولاً لا تخرج حتى إذا مر بها كلب خرجت ورمته ببعرة، فهلا الآن أربعة أشهر وعشراً**»[1]. وعن زينب بنت أبي

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 10/ 113، والنسائي في سننه: 6/ 155، باب عدة المتوفى عنها زوجها.

سلمة[1] قالت: دخلت على زينب بنت جحش[2] حين توفي أخوها فدعت بطيب فمسته، ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً**»[3]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن نسوة قتلى أحد شكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة، فأمرهن أن يتزاورن بالنهار ولا يبتن بالليل إلا في منازلهن.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي قادر على النقمة ممن خالف أمره، ذو حكمة فيما حكم على الأزواج.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾. قال سعيد بن جبير وأبو العالية والزهري: المراد بالمتاع في هذه الآية: المتعة، وهي واجبة لكل مطلقة، وذهب أصحاب أبي حنيفة إلى أن المتعة تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانة بحكم هذه الآية، ولكن لا يجبر الزوج على المتعة إلا لمطلقة لم يدخل بها ولم يرفض لها مهراً للآية المتقدمة. وقال بعضهم: المراد بالمتاع في هذه الآية: نفقة عدة الطلاق، لأن الله تعالى عطفه على قوله: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ والمراد هناك النفقة والسكنى.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ أي مثل

---

(1) زينب بنت أبي سلمة المخزومية ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدتها أمها أم سلمة بأرض الحبشة، وكان اسمها برة، فغير الرسول صلى الله عليه وسلم اسمها زينب، وتزوجت عبد الله بن زمعة فولدت له، وكانت أفقه نساء أهل زمانها. توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع.
الاستيعاب: 4/ 1854، الطبقات الكبرى 8/ 461.

(2) زينب بنت جحش الأسدية: أم المؤمنين، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام، كانت زوجة زيد بن حارثة، فطلقها زيد ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وبسببها نزلت آية الحجاب، وهي أول من حمل في النعش من موتى العرب، وكانت الحبشة تحمل فيه، فلما رآه عمر بن الخطاب قال: نعم خباء الظعينة. توفيت سنة عشرين هجرية.
الاستيعاب: 4/ 1849، الطبقات الكبرى 8/ 101، صفة الصفوة: 2/ 46.

(3) رواه أبو داود في سننه: 6/ 400، رقم: 2282، باب حداد المتوفى عنها زوجها، والنسائي في سننه: 6/ 167، باب ترك الزينة للحادة المسلمة.

هذا البيان يبين الله لكم دلالاته في المستقبل كما بين في الماضي من أمور دينكم ودنياكم لكي تفهموا ما أمرتم به. ويقال: لكي تكمل عقولكم فإن العقل الغريزي إنما يكمل بالعقل المكتسب، وحقيقة العمل أن يعمل بما افترض الله عليه وحقيقة العمل استعمال الأشياء المستقيمة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿243﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾. قال ابن عباس: وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمر بالخروج إلى قتال عدوهم، فخرجوا للقتال ثم جبنوا وكرهوا القتال، فقالوا لملكهم إن الأرض التي تريدها فيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء، فقال لهم الله موتوا فماتوا[1]. واختلفوا في مبلغ عددهم فقال مقاتل والكلبي: كانوا ثمانية آلاف، وقال أبو روق: عشرة آلاف. وقال أبو مالك: ثلاثين ألفاً. وقال السدي: بضعة وثلاثين ألفاً. وقال ابن جريج: أربعين ألفاً. وقال عطاء بن أبي رباح: سبعين ألفاً. وقال الضحاك: كانوا عدداً كثيراً. فقوله تعالى: ﴿أُلُوفٌ﴾ دليل على كثرتهم، إذ لو كانوا كما قال مقاتل والكلبي لقال: وهم آلاف، لأن من عشرة آلاف إلى ما دونها يقال فيها آلاف، ولا يقال فيها ألوف، لأن الألوف جمع الكثير، والآلاف جمع القليل. فمكثوا موتى ثمانية أيام، ثم انتفخوا وبلغ بني إسرائيل موت أصحابهم فخرجوا إليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم من كثرتهم، فحظروا عليهم الحظائر، ثم أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام، فبقي فيهم من ريح النتن التي كانت فيهم بعد الموت حتى بقي في أولادهم إلى اليوم[2]. وقال السدي: وقع الطاعون في بني إسرائيل، فخرج قوم منهم من ديارهم هاربين حتى انتهوا إلى مكان [وهم بضعة

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 160.
(2) تفسير القرطبي: 3/ 230 ـ 231.

وثلاثون ألفاً، فقال لهم الله موتوا][1] فماتوا وتفرقت عظامهم وتقطعت أوصالهم، فأتى عليهم مدة وقد بليت أجسادهم[2]. فمر بهم نبي يقال له حزقيل ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، لأنه كان بعد موسى يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا، ثم حزقيل، وكان يقال له ابن العجوز، وذلك أن أمه كانت عجوزاً، فسألت الله عز وجل الولد وقد كبرت وعقمت، فوهبه الله لها، فلذلك قيل له ابن العجوز. وقال الحسن ومقاتل: هو ذو الكفل، وإنما سمي حزقيل ذو الكفل لأنه تكفل بسبعين نبياً وأنجاهم من القتل، فقال لهم: اذهبوا فإني إن قتلت كان خيراً من أن تقتلوا جميعاً. فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين، فقال لهم: ذهبوا ولم أدر أين هم. وحفظ الله ذا الكفل من اليهود، فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم متعجباً، فقال: الحمد لله القادر على أن يحيي هذه الأجساد. فأوحى الله تعالى إليه يا حزقيل: أتريد أن أريك كيف أحيي الموتى؟ قال: نعم. فقال له: نادهم، فنادى: أيتها العظام البالية إن الله يأمركن أن تجتمعن فاجتمعن حتى صرن أجساداً من عظام، ثم قال: ألا أيتها الأجساد البالية إن الله يأمركن أن تكتسين لحماً، فجعل اللحم يجري عليهن حتى صرن أجساداً من لحوم، ثم قال: ألا أيتها الأجساد البالية الخاوية: إن الله يأمركن أن تقمن بإذن الله تعالى، فقاموا ورجعوا إلى بلادهم وأقاموا وتوالدوا، وكان أحدهم إذا اكتسى ثوباً صار عليه كفناً يكون فيه ريح الموتى. وقال وهب: أصابهم بلاء وشدة من الزمان، فشكوا ما أصابهم، فقالوا: يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه! فأوحى الله إلى حزقيل أن قومك قد صاخوا من البلاء وزعموا أنهم لو ماتوا استراحوا، وأي راحة في الموت، أيظنون أني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت، فانطلق إلى موضع كذا، فإن فيه أمواتاً. فأتاهم فقال الله تعالى: يا حزقيل نادهم، وكانت أجسادهم وعظامهم قد تفرقت، فرقتها الطير والسباع، فنادى

---

(1) ما بين المعقوفتين غير موجود في النسخة (ف).
(2) تفسير البغوي: 1/ 334.

حزقيل بالنداء الذي ذكرناه[1]. ومعنى الآية: ألم تعلم إلى الذين. وقيل: معناه ألم ينته علمك إلى خبر هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم، والمراد بالرؤية: رؤية القلب لا رؤية العين.

قوله تعالى: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي خرجوا هاربين حذر الموت، وانتصب على أنه مفعول له. وظاهر هذا يقتضي أن خروجهم كان على جهة الفرار من الوباء على ما فسره السدي. وقيل في معنى «ألوف» مؤتلفو القلوب لم يخرجوا عن تباغض. ومعنى ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ أي أماتهم. وقيل: أماتهم الله بشيء سمعوه وسمعته الملائكة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي يتفضل على جميع الناس كما يتفضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد الموت، وأراهم البصيرة التي لا غاية بعدها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ رب النعم. وفي الآية دلالة على أن الموت لا ينفع الهرب منه كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾[3]، وإذا كانت الآجال مؤقتة محصورة لا يقع فيها تقديم ولا تأخير كما قدر الله تعالى لم ينفع الفرار من الطاعون وغير ذلك. روي أن عمر رضي الله عنه أراد أن يدخل الشام وبها طاعون، فاستشار أصحابه في ذلك، فأشار عليه بعض المهاجرين بالرجوع، فعزم على الرجوع فقال له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله تعالى؟ فقال عمر رضي الله عنه: لو كان غيرك يقولها يا أبا عبيدة، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت بها وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة، ألست إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: عندي في هذا علم، سمعت رسول الله

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 161.
(2) سورة النساء: 4، الآية: 78.
(3) سورة الأحزاب: 33، الآية: 16.

صلى الله عليه وسلم يقول: «**إذا وقع هذا الرجز في أرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً**». فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه ورجع[1]. فإن قيل: إذا كانت الآجال مقدرة لا تتقدم ولا تتأخر، فما وجه النهي منه صلى الله عليه وسلم عن دخول أرض بها الطاعون، وأي فرق بين دخولها والبقاء فيها؟ قيل: وجه النهي عن الدخول أنه إذا دخلها وبها طاعون فجائز أن يدركه أجله بها، فيقول قائل: لو لم يدخلها ما مات، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾[2] فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أرضاً بها طاعون لما يخشى أن يموت فيها أحد بأجله، فيقول الجهال: لو لم يدخلها لم يمت[3].

قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿244﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿245﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿244﴾﴾. قال أكثر المفسرين: هذا خطاب لهذه الأمة معناه: قاتلوا في طاعة الله تعالى ولا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء الذين سمعتم خبرهم فلا ينفعكم الهرب، واعلموا أن الله سميع لما يقوله المنافق تعلة للهرب من القتال عليم بما يضمره. وقال بعضهم: هذه الآية خطاب للذين جبنوا وهي متصلة بقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ أي أحياهم، وقال لهم: قاتلوا في سبيل الله.

قوله عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 11/ 332، رقم: 5729، كتاب الطب، ومسلم في صحيحه بشرح النووي: 14/ 210، وأبو داود في سننه: عون المعبود: 8/ 356، رقم: 3087، باب الخروج من الطاعون.

(2) سورة آل عمران: 3، الآية: 156.

(3) ابن العربي، أحكام القرآن: 1/ 229 ليرى ما فيه من التعليلات.

﴿كَثِيرَةً﴾. قال سفيان: لما أنزل قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[1] قال صلى الله عليه وسلم: «رب زد أمتي». فنزل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ فقال: «رب زد أمتي». فنزل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾[2]. وفي الآية استدعاء إلى الإنفاق والبر في سبيل الله بألطف الكلام وأبلغه[3]. وسماه الله قرضاً تأكيداً لاستحقاق الجزاء، لأنه لا يكون قرضاً إلا والعوض مستحق فيه. ومعنى الآية: من ذا الذي يتصدق بصدقة طيبة من نفس طيبة لا يمنّ بها على السائل ولا يؤذيه. قال الحسن: هو النفقة في أبواب البر من النفل. وقال ابن زيد: هو الإنفاق في الجهاد في سبيل الله. وقال الواقدي: قرضاً حسنا أي طيبة بها نفسه. وقال ابن المبارك[4]: قرضاً حسناً، أي يكون المال من الحلال. وقال سهل بن عبد الله: هو أن لا يعتقد بقرضه عوضاً[5].

قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾. قرأ عاصم وأبو حاتم: فيضاعفه ـ بالنصب. وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب بغير ألف. وقرأ ابن كثير وشيبة بالتشديد والرفع. وقرأ الآخرون بالألف والتخفيف ورفع الفاء. فمن رفع عطفه على «يقرض» ومن نصب جعله جواب الاستفهام بالفاء. والتشديد والتخفيف لغتان، ودليل التشديد قوله تعالى: ﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾، لأن التشديد للتكثير[6]. قال الحسن والسدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله، وقال ابن زيد: معنى قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ أي يعطيه سبعمائة أمثاله، كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ

---

(1) سورة الأنعام: 6، الآية: 160.
(2) سورة الزمر: 39، الآية: 10.
(3) تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 162.
(4) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي: من أعلام الحفاظ الثقات، روى عن حميد الطويل وسليمان التيمي وغيرهما، وعنه روى السفيانان وغيرهما. توفي سنة إحدى وثمانين ومائة هجرية.
الطبقات الكبرى: 7/ 263، الداودي، طبقات المفسرين: 1/ 243، الأعلام: 4/ 115.
(5) تراجع هذه الأقوال في: معالم التنزيل: 1/ 338.
(6) مكي، الكشف: 1/ 300، تفسير القرطبي: 3/ 242.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾[1]. وعن أبي عثمان النهدي قال: أدخل أبو هريرة رضي الله عنه أصبعيه في أذنيه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يضاعف الله تعالى للمؤمن حسنته إلى ألفي ألف حسنة**».

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ أي يقتر ويوسع على من يشاء من خلقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾[2] أي يمسكونها عن النفقة في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[3]. وقيل: معناه والله يسلب النعمة من قوم ويبسطها على قوم. وقيل: معناه: يقبض الصدقات ويبسط عليها الجزاء عاجلاً وآجلاً. وقيل: القبض والبسط: الإحياء والإماتة، فمن أماته الله فقد قبضه، ومن مد له في عمره فقد بسط له.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي ترجعون في الآخرة فيجزيكم بما قدمتم، وقد جهلت اليهود معنى هذه الآية أو تجاهلت حتى قالت: إن الله يستقرض منا فهو فقير إلينا ونحن أغنياء كما قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾[4]، وعرف المسلمون معنى الآية، ووثقوا بثواب الله ووعده قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية جاء أبو الدحداح[5] رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرى ربنا يستقرض مما أعطانا لأنفسنا وإن لي حديقتين فإن تصدقت بإحداهما فلي مثلهما في الجنة؟ قال: «**نعم**». قال: وأم الدحداح معي؟ قال: «**نعم**». قال: والصبية معي؟ قال: «**نعم**». فتصدق بأفضل الحديقتين وهي تسمى الحبيبة. فلما رجع إلى أهله وجد أم الدحداح والصبية في الحديقة التي تصدق بها فقام على بابها، وتحرج أن يدخلها ثم نادى: يا أم الدحداح، يا أم الدحداح. قالت: لبيك.

---

(1) سورة البقرة: 2، الآية: 261.
(2) سورة التوبة: 9، الآية: 67.
(3) سورة الشورى: 42، الآية: 27.
(4) سورة آل عمران: 3، الآية: 181.
(5) في النسخة (ف): أبو الدحداحة.

قال: قد جعلت حديقتي هذه صدقة، واشترطت مثليها في الجنة وأم الدحداح معي والصبية معي. قالت: بارك الله تعالى لك فيما اشتريت. ثم خرجوا منها ورفعوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى قد قبل منك، واعطه اليتيمين اللذين في حجرك**». وقال صلى الله عليه وسلم: «**كم من نخلة مدل عروقها في الجنة لأبي الدحداح**»[1]. وعن زيد بن أسلم قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الآية... قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «**نعم، يريد أن يدخلكم الجنة**» قال: فإني إن أقرضت ربي يضمن لي به الجنة؟ قال: «**نعم، من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة**». قال: وزوجتي أم الدحداح؟ قال: «**نعم**». قال: وبنتي الدحداحة معي؟ قال: «**نعم**». قال: والصبية معي؟ قال: «**نعم**». قال: ناولني يدك. فناوله النبي صلى الله عليه وسلم يده المباركة، فقال: يا رسول الله إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله ما أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**اجعل إحداهما قرضاً لله عز وجل، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك**». قال: اشهد يا رسول الله أني قد جعلت أحسنهما لله عز وجل وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «**إذن يجزيك الله به الجنة**». قال: فانطلق أبو الدحداح حتى أتى أم الدحداح وهي مع أولادها في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد ∴ إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد ∴ فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي ∴ بالطوع لا منّ ولا أنكاد
إلا رجاء الضعف في المعاد ∴ فارتحلي بالنفس والأولاد

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 237 وما بعدها.

والـبـر لا شـك فـخـيـر زاد ∴ قـدمـه الـمـرء إلـى الـمـعـاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك، بارك الله لك فيما اشتريته، وأجابته أم الدحداح وهي تقول:

بـشـرك الـلـه بـخـيـر وفـرح ∴ مـثـلـك أدى مـا لـديـه ونـصـح

قـد مـتـع الـلـه عـيـالـي ومـنـح ∴ بـالـعـجـوة الـسـوداء والـزهـر الـبـلـح

والـعـبـد يـسـعـى ولـه مـا قـد كـدح ∴ طـول الـلـيـالـي وعـلـيـه مـا اجـتـرح

ثم أقبلت أم الدحداح على أولادها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، وتطرح ما في ثيابهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر[1]. فقال صلى الله عليه وسلم: «**كم من عذق رداح ودار فياح في الجنة لأبي الدحداح**»[2]. وقال أهل المعاني: في الآية اختصار وإضمار تقديره: من ذا الذي يقرض عباد الله قرضاً حسناً. وفي الحديث: «**إن الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة: استطعمتك فلم تطعمني، واستسقيتك فلم تسقني، واستكسيتك فلم تكسني. فيقول العبد: وكيف ذلك يا سيدي؟ فيقول: مر بك عبدي فلان الجائع، وفلان العاري، فلم تعد عليهم من فضلك**»[3]. وقال يحيى بن معاذ: عجيب لمن يبقى له مال ورب العرش يستقرضه. وعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رأيت على باب الجنة مكتوباً: القرض بثمانية عشر، والصدقة بعشر، فقلت: يا جبريل ما بال القرض أكثر أجراً؟ قال: لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجاً، وربما وقعت الصدقة في غير أهلها**»[4]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من

---

(1) تفسير الطبري: 3/ 238.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 249، رقم: 3451، باب في الزكاة، العذق ـ بفتح فسكون ـ: النخلة، وبكسر فسكون: العرجون بما فيه من الشماريخ.
رداح: ثقيلة. الفياح ـ بالتشديد والتخفيف ـ: الواسع.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 6/ 534، رقم: 9182، باب في عيادة المريض.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 285، رقم: 3565، باب الزكاة.

أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن ثبير وطور سيناء حسنات وهما جبلان».

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿246﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لم تعلم يا محمد بالملأ من بني إسرائيل. والملأ من القوم أشرافهم ووجوههم يجتمعون للمشاورة، وجمعه: الإملاء، واشتقاقه من ملأت الشيء، لا واحد له من لفظه كالإبل والخيل والجيش والقوم والرهط. وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ أي من بعد وفاة موسى. وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ اختلفوا فيه من هو؟ فقال قتادة: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليه السلام. وقال السدي: هو شمعون، وقد كان بعد يوشع، وإنما سمي شمعون لأن أمه دعت الله عز وجل أن يرزقها غلاماً، فاستجاب الله دعاءها، فولدت غلاماً فسمته شمعون، وقالت: قد سمع الله دعائي. فلأجل ذلك سمته شمعون، والسين في العبرانية شين، فهو بالعبرانية شمعون وبالعربية سمعون. وقال الكلبي ومقاتل وسائر المفسرين: هو شمويل بن هلقايا، وبالعربية يسمى إسماعيل بن يال وهو من نسل هارون عليه السلام[1]. وقال الكلبي: كان سبب مسألتهم إياه أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون، يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله، ثم خلف فيهم كالب يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله، ثم خلف فيهم حزقيل كذلك حتى قبضه الله، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث فنسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس عليه السلام نبياً، فجعل يدعوهم إلى الله، ثم خلف إلياس

---

(1) تراجع هذه الأقوال في تفسير البغوي: 1/ 339 وما بعدها.

عليهم اليسع وكان فيهم ما شاء الله، ثم قبضه الله فعظمت فيهم الأحداث وكثرت فيهم الخطايا، وظهر لهم عدو يقال له: البلثاثا، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة، فظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيراً من ذراريهم، وضربوا عليهم الجزية، ولقوا منهم بلاءً شديداً، ولم يكن لهم من يدير أمرهم، فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه، وكان سبط النبوة قد هلكوا ولم يبق منهم إلا امرأة حبلى[1]. فأخذوها وحبسوها في بيت خشية أن تلد أنثى فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً، فولدت غلاماً فسمته أشمويل، أي إسماعل، وكبر الغلام فتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ منهم، فلما بلغ أن بعثه الله نبياً أتى جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ فدعاه: يا أشمويل اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله قد بعثك فيهم. فلما أتاهم كذبوه وقالوا: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وإنما سألوه الملك لأنهم علموا أن كلمتهم لا تتفق وأمورهم لا تنتظم ولا يحصل منهم الاجتماع على القتال إلا بملك يحملهم على ذلك ويجمع شملهم، وكان الملك هو الذي يجمع أمرهم، والنبي يشير إليه ويرشده، ويأتيه من ربه بالخبر. فلما قالوا لأشمويل: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال لهم لعلكم إذا بعث الله لكم ملكاً وفرض عليكم القتال أن تجبنوا عن القتال فلا تقاتلوا. وإنما قال ذلك متعرفاً ما عندهم من الجد، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ﴾ معناه: قال لهم نبيئهم: عسى ربكم إن فرض عليكم القتال مع ذلك الملك أن لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلون معه. قالوا: وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله؟ أي وما لنا ألا نقاتل، أي شيء لنا في ترك القتال. وقيل: معناه

(1) المصدر نفسه.

وليس لنا أن نمتنع عن قتال عدونا في طلب مرضاة الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، أي وقد أجلونا من منازلنا وسبوا ذرارينا. ومعنى الإخراج من الأبناء أنه لما كان الإخراج من الديار يؤدي إلى مفارقة الأبناء. قالوا أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، ويجوز أن يكون على وجه الإتباع كما يقال: متقلداً سيفاً ورمحاً، فإن قيل: ما وجه دخول «أن» في قوله: أن لا نقاتل؟ والعرب لا تقول ما لك أن لا تفعل كذا، وإنما يقولون: مالك لا تفعل، قيل: دخول «أن» وحذفها لغتان فصيحتان، فدليل إثباتها قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[1] و﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[2]، ودليل حذفها قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]، واختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ﴾ قرأ بعضهم نقاتل ـ بالرفع على معنى: فإنا نقاتل، وأكثرهم على نقاتل ـ بالجزم على جواب الأمر. وقرأ عبد الرحمن السلمي يقاتل ـ بالياء والجزم، وقد جعل الفعل للملك[4].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ قرأ عبيد بن عمير: وقد أخرجنا ـ بفتح الهمزة والجيم، يعني العدو[5].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه حذف معناه: فبعث الله لهم ملكاً وكتب عليهم القتال، فلما كتب عليهم القتال، أي لما فرض عليهم أعرضوا عنه وضيعوا أمر الله عز وجل إلا قليلاً منهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وهم الذين عبروا النهر، وسنذكرهم إن شاء الله تعالى في موضعهم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي عالم بالذين ظلموا أنفسهم بالمعصية وبعقوبتهم. وفي هذا تهديد لمن ولى عن القتال. واختلفوا في قراءة «عسيتم»،

---

(1) سورة الأعراف: 7، الآية: 12.
(2) سورة الحجر: 15، الآية: 32.
(3) سورة الحديد: 57، الآية: 8.
(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 164.
(5) نفسه: 165.

فقرأ طلحة والحسن: عسيتم ـ بكسر السين في كل القرآن وهي لغة، وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة[1].

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿247﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ﴾ كان السبب فيه على ما ذكره المفسرون: أن أشمويل عليه السلام سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً، فأتى بعصا وقرن[2] فيه دهن، وقالوا له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله طول هذه العصا، وقيل له: انظر إلى القرن الذي فيه الدهن، فإذا دخل عليك رجل فنش[3] الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل، فادهن به رأسه وملكه على بني إسرائيل، فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكن أحد منهم مثلها[4]. قال وهب: وكان طالوت رجلاً دباغاً. وقال عكرمة والسدي: كان رجلاً سقاء يسقي على حمار له من النيل، فضل حماره فخرج في طلبه. وقال بعضهم: ضلت حمر لأبيه فأرسله أبوه مع غلام له يطلبانها، فمر ببيت أشمويل، فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن الحمر ليرشدنا ويدعو لنا بالخير. فقال طالوت: نفعل ذلك. فدخلا عليه فبينما هما عنده إذ نش الدهن الذي في القرن، فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله، فقال لطالوت: قرِّب رأسك، فقربه فدهنه بذلك

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 303، تفسير القرطبي: 3/ 244.

(2) القَرن، بالتحريك: الجعبة من الجلد تكون مشقوقة ثم تخرز.

(3) فنش الدهن: أي صوت.

(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 165.

الدهن، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله أن أملكه عليهم. فقال طالوت: أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل؟ قال: بلى. قال: فبأي آية أكون أهلاً لذلك؟ قال: بآية أنك ترجع إلى أبيك وقد وجد أبوك حمره. فرجع فكان كذلك[1]. قال أشمويل لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾ فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نبوة وسبط مملكة، وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب، ومنه موسى وهارون، وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب، ومنه كان داود وسليمان، ولم يكن طالوت من هؤلاء ولا من هؤلاء، وإنما هو من سبط بنيامين بن يعقوب[2]. فمن أين يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه، ومع ذلك هو فقير لم يؤت سعة من المال ينفقه علينا كما يفعل الملوك؟ قال أشمويل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾، أي اختاره عليكم ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ أي فضله عليكم بالعلم، وذلك أنه كان أعلمهم في وقته، فرفعه الله تعالى بعلمه. وقيل: كان عالماً بأمر الحرب، وكان طويلاً جسيماً، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه. وإنما سمي طالوت لطوله وقوته، فأعلمهم الله تعالى أن العلم هو الذي يجب أن يقع به الاختيار، وأن الزيادة في الجسم مما يهب به العدو.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي يعطي ملكه من يشاء، وهو جل وعز لا يشاء إلا الحكمة والعدل، فلا تنكروا ملك طالوت مع كونه من غير أهل الملك، وأن الملك ليس بالوراثة، وإنما هو بيد الله يؤتيه من يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ أي يوسع على من يشاء ويعلم أين ينبغي أن يكون الملك والمنعة؟ وإنما: واسع، بمعنى موسع، كما يقال: أليم، بمعنى مؤلم، وقيل: معناه واسع الفضل، إلا أنه حذف الفضل، كما يقال: فلان

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 342.
(2) نفسه: 1/ 343.

كبير، أي كبير القدر. وأما طالوت وجالوت وداود فاجتمع فيهم العجمة والتعريف فلذلك لم تنصرف، فلو سميت رجلاً باسم جاموس لانصرف وإن كان أعجمياً لأنه قد تمكن في العربية، لأنك تدخل عليه الألف واللام فتقول: الجاموس.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿248﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال ابن عباس: هذا جواب عن قولهم لنبيهم: والله ما نصدقك أن الله قد بعثه علينا، ولكنك أنت بعثته علينا ملكاً فصار لنا حين سألناك ملكاً وإلا فأتنا بآية أن الله قد بعثه علينا. فقال لهم: إن آية ملكه، أي الدلالة على كون طالوت ملكاً أن يأتيكم التابوت الذي أخذه منكم عدوكم[1]. وكان ذلك التابوت من عود الشمشار الذي تتخذ منه الأمشاط، مقرم بالذهب، عليه صفائح الذهب، وكانت السكينة في التابوت، وهي شبه دابة رأسها كرأس الهرة ولها ذنب كذنبها ووجه كوجه الإنسان، ولها جناحان من زبرجد وياقوت، وكان فيها روح تكلمهم بالبيان فيما اختلفوا فيه، وكان لعينيها شعاع إذا نظرت إلى إنسان ذعر. قال ابن عباس: كانت بنو إسرائيل إذا حضر القتال قدموا التابوت بين أيديهم إلى العدو، فإذا أتت السكينة في التابوت وسمع أنينها قرب التابوت نحو العدو وهم يمضون معه أينما مضى، فإذا استقر ثبتوا خلفه، وكانت السكينة إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح. فلما عصت بنو إسرائيل الأنبياء صلوات الله عليهم، سلط الله عليهم عدوهم فقاتلهم وغلبهم على التابوت، فمضوا به إلى قرية من قرى فلسطين، وجعلوه في بيت صنم

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 343.

لهم، وجعلوا التابوت تحت الصنم، فأصبحوا من الغد والصنم تحته وأصنامهم أصبحت كلها مكسرة، فأخرجوا التابوت من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم، فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم، فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء؟ فأخرجوا التابوت إلى قرية أخرى، فبعث الله على أهل تلك القرية بلاء حتى كان الرجل منهم يبيت سالماً فيصبح ميتاً قد أكل ما في جوفه، فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه في مخرأة لهم، فكان كل من تغوط هنالك أخذه الباسور والقولنج، فتحيروا فقالت لهم امرأة من بني إسرائيل كانت عندهم قد سبوها: اعلموا أنكم لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام التابوت فيكم، فأخرجوه عنكم. فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين ثم ضربوا جنوبهما، فأقبل الثوران يسيران، ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقون الثورين، فلم يمر التابوت بشيء من الأرض إلا كان مقدساً، فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل، فوضعوا التابوت في أرض بني إسرائيل، فلما رأى بنو إسرائيل التابوت كبروا وحمدوا الله، وأطاعوا طالوت، وأقروا بملكه، فذلك قوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي تسوقه. وقال ابن عباس: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته الملائكة عند طالوت[1]. وقرأ ابن مسعود ومجاهد والأعمش يحمله ـ بالياء[2]. وعن علي رضي الله عنه: أن السكينة كانت ريحاً هفافة لها وجه كوجه الإنسان[3].

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 248.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 167.

(3) ذكره البغوي في تفسيره: معالم التنزيل: 1/ 344.
هفافة: سريعة المرور في هبوبها.
ذكر الحداد في السكينة أقوالاً متأثراً فيها بالمفسرين الذين ينقل عنهم، وإلا فالثابت في السكينة في صحيح البخاري ومسلم وأنها نزلت على أحد الصحابة وهو يقرأ سورة الكهف في حديث البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن.

قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ يعني أنه كان في التابوت أيضاً رضاض الألواح لموسى وعصاه من آس، وعمامة هارون، وقفيز من المن وهو الترنجبين الذي كان لبني إسرائيل في طست من ذهب. وقوله تعالى: ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي تسوقه الملائكة. وقال بعضهم: أرسل الله ريحاً انتزعت التابوت من أيدي الكفار، ثم حملته الملائكة فألقته بين يدي طالوت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمۡ﴾ أي في رجوع التابوت إليكم لعلامة أن الله ملك عليكم طالوت ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي مصدقين بذلك.

قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (249)﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾ الآية.. أي فلما خرج طالوت من البلد بالجنود، يعني خرج بهم من بيت المقدس وهم سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفاً، ولم يتخلف عنه إلا كبير لهرمه، أو مريض لسقمه، أو ضرير لضرره، أو معذور لعذره، وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا: قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه، فسارعوا إلى الجهاد، فخرج معه خلق كثير، فقال: لا حاجة لي في كل ما أرى، ولا أبغي إلا كل شاب نشيط فارغ، ولا يخرج معي صاحب تجارة، ولا رجل عليه دين، ولا رجل تزوج امرأة لم يبن بها لأنهم يكونون مشغولين. فاجتمع إليه ثمانون ألفاً من شرطه، فخرج بهم في حر شديد، فأصابهم العطش، فسألوا الماء،

= ـ أخرجه البخاري في صحيحه بشرح العسقلاني: 10/ 69، رقم: 5011، كتاب فضائل القرآن.
ـ أخرجه مسلم بشرح النووي: 1/ 548.

فقال لهم طالوت﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾، أي مختبركم بنهر جار وهو نهر الأردن وفلسطين ليرى طاعتكم وهو أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي فليس من أهل ديني وطاعتي، وليس معي على عدوي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي ومن لم يشربه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ ومعي على عدوي. وقد يطلق لفظ الطعم على الشرب. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[1].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ قرأ ابن عباس وأبو الجوزاء وابن كثير، وشيبة، ونافع، وأبو عمرو، وأيوب[2]. غرفة ـ بفتح الغين، وقرأ الباقون بضمها، وهي قراءة عثمان، وهما لغتان[3]. قال الكسائي: الغرفة ـ بالضم: الذي يجعل في الكف من الماء إذا غرف، والغرفة ـ بالفتح: الاغتراف، فالضم اسم والفتح مصدر. وقال أبو حاتم: الغرفة ـ بالضم: ملء الكف وملء المغرفة، وبالفتح: الواحدة من القليل والكثير. قال الكلبي ومقاتل: كانت المغرفة يشرب منها الرجل وخادمه ودابته. قيل: ابتلاهم الله بذلك النهر ليميز الصادق من الكاذب، وكان أشمويل هو الذي أخبر طالوت بذلك، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿26﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[4]، فلا يجوز هذا القول إلا من نبي.

قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾. نصب «قليلاً» على الاستثناء. قرأ ابن مسعود: إلا قليل ـ بالرفع كقول الشاعر:

---

(1) سورة المائدة: 5، الآية: 93.

(2) أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري: إمام ثقة ضابط، له اختيار تبع فيه الأثر، قرأ على سلام والكسائي وحسين الجعفي ويعقوب الحضرمي، روى عنه اختياره يحيى القطيعي، وهو أجل أصحابه. لما دفن وقف يعقوب على قبره وقال: يرحمك الله يا أيوب، ما تركت خلفاً أعلم بكتاب الله منك. توفي سنة مائتين هجرية.
غاية النهاية: 1/ 172، رقم: 808.

(3) مكي، الكشف: 1/ 303، تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 168.

(4) سورة الجن: 72، الآية: 26، 27.

وكـــل أخ مـــفـــارقـــه أخـــوه ∴ لـعـمـر أبـيـك إلا الـفـرقـدان[1]

ومعنى الآية: أنه لما عرض لهم النهر، وقد اشتد بهم العطش وقعوا فيه، فشربوا كلهم أكثر من غرفة إلا قليلاً منهم، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كعدة أهل بدر. قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر لأصحابه: «**أنتم على عدد أصحاب طالوت**»[2]. قالوا: فمن اغترف غرفة كما أمره الله قوي قلبه، وصح إيمانه، وعبر النهر سالماً، وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وخادمه ودوابه. وأما الذين أخذوا أكثر من ذلك وخالفوا اسودت شفاههم، واشتد عطشهم، فلم يرووا وبقوا على شط النهر، وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يعني لما جاوز طالوت النهر هو والذين صدقوه وهم القليل الذين لم يشربوا إلا مقدار الغرفة، قال الذين شربوا وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت. قال بعض المفسرين: إن القوم كلهم جاوزوا النهر ثم إن الذين خالفوا في الشرب من النهر اعتزلوا من المطيعين وقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿249﴾﴾ معناه: قال الذين يوقنون ويعلمون أنهم ملاقو الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت: كم من فئة قليلة، أي كم من فرقة قليلة قهرت فرقة عدتها كثيرة بأمر الله ونصره. وكانت فئة جالوت مائة ألف، والفئة: جمع لا واحد له من لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي معهم بالنصر والمعونة.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 8/ 17، رقم: 3957، كتاب المغازي، والترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 5/ 222.

وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿250﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿252﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا﴾ الآية.. معناه: لما خرجوا واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده، قالوا: ربنا اصبب علينا الصبر صباً، وثبت أقدامنا في أماكنها في الحرب بتقوية قلوبنا ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي أعنا على قوم جالوت بإلقاء الرعب في قلوبهم.

قوله عز وجل: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ في هذا إنجاز، لأن ذكر الهزيمة بعد سؤال النصر يدل على إجابة الدعاء، كأن الله تعالى قال: فاستجاب الله دعاءهم فهزموهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ قال المفسرون: لما عبر طالوت ومن معه النهر، كان من جملة من عبر معهم أبو داود عليه السلام، واسمه إيشا في ثلاثة عشر ابناً له، وكان داود أصغرهم، ثم إن جالوت أرسل إلى طالوت أن أبرز لي من يقاتلني، فإن قتلني فلكم ملكي، وإن قتلته فلي ملككم، فشق ذلك على طالوت، ونادى في عسكره: من قتل منكم جالوت زوجته ابنتي وأعطيته نصف مملكتي. فلم يجب أحد منهم، وهاب الناس جالوت، فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله، فدعا الله تعالى. فأتى بقرن فيه دهن، فقيل له: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه، فيغلي الدهن. فدعا طالوت بني إسرائيل فجربهم فلم يوافق ذلك منهم أحد، فأوحى الله إلى نبيهم أن في أولاد إيشا من يقتل جالوت. فدعا طالوت إيشا وقاله له: اعرض عليّ أولادك؟ فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال الأسطوانات، وفيهم رجل بارع عليهم، فجعل يعرضهم على القرن فلم ير شيئاً، فلم يزل يردد القرن على ذلك الجسم حتى أوحى الله إليه: إنا لا نأخذ الرجال على قدر صورهم، بل على صلاح قلوبهم، فقال لإيشا: هل لك ولد غيرهم؟ فقال: لا، فقال

رب: إنه زعم أنه لا ولد له غيرهم. فقال كذب. فقال له: إن ربك كذَّبك. فقال: صدق الله، إن لي ابناً صغيراً يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته، فجعلته في الغنم يرعاه وهو في شعب كذا[1]. وكان داود عليه السلام قصيراً، مسقاماً، أزرق. فخرج طالوت في طلبه، فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها الغنم، فوجده يحمل شاتين يجوز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء. فلما رآه قال: هذا هو لا شك فيه، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم. فدعاه فوضع القرن على رأسه، ففاض، فقال له طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأعطيك نصف مملكتي؟ قال: نعم. قال له: فهل جربت نفسك في شيء؟ قال: نعم، وقع الذئب في غنمي فضربته، ثم أخذت رأسه وجسده فقطعت رأسه من جسده. فقال له طالوت: إن الذئب ضعيف فهل جربت نفسك في غيره؟ قال: نعم، دخل الأسد في غنمي فضربته، وأخذت بلحييه فشققتهما. فمضى به طالوت إلى عسكره، فمر داود بثلاثة أحجار فقلن له: خذنا معك، ففينا منية جالوت. فأخذهن ثم مضى، فلما تصافوا للقتال، وبرز جالوت وسأل المبارزة، انتدب إليه داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً، فقال داود: إني لم أتعود القتال بهذا ولكني أقاتله بالمقلاع كما أريد. فأخذ داود المقلاع ومضى نحو جالوت، وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل من حديد. فلما نظر إلى داود ألقي في قلبه الرعب، وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام. قال: برزت إليّ بالمقلاع والحجر لتقتلني كما يقتل الكلب؟ قال: نعم، لأنك شر من الكلب. قال جالوت: لا جرمَ، لأقسمنّ لحمك بين سباع الأرض وطير السماء. فقال داود: بل يقسم الله لحمك. ثم قال داود: باسم إله إبراهيم، وأخرج حجراً ووضعه في مقلاعه، ثم أخرج الحجر الثاني وقال: باسم إله إسحاق، ووضعه في مقلاعه، ثم أخرج الحجر الثالث وقال: باسم إله يعقوب، ووضعه في مقلاعه، فصارت كلها حجراً واحداً، ودور المقلاع، ورمى به فأصاب الحجر أنف البيضة وخلط دماغه، وخرج من قفاه، وقتل من ورائه

---

(1) تفسير البغوي: 1/ 349.

ثلاثين رجلاً، وهزم الله الجيش وخر جالوت قتيلاً، فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت، ثم قال: أنجز لي ما وعدتني، وأعطني امرأتي[1]. فقال له طالوت: تريد ابنة الملك بغير صداق؟ قال: ما شرطت عليّ صداقاً وليس لي شيء. فزوجه ابنته وأراد أن يدفع إليه نصف ملكه، فقال له وزيره: إذا دفعت إليه ذلك نازعك في الملك وأفسد عليك ملكك. فامتنع طالوت من ذلك وقصد قتله، فهرب داود عليه السلام، فندم طالوت فخرج في طلبه حتى أتى على امرأة من قدماء بني إسرائيل وهي تبكي على داود، فضرب بابها فقالت: من هذا؟ قال: أنا طالوت. قالت: أنت أشقى الناس، طردت داود وقد قتل جالوت وهزم جنوده. فقال: إنما أتيتك لأسألك ما توبتي؟ قالت: توبتك أن تأتي مدينة كذا وتقاتل أهلها، فإن فتحتها فهي توبتك. فانطلق طالوت إلى تلك المدينة فقاتل أهلها حتى قتل، فاجتمع بنو إسرائيل فملكوا داود عليه السلام من بعده، فذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي جمع له بين الملك والنبوة ولم يجتمع كلاهما لأحد إلا لداود وسليمان عليهما السلام[2].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أي علمه الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من العلوم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي لولا دفع الله بأس المشتركين بالغزاة المجاهدين كما دفع بداود شر جالوت لفسدت الأرض بأهلها لغلبة الكفار. وقيل: معناه لولا الأنبياء صلوات الله عليهم الداعون إلى سبيله الناهون عن الفساد لفسدت أحوال الناس. روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لولا رجال ركَّع، وصبيان رضع، وبهائم رتَّع لصببت عليكم العذاب صباً**»[3]. **وقال الحسن: يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن، ولولا السلاطين والأمراء المسلطون على**

---

(1) تفسير البغوي، معالم التنزيل: 1/ 350.

(2) يراجع ذلك في تفسير القرطبي: 3/ 256 وما بعدها.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 7/ 55، رقم: 9820، باب في الصبر على المصائب، ولفظه: «لولا عباد لله ركع، وصبية رضع، وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا».

الدغارة العتارين لخرجوا من أهل الصلاح واستولوا عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ من قرأ: دفاع فهو من قولهم: دافع مدافعة ودفاعاً، والدفع: الصرف.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي ذو من عليهم بدفع المفسدين عن المصلحين.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿252﴾﴾ أي القرآن بما فيه من الأخبار الماضية آيات الله ينزل جبريل عليه السلام بها عليك لتبيان الحق من الباطل وإنك لمن المرسلين لأنك أخبرت بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ولم تخالط أهلها. وقيل في معنى هذه الآيات: إماتة الله الألوف دفعة واحدة وإحياؤهم دفعة واحدة، وإعطاؤه الملك طالوت وهو من أهل الخمول الذي لا ينقاد له الناس، ونصرة أصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت وأصحابه مع شوكتهم وكثرتهم دلالة على قدرته، وعلى نبوة أنبيائه صلوات الله عليهم. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لأنك قد أعطيت من الآيات مثل ما أعطي الأنبياء صلوات الله عليهم وزيادة.

قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿253﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ معناه: أن الذين نزلنا عليك خبرهم في القرآن هم الرسل لم يكونوا في الفضل متساوين، ولكن فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا والعقبى. ثم فسر فضيلة كل واحد منهم. فقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ﴾ وهو موسى عليه السلام، كلمه الله من غير سفير، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ أي اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وسخر لسليمان الريح والجن والشياطين، وعلمه منطق الطير. وقال

مجاهد: أراد بهذه الآية فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء صلوات الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿4﴾﴾[1]. وقيل: هو إدريس كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿57﴾﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي أعطيناه الدلالات على إثبات نبوته من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، والإنباء بما غاب عنه ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي قويناه وأعناه بجبريل الطاهر حين أرادوا قتله حتى رفعه الله إلى السماء. وقال الحسن: الروح جبريل، والقدس هو الله تعالى. فيصير تقدير الآية: وقويناه بروح الله تعالى. وعن ابن عباس أنه قال: روح القدس اسم الله الأعظم الذي كان به عيسى عليه السلام يحيي الموتى.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ أي لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الرسل من بعد ما وضحت لهم الحجج والدلائل كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[3]. وقيل: معناه: ولو شاء الله لأنزل آية تضطرهم إلى الإيمان وتمنعهم عن الكفر كما قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿4﴾﴾[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ أي شاء الله اختلافهم فاختلفوا. ويقال: لم يلجئهم إلى الإيمان، لأن التكليف لا يحسن مع الضرورة، والجزاء لا يحسن إلا مع التحلية.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ أي بالكتب والرسل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي ولو شاء

---

(1) سورة الشرح: 94، الآية: 4.
(2) سورة مريم: 19، الآية: 57.
(3) سورة الأنعام: 6، الآية: 35.
(4) سورة الشعراء: 26، الآية: 4.

الله لم يقتتلوا مع اختلافهم، بأن يأمر المؤمنين بالكف عن القتال، وبأن يلجئهم جميعاً إلى ترك القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير ذلك مما توجبه الحكمة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿254﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾. حثّ على الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، وقيل: هو الأمر بالزكاة المفروضة. وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ يعني يوم القيامة، ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ أي لا فداء فيه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾، أي ليس فيه خلة لغير المؤمنين. وأما المؤمنون فيكون لهم خلة كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿67﴾﴾[1]. قوله تعالى: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي لغير المؤمنين، وأما المؤمنون فيشفع بعضهم لبعض، ويشفع لهم الأنبياء والرسل عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي هم الذين ظلموا أنفسهم حتى لا خلة لهم ولا شفاعة. وكان عطاء[2] يقول: الحمد لله الذي لم يقل: والظالمون هم الكافرون[3]. لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً.

قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا

(1) سورة الزخرف: 43، الآية: 67.

(2) عطاء بن دينار الهذلي: من رجال الحديث. له كتاب في التفسير يرويه عن سعيد بن جبير. توفي بمصر سنة ست وعشرين ومائة هـ.
الأعلام: 4/ 235.

(3) ذكره الطبري في تفسيره: 3/ 268.

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿255﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ ذكر وحدانيته تعالى وصفته ليعلم أن من كان بهذه الصفة لا يخفى عليه كفر من كفر ومعصية من عصى، فيجازي كل عامل على ما عمل، فأول هذه الآية نفي معبود الكفار وإثبات معبود المؤمنين. وإثبات الشيء مع نفي غيره أبلغ في الإثبات كأنه قال: الله لا إله إلا هو دون غيره، وهو المعبود الذي لا معبود للخلق سواه. ومعنى الحي القيوم: الدائم الذي لا يموت، موصوف بالبقاء على الأبد، وبه حيي كل حي. وأما القيوم: فهو القائم بتدبير الخلق في شأنهم وأرزاقهم وأعمالهم وآجالهم ومجازاتهم على عملهم. وقيل معنى القيوم: العالم بالأمور من قولهم: فلان يقوم بهذا الكتاب، أي يحسنه ويعلم ما فيه. وقيل معنى الحي القيوم: أي الدائم الذي لا يزول.

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ أي لا يأخذه نعاس ولا نوم. والنعاس: اسم لأول ما يدخل في الرأس من النوم قبل وصوله إلى القلب. والنوم: هو الذي يصل إلى القلب فيستثقل. ومعنى الآية: لا يغفل عن تدبير الخلق. فإن قيل: ما معنى نفي النوم بعد نفي النعاس؟ قلنا: مثل هذا اللفظ إنما يكون لنفي قليل النوم وكثيره، ونظيره قول العرب: فلان لا يملك قليلاً ولا كثيراً.

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أي هو مالك السماوات والأرض وما فيهما، كلهم عبيده وإماؤه وتحت قبضته وقدرته.

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ هذا جواب عن قول المشركين في أصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1] أي لا يشفع أحد لأحد عند الله إلا بأمره ورضاه، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء، وكما يشفع الأنبياء للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ أي يعلم ما بين أيديهم من

---

(1) سورة الزمر: 39 الآية: 3.

أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا. وقال مجاهد: على الضد من هذا[1]. وقيل: يعلم الغيب الذي تقدمهم والذي يكون بعدهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي لا يعلمون الغيب مما تقدمهم ولا مما يكون بعدهم إلا بما شاء الله أن يعلموه، وهو ما أنبأ الله به الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. قال ابن عباس: كرسيه علمه، فلا يخفى عليه شيء مما في السموات والأرض. وقيل: معناه وسعت قدرته التي بها يمسك السموات والأرض. وقال الحسن: الكرسي هو العرش. ويقال: هو سرير دون العرش. ويقال: هو مكان خلق الله فيه السموات والأرض. وقال عطاء والكلبي ومقاتل: السموات السبع والأرضون السبع تحت الكرسي في الصغر كحلقة في فلاة. وقال الكلبي: يحمل العرش أربعة أملاك، لكل ملك أربعة أوجه: وجه إنسان ووجه ثور ووجه أسد ووجه نسر، أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرضين بمسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين العرش مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي العلي على الأشباه والأمثال وصفات المحدثين، عظيم الشأن والسلطان والبرهان. روى محمد بن الحنفية قال[3]:

---

(1) في النسخة (ف): على العكس.
تفسير القرطبي: 3/ 276.

(2) يراجع القرطبي في تفسيره: 3/ 276 ـ 277، والبغوي في تفسيره: 1/ 361، حيث ذكرا هذه الأقوال.

(3) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، ابن الحنفية، لأن أمه من بني حنيفة. عرف بالعلم والشجاعة، شهد مع أبيه موقعة صفين، وكان يحمل الراية. توفي رحمه الله بالمدينة في المحرم سنة إحدى وثمانين هجرية.
الطبقات الكبرى: 5/ 91، الأعلام: 6/ 27.

لما نزلت آية الكرسي خرّ كل صنم في دار الدنيا، وخرّ كل ملك في الدنيا على وجهه، وسقطت التيجان عن رؤوسهم، وهربت الشياطين فضرب بعضهم على بعض حتى اجتمعوا إلى إبليس فأخبروه بذلك، فأمرهم أن يبحثوا، فجاؤوا إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت[1]. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة أعطاه الله قلوب الشاكرين، وأعمال الصديقين، وثواب النبيين، وبسط يمينه بالرحمة، ولم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت فيدخلها. ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله وجاره وجار جاره والدويرات حوله**»[2].

قوله تعالى:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (257)﴾.

قوله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ الآية... اختلف المفسرون في هذه الآية على ثلاثة أقوال: قال السدي والضحاك: إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بقتال المشركين كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، وكان القتال غير مباح في أول الإسلام، إلى أن قامت عليهم الحجة الصحيحة بصحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما عاندوا بعد البيان أمر الله المسلمين بقتالهم بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[4] وغير ذلك من آيات القتال؛ وقال الحسن وقتادة: إن هذه الآية خاصة في أهل الكتاب لا يكرهون على الإسلام بعد أن يؤدوا الجزية، وأما مشركو العرب فلا يقرون بالجزية ولا

---

(1) ذكره الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان: ح، ورقة: 173، وكذا القرطبي في تفسيره: 3/ 268.

(2) في تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 173: عن علي بن أبي طالب.

(3) سورة فصلت: 41، الآية: 34.

(4) سورة التوبة: 9، الآية: 5.

يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف؛ والقول الثالث: أن معناه من دخل في الإسلام بمحاربة المسلمين ثم رضي بعد الحرب فليس بمكره، أي لا تقولوا لهم: إنما أسلمتم كرهاً فلا إسلام لكم[1]. ومعنى الآية: لا إكراه في الإسلام، أي لا تكرهوا على الإسلام وقد وضح الطريق المستقيم من الطريق الذي ليس بمستقيم بما أعطاه الله أنبياءه من المعجزات، فلا تكرهوا على الدين. ودخول الألف واللام في الدين لتعريف المعهود.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي فمن يكفر بما أمر الله أن يكفر به ويصدق بالله وبما أمر به، فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحله حجة من الحجج، ولا انقطاع لها بالشبهة والشكوك.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لما يعقده الإنسان في أمر الدين عالم بنيته في ذلك. والغي: نقيض الرشد. والطاغوت: مأخوذ من الطغيان، والطاغوت: اسم للأصنام والشياطين وكل ما يعبد من دون الله.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ معناه: الله ولي المؤمنين في نصرهم وإظهارهم وهدايتهم وإقامة الحجة في دينهم، ومتولي جزائهم على حسن عملهم يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الهدى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ الآية.. معناه: والذين جحدوا توحيد الله أولياؤهم، أي الذين يتولونهم، الطاغوت. والمعنى: يخرجونهم من النور إلى الظلمات، ولم يكن لهم نور. قيل: أراد به اليهود والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام، خرجوا من التوحيد الذي كانوا فيه إلى الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ

---

(1) ذكر القرطبي هذه الأقوال مع بعض الاختلاف في تفسيره: 3/ 280.

ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿258﴾ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي ألم تعلم يا محمد بالذي جادل إبراهيم في ربه، أي هل رأيت الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، أي بأن أعطاه الله الملك وأعجب بملكه وسلطانه، وهو نمروذ بن كنعان، أول من تجبر في الأرض بادعاء الربوبية، فخاصم إبراهيم في توحيده. وقيل: إن الهاء في قوله: ﴿ءَاتَىٰهُ﴾ راجعة إلى إبراهيم عيه السلام. والملك هو النبوة، ووجوب طاعته على الناس.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ وذلك أن نمروذ قال لإبراهيم: من ربك؟ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت عند انقضاء الآجال. فقال نمروذ: أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم: ائتني ببيان ذلك؟ فأتى برجلين من سجنه وجب عليهما القتل، فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال: هذا قد أحييته وهذا قد أمته. ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾، أي تحير وانقطع، بما ظهر عليه من الحجة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، أي لا يرشد المشركين إلى دينه وحجته. فإن قيل: لِمَ لمْ يثبت إبراهيم على الحجة الأولى والانتقال من الحجة إلى حجة أخرى في المناظرة غير محمود؟ قيل عنه أجوبة، أحدها: أن إبراهيم كان داعياً ولم يكن مناظراً، فما كان يراه أقرب إلى الهداية أخذ به؛ والثاني: أنه روي أنه قال لنمروذ: إنك أمت الحي ولم تحي الميت، والانتقال بعد الإلزام محمود، والثالث: أن نمروذ كان عالماً أن ما ذكره ليس بمعارضة وكان من حوله من أصحابه يوقنون بكذبه في قوله: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾، لكن أراد التمويه على أغمار قومه كما قال فرعون للسحرة حين آمنوا: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾[1] كذلك فعل نمروذ بقوله: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾، فترك إبراهيم إطالة الكلام، وعدل إلى حجة مسكتة لا يمكنه التمويه فيها. فإن قيل: فهلا قال نمروذ لإبراهيم: إن مجيء

---

(1) سورة الأعراف: 7، الآية: 123.

الشمس من المشرق هو العادة، فقل لربك حتى يأتي بها من المغرب؟ قيل: علم بما رأى من المعجزات التي ظهرت أنه لو سأله ذلك لأتى به، فكان يزداد فضيحة عند الناس. وقيل: خذله الله عن هذا القول فلم يوفق للسؤال.

قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ البهت في اللغة: هو مواجهة الرجل بالكذب عليه. يقال: بهت يبهت بهتاناً، وباهت ويباهت مباهتة. وفي الحديث: «**إن اليهود قوم بهت**»، أي كذبة. والبهت: الحيرة عند انقطاع الحجة أيضاً. وفيه لغات: بُهتَ وبَهَتَ وبَهِتَ وأجودها بهت ـ بضم الباء.

قوله تعالى:

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (259)﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ عطف هذه الآية على معنى الكلام الأول لا على اللفظ، كأنه قال: أرأيت الذي حاج إبراهيم في ربه أو كالذي مر على قرية. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عزير بن شرخيا، وكان من علماء بني إسرائيل سباه بختنصر من بيت المقدس إلى أرض بابل حين سلطه الله عليهم، فخرب بيت المقدس، فخرج عزير في أرض بابل ذات يوم على حمار، فمر بدير هرقل على شاطىء دجلة، فطاف بالقرية فلم ير بها ساكناً، وعامة شجرها حامل، فجعل يتعجب من خراب القرية وموت أهلها وكثرة حملها وهي ساقطة على سقوفها، وذلك أن السقف يقع قبل الحيطان، ثم تقع الحطيان عليه، فأخذ شيئاً من التين والعنب، وعصر العنب وشرب منه، ثم جعل فضل التين في سلة وفضل العنب في أخرى وفضل العصير في الزق، ثم نظر إلى القرية فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها وموت أهلها؟ لم يكن هذا القول منه

إنكاراً للبعث، لكن أحب أن يرى كيف يحيي الله الموتى فيزداد بصيرة في إيمانه، فنام في ذلك الدير فأماته الله في منامه مائة عام وأعمى عنه السباع والطير، ثم أحياه فنودي: يا عزير كم لبثت؟ وكان أميت في صدر النهار ثم بعث بعد مائة سنة في آخر النهار، فظن أن مقدار لبثه يوم. فقال: لبثت يوماً. فلما نظر إلى الشمس قد بقي منها شيء فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فنودي: بل لبثت مائة عام ميتاً، فانظر إلى طعامك من التين والعنب، وشرابك العصير لم يتسنه، أي لم يتغير طعمها بعد مائة عام ولم تغيرها السنون. فنظر فإذا بالعنب والتين كما شاهده، والعصير طرياً[1]. ثم قيل له: وانظر إلى حمارك، فنظر فإذا هو عظام بيض تلوح قد تفرقت أوصاله، فسمع صوتاً: أيتها العظام البالية إني جاعل فيكن روحاً فاجتمعن. فارتعشت العظام وسعى بعضها إلى بعض، قال: فرأيت الصلب تسعى كل فقرة منها إلى صاحبتها، ثم رأيت الوركين يسعيان إلى مكانهما، والساقين إلى مكانهما، والوظيفين إلى مكانهما، ثم رأيت كل الأضلاع يسعى كل واحد منهم إلى فقرته، ثم رأيت الكعبين يسعيان إلى مكانهما، والذراعين إلى مكانهما، ثم رأيت العنق تسعى كل فقرة منها إلى صاحبتها، ثم جاء الرأس إلى مكانه، ثم رأيت العصب والعروق واللحم ألقي عليه، ثم لسق عليه الجلد، ثم درى عليه الشعر، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينطق. فخر عزير ساجداً لله تعالى، وقال عند ذلك ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حين بين له من كمال القدرة البلاء في حماره والموت في نفسه والبقاء في العنب والعصير، اللذين هما من أسرع الأشياء فساداً وتغيراً، ثم مشاهدة البعث بعد الموت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وبعث وهو شاب ابن أربعين سنة على السن الذي أميت عليها، وكان ابنه في ذلك الوقت ابن عشرين سنة، فصار لابنه مائة وعشرون سنة ولعزير أربعون سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾، ثم إنه رجع إلى بني إسرائل وهو يقرأ التوراة كلها عن ظهر قلبه، فأملاها عليهم لم يخرم منها حرفاً واحداً، وكانت التوراة قد ذهبت عنهم، فأتاهم رجل من بني إسرائيل فانتسب لهم فعرفوه،

---

(1) ذكر القرطبي في تفسيره: 3/ 289 ـ 290 قول ابن عباس مع بعض الاختلاف.

قال: أخبرني جدي أنه قال: دفنت التوراة يوم سبينا في خابية كرمي. فأروه كرم جده فأخرج التوراة فعارضوها على إملاء عزير فما اختلفا في حرف، فعجبوا من كثرة علمه وحداثة سنه، فقال بعضهم: عزير ابن الله. وقال الحسن وقتادة والربيع: إن القرية المذكورة في هذه الآية هي بيت المقدس من بعد ما خربه بختنصر. وكان وهب بن منبه يقول: كان المار بهذه القرية أرميا النبي عليه السلام[1]. وقيل: معنى خاوية أي خالية لا أنيس بها، يقال: خوت الدار إذا خلت، وخوى البطن إذا جاع. وسمي السقف عريشاً لارتفاعه على أرضه، ويسمى السرير عريشاً لارتفاعه عن الأرض.

قوله تعالى: ﴿نُنشِرُهَا﴾ من قرأ بالراء المهملة فمعناه: نحييها، من النشر، يقال: نشره الله إذا أحياه، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[2]. ومن قرأ: ننشزها ـ بالزاي المعجمة فمعناه: نرفعها ونعلي بعضها على بعض، من النشز وهو المكان المرتفع، ومنه نشوز المرأة على زوجها: ترفعها عن طاعته.

قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ من قرأ أعلم بقطع الألف، أي قال عزير: علمت مشاهدة ما كنت أعلمه غيباً. ومن قرأ اعلم بالوصل فالمعنى: قال لنفسه: اعلم أن الله على كل شيء قدير.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾. تقدير الآية: ألم تر إذ قال إبراهيم؟ ويقال: واذكر إذ قال إبراهيم. قال ابن عباس: سبب هذه القصة أن إبراهيم عليه السلام مر

---

(1) ذكره القرطبي في تفسيره: 3/ 289.

(2) سورة عبس: 80، الآية: 22.

بجيفة على ساحل البحر تنقض عليها طيور السماء، فتأخذ منها بأفواهها فتأكل ويسقط من أفواهها في البحر فتأكل منه الحيتان، وتجيء السباع فتأخذ منها عضواً عضواً، فوقف متعجباً وقال: أي رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ أي أو لم تصدق بأني أحيي الموتى؟ قال: بلى، عرفت ولكن أحببت أن أعلم كيف تحيي هذه النفس التي أرى بعضها في بطون السباع، وبعضها في بطون الحيتان، وبعضها في حواصل الطير؟ فكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾. وقيل: معنى ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ أي ليسكن قلبي أنك الذي أعطيتني ما سألتك. وقيل: إنك اتخذتني خليلاً.

قال الله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾، وذلك أن إبراهيم عليه السلام لما مر بالجيفة وقد توزعتها الطيور والسباع والحيتان تعجب منها وقال: يا رب قد علمت بأنك تجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وبطون الحيتان، فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك فازداد يقيناً؟ قال الله له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ يا رب آمنت وعلمت، وليس الخبر كالمعاينة والمشاهدة[1]. وقال ابن زيد: مر إبراهيم عليه السلام بحوت ميت، نصفه في البحر ونصفه في البر، فما كان في البحر فدواب البحر تأكله، وما كان في البر فدواب البر تأكله، فقال إبليس لعنه الله: يا إبراهيم متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء؟ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ بذهاب وسوسة الشيطان، ويصير الشيطان خاسئاً صاغراً[2]. وروي أن نمروذ قال لإبراهيم: أنت تزعم أن ربك يحيي الموتى وتدعوني إلى عبادته فقل له يحيي الموتى إن كان قادراً وإلا قتلتك. فقال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأني أحييهم؟ ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ بقوة حجتي ونجاتي من القتل، فإن عدو الله توعدني بالقتل إن لم تحي لي ميتاً[3]. وقال ابن عباس وابن جبير

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 74.

(2) المصدر نفسه.

(3) الواحدي، المصدر نفسه.

والسدي: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك، فأذن الله له، فأتى إبراهيم وقال: يا إبراهيم جئت أبشرك بأن الله اتخذك خليلاً فحمد الله. وقال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك. ثم انطلق ملك الموت فقال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك، وأنك اتخذتني خليلاً[1]. روى أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يرحم الله إبراهيم عليه السلام، نحن أحق بالشك منه**». يعني إنما شك إبراهيم أيجيبه الله إلى ما سأل أم لا[2].

قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ مختلفة أجناسها وطباعها ليكون أبلغ في القدرة، وخصّ الطير من سائر الحيوان لخاصية الطيران. واختلفوا في تلك الأربعة من الطيور، فقال ابن عباس: خذ طاوساً ونسراً وغراباً وديكاً. وقال مجاهد وابن جريج: أخذ غراباً وديكاً وطاوساً وحمامة. وعن ابن هبيرة[3] أنه أخذ: الطاوس والديك والغرنوق والحمامة. وقال عطاء: أخذ قطاة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر[4].

قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قرأ علي رضي الله عنه وأبو الأسود والحسن وعكرمة والأعرج وشيبة ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وأيوب: فصرهن ـ بضم الصاد[5]، معناه: أملهن إليك، يقال: صرت الشيء أصوره أي أملته، ويقال: رجل أصور إذا كان مائل العنق،

---

(1) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 374.
(2) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 15/ 123، باب فضائل إبراهيم عليه السلام.
(3) عبد الله بن هبيرة السبائي المصري: محدث ثقة وثقه أحمد وغيره، وخرج له مسلم في الصحيح. توفي في خلافة يزيد. رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 7/ 354.
(4) تراجع هذه الأقوال في تفسير البغوي: 1/ 473.
(5) مكي، الكشف: 1/ 313، تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 185.

ويقال: إني إليكم لأصور، أي لمائل مشتاق، وامرأة صوراء أي مشتاقة مائلة. قال الشاعر:

الله يعلم أنا في تلفتنا ∴ يوم الفراق إلى جيراننا صور

وقال عطاء والمؤرج وعطية: معنى ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي اجمعهن واضممهن إليك. يقال: صار يصور صوراً إذا جمع. وقال أبو عبيدة وابن الأنباري[1]: معنى ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي قطعهن ومزقهن، يقال: صار يصير صيراً إذا قطع، وانصار الشيء ينصار انصياراً[2] إذا انقطع. وأنشد بعضهم بيتاً في اللغز[3]:

وغلام رأيته صار كلباً ∴ ثم في ساعتين صار غزالا

أي قطع. وقرأ علقمة وسعيد بن جبير وقتادة ويحيى بن وثاب والأعمش وخلف: فصرهن ـ بكسر الصاد[4]، ومعناه: قطعهن. قال أبو العباس السراج: هما لغتان للعرب. وعن ابن عباس روايتان، إحداهما فصرهن مفتوحة الصاد ومشددة الراء مكسورة من التصرية وهي الجمع ومنه المصراة؛ والأخرى: فصرهن ـ بضم الصاد وفتح الراء والتشديد من الصرة، وهي في معنى الجمع، فمن تأوله على القطع والتمزيق ففيه تقديم وتأخير، تقديره: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن، ومن تأوله على الضم ففيه إضمار[5]، معناه: فصرهن إليك ثم

---

(1) أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، كان مقرئاً نحوياً لغوياً حنبلي المذهب، بغدادي الموطن. روى القراءة عن أبيه وإسماعيل القاضي وغيرهما، وعنه أخذ كثيرون منهم: الدارقطني وابن خالويه روى عنه اللافي كتابه في الوقف والابتداء. له مؤلفات كثيرة منها: «معاني القرآن» و«غريب الحديث» و«الأضداد» في النحو و«شرح شعر النابغة». توفي رحمه الله سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة هجرية.
غاية النهاية: 2/ 230، الداودي، طبقات المفسرين: 2/ 226، طبقات الزبيدي: 171.

(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 80.

(3) قال الثعلبي في تفسير: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، خ، ورقة: 185: وأنشدني أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدني أبو سهل محمد بن الأشعث الطالقاني في اللغز:
وغلام رأيته صار كلباً ∴ ثم في ساعتين صار غزالا

(4) ذكر هذه القراءة الثعلبي في تفسيره: خ، ورقة 185.

(5) ابن جني، المحتسب: 1/ 136.

قطعهن فحذفه واكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾، لأنه يدل عليه، وهذا كما يقال: خذ الثوب واجعل منه على كل رمح علماً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ لفظه عام ومعناه خاص، لأن أربعة من الطير لا تبلغ الجبال كلها، ولا كان إبراهيم يصل إلى ذلك، وهذا كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]. وقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، وقوله: ﴿جُزْءًا﴾، قرأ أبو بكر برفع الزاي مثقل بالهمز حيث وقع، وقرأ أبو جعفر: جزا ـ بتشديد الزاي، وقرأ الباقون بالهمز مخففاً، وهي لغتان[3]. قال المفسرون: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض. ففعل إبراهيم ذلك، ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال. واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال، فقال ابن عباس وقتادة والربيع: أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء، ثم يعمد إلى أجبل فيجعل على كل جبل ربعاً من كل طائر، ثم يدعوهن: تعالين بإذن الله. وهذا مثل ضربه الله لإبراهيم وأراه إياه، يقول: كما بعثت الطيور من هذه الجبال الأربعة فكذلك أبعث الناس يوم القيامة من بقاع الأرض ونواحيها. وقال ابن جريج والسدي: جزّأها سبعة أجزاء، ووضعها على سبعة أجبل، وأمسك رؤوسهن عنده، ثم دعاهن: تعالين بإذن الله، فجعل الريش يطير، كل ريشة تطير إلى الأخرى، وكل قطرة من الدم تطير إلى الأخرى، وكل عظم يطير إلى الآخر، وكل قطعة تطير إلى الأخرى وإبراهيم ينظر حتى التفت كل جثة بعضها إلى بعض حتى سواهن الله تعالى ثم جئن يسعين على أرجلهن بغير رؤوس، فعلق عليهن إبراهيم عليه السلام رؤوسهن[4]. واختلفوا في معنى السعي، فقال بعضهم: هو الإسراع في المشي، وقال بعضهم: مشياً على أرجلهن. والحكمة في المشي دون الطيران: كونه أبلغ في الحجة وأبعد من

---

(1) سورة النمل: 27، الآية: 23.
(2) سورة الأحقاف: 46، الآية: 25.
(3) المهذب في القراءات العشر: 1/ 102، تفسير القرطبي: 3/ 301.
(4) ذكره القرطبي في تفسيره: 3/ 301 هذه الأقوال.

الشبهة، لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير، أو أن أرجلها غير سليمة. قال أبو الحسن الأقطع: صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لكل آية ظاهر وباطن. فظاهر هذه الآية ما ذكره المفسرون، وباطنها أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح أربعة أشياء في نفسه بسكين الإياس كما ذبح في الظاهر الأربعة الطيور بسكين الحديد، فالنسر مثل لطول العمر والأمل، والطاوس زينة الدنيا وبهجتها، والغراب الحرص، والديك الشهوة[(1)].

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿260﴾﴾ أي غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد، حكيم فيما يريد، لا يفعل إلا ما فيه حكمة. قال بعضهم: كانت هذه القصة قبل أن يولد لإبراهيم ولد وقبل أن تنزل عليه الصحف، وكان يومئذٍ ابن خمس وتسعين سنة.

قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿261﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿262﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿263﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾. وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه أجرى فيما تقدم ذكر النفقة في الجهاد بقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[(2)]، ثم ذكر ما كان من مسألة قوم أشمويل من الله أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه أعداءهم، فكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم، ثم عقبه الله تعالى بذكر أمور تدل على وحدانيته، فبين أن الكفر بعد هذه الآيات أعظم وأشنع. فمن كفر بعد هذا فقاتلوه وأنفقوا في القتال فإن النفقة في القتال تكون

---

(1) ذكره الثعلبي في تفسيره: خ، ورقة: 186.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 245.

بسبعمائة. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية والتي بعدها في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، أما عثمان فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك[1] فقال: عليّ جهاز من لا جهاز له. واشترى بئر أرومة وجعلها سبيلاً للمسلمين؛ وأما عبد الرحمن فكان له ثمانية آلاف، فجاء بأربعة آلاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي ثمانية آلاف أمسكت نصفها لنفسي ولعيالي، وأقرضت نصفها لربي وهي هذه. فقال صلى الله عليه وسلم: «**بارك الله فيما أمسكت وفيما أعطيت**». وأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضت منه[2]. ومعنى الآية: صفة الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله كصفة حبة ألقيت في الأرض وأخرجت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، أي كما تكون الحبة واحدة والمكتسب بها سبعمائة، فكذلك النفقة تكون واحدة والمكتسب بها سبعمائة ضعف.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي كما يضاعف الله في زرع الزارع الحادث من البذر الجيد في الأرض العامرة كذلك يضاعف للمرء الصالح ثواب صدقته بالمال الطيب إذا وضعه في موضعه يضاعفه لمن يشاء، من السبع إلى السبعين إلى السبعمائة إلى مائة ألف إلى ما شاء الله من الأضعاف، مما لا يعلمه إلا هو.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي غني بتلك الأضعاف عليم بمن ينفق.

---

(1) تبوك: اسم مكان يقع على نصف طريق المدينة المنورة إلى دمشق، مسمى على اسم عين ماء في ذلك المكان. روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنكم ستأتون غداً عين تبوك». وقال صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين سبقاه إلى العين: «ما زلتما تبوكانها منذ اليوم». وتسمى غزوة العسرة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم خرجوا إلى تلك الغزوة في قلة من الظهر وفي حر شديد، حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ (سورة التوبة: 9، الآية: 117). وكانت تلك الغزوة في رجب سنة تسع من الهجرة.
(سيرة ابن هشام: 4/ 515).

(2) الواحدي، أسباب النزول: 75.

وقيل: معناه والله واسع، أي واسع الفضل جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة والمضاعفة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق الزيادة. والفائدة في تخصيص السبع في الآية ما قالوا: إن السبع أشرف الأعداد، كما روي عن ابن عباس أنه قال: كادت الأشياء تكون كلها سبعاً، فإن السموات السبع، والأرضون السبع، والكواكب السيارة سبعة، والبحار سبعة، وأيام الأسبوع سبعة، وسجود العبد على سبعة أعضاء. وأجمع أهل التفسير إلا السدي: أن العدة المضاعفة سبعمائة مختصة بالإنفاق في الجهاد، وأما غير ذلك من الطاعات فالحسنة بعشر أمثالها، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1].

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ نزل في شأن النفقة التي يستحق بها الثواب المضاعف، فمعناه: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً على السائل، نحو أن يقول للسائل إذا وقع بينه وبينه خصومة: أعطيتك كذا وأحسنت إليك وما أشبهه مما ينغص على السائل، وأصله من القطع، يقال: مننت الشيء إذا قطعته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[2] أي غير مقطوع. ويقال: حبل منين أي مقطوع. وقيل: أصل المنة النعمة يقال: من يمن إذا أعطى وأنعم. قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾[3] أي أعط أو أمسك. وقال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان وعبد الرحمن، أما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها. وروي أن عثمان جاء بألف مثقال في جيش العسرة، فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل يده فيها ويقبلها ويقول: «**ما يضرّ عثمان ماذا عمل بعد اليوم**». وقال أبو سعيد الخدري: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً يديه يدعو لعثمان ويقول: «**يا رب رضيت عنه فارض عنه**».

---

(1) سورة الأنعام: 6، الآية: 120.
(2) سورة التين: 96، الآية: 6.
(3) سورة ص: 38، الآية: 39.

فما زال يدعو رافعاً يديه حتى طلع الفجر، فأنزل الله هذه الآية[1]؛ وأما عبد الرحمن بن عوف فقد ذكرنا صدقته.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَذًىۙ﴾ أي لا تؤذي السائل لا تعيره ولا تزجره نحو أن تقول: أنت أبداً في فقر، ومن أبلانا بك، وأراحنا الله منك وأعطيناك فما شكرت.. وما أشبه ذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المانّ بما يعطي لا يكلمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه وله عذاب أليم. فحظر الله على عباده المنّ بالصنيعة واختص به نفسه لنفسه، لأنه من العبد تعيير وتكدير ومن الله إفضال وتذكير.

قال بعضهم:

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ∴ ليس الكريم إذا أعطى بمنان

قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي لا خوف عليهم فيما يستقبلهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ﴾ أي كلام حسن، ورد جميل على السائل ولطف به، ودعاء بالسعة، وتجاوز عن ظلمته، وعدة حسنة خير عند الله من صدقة يتبعها أذى، لأن الصدقة إذا تبعها الأذى ذهب المال والثواب جميعاً. وقال الضحاك: معنى الآية: قول في إصلاح ذات البين. قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ قال ابن جرير: معنى ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ أي ستر منه عليه لما علم من خلته وفاقته[2]. وقيل: تجاوز عن السائل إذا استطال عليه عند رده. علم الله أن الفقير إذا رد بغير شيء شق عليه ذلك فربما دعاه ذلك إلى بذاءة اللسان وإظهار الشكوى، وعلم ما يلحق المانع منه، فحثه على العفو والصفح. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوها عليه بوقار ولين وببذل يسير أو رد جميل، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظر كيف صنعكم فيما خولكم الله عز وجل**».

(1) الواحدي، أسباب النزول: 76.
(2) تفسير الطبري: 5/ 520.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ أي غني عن صدقات العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ إذ لم يعجل بالعقوبة على الذي يمن بصدقته. روى بشر بن الحارث[1] قال: رأيت علياً رضي الله عنه في المنام فقلت له: يا أمير المؤمنين قل لي شيئاً ينفعني الله به. قال لي: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله، وأحسن منه صبر الفقراء على الأغنياء ثقة بالله عز وجل[2].

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿264﴾﴾.

قال أبو بكر الحداد:

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي لا تبطلوا صدقاتكم بذلك كإبطال من ينفق ماله مراءاة أو سمعة ليروا نفقته ويقال: إنه سخي كريم صالح، يعني بذلك المنافق الذي ينفق ماله لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب، بل خوفاً من الناس ورياء لهم إنه مؤمن.

قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي مثل نفقة هذا المنافق المرائي ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾، أي كحجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ أي مطر كثير شديد الوقع، فذهب بالتراب الذي كان على الحجر وبقي الحجر يابساً لا شيء عليه.

قوله تعالى: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أي حجراً صلباً أملس لا شيء عليه وهو من

---

(1) أبو نصر، بشر بن الحارث بن عبد الرحمن الحافي: أحد رجال الصوفية، كان من كبار الصالحين وأعيان الأتقياء المتورعين، أصله من مرو، وسكن بغداد، وكان من أولاد الرؤساء والكتّاب. توفي سنة سبع وعشرين ومائتين هجرية.
وفيات الأعيان: 1/ 274.

(2) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 187.

الأرض مالا ينبت، ومن الرؤوس مالا شعر عليه. قال رؤبة[1]:

.... ∴ بـراق أصـلاد الـجـبـيـن الأجـلـه[2]

وهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي، والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي، يعني أن الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لأنه لم يكن لله كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب فتركه صلداً مجرداً لا شيء عليه.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي لا يقدر المان بنفقته والمؤذي والمنافق على ثواب شيء مما أنفقوا، كما لا يقدر أحد من الخلق على التراب الذي كان على الحجر الأملس بعدما أذهبه المطر الشديد.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا يهديهم حتى يخصلوا أعمالهم. وقيل: لا يهديهم بالمثوبة لهم كما يهدي المؤمنين. وأصل الوابل من الوبيل وهو الشديد كما قال تعالى: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾[3]. ويقال: وبلت السماء تبل إذا اشتد مطرها. والصلد: الحجر الأملس الصلب، ويسمى البخيل صلداً تشبيهاً له بالحجر في أنه لا يخرج منه شيء. ويقال للأرض التي لا تنبت شيئاً: صلداً. وصلد الزند صلوداً إذا لم يور ناراً. وفي الآية دلالة أن الصدقة وسائر القرب إذا لم تكن خالصة لله لا يتعلق بها الثواب، ويكون فاعلها كمن لا يفعل. ولهذا قال أصحابنا: لا يجوز الاستئجار على الحج وسائر الأفعال التي من شرطها أن تفعل على وجه القربة، لأن أخذ الأجرة عليها يخرجها من أن

---

(1) أبو محمد رؤبة بن العجاج البصري التميمي السعدي، كان أبوه راجزاً، كل منهما له ديوان رجز، كما كان بصيراً باللغة والأدب عالماً بهما، مدركاً لخفاياهما. توفي سنة خمس وأربعين هجرية. الشعر والشعراء: 495، الخزانة: 1/ 43، المؤتلف والمختلف: 175.

(2) هذا عجز بيت من أرجوزة لرؤبة وصدره: لما رأتني خلق المموه.
الأجله: ذهاب الشعر من مقدم الجبين، (ديوان رؤبة: 165 ـ اللسان: جله مجاز القرآن: 1/ 82).

(3) سورة المزمل: 73، الآية: 16.

تكون قربة. ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المثبتين مثلاً آخر أعلى من المثل الأول فقال:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿265﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي صفة الذين ينفقون أموالهم لطلب رضى الله وتصديقاً وحقيقة. قال الشعبي والكلبي والضحاك: يعني تصديقاً من أنفسهم يخرجون الزكاة طيبة بها نفوسهم. وقال السدي وأبو صالح وأبو روق: معناه ويقيناً من أنفسهم، أي على يقين بإخلاق الله تعالى عليهم. وقال قتادة: معناه واحتساباً. وقيل: ثقة بالله. وقال مجاهد: معناه متثبتون. قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت لله، فإن كان لله أمضاه، وإن خالطه شك أمسك. وقال ابن كيسان: معناه إخلاصاً وتوطيناً لأنفسهم على طاعة الله. وقال سعيد بن جبير: وتحقيقاً في دينهم[1].

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أي كصفة بستان بمكان مرتفع أصابها مطر كثير شديد فآتت ثمرها ضعفين في الحمل. قال عطاء: حملت في سنة ما يحمل غيرها في سنتين. وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين. قال الفراء: إذا كان في البستان نخل فهو جنة. وإذا كان فيه كرم فهو فردوس[2]. قرأ مجاهد: كمثل حبة ـ بالحاء والباء، وقرأ السلمي والعطاردي والحسن وعاصم وابن عامر: بربوة ـ بفتح الراء هنا وفي سورة المؤمنين، وهي لغة بن تميم. وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير والأعمش وحمزة والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وأيوب: ربوة ـ بضم الراء فيهما. واختاره أبو عبيد لأنها أكثر اللغات وأشهرها. وقرأ ابن عباس وأبو

---

(1) تراجع هذه الأقوال في: معالم التنزيل: 1/ 382، وتفسير القرطبي: 3/ 314.
(2) الفراء، معاني القرآن: 1/ 173.

إسحاق: بربوة ـ بكسر الراء. وقرأ أشهب العقيلي: برباوة ـ بالألف وكسر الراء، وهن جميعاً للمكان المرتفع المستوي[1]. والمطر على الروابي أشد ونبتها أحسن، وإنما سميت ربوة لأنها ربت فغلظت وعلت، من قولهم: ربا الشيء يربو إذا عظم. وقوله: ﴿أُكُلَهَا﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بضم الكاف[2]. والأكل: هو الثمر وهو اسم لما يؤكل.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي فطش. والطل أضعف المطر مثل الرذاذ، وهو المطر الدائم لصغار القطر لا تكاد تسيل منه الموازيب. كذلك المنفق لوجه الله إن كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير، وإن كانت قليلة شيئاً بعد شيء فبعددها. وقال السدي: الطل هو الندى. وروي عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ قال: هي أرض مصر إن لم يصبها مطر زكت، أي أنبتت، وإن أصابها مطر أضعفت، أي أتت ضعفي ذلك. وهذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن المخلص يقول: كما أن هذه الجنة تصلح في كل حال ولا تخلف ولا تخيب صاحبها، سواء قلّ المطر أو كثر، كذلك يضاعف الله ثواب صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلّت صدقته أو كثرت، ولا يخيب بحال.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي بصير بما تعملون من الرياء والإخلاص، يجزيكم على قدر نياتكم.

قوله تعالى:

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

قول عز وجل: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن

---

(1) الحجة في علل القراءات السبع: 2/ 290، تفسير القرطبي: 3/ 316.
(2) مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 314.

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الآية.. هذا استفهام في الظاهر يقتضي في الحقيقة تقديراً، أي لا يود أحدكم، كقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[1] ومعنى الآية: يتمنى أحدكم أن يكون له بستان[2] من نخل وكرم تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها الأنهار، له في الجنة من ألوان الثمار كلها، وأصابه الهرم والضعف وله أولاد صغار عجزة عن الحيلة ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ يعني تلك الجنة. والإعصار: ريح عاصف تهب من الأرض بالشدة كالعمود إلى نحو السماء وتسميها العرب الزوبعة. وسميت إعصاراً لأنها تعلو كثوب عصر.

وقوله: ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ أي الجنة، وهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمراي، يقول: عمل هذا المرائي في حسنه كحسن الجنة ينتفع بها كما ينتفع صاحب الجنة، فإذا كبر وضعف وصار له أولاد صغار ضعاف، أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت عندما هو صار أحوج ما يكون إليها، وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، وعجزه وعجزهم من أن يغرسوا مثلها لا يرد عليه شبابه وقوته ليغرس فيحزن ويغتم ويهلك أسفاً وتحسراً على ذلك، فلا هو يجد شيئاً يعيشه ولا مع أولاده شيء يعودون به عليه، فبقي هو وأولاده فقراء عجزة متحيرين لا يقدرون على حيلة، وكذلك يبطل الله صدقة هذا المرائي والمنافق والمان بصدقته، حيث لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقالة، يحرم أجرها عند أفقر ما يكون إليها، ويرى في القيامة أعماله هباءً منثوراً، ولا يؤذن له في الرجوع إلى الدنيا ليتصدق وليكون من الصالحين.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. أي هكذا البيان الذي بيّن الله لكم فيما تقدم، وبيّن لكم الدلالات والعلامات لكي تتفكروا فتعتبروا. فإن قيل: قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ فعل مستقبل، وقوله: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فعل ماض، فكيف عطف الماضي على المستقبل؟ فالجواب

---

(1) سورة الحجرات: 49، الآية: 12.
(2) في النسخة (ف): بستانان.

من وجهين: أحدهما أن «قد» ههنا مقدرة المعنى: وقد أصابه الكبر فتكون للحال، كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ﴾[1] أي قد قد: والثاني: ﴿أَيَوَدُّ﴾ يقتضي أن يكون في خبره «لو» كما في قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾[2]، وقوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[3]، ويقتضي أن يكون في خبره «أن» كما في هذه الآية. و«لو» للماضي و«أن» للمستقبل، ثم قد تستعمل «لو» مكان «أن»، و«أن» مكان «لو»، ومقام أحدهما مقام الآخر. قول الإنسان: أنا أتمنى لو يكون لي ولد، ويقول: أتمنى أن كان لي ولد. وإذا كان معنى التمني قد يقع على الماضي صح عطف الماضي عليه.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿267﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ﴾ أي أنفقوا من خيار ما كسبتم وجياده. نظيره قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[4]. وقال ابن مسعود ومجاهد: من حلال ما كسبتم من الأموال دليله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾[5]. وقال عليه السلام: «**إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب**[6]**. لا يكسب عبد مالاً من حرام فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق فيبارك له فيه، ولا يتركه خلفه إلا كان زاده إلى النار، وإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن، وإن الخبيث لا يمحو الخبيث**»[7].

---

(1) سورة يوسف: 12، الآية: 27.

(2) سورة البقرة: 2، الآية: 96.

(3) سورة النساء: 4، الآية: 89.

(4) سورة آل عمران: 3، الآية: 92.

(5) سورة المؤمنون: 23، الآية: 51.

(6) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 7/ 100، باب الحث على الصدقة، والبيهقي في شعب الإيمان: 2/ 56، رقم: 1160.

(7) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 4/ 396، رقم: 5524.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي من أعشار الحبوب والثمار.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ﴾ أي لا تعمدوا إلى الرديء من أموالكم منه تتصدقون ولستم بقابضيه وقابليه إلا أن تغمضوا فيه، يقول: لو كان لبعضكم على بعض حق فجاءه بدون حقه لم يأخذه منه إلا أن يتغامض له عن بعض حقه ويتسامح عن عيب فيه فكيف تعطونه في الصدقة، وقد روي في سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم حثّ الناس على الصدقة وقال: «**إن لله في أموالكم حقاً**». فكان يأتي أهل الصدقة بصدقاتهم فيضعونها في المسجد فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم. فجاء رجل ذات يوم بعدما تفرق عامة أهل المسجد بعذق من حشف فوضعه في الصدقة، فلما أبصره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بئس ما صنع صاحب الحشف**»، فأمر به فعلق فجعل كل من يراه يقول: بئس ما صنع صاحب الحشف، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]. وقال بعضهم: معنى ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي لا تتصدقوا بالحرام فيكون معنى إلا أن تغمضوا فيه على هذا التأويل إلا أن ترخصوا في تناوله وإن كان حراماً. والإغماض: ترك النظر، يقال في المثل: أغمض في هذا الأمر، وغمض أي لا تستنقص وكن كأنك لم تبصره.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي غني عن صدقاتكم محمود في أفعاله ولم يأمركم بالصدقة عن عوز، ولكن بلاكم بما أمركم، فهو غير مستحق للحمد على ذلك وعلى جميع أمره. وفي الآية إباحة الكسب وإخبار أن فيه ما هو طيب. قال صلى الله عليه وسلم: «**الخير عشرة أجزاء أفضلها التجارة إذا أخذ الحق وأعطى الحق**». وقال صلى الله عليه وسلم: «**تسعة أعشار الرزق في التجارة، ولا يفتقر من التجار إلا تاجر حلاف**». وسئل صلى الله عليه وسلم: أي كسب الرجل أفضل؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**»[2]. وقال

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 76.
(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 85، رقم: 1227، باب التوكل والتسليم.

صلى الله عليه وسلم: «**يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره اللغو والكذب فشوبوه بالصدقة**»[1].

قوله تعالى:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي الشيطان يعدكم بالفقر، فحذف الباء كقول الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ∴ فقد تركتك ذا مال وذا نشب[2]

ويقال: وعدته خيراً ووعدته شراً. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾[3]. وقال في الشر: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4] وإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته، وفي الشر أوعدته. قال الشاعر:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ∴ لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[5]

ومعنى يعدكم الفقر، أي يخوفكم الفقر بالنفقة في وجوه البر وإنفاق الجيد من المال.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي بالبخل ومنع الزكاة وزعم الكلبي أن كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا في هذه الآية[6]. وإنما سمي منع الزكاة فحشاء لأن العرب تسمي البخيل فاحشاً، والبخل فحشاء، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، وفيه لغتان: الفَقر والفُقر: كالضَعف والضُعف.

---

(1) رواه أبو داود في سننه: عون المعبود، 9/ 173، رقم: 3310، ورواه النسائي في سننه: 7/ 14، باب في اللغو والكذب.

(2) نسب هذا البيت لعدد من الشعراء، والمشهور أنه لعمرو بن معد يكرب الزبيدي. (ابن الشجري في الأمالي: 2/ 241، المبرد، الكامل: 1/ 33، البغدادي، الخزانة: 1/ 664).

(3) سورة الفتح: 48، الآية: 20.

(4) سورة الحج: 22، الآية: 72.

(5) سبق تخريجه.

(6) بنصه تقريباً في تفسير البغوي: 1/ 388.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ أي مغفرة لذنوبكم بالإنفاق من خيار المال، وفضلاً أي خلفاً في الدنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يوسع الرزق والخلف والمثوبة، ويعلم حيث ينبغي أن تكون السعة. قال ابن عباس وابن مسعود: اثنتان من الله واثنتان من الشيطان[1]: فمن الله المغفرة والفضل؛ ومن الشيطان الفقر والفحشاء. ووعد الشيطان وساوس وتخييل، أي يخيل إليك أنك إذا أمسكت مالك استغنيت، وإن تصدقت به افتقرت.

قوله تعالى:

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿269﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ اختلفوا في تفسير الحكمة؛ قال ابن مسعود: هي القرآن؛ وقال ابن عباس وقتادة: علم ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله وعبره؛ وقال السدي: هي النبوة؛ وقال أبو العالية: هي التفقه؛ وقال مجاهد وإبراهيم: هي الإصابة والفهم؛ وقال الربيع: هي خشية الله تعالى؛ وقال سهل بن عبد الله: هي السنة؛ وقيل: هي سرعة الجواب مع إصابة الصواب[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي من أعطي العلم فقد أعطي خيراً كثيراً يصل به إلى رحمة الله تعالى. قال بعض الحكماء: سمى الله العلم خيراً كثيراً، والدنيا متاعاً قليلاً. فينبغي لمن أعطي العلم أن يعرف قدر نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم. وقال الحسن: ومن يؤت الحكمة يعني الورع في دين الله. قرأ الربيع[3]: توتى الحكمة ومن توت الحكمة ـ بالتاء. وقرأ يعقوب: ومن يؤت الحكمة ـ بكسر التاء، أراد: من يؤته الله، فحذف الهاء[4].

---

(1) كذا ذكره القرطبي في تفسيره: 3/ 328 لابن عباس.
(2) تراجع هذه الأقوال في: البغوي: 1/ 388، والقرطبي: 3/ 328.
(3) الربيع بن خثيم: تقدمت ترجمته.
(4) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 193.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٦٩﴾ أي ما يتعظ إلا ذوو العقول. واللب من العقل وما صفي عن دواعي الهوى. وسمي العقل لباً لأنه أنفس ما في الإنسان، كما أن لبّ الثمرة أنفس ما فيها.

قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٢٧٠ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٧١﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ أي ما تصدقتم به من صدقة أو أوجبتموه على أنفسكم من فعل بر مثل صلاة أو صدقة أو صوم فإن الله لا يخفى عليه ذلك يقبله ويجازي عليه. ويقال معنى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ أي يحفظه. وإنما قال: يعلمه ولم يقل يعلمها، لأن رده إلى الآخر منها، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾[1]، وإن شئت حملته على «ما» التي قبله، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[2] ولم يقل: بهما.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي وما للواضعين النفقة والنذر في غير موضعهما بالرياء والمعصية ونحوهما من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله. والأنصار: جمع نصير مثل: حبيب وأحباب وشريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وذلك أنهم قالوا: يا رسول الله من أفضل، صدقة السر أم صدقة العلانية؟ فأنزل الله هذه الآية، ومعناها: إن تظهروا الصدقات وتعلنوها فنعم الشيء صدقة العلانية. وأصل ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾: فنعم ما هي، فوصلت وأدغمت. وكان الحسن يقرأ: فنعم ما هي مفصولة على الأصل، أي نعمت

---

(1) سورة النساء: 4، الآية: 112.
(2) سورة البقرة: 2، الآية: 231.

الخصلة، و«ما» في موضع رفع، و«هي» في محل نصب كما تقول: نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفت رفعت فقلت: نعم الرجل زيد. وقرأ أبو جعفر ونافع وشيبة وعاصم وأبو عمرو: بكسر النون وجزم العين، ومثله في سورة النساء، واختاره أبو عبيد، وذلك أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لعمرو بن العاص[1]: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[2]. وقرأ ابن عامر ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: بفتح النون وكسر العين. وقرأ طلحة وابن كثير وورش[3] وحفص ويعقوب وأيوب: بكسر النون والعين[4]، وهي لغات صحيحة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي وإن تسروها وتعطوها الفقراء سراً فهو خير لكم وأفضل من العلانية، وكلاهما مقبول منكم إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**صدقة السر تطفىء غضب الرب، وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وتدفع سبعين باباً من البلاء**»[5]. وقال صلى الله عليه وسلم: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله،**

---

(1) أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل السهمي: فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم، أسلم في هدنة الحديبية، وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ذات السلاسل وأمده بجيش فيه أبو بكر وعمر. توفي سنة ثلاث وأربعين هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1184، الطبقات الكبرى: 4/ 254، الأعلام: 5/ 79.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 2/ 91، رقم: 1248، باب التوكل.

(3) أبو سعيد عثمان بن سعيد الملقب بورش المصري، راوي نافع، انتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر فلم ينازعه فيها منازع، مع تفوقه في العربية والتجويد وجودة القراءة وحسن الصوت. توفي سنة سبع وتسعين ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 502، رقم: 2090، معرفة القراء: 1/ 126.

(4) تراجع هذه القراءات في: الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 316، وتفسير الثعلبي: خ، الورقة: 193.

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 244، رقم: 3442، باب في الزكاة.

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1]. قال أهل المعاني: هذه الآية في دقة التطوع لإجماع العلماء أن الزكاة المفروضة إعلانها أفضل، كالصلاة المفروضة في الجماعة أفضل من إفرادها، وكذلك سائر الفرائض، لمعنيين أحدهما: ليقتدي به الناس؛ والثاني: لزوال التهمة لئلا يسيء الناس به الظن. ولا رياء في الفرض، وأما النوافل والفضائل فإخفاؤها أفضل لبعدها من الرياء. يدل على صحة هذا التأول ما روي عن أبي جعفر[2] في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ قال: يعني الزكاة المفروضة، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ يعني التطوع[3]. وعن ابن عباس أنه قال: جعل الله صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة تفضل علانيتها سرها بخمسة وعشرين ضعفا[4]. وقال صلى الله عليه وسلم: «**المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة والجاهر به كالجاهر بالصدقة**»[5]. وذهب الحسن وقتادة إلى أن الإخفاء في كل صدقة أفضل، مفروضة كانت أو تطوعاً.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ قرأ ابن عباس وعكرمة: بالتاء، يعني الصدقات. وقرأ الحسن وابن عامر وحفص: ويكفر ـ بالياء والرفع على المعنى: ويكفر الله. وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو بالنون ورفع الراء على الاستئناف، أي ونحن نكفر. وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع والأعمش وحمزة والكسائي: بالنون والجزم[6] عطفاً على موضع الفاء التي في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: فتح الباري: 2/ 361، رقم: 660، كتاب الأذان، ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة بشرح النووي: 7/ 120، فضل إخفاء الصدقة، والبيهقي في شعب الإيمان: 6/ 11، رقم: 7357.

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر. تقدمت ترجمته.

(3) تفسير الطبري: 5/ 583.

(4) نفس المصدر.

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 2/ 528، رقم: 528، باب في تعظيم القرآن، ونصه: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة».

(6) تراجع هذه القراءات في: الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 316، وتفسير القرطبي: 3/ 335 ـ 336.

﴿لَكُمْ﴾ لأن موضعها جزم بالجزاء. وقوله تعالى: ﴿مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أدخل «من» للتبعيض ليكون العباد فيها على وجل فلا يتكلوا. وقال نحاة البصرة: معناها الإسقاط، أي ونكفر عنكم سيئاتكم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي بما تعملون من الصدقة عالم يجزيكم به.

قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ﴾ قال ابن عباس والكلبي: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء[1]، وكانت معه في تلك العمرة أسماء[2] بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجاءتها أمها قتيلة وجدها أبو قحافة[3] يسألونها الصلة والعطية، فقالت: لا أعطيكم شيئاً حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنكم لستم على ديني. فاستأذنته في ذلك فنزلت هذه الآية. فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق عليهما[4]. وقال محمد بن الحنفية: كان يكبر على المسلمين التصدق على

---

(1) في ذي القعدة من سنة سبع من الهجرة، مكان عمرته التي صده المشركون عنها في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة عام الحديبية، وتسمى أيضاً عمرة القضية، وعمرة القصاص. وروي أنه أنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾.
(سيرة ابن هشام: 4/ 370).

(2) ذات النطاقين، أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأمها قتيلة بنت عبد العزى. أسلمت أسماء بمكة وهاجرت وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم، وتزوجت الزبير بن العوام فولدت له، وكانت مثالاً للزوجة المخلصة المتفانية في خدمة زوجها. توفيت سنة ثلاث وسبعين هجرية.
الطبقات الكبرى: 8/ 249، الاستيعاب: 4/ 1781، أعلام النساء: 1/ 47.

(3) أبو قحافة، عثمان بن عامر بن لؤي، وأمه قتيلة بنت أداة، أسلم عام الفتح ولم يهاجر، أقام في مكة إلى أن توفي سنة أربع عشرة من الهجرة.
الطبقات الكبرى: 6/ 8.

(4) تفسير الثعلبي، خ، الورقة: 194، تفسير القرطبي: 3/ 337.

اليهود والنصارى، فأمروا بذلك في غير فريضة. ومعنى الآية: ليس عليك يا محمد تحصيل الهدى لهم بأن تمنعهم من الصدقة لتحملهم على الإيمان، ولكن الله يثيب ويرشد ويوفق للخير من يشاء. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً من أهل الذمة يسأل على أبواب المسلمين، فقال: ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً، ثم ضيعناك اليوم. وأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي ما تنفقوا من مال بر أو فاجر فلأنفسكم ثوابه ونفعه عائد إليكم.

قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي علم الله أنكم لا تريدون بنفقتكم إلا طلب مرضات الله وإن كان المتصدق عليه كافراً.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿272﴾﴾ أي ما تتصدقوا به من مال يوف إليكم ثوابه في الآخرة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ أي لا تنقصون شيئاً من ثواب أعمالكم وصدقاتكم. وظاهر الآية يقتضي جواز دفع الصدقات إلى الكفار، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم خص منها الزكوات[2] فقال: أمرت أن آخذ الصدقات من أغنيائكم وأردها في فقرائكم[3].

قوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿273﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿274﴾﴾.

---

(1) الثعلبي في المصدر السابق.
(2) أي المفروضة. قال القرطبي في تفسيره: 3/ 337: فلا يجزىء دفعها لكافر.
(3) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 4/ 3، رقم: 1395، كتاب الزكاة.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ قيل: معناه ما أنفقتم من نفقة للفقراء. وقيل: معناه عليكم بالنفقة للفقراء الذين حبسوا في طاعة الله، أي أحصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف والسير لطلب المعاش، وهؤلاء أصحاب الصفة حبسوا أنفسهم لطلب العلم وفضل الجمعة وخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا نحواً من أربعمائة رجل، لم يكن لهم مساكن ولا عشائر كانوا معتكفين في المسجد في صفته، قالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله، فحث الله على الصدقة عليهم، فكان الرجل إذا كان بقي عنده فضل أتاهم به.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. الضرب في اللغة: هو السير، أي لا يستطيعون سيراً في الأرض للتجارة وطلب المعيشة. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2]، وقال الشاعر[3]:

لحفظ المال أيسر من فناه ∴ وضربك في البلاد بغير زاد[4]

وقال ابن زيد: من كثرة ما جاهدوا لا يستطيعون ضرباً في الأرض فصارت الأرض كلها حرباً عليهم لا يتوجهون فيها جهة إلا ولهم فيها عدو. وكان السدي يقول: معنى أحصروا، أي منعهم الكفار بالخوف منهم فلا يستطيعون

---

(1) سورة النساء: 4، الآية: 101.

(2) سورة المزمل: 73، الآية: 20.

(3) أبو عبد الله المتلمس جرير بن عبد العزى، من بني ضبيعة بن ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين، كان ينادم عمرو بن هند ملك العراق ثم هجاه، فغضب عليه وأراد قتله ففر إلى الشام ولحق بآل جفنة. له ديوان مطبوع ترجم إلى الألمانية. توفي ببصرى في سورية سنة خمسين قبل الهجرة.
بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 1/ 93، ابن قتيبة، الشعر والشعراء: 112، البغدادي، الخزانة: 6/ 345.

(4) نسب البيت للمتلمس. (ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد: 3/ 140، ابن عبدالبر، بهجة المجالس: 1/ 198).

تفرقاً في الأرض لمنع الكفار إياهم عن ذلك. وقيل هذا لا يصح، لأنه لو كان كذلك لقال: حصروا، بغير ألف. وقال سعيد بن جبير: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى وأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض[1]. واختار الكسائي هذا القول لأنه يقال: أحصروا من المرض والزمانة عن الضرب في الأرض، ولو أراد الجنس قال: حصروا، وإنما الإحصار من الخوف والمرض. والحصر: الحبس في غيرها.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ قرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة وابن عامر والأعمش وعاصم وحمزة: تحسبهم ـ بفتح السين في جميع القرآن، والباقون بالكسر[2]. ومعنى الآية: يظنهم الجاهل بأمرهم وشأنهم أغنياء من التعفف عن السؤال لتجملهم باللباس وكفهم عن المسألة. والتعفف يذكر ويراد به ترك المسألة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من استغنى أغناه الله، ومن استعفّ أعفه الله**»[3].

قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي تعرفهم أنت يا محمد بعلامة فقرهم ورثاثة حالهم. وقيل: بتخشعهم وتواضعهم. وقيل: بصفرة ألوانهم من الجوع وقيام الليل وصيام النهار. وقيل: بفرحهم واستقامة أحوالهم عند توارد البلاء عليهم.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ قال عطاء: إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء، وإذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء[4]. وقال أهل المعاني: المعنى لا يسألون الناس إلحافاً ولا غير إلحاف، أي ليس لهم سؤال فيكون إلحافاً. والإلحاف: الإلحاح واللجاج، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أي من القناعة، ولو كانوا يسألون لكان يعرفهم

---

(1) تفسير البغوي: 1/ 393 ـ 394، تفسير القرطبي: 3/ 340 ـ 341.

(2) مكي، الكشف: 1/ 317، تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 195.

(3) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 4/ 97، رقم: 1469، كتاب الزكاة، والدارقطني في سننه: 2/ 118.

(4) في تفسير البغوي، معالم التنزيل: 1/ 394: «إذا كان عندهم.. إلخ بضمير الجمع».

بالسؤال لا بالسيما. وإنما سمي المُلِحّ في السؤال ملحفاً لأنه يلصق بالمسؤول، ويشتمل على وجوه الطلب في المسألة كاشتمال اللحاف. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويكره البؤس والتباؤس، ويحب الحليم المتعفف، ويبغض الفاحش البذي والسائل الملحف**»[1]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: م«**ن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة كدوحاً أو خموشاً أو خدوشاً في وجهه**». قيل: وما غناه؟ قال: «**خمسون درهماً**»[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي ما تتصدقوا به من مال فإن الله به عليم يجزيكم به.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿274﴾﴾ قال ابن عباس ومقاتل: نزلت هذه الآية في علي رضي الله عنه، كانت له أربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فنزلت هذه الآية[3]. وعن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصفة حتى أغناهم، وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من التمر. والوسق: ستون صاعاً. فكان أحب الصدقتين إلى الله تعالى صدقة علي كرم الله وجهه، ونزل فيها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أراد بالليل: صدقة علي رضي الله عنه، وبالنهار علانية صدقة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. وروي أيضاً عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يعني في علف

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 5/ 163، رقم: 6202، باب في الملابس.

(2) رواه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 3/ 313، رقم: 645، باب من تحل له الزكاة ـ وأبو داود في سننه: عون المعبود: 5/ 30، رقم: 1610، وابن ماجه في سننه: 1/ 589، رقم: 1840.

(3) ذكره البغوي في معالم التنزيل: 1/ 396.

الخيل المرتبطة في سبيل الله[1]. وكان أبو هريرة إذا مرّ بفرس سمين تلا هذه الآية، وإذا مرّ بفرس أعجف سكت. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من ارتبط فرساً في سبيل الله فأنفق عليها احتساباً كان شبعه وجوعه وريه وظمأه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيامة**»[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط كفيه بالصدقة**».

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال الأخفش وقطرب: جعل الخبر بالفاء لأنه في معنى «من»، وجواب «من» بالفاء، كأنه قال: من أنفق كذا فله أجره عند ربه[3].

قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قد تقدم تفسيره.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (275) يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277)﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ معناه: الذين يأكلون الربا في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم لعظم بطونهم إلا كما يقوم في الدنيا الذي يضربه ويصيبه الشيطان من المس، أي من الجنون. روي أنهم يبعثون يوم القيامة وقد انتفخت بطونهم،

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 77.

(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 6/ 145، رقم: 2853، كتاب الجهاد، والنسائي في سننه: 6/ 187، باب علف الخيل، والبيهقي في شعب الإيمان: 4/ 45، رقم: 3/ 43، باب المرابطة في سبيل الله.

(3) الأخفش، معاني القرآن: 1/ 388.

كلما قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم وهم كالمجانين. قال الحسن: هذه علامة أكلة الربا يعرفون بها يوم القيامة[1].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ معناه: كان الرجل إذا حل ماله طلبه فيقول المطلوب: زدني في الأجل وأزيدك في مالك. فيفعلان ذلك. فإذا قيل لهم: إن هذا ربا قالوا: هما سواء. والزيادة في آخر البيع بعد الأجل كالزيادة في أول البيع إذا بعت بالنسيئة سواء، وليس كما توهموه لأن الزيادة في الثمن في آخر البيع لأجل الإبعاد في الأجل بعدما صار الثمن ديناً في الذمة يكون عوضاً عن الأجل، والاعتياض عن الأجل باطل. وأما الزيادة في الثمن في أصل العقد يكون مقابلة للبيع، ويجوز بيع المبيع بثمن قليل وثمن كثير.

قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ أي أحل الله الزيادة في أول البيع وحرم الزيادة في آخره.

قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي فمن جاءه زجر من ربه ونهي عن الربا فانتهى عنه فله ما مضى من أكله الربا قبل النهي، أي لا إثم عليه في ذلك، وأمره فيما بقي من عمره إلى الله إن شاء عصمه وإن شاء لم يعصمه. وقيل: معناه فله ما سلف، أي له ما أخذ من الربا قبل التحريم، وأمره إلى الله في المؤتنف[2] في العفو والتجاوز، وإنما لم يقل: فمن جاءته موعظة من ربه، لأن تأنيث الموعظة ليس بحقيقي فيجوز تذكيره ويجوز أن ينصرف إلى المعنى، كأنه قال: فمن جاءه وعظ ونهي من ربه عن الربا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي من عاد إلى أكل الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها دائمون إلى ما شاء الله. وقيل: معناه من عاد بعد النهي إلى قوله: إنما البيع مثل الربا فأولئك أهل النار

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 355.

(2) في النسخة (ف): في المستأنف.

هم فيها مقيمون، لأن مستحل الربا كافر لإنكاره آية من كتاب الله تعالى. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**سيأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره**»[1]. وعن عبد الله بن مسعود قال: آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده إذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: «**الربا بضع وسبعون باباً أدناها كإتيان الرجل أمه**»[3]. والخبط في اللغة: هو الضرب على غير استواء، يقال: خبط البعير إذا ضرب بيده. والمس: الجنون، يقال: رجل ممسوس أي مجنون.

قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ معناه: يهلك الله الربا ويذهب ببركته. والمحق: نقصان الشيء حالاً بعد حال. ويقال: إن الربا ينقص حالاً بعد حال إلى أن يتلف كله. وقوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي يقبلها ويعطي خلفها في الدنيا ويضاعف ثوابها في الآخرة من واحدة إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف. كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيبة، ويربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره وفصيله، حتى إن اللقمة تصير مثل أحد**»[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي يبغض كل جاحد بتحريم الربا فاجر عاص بأكله واستحلاله. وإنما قال كفار ولم يقل كافر ليبين أن مستحل الربا مع كونه كافراً كفار للنعمة. والأثيم: المتمادي في الإثم. والآثم: الفاعل للإثم.

---

(1) رواه أبو داود في سننه: عون المعبود. 9/ 890، رقم: 3315، باب في اجتناب الشبهات، والنسائي في سننه: 7/ 215، كتاب البيوع.

(2) رواه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 4/ 396، رقم: 120، باب في أكل الربا، وأبو داود في سننه: عون المعبود: 1/ 1829، رقم: 3317، باب في أكل الربا وموكله.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 4/ 394، رقم: 5519، باب في قبض اليد على الأموال المحرمة.

(4) رواه النسائي في سننه: 5/ 43.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية.. معناه: إن الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله وتحريم الربا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم، وأتموا الصلوات الخمس، وأعطوا الزكاة من أموالهم فلهم جزاؤهم وثوابهم في الآخرة عند ربهم، ولا خوف عليهم إذا ذبح الموت ولا هم يحزنون إذا أطبقت النار على أهلها.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿278﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿279﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿280﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿281﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿278﴾﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في نفر من ثقيف: مسعود[1] وحبيب، وربيعة، وعبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي[2] كانت لهم ديون على بني المغيرة، وكان بنو المغيرة يربونهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة وضع الربا كله. وكان أهل الطائف قد صالحوا على أن لهم رباهم من الناس يأخذونهم وما كان عليهم من ربا الناس فهو موضوع عنهم لا يؤخذ منهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اكتب في آخر كتابهم: إن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم**». فلما حل الأجل طلبت ثقيف من بني

---

(1) مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي: صحابي، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه سعيد بن زيد.
الاستيعاب: 3/ 1393.

(2) عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي: كان مقدماً في ثقيف ووجهاً من وجوهها، أرسلته ثقيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس وفد يتكون من خمسة رجال، فأسلموا كلهم وحسن إسلامهم وانصرفوا إلى قومهم ثقيف فأسلمت بأسرها.
الاستيعاب: 3/ 1007، الطبقات الكبرى: 6/ 47.

المغيرة رباهم، فقالت بنو المغيرة: ما بالنا نكون أشقى الناس، وضع الربا عن الناس كلهم ويؤخذ منا خاصة؟ فقالت لهم ثقيف: إنا صالحنا على ذلك. فاختصموا إلى أمير[1] مكة وهو عتاب بن أسيد[2] فلم يدر ماذا يقضي بينهم، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة، فأنزل الله هذه الآية خطاباً لثقيف[3]، ومعناه: يا أيها الذين آمنوا اخشوا الله واتركوا ما بقي من الربا فإنه لم يبق غير رباكم إن كنتم مؤمنين، أي مصدقين بتحريم الربا فهذا حكمه.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي إن لم تقبلوا أمر الله ولم تقروا بتحريم الربا ولم تتركوه فاعلموا أنكم كفار يجازيكم الله ورسوله، أي يعذبكم الله في الآخرة بالنار، ويعذبكم رسوله في الدنيا بالسيف. والإذن: الإعلام. ومن قرأ: فاذنوا، أي فاعلموا أصحابكم المتمسكين بمثل ما أنتم عليه أن من عامل بالربا مستحلاً له حاربهم الله ورسوله. وقيل: معنى الآية فإن لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول الأمر بتركه فأذنوا بحرب من الله ورسوله. ومثل هذا اللفظ لا يوجب الإكفار، لأن لفظ محاربة الله ورسوله يطلق على ما دون الكفر، كما في آية قطاع الطريق. وهذا الحكم في آية الربا إنما يستقيم إذا اجتمع أهل بلدة لهم منعة وقوة على المعاملة بالربا وكانوا محرمين له، فإن الإمام يستتيبهم، فإن تابوا وإلا قاتلهم. وأما إذا عامل واحد أو جماعة قليل عددهم معاملة الربا فإن الإمام يستتيبهم، فإن تابوا وإلا زجرهم وعزرهم وحبسهم إلى أن يظهروا توبتهم. وقد روي عن ابن عباس وقتادة والربيع فيمن أربى أن الإمام يستتيبه، فإن تاب وإلا قتله، وهذا محمول على أن يفعله مستحلاً له لأنه لا خلاف بين العلماء أنه ليس بكافر إذا اعتقد تحريمه.



---

(1) في النسخة (ف): أمين.

(2) أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد بن أبي العاص القرشي: من الصحابة الشجعان، ومن أشراف العرب في صدر الإسلام، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم عليها وأقره أبو بكر إلى أن توفي سنة ثلاث عشرة هجرية.
الاستيعاب: 3/ 1023، الطبقات 6/ 5، شذرات الذهب: 1/ 26.

(3) يراجع الواحدي، أسباب النزول: 79.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي فإن رجعتم عن استحلال الربا وأقررتم بتحريمه. ويقال: إن تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤوس أموالكم التي أسلفتموها من بني المغيرة، لا تظلمون بطلب الزيادة على رأس المال، ولا تظلمون بحبس رأس المال عنكم. قال ابن عباس: فلما نزلت هاتان الآيتان كتب بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتاب فقرأهما على ثقيف، فقالوا: بلى، نتوب إلى الله تعالى فإنه لإيذان لنا بحرب الله ورسوله. ثم طلبوا رؤوس أموالهم من بني المغيرة، فقالت بنو المغيرة: نحن اليوم أهل عسرة فأخرونا إلى أن تدرك الثمار. فأبوا أن يؤخروهم، فنزل قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي إن كان المطلوب ذا ضيق وشدة فيؤخر إلى سعة ويسار[1]. روي عن ابن عباس وشريح وإبراهيم أن الإنظار إنما يجب في الدين، يعني دين الربا خاصة. وكان شريح يحبس المعسر في غيره من الديون. وعن إبراهيم والحسن والضحاك أن ذلك واجب في كل دين. وهذا هو الأصح، لأن نزول الآية في رأس مال الربا لا يمنع اعتبار سائر الديون بها بالاستدلال والقياس[2]. وذهب بعض النحويين إلى أن الرفع في قوله تعالى: ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ دليل على أنه ابتداء على معنى: وإن وقع ذو عسرة أو وجد ذو عسرة، ولو كان هذا مختصاً بالربا لقال: وإن كان ذا عسرة بالنصب، ويحتمل أن يكون تقدير الرفع: وإن كان ذو عسرة غريماً لكم. ومن قرأ: ميسرة ـ بضم السين فهي لغة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**»[3]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أحب أن تستجاب دعوته وتكشف كربته فلييسر على المعسر**»[4]. وعن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أنظر**

---

(1) الواحدي: أسباب النزول: 80.

(2) تفسير الطبري: 6/ 30 ـ 31.

(3) رواه الترمذي في سننه: تحفة الأحوذي: 4/ 534، رقم: 1321، باب في إنظار المعسر ـ والدارمي في سننه: 2/ 261، باب فيمن أنظر معسراً.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 7/ 538، رقم: 11260، فصل في أنظار المعسر.

معسراً كان له بكل يوم صدقة»[1]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من إدّان ديناً وهو ينوي أن لا يؤديه فهو سارق**»[2]. وعن أبي قتادة[3] أن رجلاً أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقال: «**هل عليه دين؟**» قالوا: نعم. فتأخر، فقال: «**صلوا على صاحبكم**». قال أبو قتادة: فأنا أتكفل به، فقال صلى الله عليه وسلم: «**بالوفاء**». فقال: بالوفاء. فصلى عليه[4]، وكان عليه ثمانية عشر درهماً أو تسعة عشر درهماً. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من خطيئة أعظم عند الله عز وجل بعد الكبائر من أن يموت الرجل وعليه أموال الناس ديناً في عنقه لا يوجد لها قضاء**»[5].

قوله عز وجل: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٨٠﴾ أي وأن تصدقوا برأس المال فهو فضل إن كنتم تعلمون ثواب من نظر معسراً أو وضع عنه.

قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية.. هذا تحذير من الله عز وجل أن يوافي العباد ذلك اليوم على غرة وغفلة وتقصير في أوامر الله ومخالفته فيما أحل وحرم. يقول: اخشوا عذاب يوم ترجعون فيه إلى جزاء الله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي توفى كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي لا ينقص من

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 7/ 538، رقم: 11262.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 4/ 401، رقم: 5548، فصل في تسديد الدين.

(3) أبو قتادة، الحارث بن ربعي الأنصاري الخزرجي.. شهد أحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم. قال الرسول فيه يوم ذي قرد: خير فرساننا اليوم قتادة. توفي سنة أربع وخمسين هجرية.
الإصابة: 4/ 158، البداية والنهاية: 8/ 68، سيرة ابن هشام: 3/ 281.

(4) رواه النسائي في سننه: 7/ 279، باب الكفالة بالدين، والدارمي في سننه: 3/ 2026، باب في الصلاة على من مات وعليه دين.

(5) رواه أبو داود في سننه. 9/ 192، رقم: 3326، باب في التشديد في الدين.

حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم. قرأ أبو عمرو ويعقوب: ترجعون فيه إلى الله ـ بفتح التاء اعتباراً بقراءة أبي: واتقوا يوماً تصيرون فيه إلى الله، وقرأ الباقون: ترجعون ـ بضم التاء اعتباراً بقراءة عبد الله: واتقوا يوماً تردون فيه إلى الله[1]. قال ابن عباس: هذه الآية آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن، وذلك أنه لما حج البيت نزل عليه جبريل عليه السلام وهو واقف بعرفة بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] الآية.. ثم نزل بعد ذلك بهذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية.. وقال يا رسول الله ضعها على رأس ثمانين ومائتي آية من سورة البقرة. فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآيات بتسعة أيام[3]. قال المفسرون: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[4] قال: «**ليتني أعلم متى يكون ذلك!**» فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾[5] قال: «**أما إن نفسي نعيت إليّ**». ثم بكى بكاء شديداً، فقيل: يا رسول الله أتبكي من الموت فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**وأين هول المطلع، وأين ضيق القبر وظلمة اللحد، وأين القيامة والأهوال؟**» فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية عاماً ثم نزل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[6] إلى آخر السورة، فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها ستة أشهر، ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجة الوداع نزل عليه في الطريق: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[7] إلى آخرها، ثم نزل وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية.. فعاش بعدها إحدى وثمانين ليلة، ثم نزل بعدها آيات الربا، ثم نزل بعد ذلك: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا

---

(1) تراجع هذه القراءات في: الكشف، لمكي: 1/ 319، وتفسير الثعلبي، خ، الورقة: 202.
(2) سورة المائدة: 5، الآية: 3.
(3) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 406.
(4) سورة الزمر: 3، الآية: 30.
(5) سورة النصر: 110، الآية: 1.
(6) سورة التوبة: 9، الآية: 128.
(7) سورة النساء: 4، الآية: 176.

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهي آخر آية نزلت. فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها إحدى وعشرين ليلة. وقال ابن جريج: تسع ليال. وقال ابن جبير ومقاتل: سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة(1).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (282)﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾. قال ابن عباس: لما حرم الله الربا أباح السلم، وظاهر الآية على كل دين من سلم وغيره. ومعنى الآية: يا أيها الذين آمنوا إذا تبايعتم بالنسيئة إلى وقت معلوم فاكتبوا الدين بأجله، وأشهدوا عليه كي لا تحدث نفس أحدكم بالطمع في حق صاحبه، ولا يقع الشك في مقداره ولا جحود ولا نسيان. والدين: ما كان مؤجلاً. والعين: ما كان حاضراً. واختلفوا في هذه الكتابة: أنها فرض أو ندب، فذهب أبو سعيد الخدري والحسن والشعبي: أن الكتابة والإشهاد على الديون المؤجلة كانا واجبين بهذه الآية ثم نسخا بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾(2). وقال ابن عباس: لا والله إن آية الدين محكمة ما فيها نسخ. وهو قول الربيع وكعب. وهذا هو الأصح، لأن الأمر بالكتابة

---

(1) تفسير البغوي: 1/ 406.

(2) سورة البقرة: 2، الآية: 283.

والإشهاد إنما ورد مقروناً بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، ويستحيل ورود الناسخ والمنسوخ معاً في شيء واحد، فكأن المراد بالأمر الندب[1]. والفائدة في قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بيان وجوب إعلام الأجل، فإن جهالة الأجل في البيانات تفسدها. وقال بعضهم: إن الكتابة فرض واجب. قال ابن جريج: من أدان فليكتب، ومن باع فليشهد. يدل عليه ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم: رجل كان له دين فلم يشهد عليه، ورجل أعطى سفيهاً ماله وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[2]، ورجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها**»[3]. وقال قوم: هو مستحب، فإن كتب فحسن، وإن ترك فلا بأس، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟﴾[5].

قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾. قرأ الحسن: وليكتب ـ بكسر اللام وهذه لام الأمر، وهي إذا كانت مفردة فليس فيها إلا الحركة، وإذا كان قبلها واو أو فاء أو ثم فأكثر العرب على تسكينها طلباً للخفة، ومنهم من يكسرها على الأصل. ومعنى هذه الآية: وليكتب كاتب بين البائع والمشتري والطالب والمطلوب بالحق والإنصاف، فلا يزيد ولا ينقص منه، ولا يقدم الأجل ولا يؤخره.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ أي لا يمتنع أن يكتب كما ألهمه الله شكراً لما أنعم عليه، حيث علمه الكتابة، وأحوج غيره إليه فليكتب. واختلفوا[6] في وجوب الكتابة على الكاتب، والشهادة على الشاهد، فقال مجاهد والربيع: واجب على الكاتب أن يكتب. وقال الحسن:

---

(1) تراجع هذه الأقوال في تفسير القرطبي: 3/ 403 ـ 404.

(2) سورة النساء: 4، الآية: 5.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي موسى: 6/ 249، رقم: 8041، باب في حسن الخلق.

(4) سورة المائدة: 5، الآية: 2.

(5) سورة الجمعة: 62، الآية: 10.

(6) أورد البغوي في تفسيره: 1/ 409 مثل هذا الخلاف.

ذلك في الموضع الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره، فيصير كصاحب الدين إذا امتنع فإن الكتابة حينئذ فريضة، وإن قدر على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره. وقال الضحاك: كان هذا واجباً فنسخه[1] قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾. وقال السدي: هو واجب عليه في حال فراغه. وقال الشعبي: هو واجب على الكفاية كالجهاد. والصحيح أن الكتابة غير واجبة في الأصل على المتداينين، فإذا لم تكن واجبة عليهم فكيف تكون واجبة على الأجنبي الذي لا حكم له في هذا العقد ولا سبب.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ﴾ يعني المديون المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه ويمل على الكاتب. والإملال والإملاء بمعنى واحد وهما لغتان فصيحتان جاء بهما القرآن، ثم خوفه الله تعالى فقال: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ أي وليخش الله ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئاً.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ﴾ أي فإن كان المطلوب الذي عليه المال سفيهاً، أي خفيف العقل جاهلاً بالإملاء ولا يميز تمييزاً صحيحاً، قاله مجاهد. وقال السدي: يعني عاجزاً لا يستطيع أن يمل لعجمة أو زمانة وقوله تعالى: ﴿ضَعِيفًا﴾ أي ضعيفاً في العقل مثل: الصبي والمرأة أو شيخاً كبير السن. وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ يعني لمرض أو خرس أو حبس لا يمكنه حضور الكاتب، أو يجهل ما له وعليه. قوله تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ﴾ أي وليه الذي يقوم بأمره. وقوله تعالى: ﴿بِٱلْعَدْلِۚ﴾ أي بالحق. وقال ابن عباس والربيع ومقاتل: معناه فليملل ولي الحق وهو صاحب الدين، لأنه أعلم بدينه، يمل بالعدل والصدق والحق والإنصاف.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ﴾ يعني أشهدوا على الحق شهيدين من الأحرار البالغين المؤمنين دون الكفار والعبيد والصبيان، وهذا

---

(1) البغوي في المصدر السابق.

مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وسفيان وأكثر الفقهاء. وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد. وأجاز بعضهم شهادتهم في الشيء التافه[1].

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ الآية.. أي فإن لم يكن الشاهدان رجلين فليكن رجل وامرأتان.

قوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أي ممن ترضون عدالته وأمانته. والمرضي من يجتمع فيه ثلاثة أشياء: أحدها: العدالة وأصلها الإيمان، واجتناب الكبائر ومراعاته حقوق الله تعالى من الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة[2] وأداء الأمانة؛ والثاني: نفي التهمة، نحو أن لا يكون المشهود له ولداً ولا والداً ولا زوجة ولا زوجاً، فإن شهادة هؤلاء غير مقبولة لما ذكرنا وإن كانوا عدولاً مرضيين؛ والثالث: التيقظ وقلة الغفلة، وأن لا يكون كثير الغلط[3]. قال النخعي: الرجل العدل هو من لم يظهر فيه ريبة. وقال الشعبي: هو من لا يطعن عليه في بطن ولا فرج. وقال الحسن: هو من لم تعلم له خيانة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا مجلود، ولا ذي حقد على أخيه، ولا من جرب عليه شهادة زور، ولا الخادم مع أهل البيت**»[4]. وعن ابن عباس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال: «**أترى هذه الشمس؟**» قال: نعم. قال: «**على مثلها فاشهد أو دع**»[5].

قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ معناه: لأن تذكر الذاكرة الناسية إن نسيت. ومعنى تضل: تنسى، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿20﴾﴾[6]. وقوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ معطوف على ﴿تَضِلَّ﴾. وقرأ

---

(1) تفسير البغوي: 1/ 409.
(2) لفظ «اللهجة» ساقط من النسخة (ف) مع وجود بياض.
(3) تفسير البغوي: 1/ 409 ـ 410.
(4) رواه أبو داود في سننه: 10/ 9، رقم: 3583، باب من ترد شهادته.
(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان: 7/ 455، رقم: 10974، باب في الجود والسخاء.
(6) سورة الشعراء: 26، الآية: 20.

الأعمش: إن تضل - بكسر الهمزة[1]، فتذكر - بالرفع ومعناه: الجزاء والابتداء. وموضع «تضل» جزم بالجزاء إلا أنه لا يتبين فيه للتضعيف، فتذكر رفعاً لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ. وقيل في تفسير الآية: إذا امتنعت إحدى المرأتين عن أداء الشهادة تعظها الأخرى حتى تشهد. ومن قرأ: فتذكر بالتخفيف فالإذكار والتذكير بمعنى واحد. وقيل في معنى التخفيف تجعلها ذكراً، أي يقومان مقام الرجل. وقرأ زيد بن أسلم: فتذاكر إحداهما الأخرى من المذاكرة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: فتذكر - بالتخفيف. وقرأ الباقون فتذكر - بالتشديد[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ أي لا يمتنعوا إذا دعوا إلى إقامة الشهادة عند الحكام، وهذا قول مجاهد وعطاء وعكرمة وابن جبير والضحاك والسدي. وقال بعضهم: هذا في تحمل الشهادة وهو أمر إيجاب أيضاً. قال قتادة: كان الرجل يطوف في الحي العظيم فيه القوم، فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم، فأنزل الله هذه الآية[3]. وقال الشعبي: هو مخير في تحمل الشهادة إذا وجد غيره، فأما إذا لم يوجد غيره وجب عليه التحمل. وقال بعضهم: هذا أمر ندب، وهو مخير في جميع الأحوال، وهو قول عطاء. وقال مغيرة: قلت لإبراهيم: إني أدعى إلى الشهادة وإني أخاف أن أنسى. قال: فلا تتحمل إن شئت[4]. وقال الحسن: هذه الآية في التحمل والإقامة إذا كان عارفاً.

قوله تعالى: على ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾أي لا تملوا أن تكتبوا الحق، قليلاً كان الحق أو كثيراً إلى محله. يقال: سئمت أسأم سآمة إذا مللت. قال زهير:

---

(1) تفسير الثعلبي: خ، الورقة: 205.
(2) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 320.
(3) تفسير الطبري: 6/ 68.
(4) نفسه: 6/ 71.

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ∴ ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم[1]

وقال لبيد[2]:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ∴ وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟[3]

و«أن» في موضع نصب من وجهين، إن شئت جعلته مع الفعل مصدراً، وأوقعت السآمة عليه، تقديره: ولا تسأموا كتابته، وإن شئت نصبته بنزع الخافض، والهاء راجعة إلى الحق، أي ولا تسأموا من أن تكتبوه. قرأ السلمي: ولا يسأموا ـ بالياء. قوله تعالى: ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ انتصب من وجهين أحدهما: على الحال من الهاء، والثاني: أن تجعله خبراً لكان المحذوفة تقديره: صغيراً كان الحق أو كبيراً.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي الكتاب أعدل عند الله، أحصى للأجل وأحفظ للشهادة، وأقرب إلى أن لا يشكوا في مقدار الحق ومقدار الأجل. وفي هذا دليل أنه لا يجوز إقامة الشهادة إلا مع زوال الريب كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع**».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ قرأ عاصم: تجارة ـ بالنصب[4] على خبر كان، وأضمر اسمها تقديره: إلا أن تكون المداينة تجارة أو المبايعة تجارة. وقرأ الباقون بالرفع لوجهين: أحدهما أن يكون الكون

---

(1) زهير تقدمت ترجمته. وهذا البيت من الطويل وهو مطلع أبياته الحكمية التي ختم بها معلقته الشهيرة (ديوان زهير: 29 ـ شرح شواهد الكشاف: 4/ 530 ـ شرح نهج البلاغة. 9/ 45).

(2) أبو عقيل، لبيد بن ربيعة بن مالك العامري: أحد الشعراء الفرسان، من أهل نجد، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، فهو من المؤلفة قلوبهم، وسكن الكوفة، وهو أحد أصحاب المعلقات، جمع شعره في ديوان مطبوع ترجم إلى الألمانية. توفي سنة إحدى وأربعين هجرية.
سزكين، تاريخ التراث العربي: 1/ 33، البغدادي، الخزانة: 2/ 246، الشعر والشعراء: 194.

(3) هذا البيت من قصيدة للبيد وردت في ديوانه رقم: 7 يذكر فيها طول عمره ومآثره في ماضيه. (ديوان لبيد: 29، بهاء الدين العاملي، الكشكول: 1/ 29).

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 321.

بمعنى الوقوع، تقديره: إلا أن تقع تجارة فحينئذ لا خبر له؛ والثاني: أن تجعل تجارة اسم تكون والخبر ﴿تُدِيرُونَهَا﴾ تقديره: إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم. ومعنى الآية: إلا أن تقع تجارة حالة يداً بيد فليس عليكم حرج في ترك الكتابة في تلك التجارة، لأنه ليس فيه أجل ولا نسيئة، وهذا توسعة من الله للعباد لئلا يضيق عليهم أمر بياعاتهم في المأكول والمشروب والأشياء التي تمس حاجتهم إليها في أكثر الأوقات، ويشق عليهم كتابتها جميعاً[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ﴾ أي اشهدوا على حقوقكم إذا بعتم واشتريتم، وهذا محمول على البياعات النفيسة. فأما القدر اليسير الذي ليس في العادة التوثق بالإشهاد فيه، نحو: شراء الخبز والبقل وما جرى مجراه فغير داخل في هذا الخطاب. قال الضحاك: قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ﴾ هذا الإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره، ونقده ونسائه ولو كان على تافه. وقال آخرون: وهو أمر ندب إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾ يحتمل وجهين، أحدهما: لا يضار الكاتب ولا الشاهد، الطالب ولا المطلوب، يعني لا يكتب الكاتب إلا بالحق، ولا يشهد الشاهد إلا بالحق، تقديره: ولا يضار على النهي؛ والثاني: على فعل ما لم يسم فاعله، أي لا يدعي الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله إلا بضرر يدخل عليه، وكذلك لا يدعى الشاهد ومجيئه يضر به.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ﴾ أي لا تقصدوا المضارة بعد نهي الله تعالى عنها فإنه إثم وخروج من أمر الله.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُۗ﴾ أي واتقوا الله في الضرار ولا تعصوه فيما أمركم به، ويعلمكم الله ما به قوام دينكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من أعمالكم، عليم يعلم ما تعملون في الكتابة والشهادة.

---

(1) في النسخة (ف): كتابة جميعها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿283﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ الآية.. معناه: إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً يكتب الوثيقة بالحق، فالوثيقة رهان يقبضها الذي له الحق. قرأ ابن عباس وأبو العالية ومجاهد: كتاباً، يعني الصحيفة والدواة، قالوا لأنه ربما لا يجد الكاتب ولا يجد المداد والصحيفة. وقرأ الضحاك: كتاباً على جمع الكاتب. وقرأ الباقون: كاتباً، وهو المختار لموافقة المصحف[1]. وقوله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾. قرأ ابن عباس ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: فرهن. وقرأ عكرمة وعبد الوارث[2]. فرهن ـ بإسكان الهاء. وقرأ الباقون: فرهان[3]، وهو جمع مثل بغل وبغال وجبل وجبال. والرهن: جمع رهان وهو جمع الجمع، قاله الفراء[4] والكسائي. وقال أبو عبيدة: هو جمع رهن مثل سقف وسقف.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ أي إن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئاً لثقته وحسن ظنه ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي فليؤد المطلوب أمانته بأن لا يبخس ولا يجحد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ أي لا تكتموها عند الحكام ولا تمتنعوا عن أدائها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ أي فاجر سريرته. وأضاف الإثم

---

(1) تفسير القرطبي: 3/ 407.

(2) أبو عبيد عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التنوري العنبري: إمام حافظ ومقرىء ثقة، ولد سنة اثنتين ومائة، وعرض القرآن على أبي عمرو بن العلاء ورافقه في العرض على حميد بن قيس المكي. وروى القراءة عنه ابنه عبدالصمد وبشر بن هلال وغيرهما. توفي بالبصرة سنة ثمانين ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 468، معرفة القراء: 1/ 134، تذكرة الحفاظ: 1/ 256.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 322.

(4) الفراء، معاني القرآن: 1/ 188.

إلى القلب وإن كان الآثم هو الكاتم، لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب، وهذا أبلغ في الوعيد وأحسن في البيان، لأن كاتم الشهادة يلحقه الإثم من وجهين أحدهما: العزم على أن لا يؤدي، والثاني: ترك أدائها باللسان.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي عليم بما تعملون من كتمان الشهادة وإقامتها وأداء الأمانة والخيانة فيها، عليم لا يخفى عليه شيء مما تفعلون. ولا خلاف بين العلماء في جواز الرهن في الحضر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي[1] طعاماً إلى أجل ورهنه درعه[2]. والفائدة في ذكر السفر في الآية أن الأغلب من حال السفر عدم الشهود والكتاب، فخص الرهن بحال السفر. وعن مجاهد أنه كان يكره الرهن في الحضر[3].

قوله تعالى:

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾.

قوله عز وجل: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ﴾. اختلف المفسرون في هذه الآية، فقال قوم هي خاصة، واختلفوا في خصوصها فقال بعضهم: نزلت في كتمات الشهادة وإقامتها، يعني وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله، وهذا قول الشعبي وعكرمة ورواية مجاهد عن ابن عباس يدل عليه قوله تعالى فيما قبلها: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ﴾ الآية.. وذهب بعضهم إلى أنها عامة أنه لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وناس من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثوا على الركب فقالوا: يا رسول الله ما نزلت علينا آية أشد من هذه، إن أحدنا

---

(1) أبو الشحم، بفتح المعجمة وسكون المهملة، اسمه، كنيته: اليهودي من بني ظفر من الأوس كان حليفاً لهم.

(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 5/ 438، رقم: 2508، كتاب الرهن.

(3) القرطبي في تفسيره: 3/ 407.

ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه، يعني يحدث نفسه بأمر من المعصية ثم لا يعمل بها، وإنا لمؤاخذون بما تحدث به نفوسنا، إذن هلكنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هكذا نزلت**». فقالوا: كلفنا من العمل ما لا نطيق. فقال صلى الله عليه وسلم: «**أفتقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا**». فقالوا: بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله. واشتد عليهم ذلك فمكثوا حولاً فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فنسخت ما قبلها[1]. فقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا أو يتكلموا به**»[2]. وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وابن عباس، برواية ابن جبير وعطاء وابن سيرين وقتادة والكلبي. وقال بعضهم: لا يجوز أن تكون هذه الآية منسوخة لأنها خبر من عند الله تعالى. والخبر لا يحتمل النسخ لأنه خلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لكن المراد بالآية إظهار العمل وإخفاؤه. وقال الربيع: هذه الآية محكمة لم ينسخها شيء، فإن الله تعالى يعرف عبده يوم القيامة، يقول إنك أخفيت في صدرك كذا وكذا في ساعة كذا وكذا، ويحاسبه على ما أسر وأعلن من حركة في جوارحه أو همهمة في قلبه، فهكذا يصنع بكل عباده ثم يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء. وقيل: إنه لا يؤاخذ المؤمن بما حاسبه من ذلك، فمعناه: وإن تظهروا ما في أنفسكم من المعاصي أو تضمروا إرادتها في أنفسكم فتخفوها يحاسبكم به الله، أي يخبركم بها ويحاسبكم عليها، ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو قول الحسن والربيع ورواية الضحاك عن ابن عباس[3]، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿36﴾﴾[4]. وقال آخرون: معنى الآية: إن الله يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوا، ومعاقبهم عليه. غير أن معاقبته إياهم على ما أخفوه مما لم

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 81، القرطبي في تفسيره: 3/ 421.

(2) رواه البخاري في صحيحه: فتح الباري: 13/ 400، رقم: 6664، كتاب الأيمان والنذور، ومسلم في صحيحه بشرح النووي: 2/ 147، باب تجاوز الله عن حديث النفس.

(3) تراجع هذه الأقوال في تفسير القرطبي: 3/ 421 ـ 422.

(4) سورة الإسراء، 17، الآية 36.

يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها ويألمون بها مثل: الحمى وغير ذلك، حتى الشوكة يشاكها، والشيء يضيع فيفقده فيراع عليه ثم يجده، وهذا قول عائشة رضي الله عنها. وقال بعضهم: معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم من الأعمال الظاهرة أو تخفوه من الأعمال الباطنة يحاسبكم به الله العابد على أفعاله، والعازف على أحواله، وقال بعضهم: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: هذا يوم تبلى السرائر، وتخرج الضمائر، وإن كتابي لم يكتبوا إلا ما ظهر من أعمالكم، وأنا المطلع على سرائركم مما لم تعملوه ولم يكتبوه فأنا أخبركم بذلك وأحاسبكم لتعلموا أنه لا يعزب عني مثقال ذرة من أعمالكم، ثم أغفر لمن شئت وأعذب من شئت. فأما المؤمنون فيخبرهم بذلك كله ويغفر لهم، ولا يؤاخذهم بذلك إظهاراً لفضله، وأما الكافرون فيخبرهم بها، ويعاقبهم عليها إظهاراً لعدله. فمعنى الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم وأسررتم ونويتم يحاسبكم به الله، ويعرفكم إياه فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل يؤاخذكم، والمحاسبة غير المعاقبة، فالحساب ثابت والعقاب ساقط. وقال الحسن بن مسلم[1]: محاسبة الله للمؤمن بالمنة والفضل، والكافر بالحجة والعدل. وقيل في تأويل الآية: إنها وردت فيما يؤاخذ به العبد فيما بينه وبين الله تعالى. وتأويل قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا أو يتكلموا به**»، إنما ورد فيما يلزم العبد من أحكام الدنيا فلا يقع عتقه ولا طلاقه ولا بيعه ولا هبته بالنية ما لم يتكلم. ومن نظائر هذه الآية: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، ويدل على ذلك أن من أحب ما يبغضه الله أو أبغض ما يحبه الله كان معاقباً على ذلك، وإن لم يعمل إلا بقلبه. وقال بعضهم: إن الإخفاء

---

(1) الحسن بن مسلم بن يناق: ثقة، له أحاديث. توفي سنة ست ومائة هجرية. الطبقات الكبرى: 6/ 28.

(2) سورة البقرة: 2، الآية: 225.

(3) سورة النور: 24، الآية: 19.

في هذه الآية أن يضمر على السوء ويهم به، ثم لا يصل إليه ولا يتمكن منه، وهذا القول حسن جداً، اختاره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ رفعهما أبو جعفر وابن عامر والحسن وعاصم ويعقوب على الابتداء، أي فهو يغفر. ونصبهما ابن عباس على الصرف، وجزمهما الباقون[1] عطفاً على ﴿يُحَاسِبْكُم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يعني من المغفرة والعقوبة.

قوله تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (286)﴾.

قوله عز وجل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية.. وذلك أنه لما سبق في السورة ذكر أحكام كثيرة أثنى الله على من آمن بها وقبلها، وقال عز من قائل: آمن الرسول بجميع الأحكام التي أنزلها الله، وكذلك المؤمنون كلهم آمنوا بالله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ إنما أتى بالملائكة لأن حياً من خزاعة كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، فكان صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يقولون إن الملائكة عباد الله.

قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرأ ابن عباس وعكرمة والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: وكتابه ـ بالألف. وقرأ الباقون: وكتبه بالجمع[2] وهو ظاهر كقوله:

---

(1) مكي، الكشف: 1/ 323، تفسير القرطبي: 3/ 423.

(2) مكي: نفسه، تفسير القرطبي: نفسه.

وملائكته ورسله. وللتوحيد وجهان: أحدهما أنهم أرادوا القرآن خاصة؛ والثاني: أنهم أرادوا جميع الكتب، كقول العرب: كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس: يريدون الدراهم والدنانير، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾(1).

قوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ قرأ الحسن بسكون السين لكثرة الحركات.

قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب: آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وفي مصحف عبد الله: لا يفرقون بين أحد من رسله. قرأ جرير بن عبد الحميد(2) وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ويعقوب: لا يفرق - بالياء على معنى لا يفرق الكل، ويجوز أن يكون خبراً عن الرسول. وقرأ الباقون بالنون على إضمار القول، تقديره: قالوا لا نفرق(3)، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿23﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾(4) أي يقولون: سلام عليكم.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سمعنا قولك وأطعنا أمرك. وقيل: معنى أطعنا: قبلنا ما سمعنا، بخلاف ما قالت اليهود.

قوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي اغفر غفرانك يا ربنا. وقيل معناه: نسألك غفرانك، فالأول مصدر، والثاني مفعول.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي نحن مقرُّون بالبعث. ومعنى قوله: ﴿وَإِلَيْكَ﴾ أي إلى جزائك، وهذا كما قال عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾(5) أي إلى حيث أمرني ربي.

---

(1) سورة البقرة: 2، الآية: 213.

(2) أبو عبد الله جرير بن عبد الحميد الضبي الرازي، قرأ على حمزة وسمع من الأعمش، وروى عنه أبو يعقوب يوسف بن موسى القطان وأحمد بن جبير الأنطاكي. توفي سنة سبع وثمانين ومائة هجرية.
غاية النهاية: 1/ 190، تاريخ بغداد: 7/ 253.

(3) تفسير القرطبي: 3/ 429.

(4) سورة الرعد: 13، الآية: 23 ـ 24.

(5) سورة الصافات: 37، الآية: 99.

قـولـه عـز وجـل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾. قرأ إبراهيم بن أبي عبلة: إلا وسعها، بفتح الواو وكسر السين على الفعل، يريد: إلا وسعها أمره. ومعنى الآية: لا يكلف الله نفساً إلا فرضاً من فروضها: من صوم أو صلاة أو صدقة أو غير ذلك من حديث النفس إلا مقدار طاقتها، كما قال صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين: «**صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبك تومىء إيماءً**»[1]. وقال قوم: لو كلف الله العباد فوق وسعهم لكان ذلك له لأن الخلق خلقه والأمر أمره، ولكنه أخبر أنه لا يفعله.

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ يعني النفس لها جزاء ما عملت من الخير والعمل الصالح، أي لها أجره وثوابه، وعليها وزر ما اكتسبت من المعصية والعمل السيئ لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾[2]. والفرق بين الكسب والاكتساب: أن الكسب فعل الإنسان لنفسه ولغيره. والاكتساب: ما يفعله لنفسه خاصة. وقيل: لا فرق بينهما في اللغة فعلى القول الأول وصف المسيء بالاكتساب، لأن وزره لا يعدوه ومعصيته لا تضر غيره، ووصف المحسن بالكسب لأن غيره يشاركه في ثوابه بالهداية والشفاعة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ أي لا تعاقبنا إن نسينا طاعتك أو أخطأنا في أمرك. وقال الكلبي: إن جهلنا أو تعمدنا. فذهب إلى الخطأ الذي هو ضد الصواب لا ضد القصد. يقال: خطىء إذا تعمد وأخطأ إذا سها، وقد يقال أخطأ إذا تعمد. وقيل: معنى الآية إن تركنا أمراً أو اكتسبنا خطيئة، والنسيان بمعنى الترك معروف في الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾[3] أي تركوا ذكر الله وأمره فتركهم في العذاب. والمراد بالمؤاخذة في النسيان: سقوط الإثم في الآخرة، فأما في حكم الدنيا فلا يرتفع التكليف

(1) رواه الدارقطني في سننه: 1/ 380.
(2) سورة فاطر: 35، الآية: 18.
(3) سورة التوبة: 9، الآية: 67.

منه إذا ذكره بعد النسيات، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلِّها إذا ذكرها**»[1]. وكذلك الخطأ مرفوع الإثم في الآخرة، وهو تأويل الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[2]. فأما في أحكام الدنيا فيتعلق به الحكم، لأن الله تعالى نص على لزوم حكم قتل الخطأ في إيجاب الدية والكفارة. قال الكلبي: كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطأوا عجلت لهم العقوبة، فيحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم. وقال ابن زيد: قوله تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ أي إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا، أو أخطأنا شيئاً مما حرمته علينا.

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ أي لا تحمل علينا ثقلاً. ويقال: عهداً كما حملته على بني إسرائيل بجرم منهم أمرتهم بقتل بعضهم بعضاً وحرمت عليهم الطيبات بظلمهم، وكما كانوا مأمورين [بقطع موضع النجاسة من الثياب، وكانوا مأمورين][3] بأداء ربع أموالهم في الزكاة ونحو ذلك من الأمور التي كانت تثقل عليهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾[4] أي عهدي.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ أي لا تحملنا ما يشق علينا من الأعمال، وهذا كما يقال: لا أطيق كلام فلان، ولا أطيق هذا الأمر أي لا أحمله بمشقة. هذا معنى الآية، لأن الله تعالى لا يكلف أحداً شيئاً لا يكون ذلك في مقدرته. وقيل: معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب. وقيل: هو

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي: 5/ 193، باب قضاء الصلاة الفائتة، وابن ماجه في سننه: 1/ 227، رقم: 696، باب من نام عن صلاة أو نسيها.

(2) رواه ابن ماجه في سننه: 1/ 659، رقم: 2043، باب طلاق المكره والناسي، والبيهقي في السنن الكبرى: 6/ 84، باب من لا يجوز إقراره.

(3) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة (ف) من غير ترك بياض.

(4) سورة آل عمران: 3، الآية: 81.

حديث النفس والوسوسة. وعن مكحول أنه قال: هو الغلمة[1]. وعن بعضهم أنه كان يقول: اللهم أعذني وأخوتي من شر الغلمة فإنها ربما جرت إلى جهنم. وقال ابن عبد الوهاب: يعني العشق[2]. وعن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: يعني الحب. وقال بعضهم: حضرت ذا النون[3] المصري في مجلس له، فتكلم ذلك اليوم في محبة الله عز وجل فمات أحد عشر نفساً في المجلس، فصاح رجل من المريدين فقال: ذكرت محبة الله فاذكر محبة المخلوقين. فتأوه ذو النون تأوهاً شديداً، وشق قميصه نصفين وقال: آه! علقت رهونهم واستعبرت عيونهم، وحالفوا السهاد وفارقوا الرقاد، فليلهم طويل ونومهم قليل، أحزانهم لا تنفد وهمومهم لا تفقد، باكية عيونهم قريحة جفونهم. وقال يحيى بن معاذ: لو كانت العقوبة بيدي يوم القيامة لما عذبت العشاق، لأن ذنوبهم اضطراراً لا اختياراً. وقال بعضهم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ يعني شماتة الأعداء. قال الشاعر:

كل المصائب قد تمر على الفتى ∴ فتهون غير شماتة الحساد

إن المصائب تنقضي أيامها ∴ وشماتة الحساد بالمرصاد

وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله العظيم منها. يقال: قطع الأوصال أيسر من قطع الوصال.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ أي تجاوز عن تقصيرنا وذنوبنا، ولا تفضحنا، وارحمنا، فإننا لا ننال العمل بطاعتك إلا بمعونتك، ولا نترك المعصية إلا برحمتك. وقيل معنى ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ أي اترك عنا العقوبة. ومعنى العفو: الترك. ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي استر لنا ذنوبنا وعيوبنا. ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ أي أنعم

---

(1) جاء في تفسير البغوي: 1/ 420: قيل الغلمة: شدة الشهوة.

(2) معالم التنزيل: 2/ 193.

(3) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري: أحد الزهاد العباد المشهورين، كانت له فصاحة وحكمة، وهو أول من تكلم في ترتيب الأحوال والمقامات لأهل التصوف بمصر. توفي سنة خمس وأربعين ومائتين هجرية.
طبقات الصوفية: 15، حلية الأولياء. 9/ 331، وفيات الأعيان: 1/ 315.

علينا بالجنة والثواب. وقيل: معنى الآية: واعف عنا من المسخ، واغفر لنا من الخسف، وارحمنا من الغرق، أي لا تفعل بنا ما فعلت ببعض من تقدمنا من الأمم. وقيل: معناه واعف عنا الصغائر، واغفر لنا الكبائر، وارحمنا بثقيل الميزان. وقيل: معناه واعف عنا في سكرات الموت، واغفر لنا في ظلمة القبر[1]، وارحمنا في أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أنت ولينا وناصرنا، ومتولي أمرنا: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أعنّا عليهم في إقامة الحجة، وإظهار الدين كما وعدتنا. روي عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله عز وجل: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: «**قال الله تعالى: قد غفرت لكم**». فلما قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «**قال: لا أؤاخذكم**». فلما قرأ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: لا أحمل عليكم. فلما قرأ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ «**قال: لا أحملكم**». فلما قال: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ «**قال: قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين**»[2]. وكان معاذ بن جبل إذا ختم هذه السورة قال: آمين[3]. وعن الحسن والضحاك ومجاهد وجماعة من المفسرين أن قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة.. كان في قصة المعراج. قالوا: لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى قال له جبريل عليه السلام: إني لم أجاوز هذا المكان ولم يؤمر أحد بالمجاوزة غيرك، فامض أنت. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**فمضيت حتى انتهيت إلى ما أراد الله تعالى، فأشار جبريل عليه السلام أن سلم على ربك. فقلت: التحيات لله والصلوات الطيبات. فقال الله عز وجل: السلام عليك أيها**

---

(1) في النسخة (ف): القبور.

(2) ذكره البغوي في معالم التنزيل: 1/ 421، والثعلبي في تفسيره: ورقة: 209، ورواه البيهقي في شعب الإيمان: 2/ 463، رقم: 2409، باب في تعظيم القرآن.

(3) يراجع المصدران السابقان فيما حكي عن معاذ بن جبل.

النبي ورحمة الله وبركاته». قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**فأحببت أن يكون لأمتي حظ في السلام فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فقال جبريل وأهل السموات كلهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**». فقال الله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾. فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرك أمته في الكرامة والفضيلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية.. قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ الآية.. فقال جبريل عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم: سل تعط. فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ إلى آخر السورة.. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوحى الله تعالى إليه بهذه الآيات ليعلم أمته بذلك أو يعلمهم كيف يدعون الله تعالى. وقد تقدم فضل السورة. والله الموفق.